جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
الإيجي الشيرازي الشافعي
المتوفى ٩٠٥ هـ

ومعه

حاشية

محمد بن عبد الله الغزنوي
المتوفى ١٢٩٦ هـ

تحقيق

الدكتور عبد الحميد هنداوي
المدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الجزء الثالث

المحتوى:
من أول سورة الأنبياء - إلى آخر سورة الزمر

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٤م - ١٤٢٤هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

سورة الأنبياء مكية

مائة واثنتا عشرة آية وسبع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ۝٨ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾: للكفار ، **﴿حِسَابُهُمْ﴾**، فإنه قد ظهر خاتم الأنبياء ، الذي هو من علامات آخر الزمان، **﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾**: عن الحساب، **﴿مُعْرِضُونَ﴾**: عن التفكر فيه ، والإيمان به ، **﴿مَا[1] يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾** ، المراد من الذكر الطائفة النازلة من

---

(١) من ذكر من ربهم محدث ، قال البخارى في صحيحه في كتاب الرد على الجهمية ، باب قول الله: كل يوم هو في شأن ، "وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث"، وقول الله: "لعل=

....

= الله يحـــدث بعد ذلك أمرًا"، وإن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين، لقوله: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" (الشورى:١١)، وقال ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وســـلم: "إن الله يحـــدث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة" انتهى. وأيضًا قال: فيه باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرهما من الخلائق وهو فعل الرب وأمره فالرب بصفاته وفعله وأمره وكلامه هو الخالق المكون غير مخلوق، ومـــا كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكون انتهى . وقال شيخ الإســـلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم قدس الله روحه في بعض فتاواه: وسائر أهل الســـنة والحديث متفقون على أنه يتكلم بمشيئته، وأنه لم يزل متكلمًا إذا شاء وكيف شاء، وقد سمى الله القرآن حديثًا ومحدثًا، وقال: "الله نزل أحسن الحديث" (الزمر:٢٣)، وقال: " ومن أصدق من الله حديثًا" (النساء:٨٧)، وقال: " ما يأتيهم من ذكر من ربهم محـــدث" وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحدث من أمره ما شاء ، وهذا مما احتج به البخاري في صحيحه وغير صحيحه واحتج به غير البخاري ، كنعيم بن حماد ، وحماد بن زيد ، ومن المشهور عن السلف : القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود انتهى. وأيضًا قال رحمه الله: قال الإمام أحمد رحمه الله وغيره: لم يزل الله متكلماً إذا شاء، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته ، يتكلم بشيء بعد شيء ، كما قال تعالى: " فلما أتاها نودي يا موسى " فناداه حين أتاها ولم يناده قبل ذلك ، وقال تعالى : ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّـــجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (الأعراف:٢٢) فهو سبحانه ناداهما حين أكلا منها ، ولم ينادهما قبل ذلك . وكذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْـــنَاكُمْ ثُـــمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ (الأعراف:١١)، فأمرهم بالســـجود بعد أن خلق آدم وصوره ، ولم يأمرهم قبل ذلك، وكذلك قوله : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَـــى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران:٥٩)، فأخبر أنه قال له كن بعد أن خلقه من تراب، ومثل هذا الخبر في القرآن كثير، يخبر أنه =

القرآن ، **﴿مِّن رَّبِّهِم﴾**، صفة لذكر أو صلة يأتيهم، **﴿مُّحْدَثٍ﴾**: تنزيله، جديد إنزاله، **﴿إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾** حال من فاعل استمعوه ، أي: ليستهزءون به، **﴿لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾** حال كونهم مشغولين بدنياهم، لا يصغون إلى القرآن، ذو الحالين واحد، أو حال من فاعل يلعبون، **﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾**: بالغوا في إخفائها أو تناجوا وأخفوا نجواهم ، فلا يفطن[1] أحد لتناجيهم،**﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** بدل من فاعل أسروا، أو منصوب على الذم ، أو مبتدأ خبره أسروا النجوى، وضع الذين ظلموا موضع هؤلاء

= تكلم في وقت معين ونادى في وقت معين ، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما خرج إلى الصفا ، قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٥٨)، قال: "نبدأ بما بدأ الله به" فأخبر أن الله بدأ بالصفا قبل المروة ، والسلف اتفقوا على أن القرآن كلام الله ، نزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، انتهى كلامه رضي الله عنه.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في خطبته النونية : وأما القرآن فإني أقول إنه كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، تكلم الله به صدقًا، وسمعه منه جبريل حقًّا، وبلغه محمد صلى الله عليه وسلم - وحيًا ، وأن "كهيعص"، و"حم" و"حم عسق" و "الر" و،"ق"، و "ن" عين كلام الله حقيقة وإن الله تكلم بالقرآن العربي الذي سمعه الصحابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن جميعه كلام الله ، وليس قول البشر، ومن قال: إنه قول البشر فقد كفر والله يصليه سقر، ومن قال: ليس لله بيننا في الأرض من كلام، فقد جحد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله بعثه يبلغ عنه كلامه ، والرسول إنما يبلغ كلام مرسله ، فإذا انتفى كلام المرسل انتفت رسالة الرسول . انتهى/١٢ .

(١) إشارة إلى دفع إشكال ما قيل: إن التناجي لا يكون إلا خفية، فما معنى قوله: " وأسروا النجوى" بوجهين: الأول: إن الإسرار واقع على ما تناجوا به من القول، والثاني: إنه واقع على الحدث أعني : التناجي وهذا أظهر/١٢ منه .

تسجيلاً على فعلهم بأنه ظلم، ﴿هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ هذا الكلام كله في موضع النصب بدل من النجوى ، أو مفعول لقول مقدر، استدلوا على كذبه في النبوة بأنه بشر، لأن زعمهم أن الرسول لا يكون إلا ملكًا، فلا بد أن تكون المعجزة بمقتضى عقيدتهم سحرًا، فلذلك قالوا إنكارًا: أفتحضرون السحر وأنتم تعاينون أنه سحر، ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾: جهرًا كان أو سراً، ﴿فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ فكيف يخفى عليه نجواهم، ومن قرأ قال فهو حكاية قول رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾: فلا يخفى عليه شيء ، ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ[1]﴾ اقتسم المشركون القول في القرآن، فقيل: سحر وقيل: تخاليط أحلام وأباطيل خيلت إليه، وخلطت عليه، وهذا أبعد فسادًا من الأول، وقيل: هو مفترى اختلقها من تلقاء نفسه، وهذا أفسد من الثاني ، وقيل: كلام شعري يخيل إلى السامع معاني لا حقيقة لها، وهو أفسد من الثالث ، لأنه كذب مع علاوة فلذلك جاء ببل تنزيلاً من الله لأقوالهم في درج الفساد، ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ ﴾ أي: كما أرسل به الأولون، كاليد البيضاء، والناقة وغيرهما، ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن﴾: أهل، ﴿قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ أي: ما آمنت قرية من القرى التي أهلكناها لما جاءهم الآيات المقترحة، ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾: لو جئتهم بها مع أنهم أعتى من الذين اقترحوا الآيات وعهدوا الإيمان بها، وفيه تنبيه على أن عدم الإتيان بمقترحاتهم للإبقاء عليهم، إذ لو أتى به لم يؤمنوا، فنستأصلهم كمن قبلهم ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ

(١) قيل: جاز أن يكون هذا بيانًا لكونهم غير ثابتين في شأن القرآن بشيء، بل متحيرون، مرة يقولون: هذا أمره، ذلك كما هو شأن المبطل أنه رجاع غير ثابت على شيء واحد/ ١٢ منه .

﴿إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ فما لهم ينكرون زاعمين أن الرسـول لا يكـون بشـرًا، **﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾**: أهل الكتاب، والمشركون يشاورونهم في أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- ويثقون بقولهم،**﴿إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ[1]﴾** ، أن الرسل بشر ، **﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾** أثبت لهم ثلاثة أشياء هي لا تكون للملك، وهي لبشر تحقيقًا لنفي الملكية عنهم ولإثبات البشرية لهم: كونهم أجسادًا ، والجسد جسم ذو لون، والملك لصفائه لا يوصف باللون، كما لا يطلق الجسد على الماء والهواء، ووحد الجسد لإرادة الجنس، وأنهم أكلوا الطعام، وأنهم يموتون في الدنيا، وموت الملك لا يكون إلا بعد انقراض الدنيا ، أو لأن المشركين اعتقدوا خلود الملك ، **﴿ثُمَّ[2] صَدَقْنَاهُمُ الوَعْدَ﴾** أي : في الوعد ، **﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ﴾**: ومن في إبقائه حكمة، **﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ[3]﴾**: في الكفر، **﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾**: يـا

---

(١) أن الرسل بشر ، والعجيب أنهم يجيزون أن يكون الرب حجرًا، ولا يجيزون أن يكون الرسول بشرًا، قال الرازي: فأما تعلق كثير من الفقهاء بهذه الآية في أن للعاميّ أن يرجع إلى فتيا العلماء، وفي أن للمجتهد أن يأخذ بقول مجتهد آخر فبعيد ، لأن هذه الآية خطاب مشافهة، وهي واردة في هذه الواقعة المخصوصة ، ومتعلقة باليهود والنصارى على التعيين. انتهى. وفي الفتح استدل بالآية على أن التقليد جائز وهو خطأ ولو سلم لكان المعنى سؤالهم عن النصوص من الكتاب والسنة لا عن الرأي البحث ، وليس التقليد إلا قبول قول الغير دون حجته والمقلد إذا سأل أهل الذكر عن كتاب الله وسنة رسوله لم يكن مقلدًا، فالآية دليل الاتباع لا دليل التقليد / ١٢ .

(٢) وهذا بيان سنته تعالى مع الأنبياء ، فكذلك يسلك مع خاتم الأنبياء ، ومن يشاء من أمته فهذه عدة ووعيد/ ١٢ وجيز .

(٣) ولما توعدهم في تلك الآية ، عقب ذلك بوعده ثم بما فيه وعيدهم إن لم يؤمنوا بما فيه شرف دينهم ودنياهم فقال: "لقد أنزلنا إليكم" الآية.

قريش، ﴿كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: صيتكم[1] وشرفكم أو موعظتكم وذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم، ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾: فتؤمنون به.

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا

---

(١) هكذا فسره ابن عباس– رضى الله عنه– الصِّيت بالكسر الذكر الحسن / ١٢.

يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿**وَكَمْ قَصَمْنَا**﴾: أهلكنا والقصم: الكسر الشديد، ﴿**مِن قَرْيَةٍ**﴾: من أهلها، ﴿**كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا**﴾: مكانها، ﴿**قَوْماً آخَرِينَ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا**﴾: أدركوا، وشاهدوا شدة عذابنا، ﴿**إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ**﴾: يهربون بسرعة، والركض[1] ضرب الدابة بالرجل، ﴿**لاَ تَرْكُضُوا**[2]﴾ أي: قيل لهم لا تركضوا، ﴿**وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ**﴾: من التلذذ والتنعم والإتراف: إبطار النعمة، ﴿**وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ**﴾ غدًا من أعمالهم، أو تسألون شيئًا من دنياكم فتعطون من شئتم، وتمنعون من شئتم، فإنهم أهل ثروة ينفقون رئاء الناس، تهكم بهم الملائكة بهذا القول، ووبَّخهم وقيل: يسألكم خدمكم في أموركم، كيف نأتي ونذر كعادة المنعمين، أو يسألكم الناس في مهامهم ويستشفون بتدابيركم، ﴿**قَالُوا**﴾: حين رأوا العذاب، ﴿**يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾: ندموا حين لا ينفعهم الندم، ﴿**فَمَا زَالَت تِّلْكَ**﴾: المقالة، أي: الاعتراف بالظلم، ﴿**دَعْوَاهُمْ**﴾: دعوتهم نحو: آخر دعواهم أن الحمد لله، ﴿**حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً**﴾: مثل ذرع محصود، ﴿**خَامِدِينَ**﴾ ميتين[3] من

---

(١) ضرب الدابة بالرجل والظاهر أنهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ركبوا دوابهم يركضونها منهزمين، أو شبهوا في عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم/١٢ وجيز.

(٢) قال المفسرون وأهل الأخبار: إن المراد بهذه الآية أهل حضور من اليمن، وكان أهلها عربًا، وكان الله -سبحانه- قد بعث عليهم نبياً اسمه شعيب بن مهدم، وقبره بجبل من جبال اليمن يقال له: صنين وبينه وبين حضور نحو بريد، قالوا: وليس هو شعيب صاحب مدين / ١٢ فتح.

(٣) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن وهب، قال: حدثني رجل من الجزريين، قال: كان باليمن قريتان يقال لأحدهما حضور وللأخرى قلابة، فبطروا وأترفوا حتى ما كانوا يغلقون

=

حمدت النار ، وهما بمترلة مفعول واحد، كرأيته حلوًا حامضًا، وخامدين حال أو صفة، **﴿وَمَا خَلَقْنَا**[1] **السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ﴾** ، بل لنجزي الذين أساءوا بما عملوا ونجزي الذين أحسنوا بالحسنى، **﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾**: لو أردنا اتخاذ ما يلعب ويتلهى به، لاتخذناه من عندنا، وما خلقنا جنة ولا نارًا ولا موتًا ولا بعثًا ولا حسابًا، أو لو أردنا أن نتخذ زوجة أو ولدًا لاتخذنا من الحور العين أو الملائكة، أو لاتخذناه من عندنا بحيث لا يظهر لكم ويستتر عنكم، فإن زوجة الرجل وولده يكونان عنده لا عند غيره، واللهو: المرأة والولد بلسان اليمن، وهو رد على النصارى في أم المسيح ، أو المسيح، أو في المسيح، قيل: لو أردنا اتخاذ لهو لقدرنا عليه ومن لدنا، أي: من جهة قدرتنا لكن الحكمة صارفة عنه، **﴿إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾** أي: إن كنت فاعلاً لذلك، أو إن نافية ، فالجملة كالنتيجة للشرطية، **﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى البَاطِلِ﴾**: نغلِّبُ الحق الذي منه الجد على الباطل الذي منه اللهو، **﴿فَيَدْمَغُهُ﴾**: يمحقه، جعل الحق كجرم متين صلب ، قذف ورمي به على حيوان

= أبوابهم، فلما أترفوا بعث الله إليهم نبيًا فدعاهم فقتلوه، فألقى الله في قلب بختنصر أن يغزوهم، فجهز لهم جيشًا، فقاتلوهم ، فهزموا جيشه، فرجعوا منهزمين، فجهز إليهم جيشًا آخر، أكثف من الأول ، فهزموهم أيضًا، فلما رأى بختنصر أغزاهم هو بنفسه فقاتلهم حتى خرجوا منها يركضون، فسمعوا مناديًا يقول: لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه، ومساكنكم ، فرجعوا فسمعوا صوت مناد يقول: يا لثارات النبي ، فقتلوا بالسيف فهي التي قال الله :"وكم قصمنا من قرية"، إلى قوله :"خامدين"، قلت: وقرية حضور معروفة الآن بينها وبين مدينة صنعاء نحو بريد في جهة المغرب منها/ ١٢ فتح البيان .[ابن أبي حاتم في "تفسيره" (١٣٦١٤)]

(١) ولما ذكر قصم تلك القرى الظالمة ، فلم يرحم عليهم حتى ندموا ، أتبع ذلك بما يدل على أن ذلك عدل ومجازاة لأعمالهم ، وجميع ما قدر منه سبحانه حق عدل ، فقال:"وما خلقنا السماء والأرض" الآية / ١٢ وجيز .

ضعيف فشق دماغه، وبل إضراب عن اتخاذ اللهو وتتريه لذاته عن اللعب ، **﴿فَإِذَا هُوَ﴾**: الباطل ، **﴿زَاهِقٌ﴾**: هالك والزهوق ذهاب الروح ، **﴿وَلَكُمُ الوَيْلُ[1] مِمَّا تَصِفُونَ﴾**: مما تصفون الله به مما لا يليق بعظمته ، **﴿وَلَهُ مَن[2] فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾**: خلقًا وملكًا، **﴿وَمَنْ عِندَهُ﴾**، أي: الملائكة المقربون، فإهم متزلون لكرامتهم عليه مترلة المقربين عند الملوك، أو لأهم في محل ظهور سلطانه، وهو السماوات، وهو مبتدأ خبره قوله: **﴿لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ﴾** لا يعيون ولا يتعبون قيل:" ومن عنده" عطف على " من في السموات "، أفرده بالذكر للتعظيم، أو المراد : من في العرش والكرسى، **﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾**: دائبون في التسبيح، عن كعب الأحبار: التسبيح لهم كالنفس[3] لبنى آدم ، **﴿أَمِ[4] اتَّخَذُوا﴾** منقطعة، والهمزة لإنكار اتخاذهم، **﴿آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ﴾**، ظرف لاتخذوا أو صفة لآلهة، **﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾** أى: اتخذوا آلهة هم قادرون وحدهم على إحياء الموتى، والمراد تجهيلهم والتهكم هم ، والكفرة وإن لم يكونوا يدعون ذلك

---

(١) الويل كلمة جامعة للشر كله، قال الأصمعي: ويل تقبيح / م .

(٢) ولما حكى كلام الطاعنين وبين أن غرضهم من تلك المطاعن التمرد وعدم الانقياد، بين في هذه الآية ، أنه تعالى متره عن طاعتهم ، لأنه هو المالك لجميع المخلوقات فقال:"وله من في السموات" . الآية / ١٢ كبير .

(٣) فلا يشغلهم الكلام والرسالة والعمل عن التسبيح / ١٢ منه .

(٤) ولما ثبت أنه ينتقم في الدنيا، عمن يكذب بآياته وأن كل ما صدر عنه حق عدل، وأن جميع من فى الأرض والسماء ملك له وأن الملائكة سيما الكاملين منهم، دائبون في عبادته، فهو الحقيق بالتوجه إليه ظاهرًا أو باطنًا، والإعراض عما سواه، ومن لم يكن كذلك فهو جدير بالتوبيخ والتقريع ، فقال :"أم اتخذوا آلهة من الأرض"، الآية / ١٢ وجيز .

للأصنام ، لكن لما أثبتوا الألوهية لهم يلزمهم إثبات ذلك فإنه ممكن، والإلــه لابــد أن يكون قادرًا على الممكنات، **﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ﴾** أي: غير الله، صفــة لا بدل لفساد المعنى واللفظ[1] ، قال صاحب المغني[2] : إذا اختلف الموصــوف والصفــة إفرادًا أو غيره ، فالوصف للتأكيد لا للتخصيص ، كما قالوا: عندي عشرة إلا درهمًــا، لزم عليه تسعة ، ولو قال : إلا درهم بالرفع فقد أقر له بعشرة، فمعنى الآية: لو كــان الإله غير واحد البتة ، والصفة تأكيد، لأن كل متعدد غير واحد البتة، **﴿لَفَسَدَتَا﴾** لأن الملك يفسد بتدبير مالكين لما يحدث بينهما من الاختلاف والتمانع عادة ، **﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ[3]﴾**: المحيط بجميع الأجسام، **﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾**: من الشريك والولد، **﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾** لانفراده في عظمته وسلطانه ، **﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾** وهو سـائل خلقه عما يعملون، فإنهم عبيد، **﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾** كرره استقباحًا لشـأنهم واستعظامًا لكفرهم، **﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾** من جهة عقل أو نقل، أن لــه شــريكًا،

---

(١) أما فساد المعنى، فلأن المراد نفي التعدد مطلقًا، ولو كان مستثنى لكان المعنى: لو كــان فيهما الآلهة المستثنى منهم الله لفسدتا، فلو كان الله فيهم لم يفسدوا، وأما فساد اللفـظ، فلأن المستثنى يجب أن يكون داخلا البتة في المستثنى منه ، لو لم يؤت بالمســتثنى، والله لا يجب أن يكون داخلاً في آلهة / ١٢ منه .

(٢) هذا النقل إشارة إلى دفع إشكال على ما قررناه من أنه صفة ، وهو أن حقيقة معنــاه حينئذ لو كان فيهما من الإله متعدد غير واحد ولا شك لأحد أن المتعدد غير الواحــد فالصفة حشو / ١٢ منه.

قال على القارى: وأما قول التفتازاني: الآية حجة إقناعية، فالمحققون كــالغزالي وابــن الهمام ما قنعوا بالإقناعية، بل جعلوها من الحقائق القطعية ، بل قيل يكفر قائلها . انتهي / ١٢ .

(٣) فسبحان الله رب العرش الذي استوى عليه ، وهو محيط بجميع الأجسام فلا يمكــن أن يكون الإله فى الأرض / ١٢.

﴿هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾ أي: عظة أمتي، ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ من الأمم السالفة، فهذا إشارة إلى الكتب السماوية، أي: هذا كتاب الله، فاطلبوا، هل تجدون فيها أن له شريكًا، أو إشارة إلى القرآن وحده، أي: القرآن فيه ذكر أمتي وذكر أمم قبلي، إنهم مطالبون بالتوحيد، ممنوعون عن الشرك، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾: لا يميزون بينه وبين الباطل، ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾، عن التوحيد واتباع الرسل، من أجل ذلك.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ[1] أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾: وحدي، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً﴾ من العرب من قال: الملائكة

---

(١) يعني أن عبادة الله وحده لا شريك له، هي أصل الدين، وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب كما في هذه الآية، وقوله تعالى: " ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت" (النحل:٣٦)، وكان – صلى الله عليه وسلم – يحقق التوحيد، ويعلمه أمته حتى قال له رجل : ما شاء الله وشئت ، قال :"أجعلتني لله ندًّا" ؟!، قل ما شاء الله وحده"، ونهى عن الحلف بغير الله، وقال :"من حلف بغير الله فقد أشرك"، وقال: "اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد"، وقال:"لا تتخذوا قبرى عيدًا ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا على حيث ما كنتم فإن صلاتكم تبلغني"، ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا الصلاة عندها، وذلك لأن من أكثر الأسباب لعبادة الأوثان كان تعظيم القبور، ولهذا اتفق العلماء على أنه من سلم على النبي – صلى الله عليه وسلم – عند قبره أنه لا يتمرغ بحجرته ، ولا يقبلها ، لأنه إنما يكون لأركان بيت الله فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق ،كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملاً إلا به ، ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه " إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيماً " (النساء:٤٨) ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه وأعظم آية في القرآن ، آية الكرسي : " الله لا إله إلا هو الحي القيوم "

=

بنات الله، ﴿سُبْحَانَهُ﴾ عن ذلك ، ﴿بَلْ﴾ هم ، ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ وليسوا بأولاد ، ﴿لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾: لا يقولون شيئًا حتى يقول الله ، ولا يتكلمون إلا بما يأمرهم ، كما هو طريق الأدب ، ﴿وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ لا يعملون بما لا يأمرهم ، ولا يبعد أن يكون ذلك كالدليل على أنهم غير الأولاد فإن الأولاد لا يكون كذلك ، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: يحيط علمه بجميع أحوال عباد مكرمين مما قدموا وأخروا ، ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾: أن يشفع له ، ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ مرتعدون لا يأمنون مكر الله، والإشفاق خوف مع اعتناء ، فإن عدي بمن فمعنى الخوف فيه أظهر ، وإن عدي بعلى فبالعكس[1]، والخشية خوف مع تعظيم، ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾: من الملائكة، وهذا على سبيل الفرض ، ﴿إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ قيل : أراد إبليس حيث دعا الخلق إلى عبادة نفسه دون عبادة ربه ، ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾: المشركين .

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ

= (البقرة:٢٥٥)كل هذا قاله شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام رحمه الله رحمة باقية إلى قيام الساعة وساعة القيام / ١٢ .

(١) فمعنى الاعتناء فيه أظهر / ١٢ منه .

وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً﴾ أي : جماعة السماوات، وجماعة الأرض كانتا مرتوقتين يعني جميعهما في أول الأمر متصل متلاصق بعضهما ببعض، **﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾**، فصارت السماوات سبعًا، والأرض كذلك، أو كانتا رتقًا لا تمطر ولا تنبت ففتقنا بالمطر والنبات، فعلى هذا المراد من السماوات سماء الدنيا، وجمعها باعتبار الأفق، أو جميع السماوات على أن للكل مدخلاً في الإمطار، والرتق هو الضم والالتحام، فإن قلت متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك؟ قلت: الفتق مشاهدة عارض يفتقر(*) إلى مؤثر واجب، والرتق ممكن أخبر به القرآن المعجز فهم لو نظروا لعلموا، **﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ[1] كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾**، أي: كل شيء موجود أصله من الماء، فإن الله خلق الماء قبل الأشياء، ثم خلقها منه، أو خلقنا كل حيوان من الماء، أي: من النطفة، أو صيرنا كل شيء له نوع حياة كحيوان ونبات من الماء، ولابد له

(*) وفي النسخة (ن): مفتقر.

(١) نقل الإمام أحمد وابن أبي حاتم أنه قال عليه السلام: "خلق كل شيء من الماء" ١٢/ .
[وقال الشيخ أحمد شاكر في "التعليق على المسند" (٧٩١٩): إسناده صحيح]

منه نحو خلق الإنسان من عجل فعلى هذا جعل متعد إلى مفعولين[1]، ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ[2] وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾: جبالاً ثوابت، ﴿أَن تَمِيدَ﴾: كراهة أن تميد، ﴿بِهِمْ﴾: وتضطرب، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾: في الرواسي، ﴿فِجَاجًا﴾: مسالك وطرقًا واسعة، ﴿سُبُلًا﴾، يعني: لما خلقنا الجبال حالت بين البلدان، فجعلنا فيها فجوة، وطرقًا ليسلك فيها من بلد إلى آخر، وسبلاً إما مفعول وفجاجًا حال[3]، أو هو مفعول وسبلاً بدل، ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ[4]﴾: إلى مصالحهم، ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا﴾: على الأرض، ﴿مَّحْفُوظًا[5]﴾: من أن يقع على الأرض أو من الشياطين بالشهب، ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾، لا يتفكرون فيما خلق فيها من الآيات، كالشمس والقمر والكواكب وغيرها، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ[6]﴾ أي: كل واحد منهما، ﴿فِي فَلَكٍ[7] يَسْبَحُونَ﴾ يسرعون علىفلكه، كالسابح فى

---

(١) يعني: قوله من الماء، وكل شيء مفعولاه/١٢ وجيز.

(٢) فيه معنى التعجب من ضعف عقولهم يعني: أفلا يتدبرون تلك الأدلة فيتركوا الشرك/١٢.

(٣) لأن أصله سبلاً فجاجًا على الصفة تقدم فصار حالاً، قال تعالى: "سبلاً فجاجًا" (نوح: ٢٠) والفج الطريق الواسع/١٢ منه.

(٤) جعلوا عسى ولعل شكًا ويقينًا كقوله تعالى:"لعلهم يهتدون"، أي: ليهتدوا.

(٥) وعن ابن عباس ونقل حديثًا مرفوعًا أن معناه محفوظًا عن الشياطين بالشهب/١٢ وجيز.

(٦) اعلم أن المراد من الكل، الكل المجموعي لا الإفرادي بدليل قوله: "يسبحون" بالجمع لا بالإفراد فيحتاج إلى تأويل فى فلك بالإفراد فلا تغفل لئلا تقع فيما وقع فيه بعض المفسرين/ ١٢ منه.

(٧) وظاهر القرآن أنهما يسبحان بنفسهما في الفلك، والحركة لهما، وعلى هذا جاز أن تكون جميع السيارات والثوابت في سماء الدنيا، كما قال الله تعالى: " إنا زينا السماء =

المـــاء، والفلـــك الجنس نحو كساهم الأمير حلة، والجمع باعتبار كثرة مطالعها وجمع العقلاء للوصف بفعلهم، وهو السباحة والجملة حال منهما.

﴿**وَمَـــا جَعَلْـــنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ**﴾، نزلت حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون، استدل به بعضهم على عدم بقاء الخضر، ﴿**أَفَإِن مِّتَّ**﴾ الهمزة للإنكار، والفاء لـــتعلق الشـــرط بمـــا قبله، ﴿**فَهُمُ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾ أي: مرارته، ﴿**وَنَبْلُوكُم**﴾: نعاملكم معاملة من يختبركم، ﴿**بِالشَّرِّ**﴾: بالمصائب تارة، ﴿**وَالْخَيْرِ**﴾: بالنعم أخرى، ﴿**فِتْنَةً**﴾: ابتلاء لننظر من يصبر ومن يجزع ومن يشكر ومن يكفر مصدر مؤكـــد من غير لفظه، ﴿**وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ فنجازيكم، ﴿**وَإِذَا**[١] **رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَـــتَّخِذُونَكَ**﴾ إن نافـــية ، ﴿**إِلاَّ هُـــزُوًا**﴾ مهزوء به، ﴿**أَهَذَا**﴾ أي: قالوا أهذا، ﴿**الَّـــذِي**[٢] **يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ**﴾ أي: بسوء، ﴿**وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ**﴾: بصفاته الحسنى كالتوحـــيد، ﴿**هُـــمْ كَافِرُونَ**﴾ لا يصدقون به، فهم أحق بأن يهزأ بهم ، ﴿**خُلِقَ**[٣] **الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ**﴾: لفرط استعجاله كأنه خلق منه، قيل: لما ذكر المستهزئين وقع في النفس سرعة الانتقام منهم واستعجلت ذلك ولهذا قال ﴿**سَأُرِيكُمْ آيَاتِي**﴾: نقماتي في

= الدنيا بزينة الكواكب" (الصافات:٦)، فلا تحتاج إلى تأويل ، ولا يدل دليل على خلاف ذلـــك فعلى هذا يكون الكل مجموعيًّا، وجملة كل في فلك حال منهما، وجاز للقرينة، ولما مر قوله:" وما جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين" (الأنبياء:٨)، وكانوا يشمتون بموته ، فنفى الله عنه الشماتة ، وقال: "وما جعلنا" الآية/١٢ وجيز.

(١) ولمـــا ذكر شماتتهم ودفع عنه عقّبه بذكر ما هو أشد وأقبح منها وهو سخريتهم فقال : "وإذا رآك الذين كفروا" .الآية / ١٢ .

(٢) يقال فلان يذكرك ، إن كان الذاكر صديقًا فهو ثناء ، وإلا فذم ولوم /١٢ منه .

(٣) ولما ذكر شماتتهم بالرسول واستهزاءهم وكأنه استعجلت النفس سرعة انتقامهم فقال: "خلق الإنسان من عجل" الآية/ ١٢ وجيز .

الدنيا والآخرة، ﴿فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ﴾: بالإتيان بها وقيل: هذا جواب المشركين حين استعجلوا بالعذاب، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ﴾: وقت وعد العذاب أو القيامة، ﴿إِن كُنتُمْ﴾: أيها المؤمنون، ﴿صَادِقِينَ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وضع موضع يعلمون دلالة على ما أوجب لهم ذلك، ﴿حِينَ لاَ يَكُفُّونَ عَن وَجُوهِهِمُ النَّارَ وَلاَ عَن ظُهُورِهِمْ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾: مفعول به ليعلم أي: لو يعلمون الوقت الذي يحيط بهم النار فلا يقدرون على دفعها، ولا يجدون ناصرًا والجواب محذوف، أي: بما استعجلوا، ﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ أي: لا يعلمون بل تأتيهم العدة أو القيامة أو النار، ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة مصدر ، لأنها نوع من الإتيان أو حال، ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾: تحيرهم، ﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يمهلون، ﴿وَلَقَدِ[1] اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن[2] قَبْلِكَ﴾: يا محمد فليس بشيء بدع منهم فلا تغتم، ﴿فَحَاقَ﴾: أحاط، ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم﴾: من الأمم السالفة ، ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي : جزاء ما فعلوا ، أو هم استهزءوا بعذاب وعدهم الرسل إن لم يؤمنوا، فأحاط بهم ذلك العذاب فسيحيط بمن يتخذك هزوًا.

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ

---

(١) ولما ذكر استهزاءهم صريحاً في قوله: " إن يتخذونك إلا هزوًا"، وغير صريح في قولهم: "متى هذا الوعد" سلي نبيه – صلى الله عليه وسلم – فقال:" ولقد استهزئ برسل" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) فإنه ليس بأوّل قارورة كسرت منه معك ، بل هذا عادتهم الخبيثة مع الجميع/١٢ وجيز .

عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ ﴾

﴿قُلْ﴾: للمستهزئين، **﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾**: يحفظكم، **﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَـٰنِ﴾**: من عذابه، أو من بمعنى البدل نحو لا ينفع ذا الجد منك الجد ، وفي لفظ الرحمن إشارة إلى أن لا حافظ سوى رحمته، **﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾**: لا يخطر ببالهم ذكر ربهم فضلاً عن أن يخافوا منه، حتى إذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ، وصلحوا للسؤال عنه، **﴿أَمْ لَهُمْ﴾**: بل هم، **﴿آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم﴾**: من العذاب، **﴿مِّن دُونِنَا﴾** حال من فاعل تمنع، أو صفة بعد صفة، كأنه قال: لا تسأل عنهم؛ لأهم لا يصلحون للسؤال لغفلتهم عنا ، بل لإقبالهم على نقيضنا[1] ، **﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾** سيما نصر غيرهم مستأنفة تبين إبطال ما اعتقدوه ، **﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾**: يجارون، يقال: فلان لك جار وصاحب من فلان، أي: مجيز منه، أو يصحبون بخير وتأييد، **﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾** إضراب عن بيان بطلان ما هم عليه ، ببيان ما غرهم فحسبوا أهم على شيء ، وهو أنه-

---

(١) فبل للترقي ، والهمزة للإنكار / ١٢ منه .

تعالى- متعهم زمنًا طويلاً في الدنيا فقست قلوبهم وظنوا أنها لا تزال، ﴿أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَـأْتِي الأَرْضَ﴾: أرض الكفرة ، ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بأن نخرب ديارهم ونسلط المسلمين عليها، ﴿أَفَهُمُ الغَالِبُونَ ﴾، أم المؤمنون ، ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾: بما أوحـي إلي أو بأمـر الله، ﴿وَلاَ يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾: من قرأ لا تسمع من باب الإفعـال، عـلى خطاب النبي، فالصم الدعاء مفعولاه، ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ[١] ﴾ ظرف ليسمع أو الدعاء ، واللام في الصم للعهد والمشركون صم آذان قلوبهم عن آيات الله، ﴿وَلَـئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾: رائحة وشيء قليل، فإن أصل النفح هبوب رائحة الشيء ، مع أن البناء للمرة ، ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ دعوا على أنفسـهم بـالويل وأقروا بظلمهم ، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ[٢] ﴾، جمعه لكثرة ما يوزن به ولاختلافه، ﴿الْقِسْطَ﴾: ذوات القسط أو نحو[٣] رجل عدل، ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: لأجل جزائه أو لأجل أهله ، أو اللام[٤] بمعنى في، ﴿فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾: من الظلم أو من العمـل، ﴿وَإِن كَـانَ﴾: العمل، ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا[٥] بِهَا ﴾: أحضرنا لـنجازي بها ، ومن قرأ : مثقال بالرفع فكان تامة ، ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ لكمال

(١) والتقيـيد به ، لأن الكلام في الإنذار أو للمبالغة كأنه قال لا يسمعون أصلاً بوجه من الوجوه، فإن من لا يسمع الإنذار لا يسمع البشارة/١٢ منه .

(٢) لمـا ذكر حالهم في الدنيا استطرد لما يكون في دار هي مقر الثواب والعقاب فأخبر عن عدله وأسند ذلك لنفسه بنون العظمة ، وتقدم الكلام على الموازين في أول الأعراف/ ١٢ وجيز .

(٣) كأنها في نفسها قسط ، وإفراد القسط لأنه مصدر وصف به للمبالغة / ١٢ منه .

(٤) نحو: جئت لخمس خلون من الشهر/١٢ منه .

(٥) ضـمير بهـا للمـثقال ، والتأنيـث لإضـافة المـثقال إلى الحبة نحو: ذهبت بعض أصابعه/١٢ منه.

علمنا وعدلنا مفعول كفى محذوف ، أي : كفينا العالمين حال كوننا حاسبين لا يحتاجون إلى محاسب غيرنا ، ﴿ولقد[1] آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء[2] وذكرًا للمتقين﴾: الكتاب الجامع لكونه ، فارقًا بين الحق والباطل وضياء في القلب ، وذكرًا يتعظ به المتقون ، أو الفرقان النصر على الأعداء والضياء التوراة ، ﴿الذين يخشون ربهم﴾ ، صفة للمتقين، ﴿بالغيب﴾، حال من الفاعل، أو من المفعول، ﴿وهم من الساعة﴾: القيامة، ﴿مشفقون﴾: خائفون، ﴿وهذا﴾: القرآن، ﴿ذكر[3] مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون﴾ استفهام توبيخ[4] .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم

---

(١) ولما كان كتاب موسى وهارون الذي هو عضد موسى، أعظم الكتب السماوية بعد القرآن ، وكان أهله قد أعرضوا عنه مرارًا بعد إيتاء الآيات، التي تحيرت منها العقول، وكتابهما فرقان ميَّزَ بين الحق والباطل ، وضياء رافع للظلام مبين للحق، كالميزان فلهذا أعقبه بقوله :"ولقد آتينا موسى" الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ومن شأن من كان في الضياء أن لا يضع شيئًا إلا في موضعه / ١٢ وجيز .

(٣) ولما ذكر مدح التوراة ، أعقبه بذكر القرآن فقال: "وهذا ذكر مبارك" / ١٢ وجيز .

(٤) ثم لما ذكر الكتابين الناهيين عن الشرك أعقبه بحكاية إبراهيم الذي هو فخر قريش وجدهم في نهي والده وقومه عن الشرك فقال : " ولقد آتينا إبراهيم رشده " الآية/١٢ وجيز.

بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ**﴾: الاهتداء لوجوه الصلاح، والإضافة ترشد إلى أنه رشد له شأن ، ﴿**مِن قَبْلُ**﴾ : من قبل موسى أو من قبل البلوغ، ﴿**وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ**﴾: علمنا أنه أهل لما آتيناه ، ﴿**إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ**﴾ ظرف لآتينا، أو لرشده، أو تقديره

اذكر من أوقات رشده وقت قوله لأبيه: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾: الصور التي لا روح فيها، ﴿الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ عدى العكوف باللام لتضمن معنى العبادة، فإن العكوف يستعمل بعلى، ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ[1]﴾: فقلدناهم، ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: المقلِّدون والمقلَّدون منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به أدنى مسكة، ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ أي أما تقوله جد أم هزل، فإنهم استعجبوا واستبعدوا تضليله آباءهم، ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إضراب عن كونه لاعبًا بإقامة البرهان على ما ادعاه، ﴿الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ قيل الضمير للتماثيل، أو للسماوات والأرض، ﴿وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم﴾: المذكور من التوحيد، أو على أنه خالقهن، ﴿مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾: المتحققين له المبرهنين عليه، ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾: أمكرنَّ بها في كسرها، ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا﴾: عنها، ﴿مُدْبِرِينَ﴾: إلى عيدكم حين كانت البلدة خالية، وإنما قاله سرًّا، ولم يسمع إلا رجل واحد فأفشاه[2] عليه، ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ أي: الأصنام، ﴿جُذَاذًا﴾: مقطوعًا، فعالاً بمعنى مفعول أو جمع جذيذ، ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾: للأصنام،

---

(١) فقلدناهم واقتدينا بهم، وأجابوه بهذا الجواب الذي هو العصا التي يتوكأ عليها كل عاجز، والحبل الذي يتشبث به كل غريق، وهو تمسك بمجرد تقليد الآباء، أي: وجدنا آباءنا يعبدونها فعبدناهم اقتداءً بهم، ومشيًا على طريقتهم، وهكذا يجيب هؤلاء المقلدة من أهل هذه الملة الإسلامية، فإن العالم بالكتاب والسنة إذا أنكر عليهم العمل بمحض الرأي المدفوع بالدليل قالوا: لهذا قد قال به إمامنا الذي وجدنا آباءنا له مقلدين، وبرأيه آخذين، قال الخفناوي: أي: فلم يكن جوابهم إلا التقليد انتهى / ١٢ فتح.

(٢) هكذا نقله محيي السنة عن مجاهد وقتادة والمنقول عن السدي: أن ضعفاء القوم سمعوا ذلك القول منه/١٢ منه.

قطعهن بفأس ، واستبقى الكبير ، ووضع الفأس على عنقه ، ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾: إلى كبيرهم ، ﴿يَرْجِعُونَ ﴾: فيعتقدون أنه هو الذي كسرهن حسدًا عليهن ، أو إلى إبراهيم فيحاجهم بأنه فعله كبيرهم ، أو إلى الله بتوحيده عند تحققهم عجز آلهتهم ، ﴿قَالُوا﴾: حين انصرفوا من العيد ، ﴿مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا﴾ القائل. من سمع قواه: لأكيدن أصنامكم وهذا[1] كما يقال: أكرمني بنو فلان ، وإنما المكرم من بينهم رجل:﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾: بعيبهم، ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ مرفوع بيقال لأن المراد به الاسم[2] ، ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾: بمرأى منهم بحيث يتمكن[3] صورته في أعينهم ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾: عليه أنه الفاعل ، كرهوا أن يأخذوه بغير بينة ، أو يحضرون عقابه، وكان هذا هو المقصود الأكبر له لأن يبين لهم في محفل عظيم ، وفور جهلهم وقلة عقلهم في عبادة الجماد ، ﴿قَالُوا﴾: حين أتوا به ، ﴿أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ أراد أن يتفكروا فيعترفوا بعدم نطقهم ، وأن هذا

---

(١) لأن المناسب أن يقال : قال سمعنا؛ لأن القائل مفرد ، على قول مجاهد وقتادة بخلاف ما قاله السيد / ١٢ منه .

(٢) فصح أن يكون مقولاً لا المسمى،حتى لا يجوز تعلق القول به، قال صاحب البحر: هذا التأويل الذي ذكرناه في إبراهيم يمنعه بعض النحويين ، إذ لا نحفظ من لسان العرب قلت زيد ولا قال ضرب ، فالأولى أن إبراهيم نداء مقدر بجملة يحكى بيقال، أي: يقال حين يدعى يا إبراهيم، هذا ما في الوجيز وفي الفتح، ومن غرائب التدقيقات النحوية وعجائب التوجيهات الإعرابية ، أن الأعلم الشنتمرى الأشبيلى قال: إنه مرتفع على الإعمال، قال ابن عطية: ذهب إلى رفعه بغير شيء / ١٢ .

(٣) تمكن الراكب من المركوب / ١٢ منه.

لا يصدر عن صنم جماد ، فتقوم الحجة عليهم ، وفي الصحيحين :"إن إبراهيم لم يكذب[1] غير ثلاث"، قيل: أسند إلى الكبير لأن غاية تعظيمهم إياه سبب لمباشرة إبراهيم ، فأسند إلى السبب[2] ، ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ﴾: بالملامة، أو راجعوا عقولهم وتفكروا، ﴿فَقَالُوا﴾: قال بعضهم لبعض ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾: بهذا السؤال ، أو لما أنكم تركتم الأصنام بلا حافظ، أو بعبادتكم من لا يتكلم ، ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾: أطرقوا[3] رءوسهم من الحيرة والخجل ، أو انقلبوا[4] إلى المجادلة بعد ما أقروا على أنفسهم بالظلم ، شبه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء مستعليًا على أعلاه ، ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ﴾ أي : قالوا لقد علمت إلخ فكيف نسألهم ، ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلايَضُرُّكُمْ﴾: إن عبدتموه، أو تركتموه، ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ هو صوت المتضجر، أي: قبحًا ونتنًا لكم، واللام لبيان المتأفف به، ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ قَالُوا﴾: أنتم مجانين لا تفهمون قبح مثل هذا الصنع ، قالوا حين عجزوا عن الجواب ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا

---

(١) وفي رواية أبي داود والترمذى : "لم يكذب إبراهيم في شيء قط ، إلا في ثلاث كلهن في الله، قوله: إني سقيم، ولم يكن سقيما، وقوله لسارة: أختي وقوله: بل فعله كبيرهم هذا"/ ١٢ فتح .

(٢) وفي الوجيز بعد نقل هذا القول، وعندي أن مثل تلك التأويلات غير محتاج إليه على ما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – كما ورد في الصحيحين : لم يكذب إبراهيم غير ثلاث وعد هذا منها ، ومثل هذا الكذب من الرخص كالتلفظ بالكفر عند التعذيب لكن هو عليه الصلاة والسلام من أولي العزم فعليه الاحتراز عن مثل ذلك لأنه يقال له: يا صاحب العزيمة إياك والرخص / ١٢ .

(٣) كذا فسره قتادة / ١٢ منه

(٤) كذا فسره السدي / ١٢ منه .

﴿آلِهَتَكُمْ﴾: بإهلاك عدوهم ، ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾: ناصرين لآلهتكم، أو إن كنتم فاعلين شيئًا، ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا﴾ أي : باردًا فيه ما لا يخفى من المبالغة، ﴿وَسَلامًا﴾: يسلم من حرّك، ﴿عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾، جمعوا له حطبًا وأوقدوا نارًا وقد ذكر أنهم جمعوا حطبًا كثيرًا جدًا حتى إن كانت امرأة تمرض فتقول : إن عافاني الله لأجمعن حطبًا لإبراهيم ، ثم أوقدوا نارًا كادت الطير في الجو تحرق ورموه بالمنجنيق فيها، فقال: حسبي الله ونعم الوكيل، فاستقبله جبريل قائلاً: ألك حاجة؟ قال أما إليك فلا ، فقال: سل ربك، فقال :"حسبي من سؤالي علمه بحالي"، فما أحرقت منه سوى وثاقيه[1] وكان في النار سبعة[2] أيام وقيل خمسين ، وقيل أربعين وهو ابن ست عشر[3]، وكان يقول : ما أنعم أيامي في النار، وقيل: لم يبق نار في الأرض إلا طفئت ، وما من دابة إلا تطفي النار سوى الوزغ ولهذا عد من الفواسق، ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ مكرًا في إهلاكه ، ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ﴾: أخسر كل خاسر، ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾: ابن أخيه[4] من أرض العراق، ﴿إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ أي : الشام ، فإن أكثر الأنبياء بعثوا فيه ، فانتشرت في العالم بركتهم قيل : كل ماء

---

(١) كذا قاله ابن عباس والسدى وكعب الأحبار / ١٢ منه .

(٢) نقله محيى السنة / ١٢ منه .

(٣) قاله شعيب الجبائى / ١٢ منه .

(٤) قاله ابن عباس ، أي : هاران الأصغر وكان لهما أخ ثالث اسمه ناحور، والثلاثة أولاد آزر وإبراهيم خرج من كوثا من أرض العراق ومعه لوط وسارة ، فخرج يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ثم خرج من حران حتى قدم مصر ، ثم خرج ورجع إلى الشام فنزل من أرض فلسطين ، وترك لوطًا بالمؤتفكة وهى على مسيرة يوم وليلة من اليسع فبعثه الله نبيًا إلى أهلها وما قرب منها ذكره الخازن/ ١٢ فتح .

ينبع في العالم فأصله من الشام ، أو المراد مكة ، ﴿ووَهَبْنَا[1] لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي : عطية حال منهما ، أو النافلة ولد[2] الولد ، أو هو طلب ولدًا فأعطي إسحاق وزاده يعقوب نافلة، فيكون حالاً من يعقوب للقرينة، ﴿وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾: يقتدى بهم، ﴿يَهْدُونَ﴾: الناس بالحق، ﴿بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ لأن يحثوا عليه ، ﴿وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ من عطف الخاص على العام للتفضيل، ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾: موحدين مخلصين .

﴿وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً﴾ الفصل بالحق بين الخصوم ، ﴿وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾ وهي قرية سدوم ، كان عمل أهلها اللواط ، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾: في أهل رحمتنا أو في جنتنا، ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا

---

(١) أي : زيادة وفضلاً / ١٢ منه .

(٢) نقله العوفي عن ابن عباس / ١٢ منه .

فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾

﴿**وَنُوحًا إِذْ نَادَى**﴾ أي: اذكر نوحًا إذ دعا على قومه بالهلاك وإذ نادى بدل من نوحًا ، ﴿**مِن قَبْلُ**﴾: من قبل المذكورين، ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ**﴾: دعاءه ، ﴿**فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ**﴾: الذين آمنوا به ، ﴿**مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ**﴾: تكذيبهم وأذاهم ، فإنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا يؤذونه ويوصون بمخالفته قرنًا بعد قرن، ﴿**وَنَصَرْنَاهُ مِنَ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**﴾: جعلناه منتصرًا منهم، ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ**﴾ ، فاسقين ، ﴿**فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾: فلم يبق على وجه الأرض منهم أحد ، ﴿**وَدَاوُد**

﴿وَسُلَيْمَانَ﴾ أي: اذكرهما ، ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ﴾ بدل منهما، ﴿فِي الْحَرْثِ﴾ كان ذلك كرمًا انثنت[1] عناقيده ، وقيل زرعاً[2] ، ﴿إِذْ نَفَشَتْ﴾: رعت ليلاً [3] ، ﴿فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾: فأفسدته ، ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾: عالمين ، وجمع الضمير لأنه أرادهما والمتحاكمين إليهما، أو لأن الاثنين جمع، ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ أي: الحكومة، أو الفتوي، ﴿سُلَيْمَانَ﴾ دون داود، فإنه حكم بأن الغنم لصاحب الكرم بدل إفساده وحكم سليمان بدفع الكرم لصاحب الغنم، فيقوم عليه حتى يعود كما كان ويدفع الغنم إلى صاحب الكرم فينتفع بَدَرِّها و نسلها وصوفها فإذا صار الحرث كما كان يأخذ كل منهما ماله ، ﴿وَكُلاًّ﴾: من داود وسليمان ، ﴿آتَيْنَا[4] حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ قال بعض

---

(١) كذا قال ابن عباس -رضي الله عنه- ونقل ابن جرير عن ابن مسعود -رضي الله عنه- ونقل ابن أبي حاتم عن مسروق/١٢ منه .

(٢) وهو أشبه بالعرق / ١٢ فتح .

(٣) لو وقع مثل هذا اليوم فمذهب الشافعي الضمان إن كان بالليل ، وعند أبي حنيفة لا ضمان مطلقاً إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد/١٢ منه .

(٤) وقد استدل بهذه الآية على أن كل مجتهد مصيب ، ولا شك أنها تدل على رفع الإثم عن المخطئ ، وأما على كون كل واحد منهما مصيبًا فلا تدل هذه الآية ولا غيرها، بل صرح حديث الصحيحين ، وغيرهما أن الحاكم إذا اجتهد فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر ، فسماه النبي – صلى الله عليه وسلم – مخطئًا، فكيف يقال إنه مصيب لحكم الله؟! فإن حكم الله – سبحانه – واحد لا يختلف باختلاف المجتهدين ، وإلا لزم توقف حكمه عز وجل على اجتهاد المجتهدين واللازم باطل فالملزوم مثله ، وأما لو وقع مثل هذا اليوم في الشريعة المحمدية فقد ثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من حديث البراء أنه شرع لأمته أن على أهل الماشية حفظها بالليل ، وعلى أصحاب الحوائط حفظها بالنهار ، وأن ما أفسدت المواشي بالليل مضمون على أهلها ، وهذا الضمان هو مقدار الذاهب عنها أو قيمته ، وقد ذهب جمهور العلماء إلى العمل بما

السلف[1]: لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ، ولكن الله تعالى حمد هذا بصوابه، وأثنى على هذا باجتهاده، ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ يقدسن الله معه ، ويجاوبنه قيل يصلين معه إذا صلى[2] وقيل : إذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط، ويشتاق ويسبحن حال أو استئناف ، وأخر الطير، لما أن تسبيح الجبال لأنها جماد أعجب، ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾: لأمثاله ليس ببدع منا ، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾: عمل الدرع ، ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ الضمير لداود في قراءة الياء ، وللبوس الذي هو الدرع في قراءة التاء، وهو بدل اشتمال من لكم بإعادة الجار،﴿مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ أي: فاشكروا لي وكان قريش أهل حرب وقتال، ﴿وَلِسُلَيْمَانَ﴾ عطف على مع داود ، إن كان متعلقًا بسخرنا ، وإن تعلق بيسبحن فتقديره وسخرنا لسليمان، ﴿الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾: شديدة الهبوب ، ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ حال ثانية، ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ الشام فإنه وطنه ، كان له بسط من خشب يوضع عليه ما أراد من الجند ، وغيره فتحملها الريح ، وتظله الطير من الحر إلى حيث يشاء ، والريح في قبضته إن أراد عاصفة فعاصفة ، وإن أراد رخوة فرخوة، وعلى الوجهين لينة لا تشوشهم ولا تزلزلهم ، ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ فتجرى الأشياء

= تضمنه هذا الحديث ، وذهب أبو حنيفة وأصحابه وجماعة من الكوفيين إلى أن هذا الحكم منسوخ ، وأن البهائم إذا أفسدت زرعًا في ليل أو نهار لا يلزم صاحبها شيء ، وأدخلوا فسادها في عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم - : "جرح العجماء جبار" قياسًا لجميع أفعالها على جرحها ، ويجاب عنه بأن هذا القياس فاسد الاعتبار ، لأنه في مقابلة النص ، ومن أهل العلم من ذهب إلى أنه يضمن رب الماشية ما أفسدته من غير فرق بين الليل والنهار ، ويجاب عنه بحديث البراء / ١٢ فتح اليان.

(١) هو الحسن رضي الله عنه / ١٢ .

(٢) قال قتادة / ١٢ منه .

على ما يقتضيه علمنا ، ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ﴾: فيخرجون من البحر الجواهر واللآلئ ، والجملة مبتدأ أو خبر أو من يغوصون عطف على الريح ، ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ﴾: سوى الغوص ، ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾: من الزيغ والفساد ، ﴿وَأَيُّوبَ﴾ أي: واذكره ، ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي﴾ أي: بأني ، ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ كان نبيًّا صاحب حرث وأنعام وأولاد فابتلاه الله بإهلاك كلها ثم ابتلاه بجسده فلم يبق منه سليم سوى لسانه وقلبه يذكر بهما ربه حتى تنافر عنه كل أنيس ، وتحاشى عنه كل جليس ، فلا يتردد عليه سوى زوجته ، ويقال: إنها احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله فدعا الله لكشف كربه بعد[1] مدد من الأيام المتطاولة بهذا الأسلوب البليغ ، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾: بالشفاء ، ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾: بإحياء من مات من أولاده ، وإعطائه مثلهم من الأولاد ، أو أعطيناه أولاده الذين ماتوا في الجنة ، ومثلهم معهم في الدنيا فقد نقل[2] أنه قيل له : إن أهلك في الجنة إن شئت أتيناك بهم ، وإن شئت تركناهم لك

---

(١) قال الحسن وقتادة: سبع سنين، وقال وهب بن منبه: ثلاث سنين ، ونقل ابن أبي حاتم عن مالك بن أنس عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "أن أيوب لبث به بلاءه ثماني عشر سنة" قيل دعاؤه هذا بعد أن لامه بعض أصحابه حين جاءوه وافدين من بعيد قائلين تب إلى الله من ذنب تلك عقوبته فتضرع بتلك العبادة في كشف كربه قائلاً : لا طاقة لي في أن ينسبني أحد إلى معصيتك ، لضر بالفتح الضر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال / ١٢ وجيز .[ذكره ابن كثير في "تفسيره" (١٩٠/٣) وقال: رفع هذا الحديث غريب جدا وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥٩٣/٤) وعزاه لابن أبي الدنيا وأبي يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان وللحاكم وصححه]

(٢) عن مجاهد / ١٢ .

فيها وعوضناك مثلهم في الدنيا فاختار الثاني ، ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ على أيوب مفعول له ، ﴿وَذِكْرَى﴾: تذكرة ، ﴿لِلْعَابِدِينَ﴾: ليصبروا كما صبروا لئلا ييأسوا في البلاء ، ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ﴾ كثير من السلف[1] على أنه صالح من بني إسرائيل تكفل لنبي أن يكفيه أمر قومه ، ويقضي بينه وبينهم بالعدل وفعل فسمي ذا الكفل[2] لكن الظاهر أنه نبي قرنه فى سلكهم ، ﴿كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾: على مشاق التكاليف ، ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾: النبوة والجنة ، ﴿إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾: الكاملين في الصلاح، ﴿وَذَا النُّونِ﴾: يونس ، ﴿إِذ ذَّهَبَ﴾: من بين قومه ، ﴿مُغَاضِبًا﴾ لهم من غير إذن ربه حين أصروا على الكفر ، والمفاعلة للمبالغة ، أو هو أغضبهم أيضًا بالمهاجرة عنهم خوف العذاب، ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾: لن نضيق عليه ، أو لن نقضي عليه بالعقوبة ولن نعمل فيه قدرتنا، ويؤيده قراءة نقدّر بالتشديد قيل : هذا من باب التمثيل ، أي : حاله ممثلة بحال من ظن عدم قدرتنا عليه في مراغمة

---

(١) كمجاهد وابن عباس- رضى الله عنه- وأبى موسى الأشعري رضي الله عنهم/ ١٢ منه.

(٢) أخرج أحمد والترمذى وحسنه ابن حبان والطبراني والبيهقى في شعب الإيمان وغيرهم عن ابن عمر عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : "كان الكفل من بنى إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارًا على أن يطأها ، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ارتعدت وبكت فقال : ما يبكيك أكرهتك ؟ قالت: لا ولكنه عمل ما عملته قط ، وما حملنى عليه إلا الحاجة ، فقال : تفعلين أنت هذا وما فعلته ، اذهبي فهى لك، وقال : والله لا أعصى الله بعدها أبدًا، فمات من ليلته فأصبح مكتوب على بابه إن الله قد غفر للكفل" [وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف الجامع" (٤١٥٤)] وقد ذهب الجمهور إلَى أنه ليس بنبي ، وبه قال أبو موسى الأشعرى ومجاهد وغيرهما وقال جماعة : هو نبى ، ولعله هو الصحيح ، وبه قال الحسن ، لأن الله قرن ذكره بإسماعيل وإدريس ، ولأن السورة ملقبة بسورة الأنبياء/١٢ فتح .

قومه من غير انتظار لأمرنا ، وقيل : خطرة شيطانية سماها للمبالغة ظنًّا، ﴿**فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ**﴾: ظلمة بطن الحوت والبحر والليل ، ﴿**أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ**﴾ أي: بأنه، أو أن مفسرة، ﴿**سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ لمبادرتي إلى الهجرة قبل الإذن، ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ**﴾: بأن قذفه الحوت بالساحل سالماً بعد ما مكث في بطنه أربعين يوماً[1]، ﴿**وَكَذَلِكَ نُنجِي[2] الْمُؤْمِنِينَ**﴾ إذا دعونا في الشدائد منيبين إلينا، سيما إذا دعوا بهذا الدعاء ، ففي الحديث "ما من مكروب[3] يدعوا بهذا الدعاء إلا استجيب له"، ﴿**وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا**﴾: بلا ولد، ﴿**وَأَنْتَ خَيْرُ الوَارِثِينَ[4]**﴾ ثناء منه على الله بأنه خير من يبقى بعد ما سأل ولدًا يبقى بعده ، ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ**﴾: صيرناها ولودًا بعد ما كانت عاقرًا أو حسنة الخلق بعد ما كانت سيئة[5] الخلق ، ﴿**إِنَّهُمْ**﴾: المذكورين من الأنبياء ،

---

(١) رواه ابن جرير عن الحسن البصري / ١٢ منه .

(٢) أخرج أحمد والترمذى والنسائى والحاكم وصححه والبيهقى عن سعد بن أبي وقاص- رضى الله عنه- قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سئل به أعطى ، دعوة يونس بن متى"، قلت : يا رسول الله هل ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين؟ قال: هى ليونس خاصة ، وللمؤمنين عامة ، إذا دعوا به ألم تسمع قول الله "وكذلك ننجي المؤمنين"؟، فهو شرط من الله لمن دعاه"/١٢فتح.[أخرجه أحمد والترمذي والنسائي بغير هذا اللفظ وأخرجه الحاكم في "المستدرك" (٥٠٥/١) بهذا اللفظ]

(٣) رواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى وغيرهم بغير هذه العبارة / ١٢ منه .

(٤) قيل : سأل أن يرزقه ربه ولدًا يرثه ، كما مرورد أمره إلى الله فقال : وأنت خير الوارثين، أي : إن لم ترزقنى من يرثني فأنت خير وارث / ١٢ وجيز .

(٥) قاله عطاء ومحمد بنكعب والسدى / ١٢ .

أو زكريا وأهل بيته ، ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ﴾: يبادرون ، ﴿فِي الْخَيْرَاتِ[1]﴾: في عمل القربات ، ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾: راغبين في رحمتنا راهبين من عذبنا ، ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ لا يخافون ولا يخضعون لغيرنا ، ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي: مريم فإنها بكر ما ذاقت حلالاً ولا حرامًا ، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾: بأن أمرنا جبريل بالنفخ في جيب درعها ، وإضافة الروح إليه للتشريف، وقيل من جهة روحنا جبريل ، ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً﴾ دالة على كمال قدرتنا، ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ فإنها أتت به من غير فحل ، ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾: ملة الإسلام، ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ : ملتكم ، ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: غير مختلفة في ما بين الأنبياء ، نصب على الحال ، ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾: لا غيرى ، ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ إما بمعنى قطعوا ، أو نصب أمرهم بترع الخافض ، يعني اختلفوا وصاروا فرقًا التفت من التكلم إلى الغيبة لينعي عليهم ما أفسدوه إلى المؤمنين[2]، ويقبح عندهم كأنه يقول: ألا ترون إلى قبح ما ارتكبوا هؤلاء في ديننا؟ ﴿كُلٌّ﴾: من الفرق، ﴿إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾: فنجازيهم .

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ

---

(١) نقل ابن أبي حاتم عن أبي بكر – رضى الله عنه – قال فى خطبة : إن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : إنهم يسارعون في الخيرات / ١٢ منه .

(٢) متعلق بينعي لتضمين معنى الإنهاء/١٢ .

أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ الكفران مثل في حرمان الثواب كما أن الشكر في إعطائه ، **﴿وَإِنَّا لَهُ﴾**: لسعيه ، **﴿كَاتِبُونَ﴾** ، في صحيفة عمله ، أو إنا كاتبون لمن يعمل ما عمل، **﴿وَحَرَامٌ﴾**: ممتنع ، **﴿عَلَى﴾**: أهل ، **﴿قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ[1]﴾** أي : رجوعهم إلى الدنيا ، فلا صلة ، وقيل معنى الحرام الواجب فلا غير صلة ، وقيل: معناه حرام على أهل قرية قدرنا إهلاكهم

---

(١) يريد أنهم يرجعون ، فزاد لا في أنهم لا يرجعون / تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة .

بالكفر أن يرجعون عن كفرهم وينيبوا ، وقيل : حرام عليهم عدم كفران سعيهم ، لأنهم لا يرجعون عن الكفر ، ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ أي : حرام عليهم الرجوع إلى الدنيا إلى أن فتحت سد يأجوج ومأجوج فإنهم يحيون ويرجعون إلى الدنيا حينئذ للقيامة ، أو ممتنع عليهم الإنابة إلى القيامة ، وإنابتهم في القيامة لا تنفع ، ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾: مرتفع من الأرض ، ﴿يَنسِلُونَ﴾ ، يسرعون في الحديث[1] "هم صغار العيون عراض الوجوه من كل حدب ينسلون"، ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ أي : القيامة عطف على فتحت ، ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ ، جواب الشرط ، وإذا للمفاجأة سد مسد الفاء فإذا دخل الفاء ايضًا تأكد الارتباط ، ﴿شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فتحت أعينهم لا يكاد تطرف من الهول ، وضمير هي مبهم يفسره الأبصار ، أو ضمير القصة،﴿يَا وَيْلَنَا﴾ أي : قالوا يا ويلنا ، ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ﴾: في الدنيا ، ﴿مِّنْ هَذَا﴾، اليوم ما كنا نعلم أنه حق ، ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: لأنفسنا لأنه نبهنا الرسل فكذبناهم ، ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي : الأصنام ، ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ الحصب، ما يحصب ويرمى به في النار ، ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ استئناف، واللام[2] للاختصاص فإن استعمال الورود بعلى ، وقيل لها خبر وواردون خبر ثان ، ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ﴾: الأصنام ، ﴿آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ﴾: من العابد والمعبود ، ﴿فِيهَا خَالِدُونَ لَهُمْ﴾: للكافرين ، ﴿فِيهَا زَفِيرٌ﴾: أنين ، ﴿وَهُمْ فِيهَا لاَ يَسْمَعُونَ﴾ ، عن ابن مسعود إذا بقي من يخلد فيها جعل لكل منهم تابوت من نار مسمر من نار فلا يظن أحد منهم أنه يعذب في النار غيره ، ثم قرأ وهم فيها لا يسمعون ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ

---

(١) رواه الإمام أحمد وابن أبي حاتم / ١٢ منه .[وقال الهيثمي في "المجمع" (٦/٧): رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح]

(٢) أي : أنتم خاصون مختصون لها / ١٢ منه .

﴿لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى﴾: الرحمة والسعادة ، ﴿أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ قد ذكر[1] أنه عليه السلام لما تلا " إنكم وما تعبدون " الآية، قيل قد عبدت الملائكة وعزير ومسيح فكل منهم مع آلهتنا في النار فأجاب عليه السلام أنهم إنما يعبدون الشيطان ، ومن أمرهم بعبادته ثم نزل " إن الذين سبقت لهم منا الحسنى" الآية، استثناء من المعبودين ، فعلى هذا " وما تعبدون " عام مخصص ، ﴿لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ هو صوت يحس به، خبر ثان لأولئك أو حال ، ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾: دائمون في التنعم ، ﴿لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾: النفخة في الصور، أو حين يؤمر بالكفار إلى النار، أو حين يطبق النار على أهلها، أو حين يذبح الموت، ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ﴾: تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة مهنئين قائلين ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾: للثواب، ﴿يَوْمَ﴾ عامله لا يحزنهم أو تتلقاهم أو اذكر ، ﴿نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ الطي ضد النشر، ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ السجل الصحيفة ، صرح بذلك جماهير السلف ، أي: كطي الطومار لأجل ما يكتب فيه ، يعني : تطوى السماء كما يطوى الكتاب الطومار ويسوى ويضعه مطوياً حتي إذا احتاج إلى الكتابة لم يحتج إلى تسوية ، أو السجل ملك يطوي كتب بنى آدم وعلى هذا اللام زيدت للاختصاص ، وفى سنن أبى داود والنسائى أنه كاتب لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- وكثير من الأكابر[2]

---

(١) روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس وأبو بكر بن مردويه عنه أيضًا ورواه غيرهما أيضًا/١٢ منه كذا في الوجيز .

(٢) وفي الوجيز وأما أن السجل اسم لكاتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما في أبى داود والنسائى ، فقد حكم النقاد أنه موضوع ، وليس في الصحابة من يسمى بالسجل. انتهي،

وفى الفتح قال ابن كثير: هذا منكر جدا،وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه ، وإن كان في سنن أبى داود منهم الحافظ المزي وقد أفرد الشوكاني لهذا الحديث جزءً على =

صـــرحوا بوضعه[1] ، وقالوا : لا يعرف من الصحابة أحد اسمه السجل ،﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْــقٍ نُّعِــيدُهُ[2]﴾ ، أي : نعيد أول الخلق كما بدأناه ، وأول الخلق عبارة عن إيجــادة عــن العدم فنصب أول نعيد المقدر المفسر بنعيد وكم مفعول مطلق أو كما مفعول به لنعيد المقدر وما موصولة ، وأول ظرف لبدأنا وحينئذ مفعول بدأنا ضمير لما، أي: نعيد مثل الذى بدأناه في أول الخلق حين الإيجاد عن العدم، ﴿وَعْداً عَلَيْنَا﴾، أي: نعد وعدًا علينا إنجازه ، أو مصدر مؤكد ، ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾: ذلك البتة ، ﴿وَلَقَدْ[3] كَتَبْــنَا فِــي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾: الزبور ما أنزل من الكتاب ، والذكر اللوح المحفــوظ، أي: كتبــنا في الكتب بعد ما كتبنا في اللوح أو هو كتاب داود ، والذكر الـــتوراة ، ﴿أَنَّ الأَرْضَ﴾ أرض الجنة ، أو أرض الكفار ، أو بيت المقدس ، ﴿يَرِثُهَا عِــبَادِيَ الصَّــالِحُونَ﴾: المؤمن مطلقاً أو أمة محمد -عليه السلام، ﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾: القــرآن ، ﴿لَــبَلاغاً﴾: لكفايــة ، أو لوصولاً إلى البغية ، ﴿لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾: لله لا للشطان ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً[4] لِّلْعَالَمِينَ﴾: للبر والفاجر ، فإنه رُفع ببركته

= حدة وقد تصدى الإمام ابن الجرير للإنكار على هذا الحديث ورده أتم رد ، وقال : لا نعــرف في الصــحابة أحدًا اسمه سجل ، وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا معروفين وليس فيهم أحد اسمه السجل انتهي/١٢ .

(١) كأبي الحجاج المزى والإمام أبي جعفر ابن جرير ، وقالا. موضوع ركيك/ ١٢ منه .

(٢) يعني كما أبرزناه من العدم نعيده ثاني مرة أو خبر من أن كل شخص يبعث على هيئته التي خرج بها إلى الدنيا كما ورد في الحديث: "يحشر الناس حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده" / ١٢ وجيز .

(٣) ولما ذكر أن وعده حق لا يتخلف الموعد عنه أعقبه بما هو دال على ذلك فقال : " ولقد كتبنا في الزبور " / ١٢ وجيز.

(٤) أخــرج مســلم عــن أبي هريــرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله : ادع الله على المشركين ، قال : إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة" ، ثم بين سبحانه أن=

الخسف والمسخ والاستئصال ، أو إرسله للرحمة على الكل ، لكن بعضهم أعرضوا عن الرحمة ، وما تعرضوا لها فحر مالهم وشقاوتهم من سوء شكيمتهم ، **﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾**: لا متعدد كما تقولون ، أو المقصود الأصلي من جميع[1] الوحـــي العـــلم بالوحدانـــية ، فكأنه ما نزل عليه إلا هذا ، أو ما كافة، **﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾**: مخلصون[2] العبادة لله ، **﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾** : عن الإسلام، **﴿فَقُلْ آذَنتُكُمْ﴾**، أنذرتكم بالعذاب ، **﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾** : مستوين في الإعلام ، أو إيذانًا على سواء ، أو حال من الفاعل والمفعول ، أي : مستويان في العلم بما أعلمتكم لا أدري وقته ، وقيل معـــناه : إن أعرضوا فقل أعلمتكم بما يوحى إلى مستوين في العلم ما كتمت شيئًا عن أحد ، **﴿وَإِنْ﴾** : نافية ، **﴿أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾** ، من[3] العذاب أو القـــيامة ، **﴿إِنَّـــهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾** لا تفاوت عنده في إسراركم الطعن في الإسلام وإجهاركم ، **﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ﴾** : لعل تأخير العذاب ، **﴿فِتْـــنَةٌ﴾** : اختـــبار ، **﴿لَّكُـــمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾** تمتيع إلى أجل قدَّره الله ، **﴿قَالَ رَبِّ احْكُم﴾** ، اقـــض بيننا وبينهم ، **﴿بِالْحَقِّ﴾** : بالعدل ، أمرٌ باستعجال عذاب هو حقيق لهم ، وقد وقع ببدر ، وفي الدعاء أيضاً إظهار لعبوديته والرغبة ، وإن كان المدعو أمـــرًا محققًـــا ، **﴿وَرَبُّـــنَا الرَّحْمَنُ[4] الْمُسْتَعَانُ﴾** ، المسئول منه المعونة ، **﴿عَلَى مَا**

= أصـــل تلك الرحمة هو التوحيد، والبراءة من الشرك فقال : " قل إنما يوحى" الآية/ ١٢ فتح .

(١) كمـــا تقـــول لمـــن يعتقد قعود زيد : ما زيد إلا قائم ، فلايلزم أن لا يوحى بالشرائع والقصص/ ١٢ منه .

(٢) استفهام يتضمن الأمر بالإخلاص والانقياد / ١٢ وجيز .

(٣) من العذاب وهذا مشعر بأن الإيذان به إيذان العذاب لا إعلام الوحي / ١٢ وجيز .

(٤) قوله : ربنا مبتدأ والرحمن صفة والمستعان خبره / ١٢ وجيز .

﴿تَصِفُونَ[1]﴾ ، من الحال فإن زعمهم أن راية الإسلام ستنتكس عن قريب وتصير الشوكة لهم فخيب الله آمالهم وخرب مآلهم.

والحمد لله على ذلك

---

(١) أخرج البخارى وغيره عن ابن مسعود قال: "بنوا إسرائيل" [يعني: "الإسراء"]، والكهف ومريم والأنبياء من العتاق الأول وهن من تلادي وعن عامر بن ربيعة قال لرجل من العرب نزل به: لا حاجة في قطعتك نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا. يريد هذه السورة/١٢فتح .

سورة الحج مكية، غير ست آيات وهي:

﴿هذان خصمان﴾ إلى ﴿صراط الحميد﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۖ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ هي النفخة الأولى قبل قيام القيامة المسماة بنفخة الفزع ، وهي من أشراط الساعة ، أو المراد قيام القيامة ، فإضافة المصدر إلى فاعله أي : شدة تحريكها للأشياء أو زلزال وأهوال هي فيها فمن إضافة المصدر إلى الظرف على الاتساع في إجرائه مجرى المفعول به ، أي : الزموا التقوى، فإنه لا ينفعكم في هذا اليوم العظيم إلا التدرع بلباس التقوي، ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ الزلزلة، ونصب يوم بقوله: ﴿تَذْهَلُ﴾ الذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة ، ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾: في حال إرضاعها ، ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾: لشدة ذلك اليوم والذهول ، والوضع لبيان واقع إن كان المراد حين النفخة الأولى، وإلا فتصوير لهولها ، ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾: كأنهم سكارى، ﴿وَمَا هُم بِسُكَارَى﴾: في الواقع ، أو كأنهم سكارى من الخمر ، وماهم بسكارى منه ، ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ[1]﴾ فأدهش عقولهم أو فهم سكارى من الخوف ، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ﴾: في جداله ، ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ عار عن الخير مطلقًا جادل قريش، وقالوا: محال إعادة الخلق بعدما صاروا ترابًا، وقد نقل أن واحدًا منهم قال: أخبرنا عن ربك من ذهب أو فضة أو نحاس فصعقته صاعقة فاختطفته ، ﴿كُتِبَ﴾: قُضي وقُدّر ، ﴿عَلَيْهِ﴾ على الشيطان، ﴿أَنَّهُ﴾ أي الشيطان ، ﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾: تبعه ، ﴿فَأَنَّهُ﴾[2]: الشيطان،

(١) وروي أن الآيتين نزلتا ليلاً في غزوة بني المصطلق فقرأهما رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلم تر باكيًا أكثر من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يضربوا الخيام وقت النزول ، ولم يوقدوا نارًا وهم بين حزين وباك ومفكر ــ رضي الله تعالى عنهم أجمعين- ، ولما علم أن الناس قسمان من قوله : " يا أيها الناس اتقوا ربكم " فقسم هم المتقون ذكر قسيمهم فقال "ومن الناس" الآية / ١٢ وجيز .

(٢) في الوجيز الضمائر الثلاثة أيضًا لمن يعني هذا المجادل لكثرة جداله الباطل صار إمامًا لمن يتولاه ، والظاهر أن جملة : " أنه من تولاه" مفعول ما لم يسم فاعله، لكُتِب إسنادًا =

﴿يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ هذا من باب التهكم ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم﴾ أي: فانظروا في بدء خلقكم، لتعلموا أن من قدر على هذا قدر على ذلك ﴿مِّن تُرَابٍ[1]﴾: خلق آدم منه ، ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: ذريته من منيّ ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ فإن النطفة تصير دمًا غليظًا ، ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾: قطعة من لحم قدر ما يمضغ، ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾: تامة ، ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: ساقطة، أو مسواةٍ ومعيوبةٍ ، ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾: كمال قدرتنا على البدائع والحشو فرد منها، ﴿وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ أن نقره فلا نسقطه ، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو وقت الوضع ، ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ[2] طِفْلاً﴾ نصب على الحال والمراد منه الجنس ، ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ كمال قوتكم المعطوف محذوف كما تقول: جاء زيد ثم عمرو وثم أي : ثم نربيكم لتبلغوا أو تقديره : لنبين لكم ثم لتبلغوا فكأن الأمر التدريجي من النطفة والعلقة والمضغة ليس إلا للتبيين ، وأما تمكينه في الرحم ، ثم إخراجه لمصلحتين التبيين والإيصال إلى كمال العقل ، أو تقديره ثم فعلنا ما فعلنا لتبلغوا ، ﴿وَمِنكُم مَّن

= لفظياً، أي: كتب عليه هذا الكلام ولا يذهب عن الخبير أن ما ذكرنا في إعراب " أنه من تولاه" معناها واضح من غير إشكال وإغلاق ، ولما حذر الناس من ذلك اليوم وأخبر أن فيهم من يكذب وعرف مآله أقبل إليهم ثانيًا ـــ رحمة عليهم مستدلاً لهم على وقوعه بدليلين: نفسي وآفاقي فقال : " يا أيها الناس " الآية/١٢ وجيز .[دليل آفاقي تعني دليل كوني قال تعالى: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" (فصلت:٥٣)].

(١) وهذا أول تطور الإنسان في أطوار سبعة ، وهي التراب والنطفة والعلقة والمضغة والإخراج طفلاً وبلوغ الأشد والتوفي أو الرد إلى أرذل العمر / ١٢ فتح .

(٢) وأحد يراد به جميع كقوله تعالى: "هؤلاء ضيفي فلا تفضحون" (الحجر:٦٨) أو قوله تعالى: "أنا رسول رب العالمين" (الشعراء:١٦).

﴿يُتَوَفَّى﴾: قبل الهرم ، **﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾**: الهرم والخرف ، **﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾**، كحال طفولية فسبحان من يعيد كما بدأ ، **﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً﴾**: ميتة يابسة شرع في دليل[1] آخر للبعث ، **﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾**: تحركت بالنبات ، **﴿وَرَبَتْ﴾**: انتفخت ، **﴿وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾**: صنف ، **﴿بَهِيجٍ﴾**: حسن رائق ، **﴿ذَلِكَ﴾**: المذكور[2] ، **﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾**، بسبب أنه الثابت الموجود فإنه هو الموجد قيل تقديره: ذلك هادٍ بأنه هو الحق، **﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾**: لولا قدرته على إحياء الموتى، كيف يحيى النطفة والأرض، **﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**: فيقدر على مثل ذلك ، **﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾** وإلا فيكون ذلك سيما إخراج الطفل ، والتبلغ عبثًا لعبًا لاطائل تحته -تعالى الله عن ذلك**﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾** الأولى بيان حال المقلدين ، ولهذا قال :"ويتبع كل شيطان مريد" ، وهذه الآية حال المقلدين ، ولذلك يقول ليضل الناس ،**﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾**: ليس له علم فطري ، ولا ما يستند إلى دليل عملي ، ولا إلى وحي ، **﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾** كناية عن الكبر أو عن الإعراض حال من فاعل يجادل ، **﴿لِيُضِلَّ﴾**: الناس ، **﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾** اللام لام العاقبة ، **﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾**: مذلة كقتل وسبي ، **﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾**: المحرق ، **﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾** التفات أو تقديره يقال له ذلك ، **﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾** بل عادل ومن العدل تعذيب المسيء وإثابة المحسن، والظالم قد يترك عقاب المسيء للعصبية كما يترك إثابة المحسن

---

(١) أفاقي للبعث ولما كان هذا مشاهدًا للأبصار بخلاف الدليل الأول فإن بعض مراتب الخلقة فيه غير مرئى أحال الثاني على الرؤية / ١٢ وجيز .

(٢) من خلق بني آدم وإحياء الأرض / ١٢ .

قيل : لما أثبت له خزي الدنيا ، وعذاب الحريق صار مظنة لأن يتوهم أنه ظلم عظيم ، فعكس الأمر ، وقال : لست بظلام كما زعمت وقد مر في سورتي آل عمران والأنفال.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ (١١) يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ (١٢) يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ (١٣) إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ (١٤) مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ (١٥) وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ (١٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ (١٧) أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨) ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ (١٩) يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ (٢١) كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ (٢٢) ﴾

﴿وَمِنَ[1] النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾: طرف من الدين لا على وسط منه كمن هو على طرف من العسكر إن أحس بظفر قرَّ وإلا فرَّ ، ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾: ما يحبه ، ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ﴾: فاستقر على دينه ، ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾: ما يكره ، ﴿انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾: رجع عن دينه ، ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ نزلت[2] في ناس من الأعراب يسلمون فإن وجدوا عام غيث ونتجت فرسهم وما لهم وولدت امرأتهم غلامًا رضوا به وإلا ارتدوا ، ﴿يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُ وَمَا لاَ يَنفَعُهُ﴾: جمادٌ لا يقدر على شيء ، ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ﴾: عن المقصد ، ﴿يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ[3]﴾: النفع والضر المنفيان قدرته عليهما والمثبت كونه بسبب من الضر المحقق ، وبمعزلة عن النفع المترتب[4] ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى﴾: الناصر ، ﴿وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾: الصاحب، اعلم أن يدعو الثاني إن كان تأكيدًا ليدعو الأول ، فالموصول بصلته مبتدأ وفعل، لذم خبره ، والجملة مستأنفة إخبار من الله ، وإن كان بمعنى يقول ، فالجملة مقول له ، أي : يقول الكافر حين يرى ضر عبادته في الآخرة لمن ضره أقرب إلخ، وقيل: اللام في لمن زائدة وقرأ ابن مسعود بلا لامٍ .

---

(١) ولما ظهر حال الكافر وحال المؤمن المخلصين في الكفر والإيمان أعقبه بحال المذبذب فقال "ومن الناس" الآية / ١٢ وجيز .

(٢) كما في البخارى عن ابن عباس- رضى الله عنه-/ ١٢.

(٣) الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة ، والتوسل بها إلى الله تعالى قاله القاضي/١٢ منه .

(٤) قيل: المراد من النفي الأول نفي الضر والنفي الأول نفي الضر والنفع من الأصنام، ولهذا جاء بمن التى هى لذوى العقول فمنهم نفع دنيوى لعابديهم لكن ضرهم أعظم وأقرب/١٢ وجيز .

﴿إِنَّ[1] اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، ولما ذكر إضلال قوم وإهداء آخرين قال ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾: لا يُسأل عما يفعل ، ﴿مَن[2] كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ﴾، أي : نبيَّه ، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ كما قال المشركون: ننتظر عليه الدوائر ، ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾: يمد حبلاً إلى سماء بيته ، أي : سقفه ، ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾: يختنق[3]، ﴿فَلْيَنظُرْ﴾: يتأمل ، ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ﴾، سماه كيدًا لأنه منتهى ما يصل إليه يده، ﴿مَا يَغِيظُ﴾: من نصر الله أو غيظه ، وحاصله أن الله ناصر رسوله فمن يتوقع من غيظه خلاف ذلك فليجتهد في إزالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل الممتلئ غيظًا، يعني ليس في يده إلا ما لا يذهب غيظه ، وعن بعض معناه فليتوسل إلى بلوغ السماء ، فإن النصر من السماء ثم ليقطع ذلك عنه ، قيل: المراد بالنصر الرزق وحينئذ الضمير في ينصره لمن ، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الإنزال ، ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾: القرآن ، ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ﴾ أي : ولأن الله يهدي به من يريد هدايته أنزلناه كذلك ، فالجملة من التعليل والمعلل المحذوف عطف على "كذلك أنزلناه"إلخ،﴿إِنَّ[4] الَّذِينَ

(١) ولما ذكر حال المذبذب وبين حال آلهتهم أعقبه بأن الله هو القادر على كل شيء يثيب المخلصين في الإيمان فقال :"إن الله". الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما ذم حال من لا يطمئن قلبه في بعض الأحوال ، وفطن في شأن نفسه أنه ربما لا يكون الرب ناصره لشك في دينه كما نقل أن بعض الأعراب قالوا : لو لم يكن الدين منصوراً ينقطع ما بيننا وبين حلفائنا من يهود فأنزل الله تعالى : " من كان يظن أن لن ينصره الله " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) ليختنق سمي الاختناق قطعًا لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه / ١٢ .

(٤) ولما كان ذلك موجبًا للسؤال عن حال الفريقين المهدي والضلال أجاب عن ذلك فقال: " إن الذين آمنوا " / ١٢ وجيز .

آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾: يقضي بينهم ويجازي كلًا ما يليق به ، ﴿يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ إن دخل[1] على الخبر أيضاً لمزيد التأكيد ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: فيعرف ما يليق بهم ، ﴿أَلَمْ[2] تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ﴾: ينقاد ، ﴿لَهُ مَن[3] فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ[4] وَالْقَمَرُ[5] وَالنُّجُومُ[6] وَالْجِبَالُ[7] وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ[8]﴾ ، وقد[9] ورد:" الشمس والقمر حين يغيبان يقعان لله ساجدين ثم لا يطلعان حتى يؤذن لهما" ، وفي الحديث[10] "لا تتخذوا ظهور الدواب منابر فرب مركوب خيرٌ أو أكثر ذكرًا لله من راكبه" ، وبالجملة لا يستحيل سُنِّيٌّ مسلم أن يكون للجمادات خشوع وتسبيح ، ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾: المسلمون، ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ﴾: هم الكفار فإنهم غير منقادين لله فهو بحسب المعنى استثناء مِنْ "مَنْ في الأرض"، ومن يُجَوِّز

---

(١) وحسن دخولها لطول الفصل ، قال أبو البقاء: خبر إن الأولى محذوف مثل يقترفون والمذكور بعده كالتفسير له / ١٢ .

(٢) ولما ذكر أنه هو يقضى بين الخلائق ، أعقبه بما هو دال على أن الجميع في خضوع ، وانقياد سوى بعض من الإنس فقال : "ألم تر أن الله " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) ولا يبعد أن يراد بمن في السماوات والأرض كل شيء فيهما ، وجاء بمن لتغليب العقلاء/١٢ .

(٤) عبدتها حمير / ١٢ .

(٥) عبدته كنانة / ١٢ .

(٦) تميم عبد الديوان، وقريش ولخم عبد الشعرى وطيء عبد الثريا / ١٢ .

(٧) الأصنام المنحوتة بعضها من الجبال ، وبعضها من الأشجار / ١٢ وجيز .

(٨) البقر معبود اليهود / ١٢ .

(٩) وفي الصحيحين بغير هذا اللفظ / ١٢ وجيز .

(١٠) في مسند الإمام أحمد / ١٢ وجيز .[وفي إسناده ابن لهيعة وفيه كلام]

استعمال لفظ واحدٍ في حالةٍ واحدة على معنيين مختلفين فلا إشكال عنده فإنه يحمل السجود على معانٍ ، قيل : وكثير من الناس مبتدأ خبره مقدر ، أي : مثاب بقرينة مقابلة ، وقيل : حق عليه العذاب خبر لهما[١] أي : وكثير وكثير حق عليه العذاب ، ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ هَذَانِ[٢] خَصْمَانِ﴾: فوجان مختصمان ، ﴿اخْتَصَمُوا﴾ الجمع نظرًا إلى المعنى، ﴿فِي رَبِّهِمْ﴾: في أمره ودينه، نزلت[٣] في علي وحمزة وعبيدة بن الحارث بارزوا مع عتبة وشيبة والوليد يوم بدر ، قال علي: أنا أول من يجثوا بين يدي الرحمن للخصومة في القيامة أو في المسلمين واليهود، قالت اليهود: نحن أفضل، كتابنا ونبينًا أسبق ، فقال المسلمون : نحن أحق بالله آمنا بجميع كتبه ورسله وأنتم تعرفون كتابنا ورسولنا وكفرتم حسدًا ، أو المراد المؤمنون والكافرون كلهم من أي ملة كانوا ، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾: كما يقطع الثياب بقدر القامة فيخيط ، وهذا بيان فصل خصومة الكافر ، ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾: الماء الحار الذي لو سقطت نقطة على جبال الدنيا لأذابتها خبر ثان، أو حال من لهم﴿يُصْهَرُ﴾: يذاب ، ﴿بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾: الأمعاء ، ﴿وَالْجُلُودُ﴾ الجملة حال ، ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ﴾: سياط ، ﴿مِنْ حَدِيدٍ﴾ لو ضرب[٤] جبل بمِقْمَعٍ منها لتفتت، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾: من النار ، ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ بدل من منها ، ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾: حين خرجوا منها من غير مهلة وتراخ ، وعن الحسن

---

(١) فيكون وكثير الثاني تكرير، الأول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب/١٢ .

(٢) ولما ذكر الفريقين من أهل السعادة وأهل الشقاوة ذكر ما دار بينهم من الخصومة في الدين فقال : " هذان خصمان " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) كما في البخارى / ١٢ وجيز .

(٤) كما روي في مسند الإمام أحمد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم / ١٢ وجيز.[وفي إسناده ابن لهيعة وفيه كلام]

أن أيديهم وأرجلهم موثقة لكن يدفعهم لهبها فتردهم مقامعها ، ﴿وَذُوقُوا﴾ أي : قيل لهم ذوقوا ، ﴿عَذَابَ الحَرِيقِ ﴾: فيجمع لهم بين التعذيب الجسماني والإهانة.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ (٢٣) وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ (٢٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ (٢٥) ﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات جَنَّات تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾، هذا بيان فصل خصومة المؤمن ، ﴿يُحَلَّوْنَ ﴾، من حليته إذا جعلت له حليًا، ﴿فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ ﴾، جمع سوار ، ﴿مِن ذَهَبٍ ﴾، بيان لأساور، ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالجر والنصب عطف على لفظ أساور ومحلها أو تقديره ويؤتون لؤلؤا ، ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ[(١)] ﴾: في مقابلة ثياب أهل النار، ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ القَوْلِ ﴾: هدوا إلى مكان لا يسمعون فيه إلا الكلام الطيب وهو سلام الملائكة وتهنئتهم في مقابلة وذوقوا عذاب الحريق ، ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الحَمِيدِ ﴾: المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة ، وعن بعض الكلام الطيب القرآن، أو كلمة التوحيد في الدنيا، أو قولهم في الجنة: الحمد لله الذي صدقنا وعده، وصراط الحميد : الإسلام ، ﴿إِنَّ[(٢)] الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾: في ماضي

---

(١) وفي الصحيحين وغيرهما عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: " من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة " / ١٢ فتح .

(٢) ولما بين ما للفريقين أكد ذكر الفريق الأول لبيان ما يدل على استمرار كفرهم ، ويؤكد بيان جزاءهم فقال : " إن الذين كفروا " الآية / ١٢ وجيز .

الزمان ، ﴿وَ﴾، ﴿يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: يومًا فيومًا ، ﴿وَالْمَسْجِدِ[1] الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾: لمناسكهم كلهم، ﴿سَوَاءً[2] الْعَاكِفُ﴾: المقيم، ﴿فِيهِ وَالْبَادِ﴾: الطارئ، من قرأ برفع سواء فهو خبر مقدم ، والجملة ثاني مفعولي جعلناه إن جعلته للناس حالاً وإن جعلت ثاني مفعوليه فهي حال ، ومن قرأ بنصبه فثاني مفعوليه أو حال بمعنى مستويا والعاكف مرتفع به ، ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾: ميل عن القصد ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول ، والباء للحال أو فيه تضمين معنى الهم، وقيل الباء زائدة، ﴿بِظُلْمٍ﴾: بعمدٍ حال أو بدل فالمراد بالإلحاد كل كبيرة أو الشرك، وعند بعض[3] أن من عزم سيئة بمكة أذاقه الله العذاب الأليم، وإن لم يفعلها وهذا من

---

(١) عطف على لفظ الله أو على سبيل الله / ١٢ منه .

(٢) قال القرطبي: وأجمع الناس على الاستواء في المسجد الحرام نفسه واختلفوا فى مكة، فذهب مجاهد ومالك إلى أن دور مكة ومنازلها يستوى فيها المقيم والطارئ ، وذهب عمر بن الخطاب وابن عباس وجماعة على أن للقادم أن يترل حيث وجد وعلى رب المترل أن يئويه شاء أم أبى ، وذهب الجمهور إلى أن دور مكة ومنازلها ليست كالمسجد الحرام ولأهلها منع الطارئ من الترول فيها ، والحاصل أن الكلام في هذا راجع إلى أصلين: الأول ما في هذه الآية هل المراد بالمسجد الحرام نفسه أو جميع الحرم أو مكة على الخصوص.

والثاني : هل كان فتح مكة صلحًا أو عنوة ، وعلى فرض أن فتحها كان عنوة ، وهل أقرها النبي – صلي الله عليه وسلم – في أيدى أهلها على الخصوص أو جعلها لمن نزل بها على العموم، وقد أوضح الشوكاني هذا في شرحه على المنتقى بما لا يحتاج الناظر فيه إلى زيادة / ١٢ فتح.

(٣) منهم ابن مسعود وقيل الإسناد على شرط البخارى ووقفه عليه أشبه من رفعه ، وفي الفتح قال ابن كثير : هذا الإسناد صحيح على شرط البخارى ووقفه أشبه من رفعه. انتهى، وقال بعض: الإلحاد فيه لا والله، وبلى والله / ١٢ .

خصوصيات مكة، ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ[1] أَلِيمٍ﴾، جواب لمن وخبر إن مقدر أي: نذيقه من عذاب أليم وحذف لدلالة جواب الشرط عليه.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ

---

(١) وقد كان دور مكة في الصدر الأول بلا باب ليترل فيه الحاج رضي رب البيت أم لم يرض حتى كثرت السرقة فاتخذ شخص بابًا لداره فأنكر عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وقال : أتغلق على وجه الحاج ، وقد قال الله تعالى سواء العاكف فيه والباد ، فقال: أردت حفظ متاعهم فاتخذ الناس بعده الأبواب ، وهذا مذهب عمر بن الخطاب وابن عباس وجماعة من السلف أنه لا يجوز لرب بيوت مكة منع الحاج عن الترول فيها، ولما ذكر صدهم عن المسجد الحرام وعظمه عقبه بحكاية بانيه الدالة على أنه بناه لكل موحد أراد زيارةً فهذا البيت ليس للمشركين فكيف لهم صد الناس عن دخول بيتهم فقال: " وإذ بوأنا ". الآية/ ١٢ وجيز .[وكان سهيل بن عمرو هو أول من بوب داره كما قال ابن كثير (٣/٢١٥)]

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا[1] **لِإِبْرَاهِيمَ﴾**: واذكر زمان جعلنا له، **﴿مَكَانَ الْبَيْتِ﴾**: مباءة مرجعًا يرجع إليه للعمارة والعبادة وذكر مكان البيت لأن البيت ما كان حينئذ، **﴿أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً﴾** أن مفسرة لبوأنا من حيث إنه تضمن معنى تعبدنا ، أي: ابْنهْ على اسمي وحدي ، **﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾**: من الشرك، **﴿لِلطَّائِفِينَ﴾**: حوله ، **﴿وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾**، عبر عن الصلاة بأركانها أو المراد بالقائمين: المعتكفون لمشاهدة الكعبة، وبالركع السجود المصلون ، **﴿وَأَذِّن﴾**: نادِ ، **﴿فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾**: بدعوته والأمر به ، نقل[2] أنه قام على مقامه أو على الحجر ، أو على الصفا أو على أبي قبيس، وقال: يا أيها الناس إن ربكم اتخذ بيتًا فحجوه، فأجابه كل شيء من شجر وحجر ومن كتب الله له الحج إلى يوم القيامة ، وهم في أصلاب آبائهم: لبيك اللهم لبيك، **﴿يَأْتُوكَ رِجَالاً﴾**: مشاة جمع راجل، **﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾**، أي: ركبانًا حال معطوف على حال، **﴿يَأْتِينَ﴾**، صفة لضامر، وجمعه باعتبار معناه، **﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾**: طريق بعيد ، **﴿لِيَشْهَدُوا﴾**: يحضروا ، **﴿مَنَافِعَ﴾**: دينية ودنيوية، **﴿لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾**: عشر ذي الحجة، أو يوم النحر وثلاثة بعده ويعضْد الثاني قوله: **﴿عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾**، فإن المراد التسمية عند ذبح الهدايا والضحايا ، **﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾**، الأمر للاستحباب أو للإباحة، فالجاهلية يحرمون أكلها،

(١) عَيِّنًا /١٢ .

(٢) هذا مضمون ما روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف أورده ابن زيد وابن أبي حاتم بطوله / ١٢ منه .

وعند الأكثرين لا يجوز الأكل من الدم الواجب، ﴿وَأَطْعِمُوا[1] الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾: الشديد الفقر المتعفف أو الزمِنَ أو الضرير، ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا﴾: يزيلوا ﴿تَفَثَهُمْ﴾، وسخهم بقص الشوارب والأظفار ولبس الثياب وغيرها أو التفث المناسك ، ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾: أعمال حجة من وفَّى بنذره إذا خرج مما وجب عليه مطلقًا أو ما نذر وأوجب على نفسه فى الحج ، ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾: طواف الإفاضة والعتيق[2] القديم أو أعُتق من تسلط الجبابرة عليه ، ﴿ذَلِكَ﴾، أي : الأمر ذلك وهو وأمثاله يطلق للفصل بين كلامين ، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾: بترك ما نهى الله أو بتعظيم بيته ، والشهر الحرام ، والبلد الحرام، والإحرام ، ﴿فَهُوَ﴾: التعظيم ، ﴿خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾: ثوابًا، ﴿وَأُحِلَّتْ[3] لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى﴾: آية تحريمه ، ﴿عَلَيْكُمْ﴾، هي "حرمت عليكم الميتة" الآية في المائدة لا البحائر والسوائب ، ﴿فَاجْتَنِبُوا[4] الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾: الذي هو الأوثان بيان للرجس ، وتمييز له كعندي عشرون من الدراهم، ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ[5]﴾: الكذب والبهتان ومنه شهادة الزور، ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾: مخلصين له ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾، حالان من فاعل

---

(١) والإطعام واجب وظاهر القرآن وجوب الأكل أيضًا/ ١٢ وجيز .

(٢) قال تعالى : " إن أول بيت وضع للناس " قيل: العتيق المحرر لم يملك قط موضعه أو معتق من طوفان أو الجيد من قولهم عتاق الخيل، وعتاق الطير ، وقيل: المراد بيت مازاره أحد إلا هو عتيق من النار / ١٢ وجيز .

(٣) ولما ذكر الهدايا والضحايا وذكر الحرام منها الذي أحل قريش وبين الحلال الذي أحل الله فقال: وأُحِلَّت" الآية / ١٢ وجيز .

(٤) ولما حث على تعظيم حرمات الله وقول الزور أعظم الحرمات، أتبعه الأمر باجتناب الأوثان، فإن الشرك أقبح كل زور "فاجتنبوا الرجس" الآية / ١٢ وجيز .

(٥) كأنه قال: اجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله / ١٢ وجيز .

اجتنبوا ، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾: سقط، ﴿مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ﴾: تسلبه ، ﴿الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي﴾: تسقط ، ﴿بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾: بعيد يعني: من أشرك فقد أهلك نفسه غاية الإهلاك فهو كجيفة اختطفته الطير فتفرق قطعًا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة ، و أو للتخيير أو للتنويع فإن من المشركين من لا خلاص له أصلاً ، ومنهم من يمكن خلاصه بالإيمان لكن على بعد[1] ، ﴿ذَلِكَ﴾: الأمر ذلك، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ[2] اللَّهِ﴾: البدن والهدي وتعظيمها استسمانها أو أعمال الحج، ﴿فَإِنَّهَا﴾: تعظيمها ، ﴿مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ أي : ناشئ من تقوى قلوبهم أو من أعمال ذوى تقوى القلوب ، ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾: في الشعائر وهي البدن ، ﴿مَنَافِعُ﴾: درُّها وصوفها وظهرها، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وقت[3] النحر وإن سماها وجعلها هديًا أو الأجل المسمى تسمينها[4] وجعلها هديًا فما لم تسم بدنًا ينتفع به ، ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا﴾: منحرها ، ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾، أي : عنده يعني: الحرم مطلقًا.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ

---

(١) فإنه لا يؤمن من آلاف ألف إلا واحد / ١٢ وجيز.

(٢) وعن ابن عباس- رضى الله عنه- في الآيات قال الشعائر : البدن والاستسمان والاستحسان والاستعظام ، وينبغي للإنسان أن يترك المشاحة في ثمنها ، روي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبى جهل في أنفه برة وأن عمر أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار / ١٢ فتح .

(٣) هكذا قاله السلف / ١٢ وجيز.

(٤) قاله ابن عباس / ١٢ .

ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ**﴾، لكل أهل دين ، ﴿**جَعَلْنَا مَنسَكاً**﴾، بفتح السين مصدر ، أي : ذبح المناسك، وبكسرها موضع نسك يعني : إراقة الدماء مشروعة في جميع الملل ، وعن بعض لم يجعل الله لأمه منسكاً غير مكة ، ﴿**لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ**﴾ أي : المقصود من المناسك خلوص العبادة له، ﴿**فَإِلَهُكُمْ**﴾: أنتم ومن قبلكم ، ﴿**إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا**﴾: انقادوا له لا لغيره ، ﴿**وَبَشِّرِ**[1] **الْمُخْبِتِينَ**﴾: الخاشعين الراضين بقضائه ، ﴿**الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ**[2]﴾: في أوقاتها ، ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾:

---

(١) وناسب من اتصف بالإخبات بتبشيره هنا لأن أفعال الحج من نوع الثياب ، وليس مثل الكفن وكشف الرأس والتردد إلى المواضع الغبرة والتلبس بالمشاق التي لا يعلم حكمتها إلا الله مؤذنة بالتواضع التام والاستسلام / ١٢ .

(٢) أمره أولاً بأن يبشر المتضرعين المتواضعين ، وثانيًا بأن يبشر من أحسن إلى غيره ، فإن في أفعال الحج النفع اللازم والمتعدي ، ولما ذكر أعمال الحج وكان المشركون يؤذون المؤمنين سيما في أوقات الحج بشرهم بدفع الكافرين عنهم فقال : " إن الله يدافع " الآية/١٢ وجيز.

يتجدد إنفاقهم فى جهات الخير، ﴿وَالْبُدْنَ﴾: جمع بدنة وهي الإبل أو البقر ، وانتصابه على شريطة التفسير، ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: أعلام دينه، ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾: منافع الدارين، ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾: عند نحرها يقول: بسم الله والله أكبر لا إله إلا الله اللهم منك ولك ، ﴿صَوَافَّ﴾: قائمات على ثلاثة قوائم[1] معقولة يدها اليسرى أو رجلها اليسرى ، ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ﴾: سقطت، ﴿جُنُوبُهَا﴾: على الأرض أي : ماتت ، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ﴾: السائل من قنع قنوعًا إذا سأل ، أو فقيرًا لا يسأل من القناعة ، ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾: الذي يتعرض للمسألة ولا يسأل أو السائل ، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ما وصفنا من نحرها قيامًا، ﴿سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾: مع عظمها ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لكي تشكروا إنعامنا، ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ﴾: لن يصل إليه ، ﴿لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ أي : النية والإخلاص فإنها هي المتقبل منكم ، ويجزي عليها نزلت[2] في أن الكفرة إذا ذبحوها لآلهتهم وضعوا عليها من اللحوم ونضحوا عليها من دمائها ، وعن بعض كانوا ينضحون بلحومها ودمائها ، فقال بعض المسلمين : نحن أحق أن ننضح البيت ، ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾: كررها تذكيرًا لنعمة التسخير وتعليلاً له بقوله ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾: تعظموه ولا تثبتوا لغيره الكبرياء ، ﴿عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾: إلى كيفية التقرب إلى الله بها ، ولتضمين تكبروا معنى تشكروا عدَّاه بعلى ، ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾: الذين أحسنوا أعمالهم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ﴾: يبالغ في مدافعة غائلة المشركين ، ﴿عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾: في أمانة الله، ﴿كَفُورٍ﴾: لنعمته، ومن تقرب بذبيحة إلى غير الله فهو خوان كفور.

---

(١) نقل عن ابن عباس- رضى الله عنه-.

(٢) روي عن ابن عباس- رضى الله عنه-/ ١٢ منه .

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾

﴿أذنَ﴾: رخص في القتال ، **﴿لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾**: يريدون القتال والمسلمون كانوا يتظلمون إلى رسول الله من أذى المشركين ويطلبون القتال قبل الأمر به قيل سماهم مقاتلين باعتبار المآل ، ومن قرأ بصيغة المجهول فمعناه: يقاتلهم المشركون ، **﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾**: بسبب أنهم مظلومون، هي أول آية نزلت[1] في الجهاد حين هاجروا من

---

(١) حين هاجروا إلى المدينة كذا ذكره المفسرون، وهو المنقول عن ابن عباس- رضى الله عنه- وعروة ومجاهد وقتادة- رضى الله عنه- وغيرهم ، وروى الترمذى والنسائى عن=

مكة واستدل بهذه الآية على أن السورة مدنية ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ عدة بالنصر وقيل معناه :إنه لقادر على نصرهم من غير قتال لكن صلاحهم في القتال ، ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا ﴾، بدل من للذين، أو صفة، ﴿مِن دِيَارِهِم﴾: مكة، ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، موجب استحقوا الإخراج به ، ﴿إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾: سوى التوحيد الذي هو موجب للتمكين والتعظيم فالاستثناء بدل من حق ، وهذا من باب.

لا عيب فيهم غير أن سيوفهم　　　بهن فلول من قراع الكتائب

وقيل منقطع، ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾: بالجهاد وإقامة الحدود، ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾: خربت ، ﴿صَوَامِعُ﴾: الرهبان ، ﴿وَبِيَعٌ﴾: كنائس النصارى، ﴿وَصَلَوَاتٌ[(١)] ﴾: كنائس اليهود سميت بها لأنهم لا يصلون إلا فيها ، ﴿وَمَسَاجِدُ﴾: للمسلمين ، ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ﴾، صفة لمساجد خصت بها تفضيلاً ، وقيل: صفة للأربع ، ﴿اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾، يعني: لولاه لهدم في زمن موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام مواضع عباداتهم باستيلاء الكفرة ، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾: من ينصر دينه ويعلي كلمته ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾: على خلقه ، ﴿عَزِيزٌ ﴾: لا يغلبه غالب، ﴿الَّذِينَ﴾، بدل أو صفة لمن ينصره ، ﴿إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ﴾: نصرناهم فيتمكنوا من البلدان ، ﴿أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾: مرجع الأمور إلى حكمه وفيه تأكيد لما وعد من

= سفيان الثوري وفيه إشكال لما قال المفسرون:" إن سورة الحج مكية إلا ست آيات وهن من قوله :"هذان خصمان" إلى "صراط الحميد" ، قال الشيخ عماد الدين ابن كثير: استدل بعضهم بهذه الآية على أن السورة مدنية ، وهو قول المجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد/١٢ وجيز .[حديث سفيان الثوري صحح إسناده الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٥٣٥)].

(١) حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فالصلوات لا تهدم وإنما أراد بيوت الصلوات .

النصرة، قيل معناه: تصير الأمور إليه بلا منازع فيبطل كل ملك سوى ملكه، وقيل: له عاقبة الأمور فيجزيهم، ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾: رسلهم فأنت لست بأوحدي في التكذيب فلا تغتم ، ﴿وَكُذِّبَ مُوسَى﴾: مع ظهور معجزاته كذبه القبط[1] لا قومه بنو إسرائيل ، ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾: أمهلت ، ﴿لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري عليهم بتبديل منحتهم محنة وعمارتهم خراباً ، ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ أي : أهلكنا كثيرًا من القرى بإهلاك أهلها كأين منصوب بشريطة التفسير أو مرفوع ، وأهلكناها خبره ، والجملة بدل من فكيف كان نكير ولذلك جاء بالفاء ، ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾: أهلها جملة حالية ، ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾: ساقطة ، ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ على سقوفها أي: خرت سقوفها ثم سقطت حيطانها فوق السقوف، أو خالية مع سلامة عروشها، والجملة عطف على أهلكناها، ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ أي: وكم من بئر عامرة متروكة الاستقاء منها أهلكنا مُلاَّكها، ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾: رفيع أو مجصَّص محكم أهلكنا أهلها وأخليناه عن ساكنيه ، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾، حث على السفر والتفكر في نقم ما حل بالأمم الماضية المكذبه ، ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾: ما يجب أن يعقل كالإيمان بالرسل، ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾: ما يجب أن يسمع كالتذكير ، ﴿فَإِنَّهَا﴾: ضمير القصة، ﴿لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ﴾ أي : ليس الخلل بمشاعرهم ، ﴿وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ أي : إنما العمى بقلوبهم أو لا يعتد بعمى الأبصار ، فكأنه ليس بعمى ، ولكن العمى عمى القلوب ، وذكر الصدور للتأكيد ، ونفي التجوز كأنه قال : ما نفيت العمى عن البصر وأثبت للقلب سهوًا، وفلتةً، بل تعمدت به إياه بعينه تعمدًا ، ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾: سخرية

---

(١) القبط بالكسر : أهل مصر/ ١٢ .

وتكذيبًا لك، ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: ينجزه ولو بعد حين كما نجوا يوم بدر، ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ أي: مقدار ألف سنة عند عباده كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حلمه، لأنه قادر لا يفوته شيء بالتأخير أو كيف يستعجلون بالعذاب، وإن يومًا من أيام الآخرة التي هي أيام عذابهم كألف سنة من أيام الدنيا، أو إن يومًا من الآيام الستة التي خلق الله الخلق فيها كألف سنة فالمدد الطوال عندكم قصار عنده، أو كيف يستعجلون، وإن يومًا من العذاب بشدته كألف سنة! ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا﴾: أمهلتهم كما أمهلتكم وإعرابه مثل ما مر، ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾: مثلكم: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾: بالعذاب، ﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾: فأجازيهم.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ[1] مُّبِينٌ﴾: ليس إلي من حسابكم شيء، أمركم إلى الله إن شاء عجل العذاب ، وإن شاء أخر وإن شاء تاب عليكم وإن شاء أضل ، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾: عما فرط عنهم ، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: هو الجنة ، ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا﴾: بالرد والإبطال، ﴿فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾: مسابقين بزعمهم ظانين أهم يسبقوننا فلا نقدر عليهم ، أو سابقين لمن يسعى في تحقيق آياتنا وإثباهًا ، ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ[2]﴾ الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يطلق أيضًا على من يأتيه بإلهام أو منام قيل هو من له شريعة مجددة ، والنبي أعم أو هو من أنزل عليه كتابًا والنَّبُى أعم، ﴿إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى﴾: أحب شيئًا واشتهاه من غير أمر الله ، أو معنى تمنى قرأ[3] وتلا، ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾: وجد إليه سبيًلا أو ألقي في قراءته فأدخل

---

(١) منذر من عذاب الله لا مرسل بالعذاب فلا معنى للاستعجال مني فإن استعجلتم فاستعجلوا من المرسَل لا من الرسول ، ذكر النذارة دون البشارة ، والتقسيم بعدها يقتضيهما ، لأن الحديث مسوق للمشركين ، وإنما ذكر المؤمنين ليغبط المشركين وليحرضهم على الميل إلى نيل تلك الدرجة الرفيعة / ١٢ وجيز .

(٢) وقرأ ابن مسعود- رضى الله عنه-: " ولا نبي ولا محدث " وعن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف مثله وزاد فنسخت:" محدث" قال: والمحدثون صاحب يس و لقمان ومؤمن آل فرعون وصاحب موسى هذا ما في الفتح، وفي صحيح البخارى فى مناقب عمر – رضى الله عنه – قال ابن عباس: من نبي ولا محدث وقال ابن حجر في شرحه أخرجه سفيان بن عيينة / ١٢ .

(٣) قال البغوى: وأكثر المفسرين قالوا: معنى قوله: تمنى أي: تلا وقرأ كتاب الله – تعالى: " ألقى الشيطان في أمنيته " أى: تلاوته قال الشاعر: في عثمان حين قتل:

تمنى كتاب الله أول ليله وآخرها لاقى حمام المقادر

انتهى وذكر البخاري عن ابن عباس/١٢ .

في مقروئه ما ليس منه قد ذكر أكثر المفسرين- بل كلهم- قصة[1] الغرانيق بروايات كلها مرسلة أو منقطعة إلا رواية واحدة عن ابن عباس فإنها متصلة ، وقد أنكر كثير

---

(١) روى القصة ابن أبي حاتم وابن جرير والبزار والبيهقي في كتاب دلائل النبوة هذا ما في الوجيز، وفي الفتح قال البزار: هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم -بإسناد متصل، وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، ثم أخذ يتكلم أن رواة هذه القصة مطعون فيهم ، وقال إمام الأئمة ابن خزيمة : إن هذه القصة من وضع الزنادقة، قال ابن كثير قد ذكر كثير من المفسرين ها هنا قصة الغرانيق ، وما كان رجوع كثير من المهاجرين إلى أرض الحبشة ظنًّا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ولكنها من طرق كلها مرسلة ، و لم أرها مسندة من وجه صحيح ، وما ذكره المفسرون عن ابن عباس فمن رواية الكلبي وهو ضعيف جدًّا، بل متروك لا يعتمد عليه وكذا أخرجه النحاس بسند آخر فيه الواقدي ونبه الحافظ ابن حجر على ثبوت أصلها في الجملة ، وقال : إن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح لكنها مراسيل . انتهى ما في الفتح ، وقال الشيخ سليمان الجمل بعد ما ذكر قول الرازي في تكذيب هذه القصة بالوجوه العقلية والنقلية: وأن لا أصل لها قال: وليس كذلك، بل لها أصل فقد خرجها ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق عن شعبة عن ابن بشر عن سعيد بن جبير ، وذكر طرقًا كثيرة إلى أن قال: وكل من طرقها سوى طريق ابن جبير إما ضعيف وإما منقطع، لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح إلى أن قال: وقال الحافظ ابن حجر- بعد ما ذكر أقوال الطاعنين: وجميع ذلك لا يتمشى على قواعد المحدثين فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلاً وقد ذكرنا أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح، وهي مراسيل يحتج بها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض. انتهى ما ذكر سليمان الجمل [قال ابن كثير (٣/٢٣١): وقد ذكر محمد بن إسحاق في "السيرة" بنحو من هذا وكلها مراسيل والله أعلم.] ملخصًا قوله تعالى : " فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم آياته " هذا فيه قولان ، والمأثور عن السلف =

....

= يوافق القرآن بذلك والذين منعوا ذلك من المتأخرين طعنوا فيما ينقل عن الزيادة في سورة النجم بقوله: " تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتها لترتجى، وقالوا : إن هذا لم يثبت ومن علم أنه ثبت قال: هذا ألقاه الشيطان في مسامعهم ولم يلفظ به الرسول صلى الله عليه وسلم - ، ولكن السؤال وارد على هذا التقدير أيضًا، وقالوا في قوله: "إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته" هو حديث النفس ، وأما الذين قدروا ما نقل عن السلف فقالوا: هذا منقول نقلاً ثابتًا لا يمكن القدح فيه والقرآن يدل عليه بقوله: " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته " إلى قوله: " إلى صراط مستقيم " فقالوا : الآثار في تفسير هذه الآية معروفة ثابتة في كتب التفسير والحديث، والقرآن يوافق ذلك فإن نسخ الله لما يلقى الشيطان وإحكام آياته إنما يكون لرفع ما وقع في آياته وتميز الحق عن الباطل حتى لا تختلط آياته بغيرها ، وجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض ، والقاسية قلوبهم إنما يكون ذلك ظاهرًا يسمعه الناس لا باطنًا في النفس والفتنة التي يحصل بهذا النوع من النسخ من جنس الفتنة التي تحصل بالنوع الآخر من النسخ ، وهذا النوع دل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وأبعده عن الهوى، من ذلك النوع فإنه إذا كان يأمر بأمر ثم يأمر بخلافه وكلاهما أمر عند الله ، وهو صدق في ذلك فإذا قال عن نفسه ، إن الثاني هو الذي من عند الله وهو الناسخ ، وإن ذلك مرفوع الذي نسخه الله ليس كذلك ، كان أدل على اعتماده للصدق وقوله الحق وهذا كما قالت عائشة- رضى الله تعالى عنها:"لو كان محمد كاتمًا شيئًا من الوحي لكتم هذه الآيات ، "وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه" (الأحزاب:٣٧)، ألا ترى أن الذي يعظم نفسه بالباطل يريد أن ينصر كل ما قاله ولو كان خطأ فبيان الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله أحكم آياته ونسخ ما ألقاه الشيطان هو أدل على تحريه للصدق وبراءته من الكذب ، وهذا هو المقصود بالرسالة فإنه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم تسليمًا، ولهذا كان تكذيبه كفرًا محضاً بلا ريب انتهى ما قاله شيخ الإسلام في شرح دعوة ذى النون عليه السلام / ١٢ .

من العلماء هذه الحكاية وبالغوا في الإنكار وطعنوا في الرواة ، و قال بعض: إنها من وضع الزنادقة وهي أنه عليه السلام تمنى أن يأتيه من ربه ما يقرب بينه وبين قومه رجاء أن يسلموا، فكان يومًا في محضر قريش إذ أنزل عليه سورة "والنجم" فأخذ يقرأها ، فلما بلغ ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان في قراءته فسبق لسانه: سهوًا أو تكلم الشيطان فحسب أن القارئ رسول الله أو نام نومة فجرى على لسانه تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى، فلما وصل قراءته إلى السجدة سجد فسجد من في النادي من المسلم والمشرك ، وفرح المشركون فأتاه جبريل وقال: ماذا صنعت؟! لقد تلوت ما لم آتك به عن الله فحزن حزنًا وخاف خوفًا فعزاه الله بتلك الآية يعني: ما أنت بأوحدي بهذا ، بل مكنا الشيطان ليلقي في أمانيهم كما ألقى في أمانيك ابتلاء منا ليزيد المنافقون شكًّا وظلمة ، والمؤمنون يقينًا ونورًا،﴿**فَيَنسَخُ اللَّهُ**﴾: يزيل ويبطل ، ﴿**مَا يُلْقِي**[1] **الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ**﴾: يثبتها بحيث لا تشتبه بكلام غيره ، ﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾: فيما يفعل، ﴿**لِيَجْعَلَ**﴾، أي : مكنا الشيطان منه ليجعل ، ﴿**مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً**﴾: ضلالة ، ﴿**لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**﴾: شك ونفاق، ﴿**وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ**﴾: المشركين فإنهم لما سمعوا نسخ قول الشيطان ازدادوا غيظًا وظنوا أنه ندم مما ألقى من عند نفسه، ﴿**وَإِنَّ الظَّالِمِينَ**﴾: المنافقين والمشركين ، ﴿**لَفِي**

---

(١) وقد قيل في تأويل الآية : إن المراد بالغرانيق الملائكة ، ويرد بقوله الآتي : " فينسخ الله ما يلقي الشيطان " أي : يبطله وشفاعة الملائكة غير باطلة ، وقال مجاهد : إذا تمنى : إذا تكلم ، وأمنيته كلامه ، فأخبر تعالى في هذه الآية: إن سنة الله في رسله إذا قالوا قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه فهذا نص في أن الشيطان زاد في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – لا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قاله ، لأنه معصوم وقد سبق إلى ذلك الطبري مع جلالة قدرته وسعة علمه وشدة ساعدته في النظر فصوب هذا المعنى قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري / ١٢ فتح.

﴿شِقَاقٍ﴾: خلاف وعناد ، ﴿بَعِيدٍ﴾: عن الحق شديد، ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾، عطف على ليجعل ، ﴿الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾: القرآن وهم المسلمون، ﴿أَنَّهُ﴾: ما أوحينا إليك ، ﴿الحَقُّ﴾: الصدق ، ﴿مِن رَّبِّكَ﴾، حال أو خبر بعد خبر، ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾: بالقرآن أو بالله ، فإن العقلاء لما رأوا أنه أعرض عما تكلم به ، و لم يعبأ ببيان خطأه و لم يبال بمزيد عداوتهم مع كثرة حرصه بألفتهم ، علموا أن الشيطان دخل في أمنيته فنسخه الله، وعصم نبيه، فزادوا يقينهم وثبتوا[*] دينهم، ﴿فَتُخْبِتَ﴾: تخشع ، ﴿لَهُ﴾: لله، ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: واطمأن ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: في الدارين ، ﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ﴾: شك ، ﴿مِّنْهُ﴾: من القرآن ، أو مما ألقى الشيطان قائلين : ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه ، ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾: القيامة أو الموت ، ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة ، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: كيوم بدر فإنه يوم لا خير للكفار فيه كما يقال: ريح عقيم ، أو المراد يوم القيامة، فإنه يوم لا ليل له فكأنه قال: تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها فوضع الظاهر موضع المضمر للتهويل، ﴿المُلْكُ يَوْمَئِذٍ لله﴾: لا منازع له بوجه، ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: بين المؤمنين والكافرين، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: الفاء في خبر الثاني دون الأول تنبيه على أن عقابهم مسبب من أعمالهم بخلاف إثابة المسلمين فإنها فضل .

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ

(*) وفي نسخة (ن): ثبتوا على دينهم.

إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ[1] هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: تركوا الأوطان في طريق طاعته ورضاه، ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾: فيها، ﴿أَوْ مَاتُوا﴾: حتف أنفهم، ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً[2]﴾ هم أحياء عند ربهم يرزقون، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: فإنه يرزق من يشاء بغير حساب، ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ[3]﴾: لما فيه ما تشتهي أنفسهم، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾: بأحوال الفريقين، ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بالعقوبة، ﴿ذَلِكَ[4]﴾: الأمر ذلك، ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ ولم يزد على مثله سمى ابتداء الإضرار عقابًا للازدواج فإن العقاب جزاء من عَقِبِ فِعْلٍ، ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾: بعقوبة أخرى، ﴿لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾، فإنه مظلوم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾: للمنتصر، ﴿غَفُورٌ﴾: إن زاد في الجزاء، نزلت في رهط من المسلمين لقوا جمعًا من المشركين في شهر محرم فناشدهم

---

(١) ولما حكم بين المؤمن والكافر عقبه بالحكم بين الشهيد ومن مات حتف أنفه من المؤمنين الكاملين فقال "والذين هاجروا" الآية/ ١٣.

(٢) قد مر بعض كبار الصحابة على قبرين أحدهما مقتول والآخر متوفى، فقال:" لا أبالي من أي حفرهما بعثت، اسمعوا كتاب الله "والذين هاجروا في سبيل الله". الآية/١٢ منه.

(٣) لا يبغون عنها حوّلا لما ذكر الرزق ذكر المسكن الذي فيه الرزق/١٢ وجيز.

(٤) ولما ذكر ثواب من هاجر أخبر بأنه ينصرهم في الدنيا فقال: "ذلك ومن عاقب" الآية/١٢ وجيز.

المسلمون أن لا يقاتلوا فأبوا فقاتلوا وبغوا فنصر الله المسلمين، ﴿ذَلِكَ﴾: النصر، ﴿بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾، بسبب قدرته على تغليب الأمور بعضها على بعض يداول بين المتعاندين كما يزيد في أحد الملوين[1] ما ينقص من الآخر، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾: فيجازيهم بما يسمع ويبصر، ﴿ذَلِكَ﴾: القدرة التامة والعلم الكامل، ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: الثابتة إلاهيته، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ وكل ما يدعون إلهًا دونه باطل الألوهية فلا إله سواه، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ[2]﴾: لا شيء أعلى منه وأكبر شأنًا فلا محالة يكون قديرًا عليمًا، ﴿أَلَمْ[3] تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾: برفع تصبح لأنه بعد استفهام بمعنى الخبر أي: قد رأيت فلا يكون له جواب والعدول إلى المضارع للدلالة على بقاء أثر المطر زمانًا بعد زمان، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾: واصل علمه أو لطفه إلى كل جليل ودقيق، ﴿خَبِيرٌ[4]﴾: بالتدابير، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ﴾: في ذاته، ﴿الْحَمِيدُ﴾: المستوجب للحمد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ

(١) الملوين: الليل والنهار / ١٢ منه.

(٢) العالي على كل شيء والعظيم الذي كل شيء دونه / ١٢ معالم.

(٣) ولما ذكر ما دل على القدرة التامة الظاهرة ذكر مثلها من القدرة الكاملة المشاهدة فقال: " ألم تر أن الله أنزل من السماء " الآية / ١٢ وجيز.

(٤) أي: إنه ذو خبرة بتدبير عباده وما يصلح لهم / ١٢ فتح.

﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ تَعۡرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ**[1] ﴾: فتنتفعون به ، ﴿**وَالْفُلْكَ**﴾ عطف على ما ، ﴿**تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ**﴾، حال ، ﴿**وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ**﴾: من، ﴿**أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلاَّ بِإِذْنِهِ**﴾: بمشيئته كما تقع يوم القيامة، ﴿**إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ حيث أثبت لهم المنافع ، ودفع عنهم المضار، ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ**﴾: بعد ما كنتم جمادًا ترابًا ونطفةً، ﴿**ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**﴾: في الآخرة ، ﴿**إِنَّ الإنسَانَ لَكَفُورٌ**﴾: جحود لنعم ربه ، ﴿**لِكُلِّ**[2] **أُمَّةٍ جَعَلْنَا**

---

(١) هذه نعمة أخرى ثالثة ذكرها الله سبحانه فأخبر عباده بأنه سخر لهم، ذلل ما يحتاجون إليه من الدواب والشجر والأنهار والحجر والحديد والنار لما يراد منها والحيوان للأكل والركوب والحمل عليه والنظر إليه وجعله لمنافعهم / ١٢ فتح .

(٢) ولما ذكر أن الإنسان كفور عقبه بما يدل على كفرانه فقال : " لكل أمة " الآية/١٢ وجيز .

مَنْسَكاً ﴾ أي: لكل أمة نبي جعلنا شريعة، ﴿**هُمْ نَاسِكُوهُ** ﴾: عاملوه، ﴿**فَلا يُنَازِعُنَّكَ** ﴾: سائر أرباب الملل، ﴿**فِي الأَمْرِ** ﴾: في أمر الدين أو المراد نهيه -عليه السلام- عن منازعتهم ، أي : لا تلتفت إلى منازعتهم ولا تمكنهم من المنازعة[1] ، أو معناه : لكل قوم جعلنا وقدرنا طريقة هم فاعلوها البتة بحكم القدر فلا تتأثر منازعتهم[2] فيك ولا يصرفنك عما أنت عليه من الحق نحو "ولكل وجهة هو موليها" (البقرة:١٤٨)، قيل : نزلت فيمن جادل وقال: ما لكم تأكلون ما تقتلونه ولا تأكلون ما قتله الله؟! ﴿**وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ** ﴾: إلى عبادته ، ﴿**إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ** ﴾: طريق موصل إلى المقصود، ﴿**وَإِن جَادَلُوكَ** ﴾: مراء وعنادًا، ﴿**فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾: هو أعلم بما تفيضون فيه ، وكفي به شهيدًا بيني وبينكم، ﴿**اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**[3] ﴾ هذا خطاب من الله لرسوله وللمجادلين ، أو من تتمة ما يؤمر بأن يقول لهم أي قل: الله يفصل بينكم أيها الكافرون والمؤمنون فتعرفون حينئذ الحق من الباطل نحو:" فلذلك فادع واستقم كما أمرت " إلى قوله "الله يجمع بيننا وإليه المصير" (الشورى:١٥)، ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ**﴾ ما في السماء والأرض، ﴿**فِي كِتَابٍ**﴾ هو اللوح المحفوظ، ﴿**إِنَّ ذَلِكَ** ﴾: إثباته في كتاب وحفظه، ﴿**عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾: فلا يهمنك جدالهم لأنا قدرناه وهو بمرأى منا ، ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ** ﴾: ما لا برهان سماوي ولا دليل عقلي في عبادته، بل اختلقوه واءتفكوه وتلقوا عن ضُلاَّل أسلافهم، ﴿**وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ** ﴾: ليس

---

(١) فالمراد نهيه عن الكينونة على وصف يكون سببًا لمنازعتهم / ١٢ منه .

(٢) فيكون من نازعته فترعتها إذا غلبته / ١٢ .

(٣) والاختلاف ذهاب كل واحد من الفريقين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر / ١٢ معالم .

لهم ناصر ينصرهم من نكال الله لأنهم وضعوا عبادة جماد موضع عبادة الله ، ﴿وَإِذَا[1] تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾: على أمتك ، أو على المشركين، ﴿آيَاتُنَا بَيِّنَات﴾: ظاهرات الدلالة على العقائد الحقة ، ﴿تَعْرِفُ فِي وَجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ﴾: الإنكار ، أو العبوس والكراهة ، ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾: يبطشون ، ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ[2] آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ﴾: بطشكم وقهركم عليهم، أو من القرآن الذي تكرهونه، ﴿النَّارُ﴾ كأنه قيل: ما هو؟ قال: النار أي: هو النار، ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ استئناف، أو النار مبتدأ وهذه الجملة خبره ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: النار .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ

(١) إذا كان المراد من قوله: " إذا تتلى عليهم " المشركين فقوله: " في وجوه الذين كفروا المنكر " من باب، وضع الظاهر موضع المضمر إشعارًا بأن إنكارهم لكفرهم وجهلهم/ ١٢ منه.

(٢) وهكذا ترى أهل البدع المضلة إذا سمع الواحد منهم ما يتلوه العالم عليهم من آيات الكتاب العزيز أو من السنة الصحيحة مخالفًا لما اعتقده من الباطل والضلالة رأيت في وجهه من المنكر ما لو تمكن من أن يسطو بذلك العالم لفعل به ما لا يفعله بالمشركين والله ناصر الحق ومظهر دينه وهو حسبنا ونعم الوكيل / ١٢ فتح .

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ بين قصة مستغربة كالمثل السائر، **﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾**: للمثل، **﴿إِنَّ[1] الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾**: تدعوهم أي: الأصنام، **﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾**: لن يقدروا على خلقه مع صغره، **﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا﴾**: الأصنام ، **﴿لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ[2] مِنْهُ﴾**، أي : بل هم أعجز من أن يخلقوا ، فإنهم لا يقدرون على استنقاذ ما اختطف هذا المخلوق الضعيف عنهم، **﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ[3]﴾**: الصنم أو الذباب أو العابد ، **﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾**: الذباب أو الصنم أو المعبود ووجه الإطلاق الطالب والمطلوب على كل ظاهر ، **﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ﴾**: ما عظموه وماعرفوه، **﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾**: حق عظمته ومعرفته ، حيث أشركوا به شيئًا لا يقاوم أضعف مخلوقاته، **﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾**: قادر على كل شيء ، **﴿عَزِيزٌ﴾**: لا يغلبه غالب، **﴿اللَّهُ يَصْطَفِي﴾**: يختار ، **﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾**: يبلغون

---

(١) هذا دليل آخر على كفرانهم / ١٢ وجيز .

(٢) أي : الأصنام وهذا مثل لأي شيء يعبد غير الله من ذوي العقول أيضًا / ١٢ وجيز.

(٣) عن ابن عباس . الصنم والذباب ونقل الزمخشري عنه إنهم كانوا يطلون أصنامهم بالزعفران ورءوسها بالعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله/١٢ وجيز .

رسالاته إلى عباده لما قرر الوحدانية شرع يثبت أن في الملك والبشر رسلاً، لا الملك بنات الله، ولا البشر غير مستحقين للرسالة ، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾: مدرك للجزئيات، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: عالم بواقع الأشياء ومترقبها، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾، لأنه خالقها ومالكها فالله أعلم حيث يجعل رسالته، ولا يُسئل عما يفعل، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ أي: صلوا، ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾: أنواع العبادات ، ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾: ما هو أصلح كصلة الأرحام ومكارم الأخلاق ، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي: افعلوا كل ذلك راجين الفلاح من فضل الله لا متكلين على الأعمال واثقين عليها ، ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾: في سبيله، ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾: أقيموا بمواجبه وشرائطه على وجه التمام بقدر الوسع ، وإضافة الجهاد إلى الله للملابسة، ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾: اختاركم يا أمة محمد لنصرة دينه ، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾: ما كلفكم ما لا تطيقون فلا عذر لكم في تركه وقد ورد[1] "بعثت بالحنيفية السمحة"، ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ[2] ﴾، أي: أعني بالدين ملة إبراهيم نحو: الحمد لله الحمد، أومصدر لفعل دل عليه مضمون ما قبله بحذف مضاف ، أي : وسع دينكم توسعة ملته وهو أبو نبينا ونبينا كالأب لأمته أو لأن أكثر العرب من ذريته فهو من باب التغليب،﴿هُوَ ﴾: أي[3]: الله، ﴿سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: بهذا الاسم الأكرم ، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: في سائر الكتب، ﴿وَفِي هَذَا ﴾:

---

(١) في الصحيحين / ١٢ وجيز . [فى هذا العزو وهم، فليس الحديث فى الصحيحين، وإنما هو فى المسند (٥/٢٦٦)]

(٢) وهذا من باب التهييج ، فإن أكثر القلوب راغب في اتباع آبائه سيما قريش ، فإنهم يدعون أنهم على دين إبراهيم مفتخرين بذلك، أي: اتبعوا ملة إبراهيم، فإنه هو الناهي عن الشرك ، ومعروف بأنه كاسر الأصنام / ١٢ وجيز.

(٣) هكذا فسره ابن عباس- رضى الله عنه- ومجاهد- رضى الله عنه- وعطاء والضحاك والسدى وقتادة ومقاتل وبن حيان/١٢.

القرآن، وفي الشواذ الله بدل هو، وفي النسائي:"من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثاء جهنم ، قال رجل: يا رسول الله: وإن صام وصلى؟ قال: نعم وإن صام وصلى، فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله"، وقيل[1] الضمير لإبراهيم فإنه دعى بقوله : "ومن ذريتنا أمة مسلمة لك" (البقرة:١٢٨)، وفي هذا معناه وفي القرآن بيان تسميتة إياكم بهذا الاسم حيث حكى فيه مقالته ، أو لما كان تسميتهم في القرآن بسبب تسميته من قبل كأنها منه ، وفيه بعد ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾: يوم القيامة بأنه بلغكم رسالته ولعصمته تقبل شهادته لنفسه قيل: يشهد عليكم بطاعة من أطاع وعصيان من عصى، ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾: بأن الرسل بلغتهم ، ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾: أي: إذا خصكم[2] بتلك الكرامات فتقربوا إليه بأنواع الطاعات، ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾: وثقوا، ﴿بِاللَّهِ﴾ لا إلى سواه ، ﴿هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى﴾ هو، ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ هو فإنه لا مولى ولا نصير على الحقيقة سواه .

---

(١) هذا قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم / ١٢ منه.

(٢) يعني : إن التعقيب بالفاء مشعر بالعلية، لأن الأوصاف مناسبة للحكم، وهذا مشعر بترجيح القول بأن الضمير لله لا لإبراهيم / ١٢ منه .

سورة المؤمنون مكية

آياتها مائة وتسع عشرة وعند الكوفيين ثماني عشرة

وهي ست ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ۝١٧ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ۝١٨ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝١٩ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ

تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ، ظفروا بالمراد وفازوا بأمانيهم ، **﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾** ، خائفون من الله ساكنون، وعلامته ألا يلتفت[1] يمينًا وشمالاً ولا يرفع البصر عن موضع السجود، **﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾**: عن الشرك[2] ، أو عن كل ما لا يعنيهم من قولٍ وفعل ، **﴿مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾** أي: زكاة[3] الأموال ، فإن قيل السورة مكية، والزكاة قد فرضت بالمدينة قلت: قال بعض[4] المحققين فرضت بالمدينة نصابها وقدرها، وأما أصلها[*] فقد كان واجبًا[5] بمكة ، أو المراد زكاة النفس وتطهيرها[6] من الرذائل ، والزكاة اسم مشترك بين المعني والعين فإن

---

(١) لشغل قلوبهم والأصح أنه من فرائض الصلاة ، وهو أول علم يرفع من الناس كذا نقل عبادة بن الصامت/١٢ وجيز .

(٢) هكذا فسره كثير من السلف/١٢ وجيز .

(٣) قيل: العين المخرج لا يسمى زكاة ، فالتعبير بالفعل عن إخراجه أولى منه بالأداء فلا يراد ما أورده من لا ذوق عنده من العربية أن مؤدون هو الفصاحة لا فاعلون ، وفي إشعار الفصحاء الفاعلون للزكاة ولا يبعد أن " فاعلون " مؤذن بأن هذا شغلهم ليسوا بتاركين كما قالوا في:" اعملوا آل داود شكرًا" (سبأ:١٣)/١٢ وجيز .

(٤) لعله أراد صاحب الوجيز / ١٢.

(*) في الأصل (صلها).

(٥) قال تعالى في سورة الأنعام وهي مكية " وآتوا حقه يوم حصاده " (الأنعام:١٤١)/١٢ منه.

(٦) نحو:" قد أفلح من زكاها " (الشمس:٩) ونحو:"ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة" (فصلت:٦،٧) على القولين في تفسيره/١٢ منه .

أريد الثاني فهو على حذف مضاف ، أي : لأداء الزكاة فاعلون ، **﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾** أي : حافظون لفروجهم من أن يقعن على أحد ، **﴿إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾** أو حافظون بمعنى لا يبذلون ، **﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾**: أجراهن مجرى غير[1] العقلاء ، **﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾** الضمير لمن دل عليه الاستثناء ، أي : غير الحافظين من أن يقعن على الأزواج والسراري ، **﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ[2] ذَلِكَ ﴾**: المستثنى، **﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ العَادُونَ﴾**: الكاملون في العدوان ، **﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾**، إذا اؤتمنوا لم يخونوا وإذا عاهدوا أوفوا ، **﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾**: يواظبون لا يتركوها بوجه وذكر المضارعة لما في الصلاة من التجدد الدائمى، **﴿أُوْلَئِكَ ﴾**: الجامعون لتلك الصفات ، **﴿هُمُ الوَارِثُونَ﴾**: هم أحقاء بأن يسموا ورَّاثًا دون غيرهم ، **﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ ﴾**: لَمَّا أهم من أعمالهم نالوا الفردوس كأهم ورثوها منها أو يرثون من الكفار منازلهم في الجنة ، وقد ورد "ما منكم[3] إلا وله مترلان مترل في الجنة ومترل في النار فإن مات ودخل النار

---

(١) ولم يقل من ملكت/ ١٢.

(٢) قال سليمان الجمل الاستمناء باليد حرام عند الجمهور، وكان أحمد بن حنبل يجيز ذلك لأنه فضلة في البدن يجوز إخراجها لحاجة كالفصد والحجامة، لكن بشروط ثلاثة: أن يخاف الزنا، ويفقد مهر حرة أو ثمن أمة كما ذكر في كتاب المنتهى، وأن يفعله بيده ومفهومه فيه تفصيل وهو أنه إن كان بيد زوجته أو أمته جاز وإن كان بيد أجنبية حرم إلا من الرازي انتهى.

وفي الفتح وللشوكاني فى ذلك رسالة سماها بلوغ المنى في حكم الاستمناء ، وذكر فيها أدلة المنع والجواز وترجيح الراجح منهما/١٢ .

(٣) رواه ابن أبي حاتم عن أبي هريرة– رضي الله عنه– عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [ظاهر هذا العزو يوهم أنه لم يخرجه أحد من أهل السنن، وهو خطأ فقد أخرجه ابن =

ورث أهل الجنة مترله فذلك قوله: "أولئك هم الوارثون"، أو مبالغة في استحقاقهم، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾: الفردوس[1] أعلى الجنة ، ولهذا أنث ضميره ، ﴿[2]وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ ﴾ أي : جنسه ، ﴿مِن سُلالَةٍ ﴾، سمى المني سلالة ، لأنه خلاصة سُلَّت من الظهر ، ﴿مِّن طِينٍ ﴾ أي : من آدم فمن في الموضعين ابتدائية ، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾: السلالة، وتذكير الضمير باعتبار الماء والإنسان ، ﴿نُطْفَةً﴾ بأن خلقنا منها أو معناه خلقنا آدم من خلاصة من طين ، ثم جعلنا نسله من نطفة فمن طين على هذا للبيان، أو صفة لسلالة أو متعلق بها ، لأنه بمعنى مسلولة ، وضمير جعلناه للإنسان بحذف مضاف ، ﴿فِي قَرَارٍ ﴾: مستقر ، ﴿مَّكِينٍ ﴾: حصين يعني الرحم، ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾: قطعة لحم ، ﴿فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً﴾ :بأن صلَّبناها ، ﴿فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾: مباينًا للخلق الأول مباينة بعيدة فإنه كان جمادًا فصار حيوانًا سميعًا بصيرًا وثم هنا ، وفي

- ماجه (٤٣٤١) بسند صحيح، انظر صحيح سنن ابن ماجه (٣٥٠٣)، والصحيحة (٢٢٧٩)]، وفي مسلم "يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى" وفي لفظ له "إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا فيقول هذا فكاكك من النار"/١٢ منه .[أخرجه مسلم في "التوبة"، (٦١٢/٥) ط الشعب]

(١) في الصحيحين "إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة ، وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن"/١٢ منه .[أخرجه البخاري في "التوحيد"، (٧٤٢٣)، وليس عند مسلم]

(٢) ولما ذكر أن المتصفين بتلك الأوصاف الحميدة هم وارثون للفردوس فتضمن ذلك المعاد الأخروي ذكر النشأة الأولى يستدل بها على صحة النشأة الأخرى فقال : "ولقد خلقنا" الآية/ ١٢ وجيز .

الأولين لكثرة تفاوت الخلقين ، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾: تعالى شأنه ، ﴿أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾: خلقًا وحذف المميز لدلالة الخالقين عليه ، والخالقين[1] هنا بمعنى المقدرين،﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ[2] لَمَيِّتُونَ﴾ : صائرون إلى الموت البتة ، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾: للجزاء ، ﴿تُبْعَثُونَ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾: سماوات سماها طرائق ، لأن كل شيء فوقه مثله فهو طريقة ، وقيل: لأنها طرق الملائكة، ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الخَلْقِ غَافِلِينَ﴾: بل نعلم جميع المخلوقات جلها ودقها فتدبر أمرها أو المراد من الخلق السماوات فإنه حفظها من الخلل والسقوط ، وقيل : المراد منه الإنسان ، أي ما غفلنا عنهم فإنا خلقنا السماوات لمنافعهم ، ﴿وَأَنزَلْنَا[3] مِنَ السَّمَاءِ﴾، من جانبه أو من نفسه ، ﴿مَاءً بِقَدَرٍ﴾: بمقدار معين أو بمقدار ما يكفيهم ، ﴿فَأَسْكَنَّاهُ﴾ أي : فجعلنا الماء ثابتًا، ﴿فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ أي : نحن قادرون على وجه من وجوه الذهاب[4] إما التصعيد أو التنشيف أو الإفساد أو غيرها ، ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ﴾، بالماء ، ﴿جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾ : في الجنات ، ﴿فَوَاكِهُ

---

(١) فإنه هو الخالق وحده كما في الحديث:" لا إله إلا هو لا خالق غيره" /١٢ منه .

(٢) نبه على عظيم قدرته بالاختراع ثم بالاعدام ثم بالإيجاد وقد بالغ في إثبات الموت أكثر من البعث مع أن الموت لا ينكره أحد؛ تنبيهًا على أن الموت هو الذي يليق بأن لا ينساه ولا يغفل عن ترقبه ، ويكون بين عينيه فلا يعمل عمل مخلد ولا يحسب أن ماله أخلده ، ومن كان كذلك تحقق عنده دار البقاء فلا حاجة إلى تأكيد في إثباته ، فلهذا قيل : العلم بالبعث من العقل عند من اعتقد أن الله لا يظلم مثقال ذرة لكن أكثر الخلق عاملون عمل الخالدين في الدنيا فالمناسب في إثبات الموت مزيد التأكيد/١٢ وجيز .

(٣) قال ابن عباس– رضى الله عنه– : إن الأمطار النافعة تنزل من بحر هو في السماء وقد مر في أصل التفسير/١٢ منه .

(٤) إشارة إلى نكتة تنكير ذهاب/١٢ منه .

﴿كَثِيرَةٌ﴾: تتفكهون بها ، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي: من زرع الجنات وثمارها تأكلون ، أو منها تحصلون معايشكم كما تقول : أنا آكل من حرفتي ، ﴿وَشَجَرَةً﴾، عطف على جنات ، ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء﴾، الطور : الجبل وهو مضاف إلى البقعة أو المركب اسم لجبل موسى ، والزيتون فيه أكثر وأحسن ، وقيل: أول ما نبت نبت فيه ، ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾، أي: متلبسًا به مستصحبًا له أو الباء للتعدية ، ومن قرأ تنبت من باب الإفعال فهو بمعنى نبت أو تقديره تنبت زيتونها متلبسًا بالدهن ، ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾، معطوف على الدهن ، والصبغ الإدام الذي يغمس فيه الخبز أي : تنبت بشيء جامع بين كونه دهنًا وكونه إدامًا، وعن بعض الدهن : الزيت والإدام نفس الزيتون ، ﴿وَإِنَّ[1] لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾: تعتبرون بها ، ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾: من الألبان أو من العلف فإن اللبن منه يحصل ، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾: من ظهورها وأصوافها ، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا﴾: على الأنعام فإن منها ما يحمل عليه ، ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾: في البر[2] والبحر .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا

(١) خص هذه الثلاثة لأنها أكرم الأشجار وأنفعها ولما دل بسبحانه على قدرته بما أحيي بالماء حياة قاصرة عن الروح أتبعه بما فيه حياة كاملة فقال : " وإن لكم في الأنعام" الآية/ ١٢ وجيز .

(٢) يقال : إن الجمل سفينة البر ، ولما عدد نعمه وقدرته يبين كفرانهم من قديم الزمان مع أن ذكر الفلك مناسب لمن صنعه أولاً فقال : " ولقد أرسلنا نوحاً " الآية/٢٣ وجيز .

بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾، لما عدد نعمه يبين كفرانهم من قديم الزمان، **﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾**: وحده، **﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾**، استئناف لتعليل الأمر بالتوحيد، **﴿أَفَلا تَتَّقُونَ﴾**: عن عبادة غيره، **﴿فَقَالَ الْمَلأُ﴾**: الأشراف، **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾**: لعوامهم، **﴿مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾**: إن يطلب الفضل عليكم فيكون متبوعًا لكم، **﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾**، إرسال رسول، **﴿لأَنزَلَ مَلائِكَةً﴾**: للرسالة، **﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾**: الذي يدعونا إليه أو ببعث البشر رسولاً، **﴿فِي[1] آبَائِنَا الأَوَّلِينَ إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾**: جنون، **﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ﴾**: اصبروا عليه وانتظروا، **﴿حَتَّى حِينٍ﴾**: لعله يفيق من جنونه أو

---

(١) قالوا هذا اعتمادًا على التقليد، واعتصامًا بحبله و لم يقنعوا بذلك حتى ضموا إليه الكذب البحت، والبهت الصراح فقالوا: "إن هو إلا رجل"/١٢ فتح.

يموت ، ﴿قَالَ﴾ نوح بعد اليأس من إيمانهم: ﴿رَبِّ انصُرْنِي﴾: عليهم ، ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾: بسبب تكذيبهم أو بدله ، ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: متلبسًا بحفظنا وكلاءتنا ، ﴿وَوَحْيِنَا﴾: بأن نعلمك كيف تصنع ، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾: بعذابهم أو بالركوب ، ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾: نبع الماء فيه ، والتنور تنور الخبز ، وقيل[1] كان تنور آدم ، وعن بعض[2] التنور أعلى موضع في الأرض ، وقيل هو مثل يضرب في شدة الأمر نحو حمي الوطيس[3] ، ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾: أدخل في الفلك ، ﴿مِن كُلٍّ﴾: من كل نوع ، ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: ذكرًا وأنثى واثنين تأكيد ، ومن قرأ بالإضافة فمعناه : احمل اثنين من كل زوجين أي : من كل صنف ذكر وصنف أنثى، ﴿وَأَهْلَكَ﴾: أهل بيتك ، أو من آمن معك عطف على زوجين ، أو اثنين ، ﴿إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾: بهلاكه يريد ابنه وزوجته ، ﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: بدعاء إنجائهم، ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾: لكثرة ظلمهم محكوم عليهم بالإغراق ، ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾: علوت واستقررت ، ﴿أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي﴾: منها أو فيها ، ﴿مُنزَلاً مُّبَارَكاً﴾: يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين ومن قرأ منزلاً بضم الميم وفتح الزاي(*) فالمعنى: إنزالاً أو موضع إنزال ،

---

(١) تقدمى السنة عن الحسن / ١٢ .

(٢) الزهري وعكرمة/ ١٢ .

(٣) وطيس تنوراً منى يقال حمي الوطيس عبارة ارسخت شدة حرب/ ١٢ صراح.[وهذه العبارة قالها النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين كما في صحيح مسلم (٤٠٣/٤) ط الشعب]

(*) (الزاى) ترجمتها حمى الوطيس، عبارة تستخدم عند شدة الحرب.

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ[١] إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: فيما فعل بنوح وقومه ، ﴿لَآيَاتٍ﴾: يستدل بها ، ﴿وَإِنْ﴾ أي : إنه، ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾: مختبرين قوم نوح البلاء ، أو عبادنا لننظر من يعتبر ، أو مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم ، وقد مر في سورة هود تمام القصة، ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا﴾: أحدثنا ، ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾، هم[٢] عاد وثمود ، ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾، هو هود[٣] أو صالح[٤] جعل القرنَ موضع الإرسال ليعلم أنه أوحي إليه وهو فيهم ، وما جاء إليهم من مكان آخر ، ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ، أن مفسرة لأن في أرسلنا معنى القول، ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾: عذابه .

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾

---

(١) قيل : أمره الله سبحانه بأن يقول هذا القول عند دخول السفينة ، وقيل : عند خروجه منها وأراد بالبركة النجاة من الغرق ، وكثرة النسل بعد الإنجاء ، والآية تعليم من الله لعبادة إذا ركبوا ثم نزلوا أن يقولوا هذا القول / قال الواحدى : قال المفسرون : إنه أمر أن يقول عند استوائه على الفلك : الحمد لله ، وعند نزوله منها رب أنزلني منزلاً مباركًا / ١٢ فتح .

(٢) يشعر بذلك قول الله: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ ، ومجئ قصة هود عليه السلام على إثر قصة نوح عليه السلام في سورة الأعراف وهود والشعراء/١٢ منه .

(٣) إن كان المراد من آخرين عاد / ١٢ .

(٤) إذا كان من آخرين ثمود / ١٢ .

أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ ۖ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿وقَالَ المَلأُ﴾: الأشراف، ﴿مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِـرَةِ﴾: المعاد الجسماني، ﴿وأَتْرَفْنَاهُمْ﴾(١) : أنعمناهم ، ﴿فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾: تشربونه أو منه ، ﴿وَلَئِنْ

---

(١) عطف على صلة الذين أو الواو للحال ، أي : وقد أترفناهم وعلى الوجهين مشعر بعلية التكذيب ، يعني : أحسنا إليهم فقابلوا نعمتنا بالتكذيب وينبغي أن يكون الأمر على خلاف ذلك / ١٢ .

﴿أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾: في ترك دينكم ، **﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾**: إذًا واقع في جزاء الشرط جواب لما قال الملأ من قومهم ، **﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا﴾**: بلا لحم وعصب ، **﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ[1] ﴾**: من الأجداث ثنى أنكم للتوكيد لما طال الفصل بينه وبين خبره بالظرف ، **﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾**: البعد البعد ، **﴿لِمَا تُوعَدُونَ ﴾**: نزل مترلة المصدر فهو مبتدأ وخبر أو بمعني بعد، وفاعله ضمير مصدر مخرجون أو ضمير البعد ، أي : بعد البعد ووقع ثم قيل: لماذا؟ فقيل: لما توعدون، **﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾** أي : لا حياة إلا هذه الحياة ووضع هي موضع الحياة لدلالة الخبر عليها حذرًا عن التكرير ، **﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾**: يموت بعض ويولد بعض ، **﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾**: بعد الموت ، **﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾**: فيما يعدنا من البعث ، **﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾**: بمصدقين ، **﴿قَالَ رَبِّ[2] انصُرْنِي﴾**: عليهم ، **﴿بِمَا كَذَّبُون ﴾**: بسبب تكذيبهم إياي ، **﴿قَالَ﴾** الله: **﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾**: عن زمان قليل ، وما صلة لتوكيد القلة ، **﴿لَّيُصْبِحُنَّ﴾**: ليصيرن ، **﴿نَادِمِينَ ﴾**: على التكذيب حين عاينوا العذاب ، **﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾**: صيحة العذاب ، أو صاح جبريل عليهم فدمرهم ، **﴿بِالْحَقِّ﴾**: بالعدل؛ لأنهم مستحقون ، **﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾** أي : كالغثاء وهو ما يحمله السيل من الأوراق والعيدان البالية المسودة ، **﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** من المصادر التي تجب حذف فعلها، أي : بعدوا وهلكوا ، واللام لبيان من دعي عليه كهيت لك ، **﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا**

---

(١) أعاد إنكم لما طال الكلام ، ومعنى الكلام : أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابًا وعظامًا أنكم مخرجون ، وكذلك هو في قراءة عبد الله نظيره في القرآن ، "ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدًا فيها" (التوبة:٦٣)/ ١٢ فتح .

(٢) قال ذلك لما يئس من إيمانهم ، وجرب منهم مدى الأيام الإصرار/١٢ وجيز .

آخَرِينَ ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ﴾ من للاستغراق ، ﴿أَجَلَهَا﴾: الوقت الذي حد لهلاكها ، ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾: ما يؤخرونه ، ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾: متواترين واحدًا بعد واحد ، والألف للتأنيث ، فإن الرسل جماعة ، والتاء بدل من الواو فإنها من الوتر كتيقور من الوقار ، ومن قرأ بالتنوين فمصدر وقع حالاً بمعنى المواترة ، ﴿كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ أي: جمهورهم وأكثرهم ، ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾: في الإهلاك ، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ[1]﴾، جمع أحدوثة التي هي مثل الأضحوكة والأعجوبة ، وهي ما يتحدث به تلهيًا وتعجبًا، ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ[2]﴾ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا[*]﴾: الدالة على صدقهما ، ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: حجة واضحة ملزمة للخصم، ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَاسْتَكْبَرُوا﴾: عن المتابعة ، ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾: متكبرين ، ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾، البشر يكون واحدًا أو جمعاً ، ومثل وغير يوصف بهما المفرد وغيره ، ﴿وَقَوْمُهُمَا﴾: بنو إسرائيل ، ﴿لَنَا عَابِدُونَ﴾: خادمون كالعبيد ، ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾: بالغرق، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة ، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: بني إسرائيل، ﴿يَهْتَدُونَ﴾ وإنزال التوراة بعد إهلاك القبط ، ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾: دالة

---

(١) قال الأخفش : لا يقال هذا إلا في الشر جمع حديث يعني لم يبق منهم عين ولا أثر الحديث عنهم ، قال صاحب البحر الصحيح : إنه جمع تكسير كعباديد وأقاطع لا اسم جمع كما قال الزمخشري؛ لأن أفاعيل ليس من أبنيته اسم الجمع/ ١٢ وجيز .

(٢) إعرابه ما مر غير بعيد فلذا ما أعاده / ١٢ منه .

(*) أخرج مسلم في "الصلاة"، (٩٨/٢) من حديث عبد الله بن السائب أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح بمكة فاستفتح سورة المؤمنون، حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون -أو ذكر عيسى- أخذته سعلة فركع.

على كمال قدرتنا[1] ، ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾: مكان مرتفع من الأرض ، ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾: مستقر من الأرض منبسطة ، ﴿ومَعِينٍ ﴾: الماء الجاري هي بيت المقدس وهي أقرب[2] أرض من السماء أو دمشق أو الرملة أو فلسطين أو مصر .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَـٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَـٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَـٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَـٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ

(١) فإنه خلقه من أنثى بلا ذكر كحواء من ذكر بلا أنثى/ ١٢ وجيز .

(٢) بثمانية عشر ميلاً نقله الزمخشري عن كعب وكذا البغوي ، وفي الفتح فيزيد على غيره في الارتفاع ثمانية عشر ميلاً فهو أقرب بقاع الأرض إلى السماء / ١٢ منه .

جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ[1]﴾: الحلالات، ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾ الصلاح : الاستقامة على ما يوجبه الشرع ، والمقصود من الخطاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وإعلامه بأن كل رسول في زمانه وصى به ونودي لذلك فهو أمر من لدنه قديم لا يجوز التجاوز عنه بوجه ، ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فأجازيكم به ، ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾: ملتكم ، ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: ملة واحدة هي الدعوة إلى عبادة الله وحده ، نصب على الحال ، ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾، أي : خافوني ، لأن ملتكم واحدة ، وأنا ربكم فقوله : " وإن هذه أمتكم" علة لقوله : " فاتقون " ، أو تقديره :

---

(١) فيه إيذان بأن ترتيب مبادئ التنعيم لم يكن من خصائصه عليه السلام بل إباحة الطعام شرع قديم جرى عليه جميع الرسل ووصوابه/ ١٢ فتح .[وأخرج مسلم في "الزكاة"، (٣/٥١) ط الشعب من حديث أبي هريرة: "يأيها الناس إن الله طيب ولا يقبل إلا طيبا، وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يأيها الرسل كلوا من الطيبات...﴾ الآية]

واعلموا أن هذه أمتكم إلخ .. ، ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم﴾: أمر دينهم وتقطع بمعنى قطع ، أو نصب أمرهم بنزع الخافض[1] بالتمييز[2] لأنه معرفة ، ﴿بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾: قطعاً حال قيل : ثاني مفعولي تقطع فإنه متضمن معنى جعل أي : جعلوا أمر دينهم قطعًا أديانًا مختلفة ، ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾: من المتحزبين ، ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾: من أمر دينهم ، ﴿فَرِحُونَ﴾: يحسبون أنهم على شيء ، ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾: جهالتهم التي غمروا فيها ، الغمرة الماء الذي يغمر القامة ، شبه جهالتهم لأنهم مغمورون فيها ، ﴿حَتَّى حِينٍ﴾: حين الهلاك ، ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ﴾: نعطيهم ، ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾، بيان لما ، ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أي : نسارع به لهم فيما فيه خيرهم فضمير اسم مقدر ، ﴿بَل لاَّ يَشْعُرُونَ﴾: كالبهائم لا شعور ولا فطنة فإنه لو كان لهم فطنة لتأملوا فيعلموا أن المال والبنين استدراج لا معالجة خير ومسارعة لطف، ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ[3] رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ أي : حذرون عن معاصيه من أجل خشية ربهم يعني : خشيتهم علة لاجتناب المعصية ، أو معناه حذرون من خوف عذابه، ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: الكونية والشرعية ، ﴿يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾: يعطون ، ﴿مَا آتَوْا[4]﴾: ما أعطوه من

(١) أي : في أمرهم / ١٢ وجيز .

(٢) تعريض على القاضي / ١٢ .

(٣) لما فرغ من ذكر الكفرة وتوعدهم شرع في ذكر المؤمنين ، ووعدهم فذكرهم بأبلغ صفاتهم ، وهو أنهم حذرون من معاصيه من أجل خشية ربهم ، وهذا هو تمكن الإيمان في القلب أو حذرون من خوف عذابه / ١٢ وجيز .

(٤) والمراد مما آتوا النوع ، أي : نوع مما آتوه فإنه لا يمكن أن يعطى أحد ما أعطاه ففيه إشارة إلى دوام خوفهم ، ويمكن أن يقال المقصود والذين أعطوا ما أعطوه لكن ذكر بصيغة المضارع استحضاراً لتلك الصفة الحميدة والفعلة الجميلة / ١٢ وجيز .

الصدقات ، ﴿وَقُلُوبُهُمْ[1] وَجِلَةٌ﴾: خائفة من عدم القبول ، ﴿أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾: مرجعهم إلى الله أو قلوبهم وجلة من أن مرجعهم إليه ، وهو يعلم ما لا يعلمون ، ﴿أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أي : أولئك يسارعون في نيل خيرات الدارين بمزاولة الأعمال الصالحة فيعطيهم خير الدنيا والآخرة ، قيل: معناه أولئك يبادرون الطاعات ، ويرغبون فيها أشد رغبة ، ﴿وَهُمْ لَهَا﴾، أي : إلى الخيرات ﴿سَابِقُونَ﴾، أو لأجلها فعلون السبق ، ﴿وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ[2] وُسْعَهَا﴾: قدر طاقتها لا يريد الله بكم العسر ، ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾: اللوح المحفوظ أو صحيفة الأعمال ، ﴿يَنطِقُ بِالْحَقِّ﴾: بالصدق وليس فيه إلا ما فعلوا ، ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾: بنقص ثواب وعقاب على ما لم يفعلوا ، ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾: قلوب الكفرة، ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾: غفلة ، ﴿مِّنْ هَذَا﴾: الكتاب الذي هو عندنا ، أو من هذا الذي عليه المؤمنون ، أو من القرآن ، ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ﴾: خبيثة ، ﴿مِّن دُونِ ذَلِكَ﴾: الذي وصفنا في شأنهم ، أو متجاوز لما وصف به المؤمنون ، ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾: متنعميهم ، ﴿بِالْعَذَابِ﴾: القحط الحادث فيهم حتى أكلوا الجياف ، والقتل يوم بدر ، ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾: فاجئوا الصراخ بالتضرع هو جواب الشرط ، ﴿لاَ تَجْأَرُوا الْيَوْمَ﴾ أي : يقال لهم ذلك ، ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لاَ تُنصَرُونَ﴾: لأنكم لا تمنعون منا فلا ينفعكم الجؤار ، ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي﴾: القرآن،

---

(١) أخرج الترمذى والحاكم وصححه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله قول الله: " والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة " أهو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر ، وهو مع ذلك يخاف الله؟ قال : لا ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي وهو مع ذلك يخاف الله أن لا يتقبل منه"/ ١٢ فتح .[صحيح، وانظر سنن الترمذي (٢٥٣٧)].

(٢) إشارة إلى أن حصول المسابقة ليس بأمر شاق / ١٢ وجيز .

﴿تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴾: تعرضون عنها ، والنكوص الرجوع قهقرى ، ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾: بالبيت[1] والحرم تفتخرون بأنكم ولاته ، والقائمون به وشهرتهم بأن تعظمهم بهذا البيت أغنت عن سبق ذكره ، أو معناه مكذبين بالآيات استكبارًا ففيه تضمين معنى التكذيب، وتذكير الضمير باعتبار أنها قرآن ، ﴿سَامِرًا﴾ السامر الجماعة الذين يتحدثون ليلاً، نصب على الحال قيل : به متعلق به ، أي : تستمرون القرآن فإنهم يجتمعون الليالي حول البيت يطعنون في القرآن، ﴿تَهْجُرُونَ ﴾ من الهجر بمعنى: الهذيان[2] أي: تهذون ، أو من الهجرة أي : تعرضون عنه ، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا[3] الْقَوْلَ ﴾، أي : القرآن، ليعلموا حقيته، ﴿أَمْ

---

(١) هذا المعنى منقول عن ابن عباس رضي الله عنه نقله النسائى وهذه عبارته إنما كره السمر حين نزلت "مستكبرين به (*)سامرًا تهجرون" فقال: مستكبرين بالبيت يقولون نحن أهله سامرًا/ ١٢منه.

(*) سقطت من الأصل.

(٢) وبخهم على إعراضهم وهذيانهم بوجوه، الأول: إنهم لم يدبروا القرآن والعاقل يدبر شيئًا فإن لم يجده حقيقًا بالتوجه إليه يعرض عنه، والالتفات إلى الغيبة لعدم الالتفات إليهم، والثاني : إن سبب إعراضهم أنه ما جاء إلى آبائهم الأقدمين مثل ما جاء إليهم ، والمقصود أنه قد جاء الكتب والرسل إلى الأقدمين من آبائهم.

الثالث : إن سبب إعراضهم عدم عرفان رسولهم والحال أنهم معترفون بحسبه ونسبه وصدقه وأمانته.

والرابع : إن سبب إعراضهم اعتقاد جنونه ، والحال أنهم يقولون بلسانهم ما ليس في قلوبهم، بل ليس لإعراضهم سبب إلا أنه جاء بالحق ، والحق لا يوافق مشتهاهم / ١٢ وجيز .

(٣) هو قول ابن عباس رضي الله عنه وكثير من السلف / ١٢ منه .

﴿جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ﴾: من الرسول والكتاب، يعني إرسال هـذا الرسول إليهم ليس ببدع ، فإنه مثل ما أرسلنا إلى آبائهم الأقدمين ، وأم منقطعة ، أي: بل جاءهم ما لم يأت آباءهم فلذلك أنكروا ، **﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾**: بالحسب والنسب والصدق والأمانة ، **﴿فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾**: والمجنون لا يصلح للنبوة ، **﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾**: من عند الله لا بالمهمل من الجنون ، **﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾**، فعدم الاتباع لأنه لا يوافق مشتهاهم ، قيد الحكم بالأكثر لأن فيهم من لم يؤمن لتوبيخ قومه أو لقلة فطنته وعدم تدبره ، **﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ﴾** أي : الله أو القرآن ، **﴿أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾**: فإن أهواءهم أن تكون له شريك وولد، منهم من يريد عظمة نفسه وحقارة غيره ، ومنهم من يريد عكسه فيفضي إلى نساء العالم، فإنه يلزم النقيضين وهو محال ، **﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ﴾**: بكتاب هو وعظهم ، أو هو صيتهم وشرفهم ، **﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾**: على التبليغ، **﴿خَرْجاً﴾**: أجرًا أو جعلاً ، **﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾**: عطاؤه وأجره ، **﴿خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾** أم[1] هذه قسيم أم يقولون به جنة فهذا إلزام لهم به للسبب ، والتقسيم في أنه كإبراهيم وغيره رسول معروف الحال عندكم تام العقل ليس له طمع في خسائس أموالكم ، فما هو إلا أنه يريد هدايتكم ، **﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾** أي : الإسلام ، **﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ﴾**: الذي تدعوهم إليه ، **﴿لَنَاكِبُونَ﴾**: عادلون ، **﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾**: من القحط والشدائد ، **﴿لَّلَجُّوا﴾**: أثبتوا ، **﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾**: إفراطهم في المعاصي ، **﴿يَعْمَهُونَ﴾**: متحيرين، **﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾**: بالمصائب والشدائد من الموت ونقص الثمار

---

(١) يعني في قوله : "أم تسألهم" / ١٢ منه .

والأموال ، ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾: ما انتقلوا من كون إلى كون[١] واستمروا على ما هم عليه ، ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ أي : وليس من عادتهم[٢] أن يتضرعوا وهم كذلك ، ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ[٣] شَدِيدٍ﴾: هو عذب الآخرة ، ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾، آيسون من كل خير واعلم أن كثيرًا من المفسرين فسروا العذاب بيوم بدر ، والعذاب الشديد بالجزع ، ونقلوا[٤] أن أبا سفيان قال: قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، وأنت تزعم أنك رحمة للعالمين ، فادع الله أن يكشف عنا القحط فدعا ، وكشف فنزلت الآية ، وليت شعري كيف يصح هذا واتفقوا على أن السورة كلها مكية من غير استثناء فأين[٥] القتال حينئذ وقضية البدر والله أعلم.

---

(١) كاستحال إذا انتقل من حال إلى حال / ١٢ منه .

(٢) فيه إشارة إلى سبب العدول من الظاهر في الإتيان بلفظ المضارع ، فإن المناسب وما تضرعوا بحسب الظاهر / ١٢ منه .

(٣) نقل محيى السنة عن ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد ، أنهما فسرا العذاب الشديد بالقتل يوم بدر / ١٢ منه .

(٤) وفي الوجيز : وأما أن سبب نزوله أن أبا سفيان الخ فمحل بحث بل لا يصح للاتفاق على أن السورة مكية انتهى.
والقصة أخرجها البيهقي وغيره عن ابن عباس على ما نقله صاحب الفتح/ ١٢ .

(٥) والشيخ ابن كثير ما تعرض لسبب النزول، وليس في تفسيره شيء مما نقل ، هذا ما في المنهية ، وفي الفتح : أخرج النسائي والطبراني والحاكم وصححه وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنه قال : جاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أنشدك الله الرحم فقد أكلنا العلهز يعني : الوبر بالدم فأنزل الله : " ولقد أخذناهم بالعذاب " إلى آخر الآية .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾: لتحسوا آياته وتدبروا فيها ، **﴿قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾**، ما مزيدة للتأكيد ، أي : تشكرون شكرًا قليلاً كأنه قال : قليلاً ما تستعملون السمع والبصر والفؤاد فيما خلقناها له ، **﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾**: بثكم بالتناسل ، **﴿فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾**: تجمعون بعد التفرق في القيامة ، **﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾**: هو متولي الاختلاف لا يقدر على تعاقبهما غيره ، أو لأمره الاختلاف ، وانتقاص أحدهما وازدياد الآخر ، **﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾**: أليس لكم عقول تدلكم على شمول قدرتنا الممكنات التي منها

البعث ، ﴿بَلْ قَالُوا﴾: أهل مكة ، ﴿مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ استفهام الثاني تأكيد للأول واستبعاد بعد استبعاد ، ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا﴾ أي : البعث ، ﴿مِن قَبْلُ﴾: بلسان من يدعي أنه رسولهم ، ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾: أكاذيبهم التي كتبوها ، ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: من أهل العلم ، ﴿سَيَقُولُونَ[1] لِلَّهِ﴾ فإنهم معترفون بأنه خالق الكل ، ﴿قُلْ﴾: بعد ما قالوه ، ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾: فتعلموا أن فاطر الأرض ومن فيها قادر على الإعادة حقيق[2] على أن لا يشرك به شيء ، ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾:

---

(١) اعلم أن الله لم يبعث رسله و لم يترل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم والرازق لهم ونحو ذلك ، فإن هذا يقره كل مشرك قبل بعثة الرسل كما أخبر الله تعالى عنهم في هذه الآية وغيرها ، ولهذا تجد كل ما ورد في الكتاب العزيز في شأن خالق الخلق ونحوه في مخاطبة الكفار مصحوبة باستفهام لتقرير هل من خالق غير الله " أفي الله شك فاطر السماوات والأرض " (إبراهيم:١٠) بل بعث الله رسله وأنزل كتبه لإخلاص توحيده وإفراده بالعبادة " يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره " (الأعراف:٥٩) أن لا تعبدوا إلا الله" (هود:٢)، "أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون" (النحل:٣٦)، "قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا" (الأعراف:٧٠)، "أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره" (المؤمنون:٣٢)، "وإياي فاعبدون" (العنكبوت:٥٦) وإخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله والاستغاثة والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر له ومنه لا لغيره ، ولا من غيره " فلا تدعو مع الله أحدًا " (الجن:١٨) "له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء وعلى الله فليتوكل المؤمنون" (المائدة:١١)، "وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين" (المائدة:٢٣) قاله الشوكاني/١٢ .

(٢) فإن بدء الخلق ليس أهون من إعادته / ١٢ منه .

عقابه فتنتهوا عن نسبة العجز إليه وتسويته بجماد ، ﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾: ملك وخزائن ، ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ﴾: يغيث من يشاء ويحفظ، ﴿وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ﴾: لا يغيث أحد منه أحدًا ، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: ذلك ﴿سَيَقُولُونَ[1] لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾: تخدعون فتصرفون عن الرشد مع تظاهر الأدلة ، ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾، من بيان التوحيد والنبعث ، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: حيث أنكروا ذلك ، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ[2] إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي : لو كان معه آلهة لتفرد كل إله بمخلوقاته متميزًا ملكه عن ملك الباقين[3] ولغلب بعضهم بعضًا كالعادة بين الملوك فلم يكن بيده ملكوت كل شيء واللازم باطل ، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: من الولد والشريك ، ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾، بالرفع خبر محذوف وبالجر صفة ، ﴿وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من له علم كل شيء لا يحتاج إلى شريك مع أنهم معترفون بأنه المتفرد بإحاطة العلم .

﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ

---

(١) قرأ من القراء السبعة أبو عمرو في الثاني والثالث سيقولون الله مرفوعًا كذا في مصاحف أهل الحرمين والكوفة ، وهذا هو المطابق لفظًا ومعنى، أما قراءة لله لباقي السبعة جاءت على المعنى، لأن قولك من ربك ولمن أنت في معنى واحد و لم يختلف في الأولى أنه باللام جواب مطابق لقوله "لمن الأرض" / ١٢ وجيز .

(٢) يعني أن "إذا" جواب لمحاجتهم وجزاء شرط محذوف / ١٢ منه .

(٣) ومحسوس أن العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض في غاية الكمال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت / ١٢ منه .

ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ
ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ
ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا
كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي
ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتۡ
مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا
كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾
قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا
مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾
إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ
خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم
مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ
﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ
يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ
﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى
ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ
إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ
ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

﴿قُل[1] رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ رَبِّ فَلاَ تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي : إن كان لابد من أن تريني ما تعدهم من العذاب فلا تجعلني معهم ولا فيهم ومن دعائه عليه السلام[2] " وإذا أردت بقوم فتنه فتوفني إليك غير مفتون " وما والنون للتأكيد ، وتكرار رب حث على فضل تضرع وتواضع وإظهار عبودية وافتقار وعجز ، ﴿وَإِنَّا عَلَى أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ﴾: من العذاب ، ﴿لَقَادِرُونَ﴾: لَكِنَّا لحلمنا وحكمتنا لا نستعجل في عذابهم ، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ أي : ادفع من أذاك وطعنهم في الله بالشرك بالخصلة التي هي أحسن الخصال الحلم والصفح والإلزام بطريق بيان الدليل نحو : "وجادلهم بالتي هي أحسن " (النحل:١٢٥) قيل : هي منسوخة بآية السيف ، ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾: فَكِلْ إلينا أمرهم ، ﴿وَقُل[3] رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ

---

(١) ولما أعلم الله نبيه أنه ينتقم ممن ادعى الولد والشريك له و لم يبين أن ذلك متى يكون قريبًا أو بعيداً في حياة نبيه أو بعده ، أمره أن يدعوا بهذا الدعاء "قل رب" الآية/١٢منه .

(٢) كما ذكره الإمام أحمد وصححه الترمذى .

(٣) أخرج أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائى والبيهقي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال :"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع: بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون" قال فكان ابن عمرو يعلمها من بلغ من أولاده أن يقولها عند نومه، ومن كان منهم صغيرًا لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه وفي إسناده محمد بن إسحاق وفيه مقال معروف.

وأخرج أحمد عن الوليد بن الوليد أنه قال : يا رسول الله إنى أجد وحشة قال : " إذا أخذت مضجعك فقل : أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فإنه لا يحضرك وبالحرى لا يضرك " / ١٢ فتح .

﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾: وساوسهم ونزغاتهم[1] ، **﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾**: فيحوموا حولي، **﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾** متعلق بـ " يصفون " وما بينهما اعتراض لا يزالون على سوء[2] الذكر حتى الآية ، **﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾**، خاطب الله بلفظ الجمع أو الملائكة ، وقيل : لتكرير الفعل أي : ارجعني ارجعني ، **﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾** أي : ردوني إلى الدنيا لعلي أعمل صالحًا في الإيمان الذي تركته ، أو في المال أو في الدنيا ، **﴿كَلاَّ﴾**، ردع عن طلب الرجعة واستبعاد ، **﴿إِنَّهَا﴾** أي : رب ارجعون الخ، **﴿كَلِمَةٌ﴾**: طائفة من الكلام المنتظم بعضها ببعض، **﴿هُوَ قَائِلُهَا﴾** لا محالة عند استيلاء الحسرة والاضطرار ، وعن بعض المفسرين أنها كلمة إلخ علة لردعهم ، أي : سؤاله الرجوع للعمل الصالح مجرد عدة وقول لا وفاء ولا حقيقة تحتها نحو "ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون" (الأنعام:٢٨)، **﴿وَمِن وَرَائِهِم﴾**: أمامهم ، **﴿بَرْزَخٌ﴾** حاجز بينهم وبين الدنيا ، **﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾** هو إقناط كلي للعلم بأن لا رجعة إلى الدنيا يوم البعث فلا رجعة أصلاً ، **﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾**: النفخة الأخيرة ، **﴿فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾**: لا تنفع الأنساب، **﴿يَوْمَئِذٍ﴾** ويفرح[3] المؤمن أن قد وجب له حق على والده وولده فيأخذ منهما ، **﴿وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ﴾** لا يسأل حميم ولا قريب حميمه وقريبه وهذا في أول

---

(١) ومن دعاء بعض السلف : أعوذ بك من النزغ عند النزع / ١٢ منه .

(٢) وقيل قبلها جملة محذوفة وهذا غاية لها تدل عليها ما قبلها ، أي : فلا أكون لمن يهمزهم الشياطين ، يعني مدة عمرهم ، حتى إذا جاء وشبه ذلك بقول الشاعر :

فيا عجبًا حتى كليب يسبني

فدل ما بعد " حتى " في هذا على المحذوف ، أي: يسبني الناس حتى كليب / ١٢ وجيز .

(٣) قاله ابن مسعود ورواه ابن أبي حاتم / ١٢ منه .

يوم(*) القيامة ولما(١) تزوج عمر ابنة على من فاطمة قال: أما والله ما بي إلا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سبي ونسبي " فأصدقها أربعين ألفًا إعظامًا لها، وروى الحافظ ابن عساكر عن عبد الله ابن عمرو مرفوعاً :"سألت(**) ربي أن لا أتزوج إلى أحد من أمتي ولا يتزوج إلى أحد منهم إلا كان معي في الجنة فأعطاني(٢) ذلك"، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾: بأن يكون له عقائد وأعمال صالحة تثقل ميزانه ، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾: بأن ليس له عقائد وأعمال صالحة تثقل ميزانه ، ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾: حيث بطلوا(•) استعدادها ، ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾، خبر ثان وبدل من الصلة ، ﴿تَلْفَحُ﴾: تحرق ، ﴿وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾: عابسون هو تقلص الشفتين عن الأسنان، وفي الترمذي قال عليه السلام: "تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، ولتسترخي شفته السفلي حتى تضرب سرته"(***)، ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي(٣) تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ أي : يقال لهم ذلك ، ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ الشقاوة: سوء العاقبة، ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾: عن الهدى،

(*) في نسخة (ن): هول.

(١) رواهما الطبراني والبيهقى وغيرهما / ١٢ وجيز .

(**) أخرجه الحاكم (١٣٧/٣) وصححه وأقره الذهبي، من حديث ابن أبي أوفى مرفوعًا.

(٢) ونقل الإمام أحمد : "إن فاطمة بضعة مني يبغضني ما يبغضها وينشطني ما ينشطها وإن الأنساب يقطع إلا نسبي وصهري" قال الشيخ ابن كثير: هذا حديث له أصل في الصحيحين.

(•) في النسخة (ن): أبطلوا.

(***) أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما بسند ضعيف.

(٣) أي : يقال لهم ذلك تقريعًا؛ لأن يجتمع لهم العذاب الجسماني والروحاني / ١٢ .

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا﴾: لما تكره ، ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾: لأنفسنا ، ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا﴾ أي: ذلوا وانزجروا كما تنزجر الكلاب ، ﴿وَلاَ تُكَلِّمُونِ ﴾: في رفع العذاب أو مطلقًا، وعن بعض السلف: إنه لم يكن لهم بعد ذلك إلا شهيق وزفير وعواء كالكلب، ﴿إِنَّهُ﴾: إن الشأن ، ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ[1] سِخْرِياً ﴾، بكسر السين وضمها لغتان بمعني الهزء زيدت ياء النسبة للمبالغة ، وعند الكوفيين المضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية ، ﴿حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي ﴾: لتشاغلكم باستهزائهم، ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ : بما صبروا(*): بصبرهم على أذاكم ، ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ استئناف ، ومن قرأ بفتح إن فثاني مفعولي جزيت أي : جزيتهم الفوز مخصوصين به ، ﴿قَالَ﴾: الله، ومن قرأ "قل" فهو خطاب لأهل النار في أن مجموعهم في حكم شخص أو الخطاب مع كل واحد أو ومع بعض رؤسائهم أو مع الملك الموكل بهم ، أي: قل لهم، ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾: أحياء ، ﴿عَدَدَ سِنِينَ ﴾، تمييز لكم ، ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقصروا مدة لبثهم في الدنيا ونسوا لعظم ما هم[2] فيه ، ﴿فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴾: القادرين على العد فنحن في شيء لا نقدر معه إعمال الفكر ، أو العادين الملائكة الحفظة ، ﴿قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: ما مكثتم فيها إلا زمانًا قليلاً على

---

(١) بضم السين وكسرها القراءتان بمعنى : الهزء وزيدت ياء النسبة للمبالغة ، قال يونس: إذا أريد التخديم فالضم لا غير ، وإذا أريد الهزء فالضم والكسر ، والآية بمعنى الهزء ، ألا ترى إلى قوله: "وكنتم منهم تضحكون" / ١٢ وجيز .

(*) في الأصل "صبر".

(٢) من الهول / ١٢ .

فرض أنكم تعلمون مدة لبثها وقد[1] ورد "أن الله إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال : يا أهل الجنة كم لبثتم في الأرض، قالوا: يومًا أو بعض يوم قال لنعم ما أتجرتم في يوم أو بعض يوم رحمتي ورضواني وجنتي امكثوا فيها خالدين مخلدين ، ثم يسأل أهل النار فيجيبون مثلهم فيقول : بئس ما أتجرتم في يوم أو بعض يوم ناري وسخطي امكثوا خالدين مخلدين"، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ أي: عابثين بلا فائدة حال أو مفعول له، أي : تلهيًا بكم وما زيدت للتأكيد ، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ ﴾، عطف على إنما ، ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ عن أن يخلق عبثًا، ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ الذي يحق له الملك أو الثابت الذي لا يزال ملكه ، ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ[2] رَبُّ الْعَرْشِ[3] الْكَرِيمِ[4] ﴾، لأن الرحمة تنزل منه أو لأنه منسوب إلى أكرم الأكرمين ، ﴿وَمَن يَدْعُ﴾: يعبد ، ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ ، لا برهان صفة أخرى لإلهاً لازمة له جيء بها للتأكيد ، أو جملة[5] معترضة بين الشرط والجزاء ،

---

(١) نقله ابن أبي حاتم وغيره / ١٢ وجيز .

(٢) أخرج الحكيم الترمذي وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن السني في عمل اليوم والليلة وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود أنه قرء في أذن مصاب "أفحسبتم" حتى ختم السورة فبرأ فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: بماذا قرأت في أذنه؟ فأخبره فقال رسول الله- صلي الله عليه وسلم-:"والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقنًا قرأ بها على جبل لزال" / ١٢ فتح .

(٣) فإن الرحمة منه ينزل على الأرض وهو الله سبحانه مستو عليه / ١٢ وجيز .

(٤) السرير الحسن وقيل المرتفع / ١٢ معالم .

(٥) لتنبيهه على أن قبول ما لا دليل عليه في العقائد ممنوع فضلاً عما دل على نقيضه الدليل/١٢ .

﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ فيجازيه بما يستحقه، ﴿إِنَّهُ﴾: إن الشأن ، ﴿لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ وَقُل﴾: يا محمد ، ﴿رَّبِّ[1] اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ .

*** والحمد لله حق حمده ***

(١) أمر نبيه أن يقول مثل قول فريق من عباده الذين يقولون " ربنا آمنا " الآية ، افتتح السورة بقوله : " قد أفلح المؤمنون " واختتمها بقوله : " لا يفلح الكافرون " اللهم اجعلنا من الأولين لا من الآخرين في الأولى والآخرة/١٢ وجيز .

سورة النور مدنية

وهي اثنتان وأربع وستون آية، وتسع ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝٤ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝٦ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٧ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٨ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝٩ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾

﴿سُورَةٌ﴾، أي: هذه السورة، **﴿أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾**، أي: فرضنا أحكامها، ومن قرأ بالتشديد فمعناه فصلناها، أو التشديد للمبالغة، **﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ**

بَيِّنَاتٍ[1] لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون ، ﴿الزَّانِيَةُ[2] وَالزَّانِي﴾، رفعهما على الابتداء، والخبر محذوف ، أي : جلدهما فيما فرض عليكم أو خبره قوله : ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ

---

(١) ظاهرات المعاني /١٢ وجيز .

(٢) قدمت الزانية لقلة عقلها التي هي الموجبة للفاحشة ، وزناها أفحش لوجوه /١٢ وجيز قال الشيخ ابن القيم في " الهدي " ، "فصل" وأما نكاح الزانية فقد صرح سبحانه وتعالي بتحريمه في سورة النور وأخبر أن من نكحها فهو إما زان أو مشرك فإنه إما يلتزم حكمه سبحانه ويعتقد وجوبه عليه أولا فإن لم يلتزمه و لم يعتقده فهو مشرك ، وإن التزمه واعتقد وجوبه وخالفه فهو زان ، ثم صرح بتحريمه فقال : "وحرم ذلك على المؤمنين" ولا يخفي أن دعوى النسخ للآية بقوله تعالى : " وأنكحوا الأيامي منكم " من أضعف ما يقال ، وأضعف منه حمل النكاح على الزنا إذ يصير [كذا في زاد المعاد (١١٤/٥)، وفي المطبوع (تصير) والصحيح المثبت] معنى الآية: الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة والزانية لا يزني بها إلا زان أو مشرك وكلام الله ينبغي أن يصان عن مثل هذا، وكذلك حمل الآية على امرأة بغي مشركة في غاية البعد عن لفظها وسياقها ، كيف وهو سبحانه إنما أباح نكاح الحرائر والإماء بشرط الإحصان وهو العفة فقال : " أنكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان "، فإنما أباح نكاحها في هذا الحال دون غيرها ، وليس هذا من باب دلالة المفهوم ، فإن الإبضاع في الأصل على التحريم فيقصر فى إباحتها على ما ورد به الشرع وما عداه فعلى أصل التحريم ، وأيضاً فإنه سبحانه قال : " الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات " والخبيثات : الزواني ، وهذا يقتضى أن من تزوج هن فهو خبيث مثلهن ، وأيضاً فمن أقبح القبائح أن يكون الرجل زوج بغي، وقبح هذا مستقر في فطر الخلق وهو عندهم غاية المسبة ، وأيضاً فإن البغي لا يؤمن [كذا في زد المعاد (١١٥/٥) وفي المطبوع (تؤمن) والصحيح المثبت] أن تفسد على الزوج فراشه وتعلق عليه أولاداً من غيره ، والتحريم يثبت بدون هذا ، وأيضاً فإن النبي صلي الله عليه وسلم فرق بين =

وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾، والفاء لتضمنها معني الشرط إذ اللام فيها بمعني الذى ، والجلد ضرب الجلد ، وهذا مطلق محمول على بعض هو حر بالغ عاقل ما جامع في نكاح شرعي ، فإن حكم من جامع فيه الرجم للأحاديث الصحاح ، والآية الرجم المنسوخ لفظها دون معناها ، وعند بعض[1] الإسلام شرط آخر ، ﴿وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾: رحمة ، ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾، فتعطلوا أحكامه ، أو تسامحوا فيها ، ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾، فإن الإيمان يقتضي الصلابة في دينه ، والاجتهاد في إقامة أحكامه ، ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي : يجلد بحضرة

= المرأة التى وجدها حبلي من الزنا وبين زوجها ، وأيضاً فإن مرثد بن أبي مرثد الغنوى استأذن النبي صلي الله عليه وسلم أن يتزوج عناق وكانت بغياً فقرأ عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم آية النور وقال لا تنكحها انتهى بلفظه [زاد المعاد (١١٥/٥)].

وقال رحمه الله في "الهدي" في حكم عدم جواز وطء الحامل قبل وضع الحمل ، والذي يقتضي منه العجب ، تجويز من جوز من الفقهاء الأربعة العقد على الزانية قبل استبرائها ووطئها عقيب العقد فتكون الليلة عند الزاني وقد علقت منه ، والليلة التى تليها فراشاً للزوج، ومن تأمل كمال هذه الشريعة علم أنها تأبى ذلك كله كل الإباء وتمنع منه كل المنع ، ومن محاسن مذهب الإمام أحمد قدس الله روحه أن حرم نكاحها بالكلية حتي تتوب ويرتفع عنها اسم الزانية والبغي والفاجرة ، فهو -رحمه الله- لا يجوز أن يكون الرجل زوج بغي ومنازعوه يجوزون ذلك ، وهو أسعد منهم في هذه المسألة بالأدلة نصًا كلها من النصوص والآثار والمعاني والقياس والمصلحة والحكمة وتحريم ما رآه المسلمون قبيحاً ، والناس إذا بالغوا في سب الرجل صرحوا له بالزاني والقاذف فكيف تجوز الشريعة مثل هذا . انتهي بلفظه .

(١) هو أبو حنيفة رضي الله عنه/١٢ .

طائفة من المؤمنين أقلها أربعة أو ثلاثة أو اثنان أو واحد[1] للشهرة ، والتخجيل ، فإن الفاسق بين المؤمنين الصالحين أخجل ، وعن بعض إنما ذلك لأن يدعوا الله له بالتوبة.

﴿الزَّانِي لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾، هوخبر ، أي : الغالب أنه لا يرغّب الجنس إلا إلى مثله ، **﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾**، لما فيه من التشبه بالفساق ، والتسبب لسوء المقالة فيه ، والغيبة ، والشبهة في الولد ، وغير ذلك من المفاسد ، فللمبالغة عبر عن التتريه بالتحريم ، وقد نقل أنها نزلت في فقراء المهاجرين حين أرادوا نكاح البغايا يكرين أنفسهن لينفقن عليهن من أكسابهن كعادة الجاهلية ، وعن بعض السلف نكاح العفيف البغية ، وتزويج الصالحة بالفاجر فاسد حتى يتوبان ، وبعض الأحاديث يؤيد قوله فالنفي بمعني النهي، وعن بعض هذا النكاح صحيح لكنه حرام وعن بعض الآية منسوخة ، **﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ﴾**: يقذفون بالزنا ، **﴿الْمُحْصَنَاتِ[2]﴾**: المسلمات الحرائر العاقلات البالغات العفيفات عن الزنا ، **﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا﴾**: على ما رموهن به ، **﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾**، يشهدون عليهن ، **﴿فَاجْلِدُوهُمْ﴾**، أي : كل واحد من الرامين ، **﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾**، وتخصيص النساء لخصوص الواقعة ، ولأن قذفهن أغلب وأشنع وإلا فلا فرق فيه بين الذكر والأنثي ، **﴿وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً﴾**: في أي واقعة كانت ، **﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ[3]﴾**: عند الله ، **﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾**، أي : القذف ،

---

(١) قال النخعي ومجاهد: الطائفة تقع على واحد وبه قال أحمد رضي الله عنه/١٢ منه .

(٢) وخص النساء بذلك لأن القذف بالزنا فيهن أشنع وأقبح لإزالة عرضهن وعرض أقاربهن، وشبهة أولادهن وإن كان الرجال يشاركوهن فى الحكم /١٢ وجيز .

(٣) لأنهم أثبتوا الفسق العظيم لغيرهم فانقلب إليهم ولما كانت الزنا من أمهات الكبائر ، وقلما يطلع على ذلك أحد شدد الله على القاذف حيث شرط فيها أربعة رحمة ، وستراً على عباده سيما على النساء ، والظاهر وجوب جلد الرامي ، وإن لم يطالب المقذوف ،

=

﴿وَأَصْلَحُوا﴾: أعمالهم ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ[1] رَّحِيمٌ ﴾، علة للاستثناء ومحل الاستثناء الجر على البدل من هم في لهم ، فحاصله: اجلدوهم إذا لم يأتوا بأربعة شهداء، ولا تقبلوا أبداً شهادتهم إلا التائبين فاقبلوهم بعد التوبة[2] وعند من قال قوله : " وأولئك هم الفاسقون" مستأنف غير داخل في حيز جزاء الشرط ، والاستثناء من (الفاسقون) يكون محله النصب ، ويحكم برد شهادته بعد التوبة أيضاً ، وهو مذهب بعض السلف[3]، ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ ﴾، إلا بمعنى غير صفة شهداء ، ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾: التي تمنع الحد ، ﴿أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾: أربع مرات، ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾: فيما قذفها به ، وأصله "على أنه" فحذف على وكسر إن ، وعلق عنه العامل باللام تأكيداً وقرئ بنصب أربع

= والظاهر أن قوله : "وأولئك هم الفاسقون" جملة على حيالها غير داخلة في خبر "والذين يرمون" مؤكد لعدم قبول شهادتهم /١٢ وجيز.

(١) الظاهر أن الاستثناء من الفاسقون ، ومحله النصب فعلى هذا يجلد ولا يقبل شهادته بعد التوبة أيضاً ، وهذا مذهب كثير من السلف ، فقال الشعبي والضحاك : إن اعترف بعد التوبة على نفسه بأن ما قاله بهتان يقبل شهادته ، وإلا فلا والجمهور على أن الجلد واجب وإن تاب ، وأما قبول شهادته بعد التوبة فخلاف ، قال صاحب البحر : الذي يقتضيه النظر ويعضده كلام العرب أن الاستثناء إذا تعقب جملاً يصلح أن يخصص كل منها بالاستثناء لابد أن يحمل التخصيص في الجملة الأخيرة لا عودة إلى الجمل كلها ، وهذه مسألة في أصول الفقه سيما في هذه الآية ، فإن الجلد لا يسقط عنه بالتوبة إلا أن يقال رد شهادتهم لفسقهم ، والفسق زال بالتوبة فرجع إليهم قبول شهادتهم /١٢ وجيز .

(٢) هذا مذهب مالك والشافعي. وأحمد وصرح على ذلك سعيد بن المسيب وجماعة من السلف/١٢ منه .

(٣) كقاضي شريح والنخعي وسعيد بن جبير ومكحول وهو مذهب أبي حنيفة / ١٢ منه .

فتقديره : فالواجب أو فعليهم شهادة أحدهم وأربع منصوب على المصدر من شهادة ، ﴿وَالْخَامِسَةُ﴾، أي : الشهادة الخامسة ، ﴿أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾: في الرمي ، وحكم لعان الرجل سقوط حد القذف وبانت منه بنفس اللعان وحرمت عليه أبداً على الأصح[1] ويتوجه عليها حد الزنا إلا أن تلاعن ، وهو قوله ، ﴿وَيَدْرَأُ﴾: يدفع ، ﴿عَنْهَا العَذَابَ﴾: الحد ، ﴿أَن تَشْهَدَ﴾، فاعل يدرأ ، ﴿أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ﴾: الزوج ، ﴿لَمِنَ الكَاذِبِينَ﴾: فيما رماني به ، ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ﴾ : الزوج ﴿مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: في ذلك، ومن قرأ الخامسة بالنصب فهو عطف على أربع كأن رجل وجد على فراشه رجلاً فجاء إلى النبي صلي الله عليه وسلم وأخبره فأراد عليه السلام أن يأمر بحده بحكم آية الرمي إذ نزلت آية اللعان فتلاعنا ، ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾، لعاجلكم بالعقوبة ، وفضحكم ، فجواب لولا متروك ليدل على أنه أمر عظيم لا يكتنه .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ

---

(١) للحديث الصحيح ، وعليه الأكثرون من السلف / ١٢ وجيز .

بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ ﴾

﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ**﴾: هو أبلغ ما يكون من الكذب ، أي : إفك عائشة أم المؤمنين[1] رضي الله عنها وصفوان ، ﴿**عُصْبَةٌ مِّنكُمْ**﴾، خبر إن ، والعصبة جماعة من العشرة إلى الأربعين ، ورأسهم ابن أبي بن سلول رئيس النفاق لعنه الله ، ﴿**لاَ تَحْسَبُوهُ**﴾، أي : الإفك ، ﴿**شَرًّا لَّكُم**﴾: الجملة مستأنفة ، ﴿**بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾، لأنه ظهر منه البراءة لها ولجميع أزواجه ، ورفعة القدر مع الثواب الجزيل ،﴿**لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ**﴾: جزاء ما اكتسب ، ﴿**مِنَ الإِثْمِ**﴾: بقدر ما خاض فيه مختصًّا به ، ﴿**وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ**﴾: معظمه ، ﴿**مِنْهُمْ**﴾، أي : من الخائضين، وهو

---

(١) كما هو المشهور المذكور في الصحيحين ، وغيرهما وذلك لإنها خرجت من هودجها تلتمس عقداً لها انقطع من جزع فرحلوا وهم يظنون أنها في هودجها فرجعت وقد ارتحل الجيش والهودج معهم نأقامت في ذلك المكان ، ومر بها صفوان بن المعطل وكان متأخراً عن الجيش فأناخ راحلته وحملها عليها فلما رأي ذلك أهل الإفك قالوا ما قالوا فبرأها الله مما قالوا ، هذا حاصل القصة مع طولها وتشعب أطرافها كذا في الفتح/١٢ .

ابن أبي بدأ به وأشاعه ، ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ[١]﴾: الفضيحة والشهرة بالنفاق ، والطرد في الدارين ، ﴿لَوْلا﴾: هلا ، ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾: حاصله هلا ظننتم خيراً أيها المؤمنون ، والمؤمنات بالذين هم كأنفسكم حين سمعتم الإفك ممن اخترعه ، وقلتم بناء على ظنكم خيراً ، هذا إفك مبين ، كما يقول المستيقن المطلع على الحال ، فالالتفات إلى الغيبة للمبالغة في التوبيخ ، والإشعار بأن[٢] الإيمان يقتضي ظن الخير بمن هو كنفسه ، فإن المؤمنين كنفس واحدة ، ﴿لَوْلا﴾: هلا ، ﴿جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، أي : التفصلة بين الرمي الصادق ، والكاذب شهادة الشهود الأربعة وانتفاؤها ، والذين رموا حبيبة حبيب الله الطاهرة ، ولم تكن لهم بينة ، فكانوا كاذبين عند الله في حكمه[٣] وشرعه ، ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ

---

(١) وفي سنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما نزل عذري قام النبي -صلي الله عليه وسلم- فذكر ذلك ، وتلي القرآن ، فلما نزل من المنبر أمر برجلين والمرأة فضربوا حدهم وسماهم ، حسان ، ومسطح ، وحمنة [وسنده صحيح]، واختلفوا في وجه تركه -صلي الله عليه وسلم- لجلد عبد الله بن أبي ، فقيل لتوفير العذاب العظيم له في الآخرة ، وحد من عداه ليكون ذلك تكفيرًا لذنبهم ، وقيل احتراماً لابنه وإطفاءً لنار الفتنة /١٢ فتح .

(٢) وهذا من الأدب الحسن الذى قل القائم به ، والحافظ له ،وليتك تجد من يسمع فيسكت، ولا يشيع ما يسمعه بإخوانه ، وكفي بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع ، قال العلماء: في الآية دليل على أن درجة الإيمان ، والعفاف لا يزيلها الخبر المحتمل وإن شاع/ ١٢ فتح.

(٣) أو معدودون فيمن اعتادوا بالكذب ، والكذب ليس من عادة المؤمنين كما في الصحيح "أنه يتحري الكذب حتي يكتب عند الله كذابًا" /١٢ وجيز .[أخرجاه في الصحيحين]

عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾، جواب لولا الامتناعية قوله: ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾: خضتم ، ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾: يستحقر في جنبه الجلد واللوم ، ﴿إِذْ﴾، ظرف لمسكم ، أو أفضتم ، ﴿تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾: يأخذه بعض من بعض ، يعني ما اكتفيتم بتهاونكم في تكذيب الرامين حتى أفشيتموه ، ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾: من غير روية وفكر ، ﴿مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾: وما هو إلا قول يدور في فيكم من غير ترجمة عن علم به في القلب ، ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً﴾: سهلاً لا تَبِعَةَ له، ﴿وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾: في الوزر ، ﴿وَلَوْلا ﴾: هلا ، ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾: من المخترعين ، ﴿قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا﴾: ما ينبغي، وما يصح لنا ، ﴿أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ قدم الظرف ،وجعله فاصلاً بين لولا وفعله، لأن ذكره أهم لبيان أن الواجب عليهم التهامي(*) عن التكلم به أول ما سمعوه ، ﴿سُبْحَانَكَ﴾، أنزهك عن أن يكون لحرمة نبيك عيب يفضي إلى نقصه أو ذكره للتعجب ، فإنه لفظ يذكر عند رؤية عجيب ، ﴿هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا﴾، أي : كراهة أن تعودوا أو في أن تعودوا ، ﴿لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾: فإن الإيمان يمنع عنه ، ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾: لكي تتعظوا ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ﴾: تنتشر ، ﴿الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا[1] وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾: السرائر ، ﴿وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾: فيعاقب على ما في قلوبكم من مثل محبة إفشاء الفاحشة، ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾، تكريم للمنة ، وتعظيم للجريمة بحذف جواب لولا[2] ولا يخفي ما فيه من المبالغات .

(*) كذا بالأصل ولعل الصواب "التناهي".

(١) فيه دليل على أن إرادة الفسق ، والرضاء به فسق ، والمؤمن من يريد الخير لإخوانه/١٢ وجيز .

(٢) كأنه قال "لترون ما لا يخطر ببالكم" .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: وساوسه وأوامره ، **﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾**، فهو ضال ، غاو ، **﴿فَإِنَّهُ﴾**، الشيطان ، **﴿يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾**: ما أفرط قبحه ، **﴿وَالْمُنكَرِ﴾**: ما أنكره الشرع ، **﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى﴾**: ما طهر من دنس النفس بواسطة وساوسه ، **﴿مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ[1]﴾**: فيوفقه على تهذيب الأخلاق ، والتوبة الماحية دنسه ، كما وفق بعض من أغواه بالإفك على التوبة وطهرهم ، **﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ**

(١) ومن دعائه – صلي الله عليه وسلم – اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها/٢ .[أخرجه مسلم وغيره]

عَلِيمٌ ﴾: بالأقوال ، والنيات ، ﴿وَلاَ يَأْتَلِ﴾: لا يحلف ، ﴿أُولُوا الفَضْلِ مِنكُـمْ﴾: في الدين ، ﴿وَالسَّعَةِ﴾: في المال ، ﴿أَن يُؤْتُوا﴾، أي : في شأن إعطاء ، ﴿أُولِـــي القُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يعني: لا يحلـــف علـــى أن لا يعطيهم ، ولا يتصدق عليهم ، وقيل معناه لا يقصر فى إعطائهم على أن يأتل من الإلـو نزلت[١] حين حلف الصديق أن لا ينفق أبداً على ابن خالته المسكين المهاجر مسطح ، لأنه قد زلق زلقة في الإفك ، ﴿وَلْيَعْفُوا﴾: ما فـــرط منـــهم ، ﴿وَلْيَصْفَحُـــوا﴾: بالإغماض عنه ، ﴿أَلاَ تُحِبُّـــونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: بعفوكم عن الناس وصفحكم ، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لما سمع الصديق الآية قال : بلى أحـــب أن يغفـــر الله لي فرجع إلى مسطح نفقته ، وقال : والله لا أنزعها منه أبـــداً ، ﴿إِنَّ الَّذِيـــنَ يَرْمُـــونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾: العفائف ، ﴿الغَافِلاتِ﴾: عما قذفن به ، ﴿الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، عن بعض السلف : إن من رمي الأزواج أمـــهات المؤمنين فهو ملعون، وليس له توبة ، فالآية خاصة بهـــن والأصـــح أن الآيـــة عامـــة مشروطة[*] بعدم التوبة ، وقد عد عليه السلام قذف المحصنات من السبع الموبقات[*] ، وورد قذف المحصنة يعدم عمل مائة[٢] سنة ، ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ﴾، ظرف لمتعلـــق لهـــم ، ﴿عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بأن أنطقهن الله مـــن غير اختيارهم ، عن ابن عباس : هذا خاص بالكفرة حين جحدوا كفرهم ، و حلفـــوا على إيمانهم ، ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ﴾: جزاءهـــم ، ﴿الحَـــقَّ﴾: الواجـــب

---

(١) أخرجه ابن المنذر عن عائشة / ١٢ فتح .[بل هو في الصحيحين]

(*) بالأصل "عام مشروط".

(*) أخرجاه في الصحيحين.

(٢) أخرجه الطبراني/١٢ وجيز .[وسنده ضعيف]

المستحق، ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾: علمًا عيانيًا ، ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾: ذو الحق البين أي : العادل الظاهر العدل، ﴿الْخَبِيثَاتُ﴾: من القول أو من النساء ، ﴿لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ﴾: من الرجال ، ﴿لِلْخَبِيثَاتِ﴾، من القول أو من النساء ، ﴿وَالطَّيِّبَاتُ﴾: من القول أو من النساء ، ﴿لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ﴾، من الرجال ، ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾، من القول أو من النساء ، فما نسبوه إلى الصديقة هم أولي به ، وهي أولي بالبراءة والثناء الجميل ، ولا يكون أهل بيت الرسالة إلا طيبات مبرآت من الخبائث ، ﴿أُولَٰئِكَ﴾: عائشة ، وصفوان ذكرهما بلفظ الجمع ، أو أهل بيت الرسالة ، ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾، لأنها حليلة خليل الله، طيبة لطيب ، عليه وعلى آله وأزواجه شرائف الصلوات والتحيات ، ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾: لذنوبهم ، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: في الجنة .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ

بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ﴾

﴿**يَا أَيُّهَا**[١] **الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ**﴾: التي تسكنونها ، ﴿**حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا**[٢]﴾، تستأذنوا ، ﴿**وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا**﴾: بأن تقولوا: السلام عليكم ،

---

(١) ولما وجد أهل الإفك سبيلاً إلى البهتان لاتفاق الخلوة أعقبه تعالى بشيء لا يكون لأحد طريق في التهم فقال : " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا " الآية، هذا ما في الوجيز وفي الفتح ، ولما زجر عن الزنا والقذف شرع في الزجر عن دخول البيوت بغير استئذان ، لما في ذلك من مخالطة الرجال بالنساء ، فربما يؤدي إلى أحد الأمرين المذكورين فقال : " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا " الآية ١٢.

(٢) وفي مصحف عبد الله " حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا " وعن عكرمة نحوه ، أخرج ابن أبي شيبة ، والطبراني وغيرهما عن أبي أيوب قال : قلت : يا رسول الله أرأيت قول الله : " حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها " هذا التسليم قد عرفناه فما الاستئناس ،

=

أأدخل؟ ويقول ذلك ثلاثاً ، فإن أذن له دخل ، وإلا رجع ، وإن كان بيت أمه وبنته ، ﴿ذَلِكُمْ﴾: الاستئذان والتسليم ، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾، أي: أنزل عليكم أو قيل لكم هذا إرادة أن تتعظوا ، وتتأدبوا ، ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا﴾: في البيوت ، ﴿أَحَداً﴾: يأذن لكم ، ﴿فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾، يعني : حتى يأتي من يأذن لكم أو لا تدخولها إلا بإذن مالكها ، ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾: ولا تلحوا ، ﴿هُوَ﴾: الرجوع ، ﴿أَزْكَى﴾: أطهر وأصلح ، ﴿لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾: فيجازيكم به.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾، حرج ، ﴿أَن تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ[1]﴾، هذا تخصيص بعد تعميم ، ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾، كالبيت المعد للضيف إذا أذن له فيه أول مرة ، وعن بعض: المراد منها الخانات والرُّبط ، وقوله : " فيها متاع لكم " أي : استمتاع لكم ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾، فلا تدخلوا الفساد ، ولا تطلعوا على عورات ، ﴿قُل[2] لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾، أي : عما يحرم ، ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾: عن الحرام دخل من التبعيض في النظر دون الفرج دلالة على

= قال : "يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ، ويتنحنح فيؤذن أهل البيت ، قال ابن كثير : هذا حديث غريب [وأخرجه أيضا ابن ماجه (٣٧٠٧)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف ابن ماجه(٨٠٩)]، وأخرج الطبراني عن أبي أيوب أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: الاستئناس أن تدعو الخادم حتى يستأنس أهل البيت الذين تسلم عليهم [وهو ضعيف كالذي قبله]، وقال الأكثرون: إنه يقدم السلام على الاستئذان فيقول : "السلام عليكم أدخل؟ ، وهو الحق ، لأن البيان منه صلي الله عليه وسلم للآية كان هكذا / ١٢ فتح .

(١) فإن الغرض من الأذن كف النظر عن العورات ، وليس في غير المسكون عورة / ١٢ .

(٢) ولما ذكر الاستئذان لئلا يقع النظر على عورة قال : " قل للمؤمنين " الآية /١٢ وجيز .

أن أمر النظر[1] أوسع وعن بعض: حفظ الفروج ههنا سترها ، ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾: فكونوا على حذر منه في حركاتكم ، وسكناتكم ، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ[2] يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾: عما يحرم عليهن النظر إليه ، ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾: عما يحرم ، ﴿وَلاَ يُبْدِينَ﴾، لا يظهرن ، ﴿زِينَتَهُنَّ﴾: كالخلخال والقرط ، وغيرهما ، ﴿إِلاَّ مَا ظَهَرَ[3] مِنْهَا﴾: كالخاتم والكحل ، ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾، جمع خمار وهو ا لمقنعة ، ﴿عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾، ليسترن بذلك القرط ، والأعناق والصدر ، ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾، أي : الزينة الخفية ، ﴿إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ[4] أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾: المؤمنات أما الكافرات فعند أكثر[5]

---

(١) لأن أول النظر لا يملك ، ولهذا في الحديث " لا تتبع النظرة النظرة فإن الأولى لك وليست لك الثانية " [وهو حديث حسن، وانظر صحيح الجامع (٧٩٥٣)]، وقدم النظر لأنه هو بريد الفجور ، والبلوى فيه أكثر ، وقد فسره ابن كثير بحفظ الفرج عن الزنا وكشف العورة وهو حسن /١٢ وجيز .

(٢) أمرهن مصرحاً لا في ضمن أمر الرجال لكمال الاهتمام في شأن غض البصر وحفظ الفرج/١٢ وجيز .

(٣) كالخاتم ، والكحل ، قال ابن مسعود : " ما ظهر منها: هو الثياب ، ونص على هذا أحمد ، قال تعالى : " خذوا زينتكم عند كل مسجد " وذكر الزينة دون مواضعها مبالغة فى الأمر بالستر فعلم ستر مواضعها بطريق الأولي /١٢وجيز .

(٤) قدم الأزواج ، لأن اطلاعهم يقع على أعظم من الزينة، بل الزينة لهم /١٢ وجيز .

(٥) وقد كتب عمر بن عبد العزيز [وهذا وهم وصوابه (عمر بن الخطاب- رضي الله عنه) تفسير القرطبي (٢١٦/٦) وتفسير ابن كثير (٢٨٥/٣)] إلى أبي عبيدة أن امنع نساء أهل الذمة من دخول الحمام مع المؤمنات/١٢ .

السلف أنهن كالأباعد[١] ، قال بعض السلف ، الأولى أن يُستَّرن من العم ، والخال حذراً عن أن يصفاهن لأبنائهما ، ولهذا لم يذكرهما[٢] ، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾، أكثر السلف على أن العبيد كالآباء[٣] ، والأبناء ، وعن بعض: أن المراد ما ملكت من إماء المشركات فإنهن محرمات ، ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾، الإربة الحاجة ، والمراد منهم من لا حاجة لهم إلى النساء ، ويتبعون ليصيبوا من أفضل الطعام ، أو الأحمق الغبي ، أو من لا يستطيع غشيان النساء ، ومن قرأ غير بالنصب فعنده أنه حال أو بتقدير أعنى ، ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾، وصف المفرد بالجمع ، لأن المراد به الجنس ، أي : أطفال لا يعرفون ما العورة ، فمعنى الظهور الاطلاع أو المراد أطفال لم يبلغوا من الظهور بمعنى الغلبة ، ﴿وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾: الأرض ، ﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾: من صوت الخلخال ، وهذا من عادات الجاهلية ، ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً﴾: من التقصير في أوامره ، ونواهيه ، أو المراد توبوا عن مثل[٤] ما كنتم عليه في الجاهلية من أمر النظر، وغيره ، ﴿أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[٥]﴾: راجين الفلاح ،

---

(١) صرح بذلك عمر بن الخطاب ومجاهد / ١٢ منه .

(٢) قال الشعبي ، وعكرمة : الأولي أن تتحاشي منهما حذراً من أن يصفاهن لأبنائهما فلهذا لم يذكر هما /١٢ وجيز .

(٣) وعليه حديث صحيح /١٢ وجيز .[وهو قوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة لما وهبها عبدا ورآها تستر نفسها منه: "لا بأس عليك إنما هو أبوك وغلامك" أخرجه أبو داود وغيره بسند صحيح]

(٤) وفي معني إبداء مثل الخلخال والتطيب عند الخروج من بيتها كما ثبت في الترمذى " إذا استعطرت فمرت بمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية " /١٢وجيز .[صحيح]

(٥) قيل ليس في كتاب الله آية أكثر ضمائر من هذه جمعت خمسة وعشرين للمؤمنات من مخفوض ومرفوع ، ولما كان النظر بالشهوة ، وهم الوقوع هذا في الزنا غالبة في العزب =

﴿وَأَنكِحُوا[1] ﴾: أيها الأولياء والسادة ، ﴿الأَيَامَى ﴾: العزب ذكراً كان أو أنثي بكراً أو ثيباً ، ﴿مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾، خص الصالحين ، لأن إحصان دينهم والاعتناء بحالهم أهم وأكثر ، ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾، يعني: لا يمنعكم فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة ، قال تعالي : "وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء" قال الصديق رضى الله عنه: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغني قال تعالى: "وإن خفتم عليه فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء" ، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ ﴾: لا ينفد جوده، ﴿عَلِيمٌ ﴾: بصلاح أحوال عباده في البسط والقبض ، ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ﴾: ليجتهد في العفة عن الحرام ، ﴿الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً ﴾، أي : أسبابه[2] ، ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ: فيجدوا ما يتزوجون به ، ﴿وَالَّذِينَ[3] يَبْتَغُونَ الكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾، أي : يطلبون من مواليهم أن يكاتبوهم ، ويبيعوهم منهم ، ﴿فَكَاتِبُوهُمْ ﴾، خبر للموصول أو مفسر لفعل ناصب للموصول ، والفاء لتضمن معني الشرط ، والأمر للندب عند الأكثرين ، ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً ﴾، في الحديث[4] إن

= أعقب أمر غض البصر ، وحفظ الفرج بالتزوج فقال : " وأنكحوا الأيامى " الآية/١٢ وجيز .

(١) والأمر في " أنكحوا " للندب عند الأكثرين / ١٢ .

(٢) وقيل النكاح اسم لما يمهر به كاللحاف ، واللباس اسم لما يلحف به ، ويلبس /١٢ وجيز.

(٣) أمر أولاً بما يعصم من الفتنة ، وهو غض البصر ، ثم بالنكاح الذى هو عاصم ، ثم بالحمل على النفس(*) الأمارة بالسوء عند العجز عن النكاح على رزق القدرة ، ولما ذكر العبيد والإماء الطالبين الراغبين في النكاح ، وبعث السيد على تزويجهم رغبهم في أن يكاتبوهم إن طلبوا ذلك فقال : " والذين " الآية /١٢ وجيز .

(٤) رواه أبو داود في المراسيل / ١٢ منه .[وهو ضعيف]

علمتم فيهم حرفة ، ولا ترسلوهم كلاباً على الناس ، أو أمانة وكسباً ، أو صدقاً وصلاحاً في الدين ، ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾، أي : اطرحوا لهم من الكتابة بعضها والأكثرون على أن طرح شيء منها واجب ، والمراد أمر المسلمين بإعطائهم سهمهم من الزكاة أو بإعانتهم في أداء الكتابة ، ﴿وَلاَ[1] تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾، إماءكم ، ﴿عَلَى الْبِغَاءِ﴾: علي الزنا ، ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً﴾، هذا الشرط للاتعاظ يعني : ينبغي أن يحترز من تلك الرذيلة ، وإن لم يكن زاجر شرعي حتى لا تكون أمته خيراً منه ، وحاصله لو كانت للأمة هذه الخصلة فما أقبح على مولاها أن يكرهها على الرذيلة ، والإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التعفف ، ﴿لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يعني : ما يؤخذ من أجورهن نزلت[2] حين شكت فتيات ابن أبي بن سلول عند النبي عليه السلام عن إكراههن علي الزنا ، ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ﴾: على الزنا ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ﴾: لهن ، ﴿رَّحِيمٌ﴾، والوزر على المكره وفي مصحف ابن مسعود لفظ لهن مكتوب ، ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾، بينت وأوضحت آي القرآن ، ﴿وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾، أمثال من قبلكم ، وما حل بهم من مخالفتهم أوامر الله قال تعالى : " فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين " ، ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ[3]﴾، فإنهم المنتفعون بمواعظ القرآن.

---

(١) ولما أمر سبحانه بالرفق بهم نهي عن ضده فقال : " ولا تكرهوا فتياتكم " الآية /١٢ وجيز .

(٢) كما نقله البزار في مسنده ، والمفسرون /١٢ وجيز .[ذكره الهيثمي في "المجمع"، (٨٣/٧) وقال: "رواه الطبراني والبزار بنحوه ورجال الطبراني رجال الصحيح"]

(٣) فإنهم المنتفعون بمواعظ القرآن ولما قال آيات مبينات ، ومثلاً ، وما القرآن إلا هدي ونور كما وصفه الله بذلك أعقبه بقوله : " الله نور السماوات " الآية /١٢ وجيز .

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿اللَّهُ[1] نُورُ السَّمَوَاتِ[2] وَالأَرْضِ﴾: منورهما أو مدبرهما ، يقال : فلان نور قومه يهتدون به في أمورهم ، أو موجدهما عن ابن مسعود "إن ربكم ليس عنده ليل ،

(١) قال الإمام شمس الدين ابن القيم في القصيدة النونية: فصل:

والنور من أسمائه أيضاً ومن	أوصافه سبحانه ذي البرهان
بقال ابن مسعود كلاماً قد حكا	ه الدارمى عنه بلا نكران
ما عنده ليل يكون ولا نهارٌ	قلت تحت الفلك يوجد ذان
نور السماوات العلي من نوره	والأرض كيف النجم والقمران

ولا نهار ، نور العرش من نور وجهه " ، قال حجة الإسلام : النور في الحقيقة اسم لكل ما هو ظاهر بذاته مظهر لغيره ، والله سبحانه هو المتصف بهذه الصفة ، فهو النور الحقيقى، ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾: صفة نور الله ، وهداه في قلب المؤمن ، وكان

= من نور وجه الرب جل جلاله ... وكذا حكاه الحافظ الطبران
فيه استنار العرش والكرسي مع ... سبع الطباق وسائر الأكوان
وكتابه نور كذلك شرعه ... نور كذا المبعوث بالفرقان
وكذلك الإيمان في قلب الفتي ... نور على نور مع القرآن
وحجابه نور ولو كشف الحجاب ... لأحرق السبحات للأكوان
وإذا أتي للفصل يشرق نوره ... في الأرض يوم قيامة الأبدان
وكذلك دار الرب جنات العلي ... نور تلألأ ليس ذا بطلان
والنور ذو نوعين مخلوق وو ... صفٌ ما هو والله متحدان
وكذلك المخلوق ذو نوعين ... محسوس ومعقول هما شيئان
احذر تزل فتحت قدمك هوة ... كم قد هوي فيها على الأزمان
من عابد بالجهل زلت رجله ... فهوى إلى قعر الحضيض الدان
لاحت له آثار أنوار العبا ... دة ظنها الأنوار للرحمن
فأتي بكل مصيبة وبلية ... ما شئت من شطح ومن هذيان
وكذا الحلولي الذي هو خدنه ... من ههنا حقا هما أخوان
ويقابل الرجلين ذو التعطيل و ... الحجب الكثيفة ما هما سيان
ذا في كثافة طبعه وظلامه ... وبظلمة التعطيل هذا الثان
والنور محجوب فلا هذا ولا ... هذا له من ظلمة يريان
انتهي من عينها .

(٢) أي : منورهما ويؤيد هذا المعني قوله : " مثل نوره " بالإضافة إلى ضميره وقراءة على ابن أبي طالب وأبى جعفر وعبد العزيز المكى وزيد بن على وثابت بن أبى حفصة وسلمة بن عبد الملك وأبى عبد الرحمن السلمي وعبد الله بن إياس بن أبي ربيعة "نوَّر" فعلاً ماضياً والأرض بالنصب /١٢ وجيز .

ابن مسعود يقرأ: "مثل نور الله في قلب المؤمن" ، وعن بعض: الضمير للمؤمن الـــدال عليه سياق الكلام ، وكان أُبيٌّ يقرأ " مثل نور من آمن به " أو المراد من النور القرآن ، أو محمد -عليه السلام- أو طاعة الله ، قيل : إضافة النور إلى ضمير الله دليـــل علـــى أن إطلاق النور على الله ليس على ظاهره ، ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾: أي صفته صفـــة كـــوة غير نافذة، أو هي موضع الفتيلة من القنديـــل ، وعليـــه أكـــثر الســـلف ، ﴿فِيـــهَا مِصْبَاحٌ﴾، سراج أو فتيلة مشتعلة ، فالكوة صدر المؤمـــن ، والمصبـــاح نـــور مـــن الله في قلبه أو القرآن، ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾: قنديل من الزجاج ، ﴿الزُّجَاجَـةُ﴾: لما فيها من النـــور ، ﴿كَأَنَّـــهَا كَوْكَـــبٌ دُرِّيٌّ﴾: مضـــئ متلألـــئ كـــالزهرة في صفائه منسوب إلى الدر ، أو فعيل من الدر فإنه يدفع الظلام بضوئـــه ، أو كوكـــب يُدْرَأ ، أي : يدفع ويرمي به ، والكواكب في ذلك الحين أشد اســـتنارة مـــن ســـائر الأحوال ، وقلبت همزته ياء ، ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَـــةٍ﴾، أي : ابتـــداء ثقوبه من شجرة الزيت المتكاثر نفعه ، يعني رويت ذبالته بزيتها ، وفي تنكير الشـــجرة ووصفها ثم الإبدال عنها تفخيم لشأن الزيت ، ﴿لاَّ شَرْقِيَّةٍ﴾: وحدها فلا تصيبـــها الشمس في المساء ، ﴿وَلاَ غَرْبِيَّةٍ﴾: وحدها فلا تصيبها في الغداة ، بل في مكان عليها الشمس مشرقة من أول طلوعها إلى آخر غروبها كصحراء أو رأس جبل فزيتها أضوء ، وهذا نحو فلان ليس بأسود ولا أبيض ، أو لا في مضحي تشـــرق عليـــها الشـــمس فتحرقها، ولا في مقناة تغيب عنها دائماً فيتركها نياً ، أو لا نابتة في شرق الأرض ، ولا في غربها ، بل في وسطها ، وهو الشام فإن زيتونه أجود أو لا في شرقية من الشـــجر ، ولا في غربية ، بل في وسط الشجر أو ليست من أشجار الدنيا ، إذ لو كانت منـــها لكانت أحدهما ، لكنه مثل ضربه الله لنوره فإن نور قلب المؤمن من نور الله ، ﴿يَكَـــادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾: بنفسه ، ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾: لفرط بريقه وضوء إشراقه ،

﴿نُورٌ عَلَى[1] نُورٍ﴾، نوره متضاعف نوّر النار ونور ذلك الزيت ، ونور القنديل ، وضبط المشكاة لأشعته ، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾، يزين فؤاد عباده المؤمنين بنور من نوره ، فينشرح صدورهم لمعارفه ، عن ابن عباس يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدي قبل أن يأتيه العلم ، فإذا جاءه العلم ازداد هدي ونوراً على هدي ونور وعن بعضهم: القرآن المصباح ، والزجاجة قلب المؤمن ، والمشكاة لسانه ، وفمه والشجرة الوحي ، يكاد حجة القرآن تتضح وإن لم يقرأ "نور على نورٍ" نور القرآن والدلائل العقلية ، ونور البصيرة ، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾: تقريبًا للأفهام وتسهيلاً لسبيل الإدراك ، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: من المعقول ، والمحسوس الظاهر ، والخفي الكلي ، والجزئى.

﴿فِي بُيُوتٍ[2]﴾، أي : كمشكاة في بعض بيوت ، وهي المساجد كأنه قيل : مثل نوره في قلبه كما ترى في المساجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت ، وقيل

---

(١) وهنا تم المثال وأما أحسن ذلك حيث ذكر المصباح مرتين نكرة ومعرفة ، وكذلك الزجاجة ، وما اكتفي بقوله كمشكاة مصباح المصباح في زجاجة للتفخيم والتعظيم ، ولقد أحسن أبو تمام وقد مدح ملكاً وقال :

إقدام عمرو في سماحة حاتم ... في حلم أحنف في ذكاء إياس

فقيل له شبهت ملكاً عظيماً بأجلاف العرب ، فقال مرتجلاً .

لا تنكروا ضربي له من دونه ... مثلاً شروداً في الندا والباس

والله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلاً من المشكاة والنبراس

النبراس أي : المصباح ، فإن المثل للتفهيم /١٢ وجيز .

(٢) ولما ذكر أنه يهدي لنوره من يشاء ذكر حال من حصلت له الهداية لذلك النور فذكر أشرف عباداتهم القلبية ، وهي التتريه عن النقائص ، في أشرف بيوت وهو المساجد ، وقد جاء التقسيم لقابل الهداية ، وغير قابلها ، فبدأ بالصالحين ثم الطالحين فقال : " في بيوت " الآية /١٢ وجيز .

متعلق بما بعده أي: يسبح في بيوت ، ولفظ فيها تكرير نحو زيد في الدار جالس فيها ، أو بمحذوف أي : سبحوا في بيوت ، ﴿أَذِنَ اللَّهُ﴾: أمر الله ، ﴿أَن تُرْفَعَ﴾، أن يعظم قدرها فيطهروها من الدنس ، واللغو ، وكل ما لا يليق فيها ، ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾، المراد من التسبيح إما الصلاة ، وبالغدو الصبح ، وبالآصال باقي الصلوات ، لأن اسم الأصيل يجمعها أو صلاة الصبح والعصر[1] ، وإما التسبيح والتنزيه ، والذكر في طرفي النهار ، ﴿رِجَالٌ﴾، فاعل يسبح ، وعند من قرأ يسبح بصيغة المفعول ففاعل محذوف كأنه قيل من يسبح[2] فأجاب يسبح رجال ، ﴿لاَّ تُلْهِيهِمْ﴾: لا تشغلهم ، ﴿تِجَارَةٌ﴾: معاملة رائجة ، ﴿وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ[3] اللَّهِ﴾، أو المراد بالتجارة الشري(*)، فإنه أصلها ومبدأها ، أو التجارة الجلب فإن من يجلب الأمتعة من بلد إلى بلد للبيع هو التاجر ، ﴿وَإِقَامِ الصَّلاَةِ﴾، عطف على ذكر الله ، أي : لا يشغلهم شيء عن إقامة الصلاة ، ﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً﴾: مع تلك الطاعات ، ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾، تضطرب ، وتتغير من الهول وهو يوم القيامة ، ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾، متعلق بيسبح ، أو لا تلهيهم ، ﴿اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾، أي : أحسن جزاء أعمالهم ، ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾: أشياء لم تخطر

---

(١) يعني أو المراد بالغدو صلاة الصبح وبالآصال صلاة العصر/١٢ منه .

(٢) نحو :

فلبيك يزيد ضارع لخصومة

/ ١٢.

(٣) يعني لهم تجارة وبيع ولكن ذكر الله أخذ بمجامع قلوبهم فلا يشغلهم شيء عن ذكره /١٢ وجيز .

(*) كذا بالأصل، وأرى أن تكتب "الشراء".

بمالهم ، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ[1] حِسَابٍ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾، هو ما يرى في الفلاة وقت الظهيرة فيظن أنه ماء ، ﴿بِقِيعَةٍ﴾، هي بمعني القاع ، وهو الأرض المستوية، ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ﴾: العطشان[2] في القيامة ، ﴿مَاءً﴾، فتوجه إليه ، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ﴾: جاء السراب ، ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾: مما ظنه ، ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾: محاسبًا إياه ، ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾: جزاء عمله ، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾، لا يشغله حساب عن حساب كذلك الكافر يحسب أن عمله مغن عن عقاب الله ، فإذا جاء إليه ليغنيه عند الموت في أشد أوقات الحاجة لم يجد عمله ينفعه ووجد الله عنده ، أو وجد عقابه عنده ، فوفاه جزاء عمله ، فيجر إلى جهنم وبئس المهاد.

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾، عطف على كسراب وأو للتخيير أو للتنويع ، فإن الأول حال رؤسائهم وعقلائهم ، والثاني حال مقلديهم وجهالهم ، ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾: عميق كثير الماء ، ﴿يَغْشَاهُ﴾: يعلو البحر ، ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾: أمواج مترادفة ، ﴿مِّن فَوْقِهِ﴾، الضمير إلى الموج الثاني ، ﴿سَحَابٌ﴾، يظلمه ، ﴿ظُلُمَاتٌ﴾، أي : هذه ظلمات[3] ، ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾، وقراءة جر ظلمات على أنها بدل من

---

(١) ولما ذكر حال المؤمنين بيَّن حال الكافرين فقال : " والذين كفروا " الآية /١٢ وجيز .

(٢) يعني المشبه به سراب يراه العطشان في القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد إلا نقيض ما رجاه وقلنا العطشان في القيامة ليحصل التقرب من أول التشبيه ، وتتمته وهو قوله (وجد الله عنده) إلخ وعلى هذا المشبه به أمر خيالي لا موجود فتأمل ولا تغفل / ١٢ منه .

(٣) إشارة إلى أن ظلمات خبر لمبتدأ محذوف / ١٢ منه .

ظلمات ، ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾: لم يقرب من أن يراها فضلاً عن أن يراها والضمائر لمن في البحر لدلالة الفحوى عليه شبه أعمالهم في سوادها وظلمتها ، وما في قلوبهم من الجهل والحيرة بظلمات متراكمة في غاية ما يكون بحيث لا يمكن أن يهتدي إلى النور سبيلاً ، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾، هذا في مقابلة يهدي الله لنوره من يشاء ، وقوله : " نور على نور " .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿أَلَمْ[1] تَرَ﴾: ألم تعلم علماً كالمشاهدة في اليقين ، ﴿أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، من لتغليب ذوى العقول والمراد أعم ، ولكل من الجمادات أيضاً لسان به يذكرون الله يسمعه من يسمع، وقيل المراد لسان الحال ، ﴿وَالطَّيْرُ﴾، عطف على من ، ﴿صَافَّاتٍ﴾: باسطات أجنحتهن في الهواء يسبحن بتسبيحات هو يلهمها ، قيل: خصها ؛ لأنها ليست في أرض ولا في سماء ، ﴿كُلٌّ﴾: منهم ، ﴿قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾، أي : قد علم هو صلاة نفسه كيف يصلي ويسبح[2] أو قد علم الله صلاته ، وتسبيحه لا يخفي عليه ﴿، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾: مرجع الكل إليه ، ﴿أَلَمْ[3] تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾، يسوقه ثم يجمع بين قطعه ، وأجزاءه ، ويضم بعضه إلى بعض ، ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً﴾: متراكمًا بعضه فوق بعض ، ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾: المطر ، ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ﴾: فُرجِه وفُتوقه ، ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾، أي : ينزل مبتدأً من السماء من جبال فيها من برد برداً ، فيكون من برد بيان للجبال ، والمفعول محذوف[4]، أو من الثالثة للتبعيض وهو المفعول ، وعن بعض

---

(١) ولما أخبر أن الله هو نور السماوات والأرض وعلم أن ظهورهما وظهور ما فيهما من نوره بين أن الموجودات التى ظهرت من نوره دالة مبينة لموجدها فقال : " ألم تر " الآية/١٢ وجيز

(٢) بإلهام الله إياه كما ألهم الطير دقائق العلوم بحيث تحير فيه عقول العقلاء /١٢ وجيز .

(٣) ولما ذكر أن الكل منقاد له وذكر ملكه والمصير إليه أخذ يؤكد ذلك بعجيب من أفعاله مشعر بانتقال من حال إلى حال منبه على إمكان الانتقال إلى المعاد فقال : " ألم تر أن الله يزجي " الآية /١٢ وجيز .

(٤) هو قولنا بردا لما قدرنا /١٢ منه .

السلف[1] إن في السماء جبال برد يترل الله منه البرد ، أو معناه يترل الله من جانب السماء من قطع عظام من الغيم يشبه الجبال بعض برد ، ﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾: بالبرد ، ﴿مَن يَشَاءُ﴾: أن يصيبه ، ﴿وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ﴾: أن يصرفه عنه ، ﴿يَكَادُ سَنَا﴾: ضوء ، ﴿بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾: من فرط الإضاءة ، فهو الله سبحانه مخرج الماء والنار ،والظلمة ، والنور من شيء واحد[2] ، ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: يصرفهما في اختلافهما ، وتعاقبهما ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، المذكورات ، ﴿لَعِبْرَةً﴾: دلالة ، ﴿لأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾: لذوى العقول ، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾، وهو النطفة ، ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾، كالحية: قدَّمه ، لأنه أدخل في القدرة وأغرب ، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾، كالإنسان والطير، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾، كالنعم جعل الدواب وهي ما يدب في الأرض كلها مميزين تغليباً[3] للعقلاء ، فلذلك قال : " فمنهم من " إلخ... ، وعن بعض: أن الماء أول مخلوق ، والريح والنار والطين خلق منه ، ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾: أن يخلقه، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾: لكمال قدرتنا ، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾: هدايته ، ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، فيبصره آياته ، ويعلمه الكتاب والحكمة ، ﴿وَيَقُولُونَ﴾: الذين مع محمد -صلي الله عليه وسلم- ،

---

(١) نقله محيي السنة عن ابن عباس / ١٢ منه .

(٢) وعادة الله جاريةٌ بأن برق غيم البرد أضوء، ورعده أشد /١٢ وجيز .

(٣) فإنه دخل في قوله : كل دابة الإنسان ، وهم ذووا العقول فغلبهم فلما غلبهم فى المجمل استعمل لفظة من التي هي لذوي العقول في تفصيله ، ليكون على وتيرة المجمل ، وطريقته فافهم / ١٢ منه .

﴿آمَنَّا[1] بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾: لهما ، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى﴾: يعرض عن قبول حكم الله ورسوله ، ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾: كالمنافقين ، ﴿مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: القول ، والاعتراف ، ﴿وَمَا أُوْلَئِكَ﴾: الفريق ، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾، أو ما أولئك الذين يقولون آمنا وأطعنا مجموعهم بمؤمنين ، بل فيهم كافرون[2] ،﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: الحاكم نبي الله عليه السلام يحكم بحكم الله ، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ[3]﴾: فاجئوا الإعراض لعلمهم أنه لا يحكم إلا بالحق ، وهم يريدون الباطل إن كان الحق[4] عليهم ، ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ الحَقُّ﴾: لا عليهم ، ﴿يَأْتُوا إِلَيْهِ﴾: إلى رسول الله ، ﴿مُذْعِنِينَ[5]﴾: منقادين قيل نزلت[6] في منافق ، ويهودي ، وهو يجره إلى النبي -عليه السلام- ، والمنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما ، ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: كفر ونفاق ، وقيل جنون ، ﴿أَمِ ارْتَابُوا﴾: في نبوتك ، ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾: في الحكومة ، ﴿بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ

---

(١) ولما ذكر دلائل التوحيد اتبع ذلك بذم قوم آمنوا بألسنتهم دون قلوبهم فقال : " ويقولون آمنا بالله " الآية /١٢ وجيز .

(٢) على الأول أولئك إشارة إلى المنافقين خاصة ، وعلى الثاني الي المجموع من حيث المجموع/١٢ منه.

(٣) وهذا هو شأن مقلدة المذاهب بعينه اليوم يعرضون على إجابة الداعي إلى الله ورسوله ، وعن التحاكم إليهما أي : إلى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم / ١٢ فتح .

(٤) هذا القيد يعلم من مقابلة قوله : " وإن يكن لهم الحق " / إلخ .. فلا تغفل / ١٢ منه .

(٥) وما أصدق هذه الآية على المقلدين في صنيعهم مع أهل القرآن وأصحاب الحديث/١٢ فتح .

(٦) نقله محي السنة رضي الله عنه /١٢.

الظَّالِمُونَ ﴾، أي : لا يرتابون ، ولا يخافون لعلمهم بنبوتك ، وبأن الله لا يظلم وإنما هم يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم أو معناه لا يظلم ، ولا يحيف[1] الله لأحد ؛ بل هم الظالمون لأنفسهم .

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾

---

(١) على الأول، بل إضراب عن قوله : " أم ارتابوا " وقوله : " أم يخافون " ، وعلى الثاني عن قوله : " أم يخافون " وعلى قول أن فسر المرض بالجنون يمكن أن يكون بل إضراباً عن الثلاثة / ١٢ منه .

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا[1] دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾، سواء كان الحق لهم أو عليهم، ﴿أَن يَقُولُوا﴾، اسم كان، ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: فيما ساءه وسره، ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ﴾: على ما مضي من ذنوبه، ﴿وَيَتَّقْهِ﴾: فيما بقي من عمره في بعض اللغات إذ أسقط الياء للجزم يسكنون ما قبلها فيقال: لم أشتر طعاماً، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾: بوفق، بل فوق بغيتهم، ﴿وَأَقْسَمُوا[2] بِاللَّهِ جَهْدَ[3] أَيْمَانِهِمْ﴾: قسماً غليظاً، ﴿لَئِن

---

(١) وفي هذه الآية دليل على وجوب الإجابة إلى القاضي العالم بحكم الله العادل في حكمه لأن العلماء ورثة الأنبياء، والحكم من قضاة الإسلام العالمين بحكم الله العارفين بالكتاب والسنة، العادلين في القضاء هو حكم بحكم الله ورسوله، فالداعي إلى التحاكم إليهم قد دعي إلى الله وإلى رسوله، أي: إلى حكمهما فإن كان القاضي مقصرًا لا يعلم بأحكام الكتاب والسنة، بل كان جاهلاً جهلاً بسيطاً، وهو من لا علم له بشيء من ذلك أو جهلاً مركباً، وهو من لا علم عنده بما ذكرنا ولكنه قد عرف بعض اجتهادات المجتهدين، واطلع على شيء من علم الرأى(*) فهذا في الحقيقة جاهل وإن اعتقد أنه يعلم بشيء من العلم فاعتقاده باطل فمن كان من القضاة هكذا فلا تجب الإجابة إليه لأنه ليس ممن يعلم بحكم الله ورسوله، بل هو من قضاة الطاغوت، وحكام الباطل وإذا تقرر لديك هذا، وفهمته علمت أن التقليد والانتساب إلى عالم العلماء دون غيره، والتعبد بجميع ما جاء به من رواية ورأي وإهمال ما عداه من أعظم ما حدث في هذه الملة الإسلامية من البدع المضلة والفواقر الموحشة، فإنا لله وإنا إليه راجعون / ١٢ فتح.

(*) بالأصل "الرائي".

(٢) ولما استطرد حكاية قول المؤمنين رجع إلى بيان أحوال المنافقين فقال: " وأقسموا بالله " الآية ١٢.

(٣) مر مرار أن جهد مفعول مطلق من أقسم من غير لفظه أو تقديره يجهدون جهد أيمانهم / ١٢ منه.

أَمَرْتَهُمْ ﴾: بالخروج إلى الغزو ، ﴿لَيَخْرُجُنَّ ﴾، جواب لأقسموا ، ﴿قُل ﴾: لهم ، ﴿لاَّ تُقْسِمُوا ﴾: على الكذب ، ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾، أي : طاعتكم طاعة مشهورة معلومة بأنها قول لا فعل معه ، أو الذي يطلب منكم طاعة معروفة لا إيمان بمجرد الأفواه أو طاعة معروفة أولي وأمثل من هذا الإيمان ، ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾: فلا يخفي عليه سرائركم ، ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن[1] تَوَلَّوْا ﴾: تتولوا عن الطاعة ، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ ﴾: على محمد : ﴿مَا حُمِّلَ ﴾: من تبليغ الرسالة ، فإذا أدى خرج عن عهدته ، ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾: من القبول فإن أعرضتم فقد تعرضتم لسخط الله ، ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾: إلى الحق ، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ ﴾: التبليغ الموضح فضرر عدم القبول ليس إلا لكم ، ﴿وَعَدَ اللَّهُ[2] الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾: ليجعلهم خلفاء متصرفين في الأرض لما كان الوعد من الله في تحققه كالقسم تُلُقيّ بما يُتَلَقّي به القسم أو تقديره وعد الله الذين آمنوا وأقسم ليستخلفنهم ، ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾، داود وسليمان ، وغيرهما أو بني إسرائيل أهلك القبط ، وأورثهم أرضهم، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ﴾: تمكينه تثبيته وإحكامه ، ﴿الَّذِي ارْتَضَى ﴾،

---

(١) اعلم قوله : " فإن تولوا " خطاب بدليل قوله : " فإنما عليه " وقوله : " وإن تطيعوه " والأصل فإن تولوا فإنما عليك ما حملت وعليهم ما حملوا ففيه التفات لأنه جعلهم غيباً حيث أمر الرسول بخطابهم فى قوله : " قل " ، أي : قل لهم ، ثم خاطبهم بقوله "فإن تولوا" على أنه خطاب مستقل من الله لا من تتمة المقول فهو التفات حقيقي / ١٢ منه .

(٢) ولما قال : " وما على الرسول إلا البلاغ " وصارت النفوس طامحة بأن يعلموا الحال بعد تبليغ الرسول ، وعدم قبولهم قوله قال مبيناً حال المؤمنين السامعين ، ومن ضمنه يعلم حال الجاحدين " وعد الله الذين أمنوا " الآية /١٢ وجيز .

اختار ، ﴿لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾: من الأعداء ، ﴿أَمْناً﴾، منهم نزلت[1] حين قالوا : يا رسول الله أبد الدهر نحن خائفون، ما يأتي علينا يوم نضع السلاح ، ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾، استئناف كأنه قيل : لم يستخلفون ، ويؤمنون ، فقال : " يعبدونني " أو حال أي : وعدهم ذلك في حال عبادتهم ، ﴿لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾، حال من فاعل يعبد ، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾: هذه النعمة ، ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: بعد حصول الخلافة والأمن أو كفر بمعني ارتد ، ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾: الكاملون في الفسق ، ﴿وَأَقِيمُوا[2] الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾: فيما أمر ونهي ، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: راجين رحمة الله، ﴿لاَ تَحْسَبَنَّ[3]﴾: يا محمد ، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ﴾: الله عن إهلاكهم ، ﴿فِي الأَرْضِ﴾، وفي قراءة بالغيبة ، والذين فاعله ، ومعجزين في الأرض مفعولاه ، أي : لا يحسبن الكفار في الأرض أحدًا يعجز الله حتي يطمعوا في مثل ذلك ، ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾، حال أي : لا ينبغي هذا الحسبان ، وقد أعد لهم النار ، ﴿وَلَبِئْسَ المَصِيرُ﴾، النار .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ

---

(١) نقله محي الدين ، والشيخ عماد الدين ابن كثير / ١٢ منه .

(٢) ولما تمت لهم البشري ومعناه اعبدوا ولا تشركوا ، ولا تكفروا نعمه أو لا ترتدوا عطف عليه بقول : " وأقيموا الصلاة " الآية /١٢ وجيز .

(٣) ولما وعد المؤمنين ما وعدهم كأن قائلاً قال: كيف والكفار في كثرة وقوة؟، فقال : لا تحسبن أيها المخاطب الذين كفروا الآية /١٢ وجيز .

جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا[1] الَّذِينَ[2] آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: من العبيد والإماء نزلت لما دخل[3] غلام أسماء بنت أبي مرثد عليها في وقت كرهته ، أو لما

---

(١) ولما كانت السورة معقودة لبيان أحكام العفاف ، والستر بين بعض أحكامه وفي خلالها أثبت نصائح ومواعظ استطراداً للدلالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الأحكام وغيره ، ووعد علي امتثالها وأوعد على الإعراض ، ثم رجع إلى المقصود ، ومن المعقود من السورة فقال : " يا أيها الذين آمنوا " الآية /١٢ وجيز .

(٢) المراد خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال / ١٢ منه .

(٣) قاله مقاتل بن حيان / ١٢ منه .

دخل[1] على عمر غلام وقت الظهيرة وهو نائم منكشف عنه ثوبه ، قيل هذا رجوع إلى تتمة الأحكام السابقة بعد الفراغ عن الآيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الأحكام وغيره ، ووعدٍ عليها ووعيد على الإعراض عنها ، ﴿**وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ**﴾: من الأحرار ، ﴿**ثَلاثَ مَرَّاتٍ**﴾: في اليوم والليلة ، ﴿**مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ**﴾، بدل من ثلاث مرات ، أو تقديره هي من قبل صلاة الفجر ، ﴿**وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم**﴾: لأجل القيلولة ، ﴿**مِّنَ الظَّهِيرَةِ**﴾، بيان للحين ، ﴿**وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ**﴾: الآخرة ، ﴿**ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ**﴾، أي : هذه الأوقات ثلاث أوقات عورات سمى هذه الأوقات عورات ، لأن الناس يختل فيها تسترهم ، والعورة الخلل ، وقراءة نصب ثلاث بالبدلية من ثلاث مرات ، ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ**﴾: في ترك الاستئذان ، ﴿**بَعْدَهُنَّ**﴾، بعد هذه الأوقات والآية السابقة في الأحرار البالغين ، وهذه في المماليك[2] والصبيان ، ﴿**طَوَّافُونَ**﴾، أي : هم طوافون ، ﴿**عَلَيْكُم**[3]﴾، استئناف يبين العذر في ترك الاستئذان في غير تلك الأوقات ، ﴿**بَعْضُكُمْ**﴾: طائف ، ﴿**عَلَى بَعْضٍ**﴾، أو تقديره يطوف بعضكم على بعض فيكثرون التردد لحوائجكم ، فيغتفر فيهم ما لا يغتفر في غيرهم ، ﴿**كَذَلِكَ**﴾: مثل ذلك التبيين ، ﴿**يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ**﴾: بأحوالكم ، ﴿**حَكِيمٌ**﴾:

---

(١) نقله محي السنة عن ابن عباس / ١٢ منه .

(٢) فلا تكون ناسخة للآية الأولى، وعن ابن عباس أن الناس ليس لهم ستور على أبوابهم ، ولا حجال فربما فاجأ الرجل والده أو خادمه ، وهو على أهله فأمرهم الله بالاستئذان ، ثم بسط الله عليهم في الرزق فاتخذوا الستور والحجال ، فرأي الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان فتهاونوا وتركوا العمل بتلك الآية / ١٢ منه .

(٣) والظاهر أن السرية خارجة من هذا الحكم إلا أن يكون لسيدها زوجة أو سرية أخرى وتكون عنده /١٢ وجيز .

فيما أمركم ، ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ﴾، أي : ذلك الأطفال الذين يستأذنون في ثلاث أوقات ، ﴿فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾: في جميع أوقات الدخول ، ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ﴾: بلغوا الحلم ، ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾، وهم الرجال الأحرار ، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، كرره تأكيدًا في الأمر بالاستئذان، وعن كثير من السلف[1] إذا بلغ الغلام الحلم فليستأذن على أبويه في جميع الأحوال ، ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء﴾: العجائز اللاتي قعدن عن الحيض ، ﴿اللاَّتِي لاَ يَرْجُونَ نِكَاحاً﴾: لا يطمعن فيه لكبرهن ، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾: الثياب الظاهرة كالجلباب يعني ليس على العجائز من التستر ما على غيرها من السناء ، ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ﴾: مظهرات، ﴿بِزِينَةٍ﴾، أمر بإخفائها أو غير قاصدات بوضع الثياب[2] تبرج الزينة ، ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾: فلا يضعن الجلباب أيضاً ، ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾: لأنه أبعد من التهمة ، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لمقالهن للرجال ، ﴿عَلِيمٌ﴾: بمقاصدهن ، ﴿لَيْسَ[3] عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاتِكُمْ﴾، كان المؤمنون إذا دخل عليهم الأعمى وغيره وليس في بيوتهم شيء يضيفونه يذهبون به إلى بيت أحد من هؤلاء المذكورين في الآية ،

---

(١) كسعيد بن جبير ويحيى بن أبي كثير / ١٢ منه .

(٢) علم التوجيه للأخير الزينة غير مقيدة بخلاف الوجه الأول ، فإنه مقيدة بزينة خفية لسبق العلم باختصاص الحكم بها لأن الوضع بقصد التبرج مذموم أبدًا / ١٣ منه .

(٣) ولما حجر في أمر البيوت لبعض ووسع لبعض لأجل صيانة العرض ضيق ووسع أيضاً في أمر المال ، فقال : " ليس على الأعمى " الآية / ١٢ وجيز .

فيأكل هو وضيفه من بيوتهم ، فخافوا أن يكون أكلاً بغير حق ، ويلحقهم إثم لقولـــه تعالى : " ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل " ، فترلت ، أي : ليس على الضعفـــاء ، ولا على أنفسكم حرج في ذلك أو كانوا[١] يخرجون إلى الغزو ويدفعون مفاتيح أبواهم إلى هؤلاء القاعدين، ويأذنون أن يأكلوا من بيوتهم ، وهم يتحرجون ، ولا يـــأكلون فترلت رخصة لهم ، ولغيرهم أن يأكلوا من بيوت هؤلاء أو كان[٢] هؤلاء المرضي مـن الأعمي ، وغيره يتترهون عن مؤاكلة الأصحاء ، فترلت ، أو معناه[٣] ليس على الأعمي والأعرج ، والمريض حرج في القعود عن الغزو ، ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيـــوت، وقوله : " أن تأكلوا من بيوتكم " ، أي : التي فيها أزواجكم ، وعيالكم ، وعـــن بعـض المفسرين: ذكره ليعطف عليه الباقي ليعلم أن بيوت الأقارب كبيت نفسه ، فلا يحترز عنـها بوجه، ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ﴾، عطف على ما بعد من أي : أن تأكلوا عما في يـده[٤] وتصرفه وملك المفاتح كناية عن ذلك (كالناطور)[*] جاز له أن يـــأكل مـــن البســتان ، والراعي من لبن الغنم ، والمأذون مما في بيت بيده مفاتحه ، أو عطف على ما يضاف البيوت إليه أي : بيوت الذين ملكتم مفاتحهم[٥] وهم المماليك ، ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ[٦]﴾، أو بيـوت

---

(١) نقله الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها / ١٢ منه

(٢) نقله محي السنة عن سعيد بن جبير والضحاك ، وغيرهما / ١٢ منه .

(٣) قاله العطاء الخراساني ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وجعلوا كالآية الـــتي في ســـورة الفتح، وتلك الجهاد البتة / ١٢ منه .

(٤) هو قول عائشة رضي الله عنها / ١٢ منه .

(*) النَّاطور : حافظ الزرع والتمر والكَرْم.

(٥) قاله سعيد بن جبير والسدي / ١٢ منه .

(٦) عن ابن عباس: الصديق أوكد من والديه ألا ترى استغاثة أهل النار لم يستغيثوا بالآبـــاء والأمهات ، وقالوا: "فما لنا من شافعين ولا صديق حميم" قيل لعالم : أخـــوك أحـــب إليك أم صديقك ؟ فأجاب لا أحب أخي إلا إذا كان صديقي . وما تعـــرض لبيـــت =

صديقكم ، وهو يقع على الواحد ، والجمع وهذا كله إذا علم رضى صاحب المال وإن كان بقرينة ، ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً﴾: مجتمعين ، ﴿أَوْ أَشْتَاتاً﴾: متفرقين ، كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده[1] فرخصهم في ذلك أو كان الغني يطلب[2] فقيراً من قرابته ليأكل معه ، فيقول : والله لأتحرج أن آكل معك وإني فقير وأنت غني ، أو كانوا[3] إذا نزل هم ضيف يتحرجون أن لا يأكلوا إلا معه ، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً﴾: من هذه البيوت لتأكلوا ، ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾: على أهل الذي هو منكم دينًا وقرابة ، أو إذا دخلتم بيوت[4] أنفسكم فسلموا على أهل بيتكم ، أو إذا دخلتم[5] بيوتاً خالية فقولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ[6] اللَّهِ﴾: ثابتة بأمره من عنده نصب على المصدر ، لأنها بمعني التسليم ، ويجوز

= الأولاد لأنه داخل بيوتكم فإن ولد الشخص بعضه ، ولأن الولد أقرب ممن عدد من القرابات ، وفي الحديث : " أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه " /١٢ وجيز .[صحيح، انظر صحيح الجامع (١٥٦٦)، وراجع الإرواء (١٦٢٦)]

(١) قاله ابن عباس ، وقتادة والضحاك ، وابن جريج / ١٢ منه .

(٢) نقله عطاء الخراساني عن ابن عباس / ١٢ منه .

(٣) قال عكرمة وأبو صالح / ١٢ منه .

(٤) هو قول جابر ، وطاووس ، والزهري ، وقتادة ، والضحاك ، وعمرو بن دينار / ١٢ منه.

(٥) قاله ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد / ١٢ منه .

(٦) معناها فتعملون على مقتضاها أو تدخلون في زمرة العقلاء ، ولما بين الاستئذان في دخول البيت ، وجواز الأكل من بعض البيوت واستحباب السلام حين دخول البيت، وجواز الأكل من بعض البيوت واستحباب السلام حين دخول البيت عقبه بالاستئذان=

أن يكون معناه قولوا سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، ﴿مُبَارَكَةً﴾: يرجي بها زيادة الخير ، ﴿طَيِّبَةً﴾: تطيب بها نفس المستمع ، ﴿كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ[1]﴾: الحق والخير .

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: من صميم القلب ، ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ﴾: مع الرسول عطف على آمنوا ، ﴿عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾: كالحروب ، والجمعة ، والمشورة ، ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا﴾: عن محضره ، ﴿حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾، حذف قوله : " ويأذن لهم " ، لأنه كالمستغني عنه ، وكانت الصحابة إذا أرادوا أن يخرجوا من المسجد لحاجة،

= عن محضر النبي المصطفي -صلي الله عليه وسلم- الذى هو في بيت الله فقال :" إنما المؤمنون " الآية/١٢وجيز

(١) ولما ذكر من الحكم ما هو من خصوصيات رسول الله -صلي الله عليه وسلم- أعقبه بشئ آخر من خصوصياته الدال على تعظيمه كالأول فقال : " لا تجعلوا دعاء الرسول " الآية /١٢ وجيز .

وهو عليه السلام في المنبر لم يخرجوا حتى يقوموا بحياله فيأذن فيخرج ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: إيماناً صدقاً ، ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾: مهامهم ، ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾: فالأمر مفوض إليك ، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ﴾: فإن الذهاب عن مجلسك ربما يكون زللاً لهم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: لفرطات العباد ، ﴿رَّحِيمٌ لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم[1] بَعْضاً﴾: لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضاً ، فقولوا: يا نبي الله ، يا رسول الله لا: يا[2] محمد يا أبا القاسم ، أو احذروا[3] دعاءه عليكم إذا أسخطتموه ، فإن دعاءه موجب ليس كدعاء بعضكم على بعض ، ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ﴾، أي : يتسلون ، ﴿مِنكُمْ﴾: قليلاً قليلاً ، ويخرجون ، ﴿لِوَاذاً﴾: ملاوذين[4] مستترين بعضهم ببعض للخروج أو يلوذ بمن يؤذن، فينطلق معه كأنه تابعه من لاذ يلوذ ، وكأن هذا ديدن المنافقين يهربون بأي وجه يمكن لهم من محضر حضرة النبوة صلوات الله وسلامه عليه ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ﴾: معرضين[5] ، ﴿عَنْ

---

(١) ومعناه لا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضاً في جواز الإعراض والمساهلة في إجابته ، والرجوع بعد الإجابة بغير إذنه فإن المبادرة إلى إجابته واجبة وإن كنتم في الصلاة والمراجعة بغير إذنه محرمة /١٢ وجيز .

(٢) قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، ومقاتل بن حيان ، وزيد بن أسلم / ١٢ منه .

(٣) حكاه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن البصرى وعطية العوفي / ١٢ منه .

(٤) ملاوذين يلوذ بعضهم ببعض بحيث يدور معه إذا دار استتاراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم /١٢ وجيز .

(٥) قوله معرضين عن أمره إشارة إلى أن تعدية المخالفة بعن لتضمين معني الإعراض وإلا فالمخالفة متعدية بنفسه كما أشار إليه بقوله مخالفين أمره / ١٢ منه .

﴿أَمْرِهِ﴾: منصرفين عنه بغير إذنه مخالفين أمره ، **﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾**: في الدنيا ، **﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**: في الآخرة ، **﴿أَلاَ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾**: ملكاً وخلقاً ، **﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ[1] عَلَيْهِ﴾**، من النفاق والإخلاص أكد علمه بقد لتأكيد الوعيد يعني من خلَقَ جميع الخلقِ وملكهم كيف يخفي عليه أحوال المنافقين ، وإن اجتهدوا في الإخفاء ، **﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ﴾**، المنافقون: **﴿إِلَيْهِ﴾**: للجزاء، ويوم ظرف[2] لقوله ، **﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾**: بالمجازات ، **﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ[3]﴾**.

---

(١) فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب ويوم يرجعون المنافقون الظاهر عطف يوم على ما أنتم عليه فهو مفعول يعلم ، وفيه التفات آخر من الخطاب /١٢وجيز .

(٢) ومعمول ينبئهم أعني يوم لما قدم عليه للاختصاص جيئ بحرفي العطف عليه ، ومثله غير عزيز/١٢ .

(٣) عن عقبة بن عامر قال : " رأيت رسول الله -صلي الله عليه وسلم- وهو يقرأ هذه الآية في خاتمة سورة النور وهو جاعل أصبعيه تحت عينيه يقول بكل شيء بصير " أخرجه الطبراني وغيره قال السيوطي بسند حسن / ١٢ فتح .[كما في الدر المنثور (١١٢/٥) وقال الهثمي في المجمع (٨٤/٧): "هكذا وقع، فإن كانت قراءة شاذة، وإلا فالتلاوة بكل شيء عليم. رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وهو سيء الحفظ وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات".]

سورة الفرقان مكية

وهي سبع وسبعون آية وست ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ ﴾

﴿**تَبَارَكَ**﴾ تكاثر خيره ، أو تزايد عن كل شيء وتعاظم ، أو ثبت ودام ، ﴿**الَّذِي**[1] **نَزَّلَ**﴾، منجمًا لا جملة واحدة ، ﴿**الْفُرْقَانَ**﴾، سمي القرآن به لأنه فارق بين الحق

---

(١) تكلم سبحانه في هذه السورة على التوحيد ، لأنه أقدم وأهم ، ثم في النبوة ؛ لأنها الواسطة ، ثم في المعاد ، لأنها الخاتمة / ١٢ فتح .

والباطل[1] ، ﴿عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ﴾، العبد أو الفرقان ، ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾، :الإنس والجن ، ﴿نَذِيرًا﴾، : منذرًا مخوفًا، أو بمعنى الإنذار كالنكير ، ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ[2]﴾، بدل من الذي[3] أو رفع أو نصب على المدح ، ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾، : في ملكه وسلطانه ، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾، أي : أحدث كل شيء له ، الكون مراعى فيه التسوية ، فهيأه لما أراد منه كما سوى الإنسان من مواد وصور مخصوصة ، ثم هيأه للإدراك ، ومزاولة الأعمال الغريبة ، أو فقدره للبقاء إلى أمد معلوم ، ﴿وَاتَّخَذُوا[4] مِن دُونِهِ آلِهَةً لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ : عاجزين ، ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ[5]﴾ : فإن عبدهم ينحتوهم ، ﴿وَلاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ أى : دفعه ، ﴿وَ لاَ نَفْعًا﴾ أي : جلبه ، ﴿وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتاً﴾، إماتة أحد ﴿وَلاَ حَيَاةً﴾ : إحياءه ﴿وَلاَ نُشُوراً﴾ : بعثه ثانياً فكيف يستحقون الألوهية ، وهم متصفون بصفات تنافيها ، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا﴾: ما القرآن ، ﴿إِلاَّ إِفْكٌ﴾ كذب ﴿افْتَرَاهُ﴾، يعنون رسول الله ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾، : اليهود ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً﴾ : بجعل كلام الله إفكاً ، ﴿وَزُوراً﴾، بنسبة رسوله إلى ما هو بريء منه ، وجاءوا بمعنى فعلوا أونصب ظلماً

---

(١) أو لأنه مفرق مفصول بين آياته في الإنزال ، قال الله تعالى : " وقرآناً فرقناه " (الإسراء:١٠٦) الآية/١٢وجيز .

(٢) دون غيره لا استقلالاً ولا تبعًا فهو المتصرف فيهما / ١٢ فتح .

(٣) والفصل ليس بأجنبي ؛ لأنه من تتمة الصفة ، ومتعلقاها / ١٢ وجيز .

(٤) الضمير للعالمين أي : اتخذ الإنس والجن مع ثبوت دلائل الوحدة وعلمهم بأن الله خالقهم من دونه آلهة / ١٢ وجيز .

(٥) ونسبة الخلق إلى العباد مجاز كأحسن الخالقين فعبادهم بمنزلة إله لآلهتهم / ١٢ وجيز .

بحذف الجار ، ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ : ما سطره المتقدمون ﴿اكْتَتَبَهَا[1]﴾ استكتبها ﴿فَهِيَ﴾، الأساطير ، ﴿تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾، ليحفظها فإنه أمي لا يقدر أن يقرأ من الكتاب ، ﴿قُلْ أَنزَلَهُ[2] الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، ولذلك تري القرآن مملوءاً من المغيبات ، ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾، ولولا رحمته لاستأصلهم ، وما أمهلهم ، ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾، أي : من يدعي الرسالة ، ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾ : لا مَلَكٌ ولا مِلكٌ ، ﴿لَوْلا﴾ هلا ، ﴿أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ﴾ : الملك ، ﴿مَعَهُ نَذِيراً﴾ : منذراً هو خبر كان ، ومعه حال أو بالعكس ، أو مع متعلق بنذيراً ، أي: يشاركه في النبوة ، ﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ : حاصله إن لم يكن ملكاً ، ولا ملِكاً ، فلا أقل من أن يكون معه ملك أو يكون صاحب كنز وثروة ، وأقلها أن يكون رجلاً له بستان كما للدهاقين ، ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ أي : قالوا لظلمهم ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً[3]﴾ : سحر فغلب على عقله ، ﴿انظُرْ﴾ يا محمد ، ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ﴾ : من مسحور ، ومحتاج ، وغير ذلك ، ﴿فَضَلُّوا﴾ : عن الحق، ﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ : إليه .

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ

(١) جمعها أو أمر بكتابتها نحو احتجم وافتصد ، وهو خبر ثان لمبتدأ محذوف/١٢ وجيز .

(٢) أي : الفرقان ، ولم يقل أنزلها إشارة إلى أنه ليس بأساطير الأولين / ١٢ وجيز .

(٣) أي : ما اكتفيتم بأنكم تتبعون رجلاً مثلكم ، بل تتبعون رجلاً مسحوراً ، أي : رجلاً أنقص من أمثالكم / ١٢ وجيز .

سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ۞ ﴾

﴿تَبَارَكَ﴾، :تكاثر خير ، **﴿الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً﴾** أي : إن أراد وهب لك في الدنيا خيراً مما قالوه ، وهو أن يعجل لك مثل ما وعدك من الجنات ، والقصور ، ونصب جنات على البدلية من خير، أو الجزم والرفع في يجعل لأن الشرط إذا كان ماضياً ففي جزائه الجزم والرفع ، **﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾** وهو أعجب وأغرب من تكذيبهم إياك ، أو لهذا كذبوك يعني : تكذيب القيامة حملهم على هذه الأقوال ، **﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً﴾** : ناراً شديدة الاشتعال ، **﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾** أي : السعير ، **﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾** : أقصى ما يمكن أن يرى منه ، **﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾** : صوت تغيظ وتغضب ، والزفير صوت يسمع من جوف المغتاظ في حين شدته وعدم

تجويز الرؤية على النار من قلة البصارة ، وقد ورد[1] "من يقل على ما لم أقل فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدًا، قيل : وهل لها عينان؟! قال : أما سمعتم الله يقول : ﴿إذا رأهم من مكان بعيد﴾" الآية ، ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً﴾ : منها بيان تقدم فصار حالاً ، ﴿ضَيِّقاً﴾ : لمزيد العذاب ، وفي الحديث (والذي نفسي بيده إنهم ليستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط) ، ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ : قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل ، ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً﴾ : هلاكاً يقولون : يا ثبوراه تعال فهذا حينك ، ﴿لاَ تَدْعُوا﴾ أي : يقال لهم لا تدعوا ، ﴿اليَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً﴾، فإن الخطب أعظم مما حسبتموه ، ﴿قُلْ أَذَلِكَ﴾ : ما وصفنا من أنواع العذاب ، ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الخُلْدِ الَتِي وُعِدَ﴾، أي : وعدها ، ﴿المُتَّقُونَ﴾، وفي ذلك تقريع مع تهكم ، ﴿كَانَتْ﴾ : الجنة في علم الله ، ﴿لَهُمْ﴾، أو لأن ما وعد الله كالواقع ، ﴿جَزَاءً﴾، : على أعمالهم بالوعد ، ﴿وَمَصِيراً﴾، : مرجعاً ينقلبون إليه أما غير المتقين من المؤمنين كالتبع لهم أو المراد من المتقين من يتقي الكفر ، والتكذيب ، ولهم إما حال أو متعلق بجزاء ، ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ﴾: ما يشاءونه ،

---

(١) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، وغيرهما بروايات متنوعات ، وعلى هذا لا حاجة إلى بيان جهة المجاز بمثل أن هذا من باب لا تترا أي نارهما هذا ما في الوجيز ، وفي الفتح بعد نقل معني هذا الحديث أخرجه عبد بن حميد ، وابن جرير من طريق خالد بن دريك، ونحو عند رزين فى كتابه ، وصححه ابن العربي في قبسه وله لفظ بمعناه وأخرج الترمذى من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان يسمعان ، ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاث بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر ، وبالمصورين " ، وفي الباب عن أبي سعيد قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب/١٢ فتح .

﴿عَلَى رَبِّكَ وَعْداً ﴾ : موعوداً ، ﴿مَّسْئُولاً ﴾ : عن بعض السلف يقول المؤمنون : يا رب عملنا بما أمرتنا فأنجز لنا ما وعدتنا ، وذلك قوله وعداً مسئولاً ، وعن بعض الملائكة تسأل لهم ذلك قال تعالى "ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم" (غافر:٨)، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ : المراد ذوو العقول كالملائكة وعيسى[١] واستعمال ما لأنه في الأصل أعم ، أو لأنه أريد بالوصف ، أي: معبوديهم أو لإجرائهم مجرى غير ذوى العقول ، تحقيرًا لشأنهم لقصورهم عن معنى الربوبية أو المراد أعم ، وينطق الله الأصنام[٢] ، ﴿فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ[٣] عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ : من غير دعوة منكم ، وحذف الجار للمبالغة، أي : عن السبيل ، وهذا السؤال لتقريع العبدة وتبكيتهم ، ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ : تعجب منهم مما قيل لهم، أو سبحانك من أن يكون لك ند ، ﴿مَا كَانَ يَنبَغِي﴾ : ما يصح ويستقيم ، ﴿لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي : نحن لا نعبد إلا أنت ، فكيف ندعو أحداً أن يتولى غيرك ؟ قيل : أرادوا من ضمير المتكلم جميع الخلائق ، ﴿وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾ : في الدنيا بالنعم ، ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ أي : نسوا ما أنزلته إليهم أو غفلوا عن ذكرك ، ﴿وَكَانُوا﴾ : في علمك ، ﴿قَوْماً بُوراً ﴾، : هالكين أشقياء راعوا الأدب ، وما قالوا : أنت أضللتهم صريحاً ، لأن المقام غير مقام البسط[*] كما قال موسى في مقام الإنبساط : "إن هي إلا فتنتك" (الأعراف:١٥٥)،

---

(١) قاله مجاهد وابن جريج بدليل خطابهم وجوابهم فيما بعد / ١٢ فتح .

(٢) قاله الضحاك وعكرمة والكلبي / ١٢ فتح .

(٣) ولما كان السؤال عن تعيين الفاعل قدم أنتم ، وهم نحو "أأنت فعلت هذا بألهتنا" (الأنبياء:٦٢)/١٢وجيز .

(*) في حاشية الأصل : في (ن): الانبساط.

﴿فَقَدْ[1] كَذَّبُوكُم﴾ التفات ، أي : قال الله لهم فقد كذبكم المعبودون، ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ : في قولكم: إنهم آلهة أو هؤلاء أضلونا ، فالباء بمعنى في أو بما تقولون بدل اشتمال من مفعول كذبوا ككذبوا بالحق ، وفي قراءة " يقولون " بالياء فمعناه كذبوكم بقولهم : " سبحانك ما كان ينبغي " إلخ،﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً﴾ : للعذاب عنكم، ﴿وَلاَ نَصْراً﴾ وقراءة التاء فمعناه ، فما تستطيعون أيها العابدون صرف العذاب عن أنفسكم ولا نصر أنفسكم ، ﴿وَمَن يَظْلِم﴾، يشرك[2]، ﴿مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ﴾: رسلاً ، ﴿إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾، ما بعد إلا صفة أقيمت مقام موصوفها ، وهذا جواب قولهم : " ما لهذا الرسول " الآية ، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ﴾ : أيها الناس ، ﴿لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ : ابتلاء ، وامتحاناً كابتلاء المرسلين بالمرسل إليهم ، والفقراء بالأغنياء، ﴿أَتَصْبِرُونَ[3]﴾، علة للجعل أي : لنعلم أيكم يصبر كقوله تعالى : " ليبلوكم أيكم أحسن عملاً " (هود:٧، الملك:٢)، وقيل: حث على الصبر على ما افتتنوا به ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾، عالماً بالصواب فيما يبتلي به وغيره ، فلا يضيقن صدرك، أو بمن يصبر .

---

(١) وهذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة ، وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول ونظيرها "يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا" (المائدة:١٥،١٩)، وقول القائل:

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا /١٢ فتح .

(٢) كذا فسره ابن عباس وغيره وهو المناسب؛ لأن الكلام من مفتتح السورة في الكافرين ، ووعيدهم / ١٢ وجيز .

(٣) روي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " انظروا إلى من أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم " / ثم وعد الله الصابرين بقوله : " وكان ربك بصيرا "/١٢فتح .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، لا يخافون البعث ، أو لا يأملون لقاءنا بالخير ، **﴿لَوْلَا﴾**، : هلا ، **﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾**، : فتخبرنا بصدق محمد ، **﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾**، فيخبرنا بذلك ، **﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾** : حتى تمنوا ما لم يحصل للرسل ، اللام توطئة القسم ، **﴿وَعَتَوْا﴾**، : تجاوزوا الحد في الظلم ، **﴿عُتُوًّا كَبِيراً يَوْمَ﴾**، أي : اذكر يوم ، **﴿يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾**، : عند الموت ، أو في القيامة ، **﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾**، أي : لهم ، لأنهم مجرمون يتحلى الملائكة للمؤمنين

فتبشرهم حين الموت وفي القيامة بالرحمة والرضوان ، وللكافرين فتبشرهم بالخيبة والخسران ، **﴿وَيَقُولُونَ﴾** أي: الملائكة لهم **﴿حِجْراً مَّحْجُوراً[1] ﴾**: حراماً محرماً عليكم الجنة والرحمة ، أو البشري ، فالجملة حال من الملائكة ، أي : وهم يقولون أو يقول المجرمون عند لقاء الملائكة هذه الكلمة ، وهي من المصادر المتروك فعلها ، ومن الكلمات التي تتكلم بها العرب عند لقاء العدو ، وهجوم النازلة في موضع الاستعاذة يعني أنهم يطلبون نزول الملائكة ، وهم إذا رأوهم كرهوا[2] واستعاذوا ، وقوله : محجوراً كموت مائت للتأكيد ، **﴿وَقَدِمْنَا[3] إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ ﴾**، أي : قصدنا وعمدنا إلى أعمال عملها الكفار من المكارم كقرى ضيف ، وإغاثة ملهوف ، **﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً ﴾** : أحبطناه ، لأنها لم تكن خالصاً موافقاً للشريعة ، والهباء غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة شبه عملهم بالغبار في الحقارة وعدم النفع ، ثم بالمنثور منه في انتشاره وتفرقه ، ومنثوراً إما صفة هباء أو مفعول ثالث من حيث إنه كالخبر بعد الخبر ، **﴿أَصْحَابُ الجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَراً ﴾** : موضع قرار ، **﴿وَأَحْسَنُ[4] مَقِيلاً[5] ﴾** : مكان استراحة ، وعن بعض السلف يفرغ الله من الحساب نصف النهار ، فيقيل أهل الجنة في مناظر حسان ، وروح ، وريحان منها ،

---

(١) قيل: هذا قول الملائكة للمجرمين ، يعني : حراماً محرماً عليكم رحمة الله في الدنيا/١٢.

(٢) أي : يقول المجرمون عند لقاء الملائكة على عادتهم في الدنيا إذا نزلت بهم شدة من لقاء عدو أو غيره ، أي : عوذاً معاذاً ، أي : أطلب عوذاً معاذاً يستعيذون من الملائكة/١٢ .

(٣) شبه حالهم بحال من خالف سلطاناً عظيماً فقدم إلى أسبابه فمزقها ، ولم يبق لها أثراً ، وقوله : " من عمل " بيان للتعميم / ١٢ وجيز .

(٤) والقيلولة استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم يعني : هؤلاء في أسوأ حال ، وهم في أحسنها / ١٢ .

(٥) وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف النهار ، كما ورد في الحديث/١٢ جلالين .

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ﴾، أي : تتشقق ، ﴿السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾، أي : بسبب طلوع الغمام ، وقيل بالباء بمعنى عن ، ﴿وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ﴾، : في ذلك الغمام ، ﴿تَنزِيلاً﴾، يعني : تتفتح السماء بغمام يخرج منها ، وفي الغمام ملائكة ينزلون ، فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر ، ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾، الحق خبر وللرحمن متعلق به ، أي : الملك ثابت له لا يبقى لغيره ، أو صفة للملك ، وللرحمن خبره ، ﴿وَكَانَ يَوْماً عَلَى الكَافِرِينَ عَسِيراً﴾، شديداً ومع طوله وشدته يخفف على بعض من المؤمنين ، حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها[1] في الدنيا ، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾، عض اليدن والأنامل وأمثاله كنايات عن كمال الحسرة والغيظ ، وهذا عام ، وإن كان مورده في عقبة بن أبي معيط لما ارتد لأجل خاطر أبي[2] بن خلف ، ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ : إلى الهدى ، والنجاة ، ﴿يَا وَيْلَتَى﴾، تعال فهذا أوانك ، ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً﴾، أي : من أضله ، والفلان كناية عن الأعلام ، ﴿خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ : عن القرآن أو عن ذكر الله ، ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ[3]﴾، كل من صدك عن الحق فهو شيطانك ، ﴿لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾، تاركه لا نافعه عند البلاء ، وقوله : "كان الشيطان" ، إما من تتمة كلام

---

(١) كما وقع في مسند الإمام أحمد / ١٢ وجيز .

(٢) كان صديقاً لعقبة فعاتبه على الإسلام فارتد ، رواه ابن جرير مرسلاً/١٢ .

(٣) صرح كثير من السلف على أن حكم هذه الآية عام في جميع المتحابين المتفقين في معصية الله / ١٢ وجيز ، وفي الفتح وحكم الآية عام في كل خليلين ومتحابين اجتمعا على معصية الله عز وجل ، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : "يحشر المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل " أخرجه أبو داود والترمذي / ١٢ فتح .

الكافر ، وإما من كلام الله سبحانه من غير حكاية ، ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ[1] ﴾، محمد عليه السلام يومئذ ، أو في الدنيا ، ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي﴾ : قريشاً ، ﴿اتَّخَذُوا هَـٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾، متروكاً أعرضوا عنه و لم يؤمنوا به ، أو بمترلة الهجر والهذيان ، فالمهجور بمعنى الهجر كالمجلود ، وفيه تخويف لقومه ، وتسلية لرسول الله بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً﴾ : يحتمل الواحد ، والجمع ، ﴿مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ : الذين يهجرون شرائعهم فاصبر كما صبروا ، ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً﴾ : إلى اتباعك وإن كان قومك يصدون الناس عنك ، ﴿وَنَصِيراً ﴾ لك عليهم فلا تبال بمن يعاديك ، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا ﴾، هلا ، ﴿نُزِّلَ[2] عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ كالتوراة والإنجيل، ونزل بمعنى أنزل كخبَّر وإلا يكون متدافعاً ، وهذا من مماراتهم التي لا طائل[3] تحتها ، ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، :هذا من الله تعالى جواب لهم ، أي أنزلناه كذلك مفرقاً لنقوي بتفريقه فؤادك لتعيه ، وتحفظه شيئاً بعد شيء ، ولا يعسر عليك حفظه ، لأنك أمي بخلاف سائر الأنبياء ، فإنهم ممكنون من القراءة والكتابة ، ولأنه كلما أنزل عليك وحي من ربك يزداد لك قوة إلى قوة ، وللأعداء كسراً على كسر ، ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ : وبيناه تبييناً على مهل بحسب الوقائع ، عطف على فعل مقدر ناصب لكذلك ، ﴿وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ : بشيء عجيب في القدح في القرآن ، وفيك ، ﴿إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ : الذي يرد ما جاءوا به من المثل ، ﴿وَأَحْسَنَ

---

(١) والأظهر أن قوله : هذا مما جرى له في الدنيا بدليل إقباله عليه مسلياً بقوله : " وكذلك جعلنا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) قال صاحب البحران: نزل وأنزل مترادفان لا يقتضي التفريق في الترول ، وعلى هذا لا يحتاج إلى كلفة توجيه /١٢وجيز .

(٣) لأن أمر الاحتجاج به والإعجاز لا يختلف بتروله جملة واحدة أو مفرقاً/١٢ وجيز .

﴿تَفْسِيراً﴾ : بياناً وكشفاً في جواب اعتراضهم ، وهذا أيضاً من علل جهة إنزاله مفرقاً ، ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ﴾ : مرفوع بالذم أو بدل من ضمير يأتونك ، أو مبتدأ خبره أولئك وعلى أي وجه ففيه بيان أنهم يضربون لك الأمثال ، ويحقرونك، ولايدرون أنهم على تلك الفضيحة ، وفي الصحيح أن رجلاً قال : يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ فقال : " إن من أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة " ، ﴿أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً﴾ : منزلاً أو منزلة ، ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلاً[1]﴾، نسب الضلال إلى السبيل ، وهو لهم فيها للمبالغة مجازاً .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ

---

(١) وقوله شر وأضل ليس على بابهما من الدلالة على التفضيل ، فيمكن أن يكون من باب العسل أحلى من الخل ، يعني قبح مكان الكفرة ، وضلال سبيلهم أكثر من حسن مكان المؤمنين ، وهداية سبيلهم واستقامتها ، ولما سلى رسوله بقوله : " وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا " كما ذكرنا أخذ يبين أعداءهم مجملاً بقوله : " وقروناً بين ذلك كثيراً ، وكلاً ضربنا له الأمثال " ومفصلاً بحكاية موسى ونوح وغيرهما فقال : " ولقد آتينا موسى الكتاب " الآية ١٢ وجيز .

ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾

﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ**﴾، : الألواح[1] أو معنى آتينا أردنا إيتاءه ، أو المراد من الكتاب ما يستلزمه وهو الرسالة ، لأن التوراة ما كان إلا بعد هلاك فرعون كما مر في سورة الأعراف لما سلى رسوله بقوله كذلك جلعنا لكل نبي عدوا شرع يبين أعداءهم مجملاً ومفصلاً ، ﴿**وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً**﴾، : معيناً يعاونه في أمر النبوة، ﴿**فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**﴾، فإن قوم فرعون لما أشركوا بالله كذبوا بما جاء به الأنبياء من قبلهم ، ﴿**فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً**[2]﴾، أي : فذهبا فكذبوهما فاستأصلناهم ، اختصر القصة فذكر مجملها ، لأن المقصود إلزام الحجة ببعثة الرسل أو استحقاق الهلاكة بالتكذيب ، ﴿**وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ**﴾، : نوحاً ومن قبله أو لأن من كذب رسولاً فقد كذب الرسل ، لأن بعضهم يصدق بعضاً ، ﴿**أَغْرَقْنَاهُمْ**﴾، : بالطوفان ، ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ**﴾، إغراقهم أو قصتهم ، ﴿**لِلنَّاسِ آيَةً**﴾، عبرة ، ﴿**وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ**﴾: سوى عذاب الدنيا ، ﴿**عَذَاباً أَلِيماً وَعَاداً وَثَمُودَا**﴾: عطف على قوم نوح، وناصبه محذوف ، أي : لما فعلوا مثل ما فعل المذكورون عذبناهم كما فعلنا بهم ، أو عطف على هم في جعلناهم على أن يكون وجعلناهم عطفاً على مجموع الشرط والجزاء ، ﴿**وَأَصْحَابَ الرَّسِّ**﴾، اختلف فيهم

---

(١) كثير من السلف على أن الألواح غير التوراة /١٢ وجيز .

(٢) اقتصر القصة بمجمل الحكاية فإن المقصود إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق العذاب بالتكذيب/١٢ وجيز .

فمن قائل عباد الأصنام كانوا حول بئر فخسف بهم ، والرس البئر الغير المطوية ، أو قوم دفنوا ودسوا نبيهم في بئر أو أصحاب يسن ، أو أصحاب الأخدود ، أو قرى من اليمامة ، ﴿وَقُرُوناً[1]﴾ ، أهل أعصار ، ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ : الذين ذكرناهم ، ﴿كَثِيراً وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ﴾، : في إقامة الحجة عليهم وأنذرناهم من وقائع أسلافهم فلم يعتبروا ، نصب كلاً بما دل عليه ضربنا إلخ مثل أنذرنا ، ﴿وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيراً﴾، أي : كسرناهم وفتتناهم ، ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى القَرْيَةِ الَتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾، أي : مر قريش في طريق الشام بقرى قوم لوط التى أمطرت عليها الحجارة ، ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾، فيتعظوا بما يرون من آثار العذاب مع أنهم مروا عليها مراراً ، ﴿بَلْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً﴾ : لا يخافونه أو لا يأملونه فلهذا لم يعتبروا ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً﴾: مهزوءاً به أو موضع هزء ، ﴿أَهَذَا الَّذِي﴾، أي: يقولون أهذا الذي ، والإشارة للاستحقار ، ﴿بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً﴾، : قالوه تهكماً ، ﴿إِن كَادَ﴾، مخففة من المثقلة ، ﴿لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ : شارفنا أن نترك ديننا لفرط اجتهاده في تقوية دينه وإبطال دين غيره ، ويصرفنا عن عبادتها ، ﴿لَوْلا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ : استمسكنا بعبادتها وثبتنا عليها ، وجوابه ما دل عليه قبله ، ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ العَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ : جواب عن قولهم إن كاد ليضلنا ،

---

(١) القرون جمع قرن ، والقرن مائة سنة قاله قتادة ، وقيل: مائة وعشرون قال زادة بن أوفى، وقيل: أربعون سنة وقيل غيرها وقد سمي الجماعة من الناس قرناً كما في الحديث الصحيح " خير القرون قرني" [كذا قال والذي في الصحيح بلفظ: "خير الناس قرني" وأما اللفظ الذي أورده لا يصح نبه على ذلك الحافظ وغيره] وأخرج الحاكم في الكنى عن ابن عباس قاله : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انتهى إلى معد بن عدنان أمسك ثم يقول كذب النسابون"/١٢ فتح .[موضوع، انظر الضعيفة(١١١)].

لأنهم نسبوه إلى الضلال ، وفيه وعيد بأنه لايهملهم وإن أمهلهم ، ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ[1] هَوَاهُ﴾، الاستفهام للتعجيب ، فإن دينهم ما تهوى أنفسهم ، وهم كانوا يعبدون حجراً وإذا رأوا حجراً أحسن منه ترك الأول ، ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾: حفيظاً فلا تذهب نفسك عليهم حسرات أو ما أنت عليهم بوكيل فتمنعهم عن اتباع الهوى فالآية منسوخة ، ﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾، : بل أتحسب ، ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ[2]﴾، فيسمعوا أو يعقلوا الحق خص الأكثر ؛ لأن فيهم من عقل وآمن ، أو ما آمن استكباراً ، ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾، فإنها تنقاد لمن يتعهدها وتعرف المحسن إليه ممن يسيء ، وتجتنب المضار وما لها إضلال ، وإن كان لها ضلال .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ

---

(١) قوله إلهه هواه مفعولاه ، والمعنى إنه يتخذ إلها إلا هواه ، وليس من باب القلب فإنه من ضرورات الشعر / ١٢ وجيز .

(٢) وهذه المذمة بحسب الظاهر أشد عما قبله فحقيق بالإضراب إليه عنه / ١٢ وجيز .

ﭐلَّذِى مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَـٰذَا عَذۡبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخًا وَحِجۡرًا مَّحۡجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهۡرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡ ۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ۚ ٱلرَّحۡمَـٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَـٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿أَلَمْ[1] **تَرَ﴾**، : تنظر ، **﴿إِلَى رَبِّكَ﴾**، : إلى صنعه ، **﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾**، وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس جعله ممدوداً ؛ لأنه ظل لا شمس معه ، قال تعالى : " وظل ممدود " (الواقعة: ٣٠)؛ **﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً﴾**، : ثابتاً دائماً لا يزيله الشمس ، **﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾**، فإنه لو لم تكن لما عرف الظل ، فإن الأشياء تعرف بأضدادها ، أو جعلنا مستتبعة عليه تتلوه ، وتتبعه كما يستتبع الدليل المدلول وثم لبيان أن هذا أعظم من الأول ، **﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً﴾**، أزلنا الظل قبضاً على مهل أو سهلاً أو سريعاً بأن أوقعنا موقعه الشمس ، وفيه من المنافع ما لا تحصى والقبض في مقابلة المد ، وثم هنا أيضاً لبيان أن الثالث أعظم من الأولين ،

---

(١) لما بين جهل المعترضين على دلائل حقية كلامه ورسوله ورد بأوضح وجه وأحكمه وأثبت عليهم كمال جهلهم ، ذكر أنواعاً من الدلائل على قدرته التامة العامة ، فقال : " ألم تر " الآية / ١٢ وجيز .

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ[1] لِبَاساً﴾، : شبه الظلام في ستره باللباس ، ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتاً[2]﴾، راحة ، ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً﴾، بعثنا من أخ الموت ، أو ذا نشور ينتشر فيه الخلق لمعايشهم وأسباهم ، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ[3] الرِّيَاحَ بُشْراً﴾ : مبشرات وقرئ نشراً ، أي : ناشرات للسحاب ، ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ :قدام المطر، قد مر تفصيل معناه، وقراءته في سورة الأعراف، ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾، هو اسم لما يتطهر به كالسحور ، عن بعض أن المطر منه ما ينزل من السماء ، وكل قطرة منه في البر بر وفي البحر در يعني : لا يمكن أن لا يكون له فوائد ، ومنه ما يسقيه الغيم من البحر ، فَيَعْذِبُهُ الرعد والبرق ، ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً﴾، وصفها بمذكر لمعنى الموضع والبلد ، ﴿وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ﴾، : جمع إنسي أو إنسان ، ﴿كَثِيراً﴾: فإن بعضهم أهل مدن لا يحتاجون غاية الاحتياج إلى المطر ، وخص الأنعام من الحيوانات لأنه في معرض تعداد النعم ، والأنعام ذخيرة الإنسان متعلقة بهم ، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ[4]﴾، المطر ، ﴿بَيْنَهُمْ﴾، مرة ببلد ، ومرة بأخرى ، وعن ابن مسعود مرفوعاً أن ليس من سنة بأمطر من أخرى ، ولكن الله قسم هذه الأرزاق ، فإذا عمل قوم بالمعاصي حول الله إلى غيرهم فإذا عصوا جميعاً فإلى البحار والفيافي[*]،

---

(١) شرع في آية أخرى ١٢ .

(٢) ومنه يوم السبت ، ويقال للعليل -إذا استراح من تعب العلة: مسبوت / ١٢ وجيز .

(٣) شرع في آية أخرى / ١٢ .

(٤) عن ابن عباس الضمير للقرآن لوضوح هذا الكلام فيه ، ويعضده قوله : " وجاهدهم به " فإن الضمير فيه للقرآن بلا خلاف ، وعن بعض وهو المنقول عن ابن عباس أيضاً معناه صرفنا المطر مرة ببلدة ، وأيضاً مرة بأخرى كما نقل عن ابن مسعود مرفوعاً/١٢وجيز .

(*) أخرجه بنحوه الحاكم (٢/٤٠٢) عن ابن عباس موقوفا، وصححه وأقره الذهبي.

﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾، ليعتبروا بالصرف عنهم وإليهم ، ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾: كفران النعمة أو جحوداً فإنهم قالوا مطرنا[1] بنوء[2] كذا ، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيراً﴾: نبياً ينذرهم ليسهل عليك أعباء النبوة ، ولكن ما فعلنا تعظيماً لأجرك، ﴿فَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ﴾ : فيما يريدونك عليه، وهذا يهيج له ولأمته ، ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾ بالقرآن ، ﴿جِهَاداً كَبِيراً﴾ : لا يخالطه فتور بأن تلزمهم بالحجج والآيات أو بما يأمرك القرآن وما علمت منه ، ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ[3] البَحْرَيْنِ﴾: أرسلهما في مجاريهما وخلاهما ، ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ : بليغ عذوبته ، ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ : هو نقيض الفرات ، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً﴾: حاجزاً حتى لا يخلط أحدهما بالآخر ، ﴿وَحِجْراً مَّحْجُوراً﴾: وهو كلمة يقولها المتعوذ كما مر في هذه السورة ، كأن كلا منهما يقول لصاحبه ما يقوله المتعوذ عنه وهو كدجلة تدخل المالح فتشقه ، فتجري في خلاله فراسخ ولا تختلط ، وقد ذكر أن في سواحل بحر الهند مثل الدجلة ، وأغرب فالحاجز محض القدرة فقط ، أو المراد بالعذب الأنهار ، والعيون والآبار ، وبالملح البحار المعروفة ، وبالبرزخ الأرض الحائل بينهما ، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ[4] مِنَ المَاءِ﴾ :النطفة، ﴿بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً﴾ : ذوي نسب ، أي : ذكوراً ينسب إليهم ، فيقال : فلان ابن فلان ، وفلانة بنت فلان ، ﴿وَصِهْراً﴾: ذوات صهر أناثاً يصاهر بهن ، أو النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل ، وقيل في ابتداء أمره ولداً نسيباً ثم يتزوج ، فيصير

---

(١) قال النحاس: ولا نعلم بين أهل التفسير اختلافاً أن الكفر هنا قولهم: مطرنا بنوء كذا ، والنوء كما هو المختار سقوط نجم من المنازل في المغرب ، وطلوع رقيبه من المشرق في ساعته/١٢ .

(٢) قاله عكرمة / ١٢ .

(٣) بين آية أخري / ١٢ .

(٤) ذكر آية أخرى : ١٢ .

صهراً ، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً ﴾ : على ما يشاء ، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُهُمْ وَلاَ يَضُرُّهُمْ﴾ : ما له كل العجز ، ويتركون القادر المختار ، ﴿وَكَانَ الكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً ﴾ : يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك ، وقيل من ظهرت به إذا خلفته خلف ظهرك غير ملتفت إليه ، أي : هيناً مهيناً لا وقع له عند الله، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ[1] إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾، على ما أرسلت به من البشارة ، والإنذار ، ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾ أي : لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً بإنفاق ماله في سبيله فليفعل ، أو لا أطلب أجراً إلا فعل من شاء التقرب إليه كأن فعله الطاعات جعله من جنس[2] أجره إظهاراً لغاية الشفقة، ودفعاً لشبهة الطمع كما تقول : ما أطلب في تعليمك منك أجراً إلا عزتك ، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ﴾: في الاستغناء عن أجورهم واستكفاء شرورهم فإنه باق حقيق بالتوكل عليه ، ﴿وَسَبِّحْ﴾: نزهه عن كل نقص ، ﴿بِحَمْدِهِ﴾، متلبساً مثنياً بنعوت كماله ، ﴿وكَفَى بِهِ﴾: كفى[3] الله ، ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِه خَبِيراً﴾ : مطلعاً فلا عليك إن آمنوا أو كفروا ، ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى[4] عَلَى العَرْشِ﴾، قد مر في سورة

---

(١) ولما ذكر أن الكافر مهين غير ملتفت إليه على الله ، فذكر بعده ما يدل على أن اللائق بحلل رسوله أن لا يزيد همه فيهم لما بلغ رسالته ، فقال : " وما أرسلناك " الآية/١٢ وجيز .

(٢) ولا شك أنه ليس بأجر له /١٢ وجيز .

(٣) بكل اعتبار انتهى، وكفى: كلمة يراد بها المبالغة يقال : كفى بالعلم جمالاً وبالأدب مالاً يعني : حسبك لا تحتاج معه إلى غيره /١٢ وجيز .

(٤) قوله تعالى : ثم استوى على العرش قال مجاهد : استوى على العرش : علا على العرش ، وقال أبو العالية: استوى إلى السماء ارتفع نقل القولين البخاري في صحيحه ووقعا من النسخة الأحمدية في صفحة ١١٠٣ ، وقال ابن جرير " ثم استوى على العرش الرحمن"،
=

الأعراف تفصيل معناه ، ﴿الرَّحْمَنُ﴾، خبر الذي أو خبر محذوف ، ويكون الذي صفة

= أى: علا وارتفع وقال فى تفسير قوله : ثم استوى على العرش فى كل مواضعه أى : علا وارتفع نقله الذهبي فى كتاب العلو/ ١٢ قال الحافظ العلامة شمس الدين ابن القيم رحمه الله في خطبة النونية : فإن قيل : ما تقولون في مسألة الاستواء ، قيل نقول فيها ما قال ربنا تبارك وتعالى وما قاله نبينا -صلى الله عليه وسلم- نصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل ، بل نثبت له سبحانه ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات وننفي عنه النقائص والعيوب ، ومشابهة المخلوقات إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل ، فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه أو ما وصفه به رسوله تشبيهاً فالمشبه يعبد صنماً ، والمعطل يعبد عدماً ، والموحد يعبد إلهًا واحداً صمداً ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، والكلام في الصفات كالكلام في الذات، فلما أنا نثبت ذاتاً لا تشبه الذوات فكذا نقول في صفاته إنها لا تشبه الصفات ، فليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فلا نشبه صفات الله بصفات المخلوقين، ولا نزيل عنه سبحانه صفة من صفاته لأجل شناعة المشنعين ، وتلقيب المفترين ، كما أنا لا نبغض أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم لتسمية الروافض لنا نواصب ، ولا نكذب بقدر الله ولا نجحد كمال مشيئته وقدرته لتسمية القدرية لنا بجبرية ، فلا نجحد صفات ربنا تبارك وتعالى لتسمية الجهمية والمعتزلة لنا مجسمة مشبهة حشوية إلى أن قال : ونقول : إن الله فوق سماواته مستوياً على عرشه بائن من خلقه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، وإنه سبحانه إليه يصعد الكلم الطيب ، وتعرج الملائكة والروح إليه ، وإنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه وإن المسيح رفع بذاته إلى الله وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرج به إلى الله حقيقة وإن أرواح المؤمنين تصعد إلى الله عند الوفاة فتعرض عليه وتقف بين يديه وإنه تعالى هو القاهر فوق عباده وهو العلي الأعلى ، وإن المؤمنين والملائكة المقربون يخافون ربهم من فوقهم وإن أيدي السائلين ترفع إليه وحوائجهم تعرض عليه وإن الله سبحانه العلي الأعلى بكل اعتبار انتهى.

للحي ، ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً[1]﴾ أي : سل ما ذكر من الخلق والاستواء عالماً يخبرك ومن أعلم من الله؟ أو المراد سل جبريل ، وقيل : أهل الكتاب ليصدقك فيه ، والسؤال يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء ، أو به متعلق بخبير ، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾، فإنهم ما يطلقون هذا الاسم على الله ، ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾: للذي تأمرنا بسجوده ، أو لأمرك لنا ، وما نعرفه وقرئ يأمرنا بالياء ، فيكون هذا كلام بعضهم لبعض ، ﴿وَزَادَهُمْ﴾، الأمر بالسجود ، ﴿نُفُوراً﴾: عن الإيمان .

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن

---

(١) بالرحمن فإن أهل الكتاب يعرفون ما يراد به في كتبهم وإن قريشاً أنكروا إطلاقه على الله/١٢ وجيز .

تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾﴾

﴿تبارَكَ[١] الّذي جَعَلَ فِي السَّماءِ بُرُوجاً﴾، : قصوراً عالية هي الكواكب السبعة السيارة كالمنازل[٢] لسكانها أو البروج الكواكب العظام ،﴿وجَعَلَ فِيهَا سِراجاً﴾: الشمس ومن قرأ سرجاً فمراده الكواكب الكبار ، ﴿وقَمراً مُنيراً﴾ : مضيئاً بالليل ، ﴿وَهُوَ الَّذي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ خِلْفَةً﴾ أي : ذوى خلفة يعقب هـذا ذاك وذاك هذا ، ويخلف كل واحد منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغى أن يعمل فيه فمن فاته عمله في أحدهما قضاه[٣] في الآخر والفعلة بالكسر كالجلسة للحالة ، وبالفتحة للمرة ، ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ : لينظر في اختلافهما فيعلم أن له صانعاً قادراً حكيماً ، ﴿أَوْ

(١) ولما ذكر أنه خلق السماوات والأرض ، عقبه بما خلق في السماء ، وبأعظم ما خلق في السماء من منافع السماء والأرض، فقال: (تبارك الذي) /١٢وجيز .

(٢) وهو المروي عن على وابن عباس وغيرهما وهي الحمل ، والثور ، والجوزاء ، والسرطان، والأسد ، والسنبلة ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدي ، والدلو ، والحوت /١٢ وجيز .

(٣) قاله ابن عباس /١٢ وجيز .

أَرَادَ شُكُوراً ﴾ : أن يشكر الله أو ليكونا وقتين للمتذكرين ، والشاكرين من فاته ورده في أحدهما قام به في الآخر ، ﴿وَعِبَادُ[1] الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً ﴾، هينين أو مشياً هيناً بسكينة ووقار من غير جبرية ، واستكبار لا مشي المرضى، فإنه مكروه وهو مبتدأ خبره الذين يمشون ، أو أولئك يجزون الغرفة ، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً[2] ﴾، أي : إذا خاطبوهم بما يكرهونه قالوا سداداً من القول يسلمون فيه من الإثم أو تسليماً منكم لا خير بيننا ولا شر قال تعالى: "وإذا سمعوا اللغو" الآية (القصص:٥٥)، وعن الحسن البصري قالوا: السلام ، وفي الحديث ما يؤيده، ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً[3] ﴾، تخصيص البيتوتة ، لأن الصلاة

---

(١) ولما أنه جعلهما خلفة لمن أراد الذكر والشكر عرفه وبينه فقال: "وعباد الرحمن" الآية/١٢ وجيز .

(٢) ويسمى هذا سلام متاركة قال تعالى: " وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه " الآية (القصص:٥٥)، يعني يتركونه ولا يعارضونه فإن من عارض جاهلاً فهو مثله ، وعدم معارضة الجاهل من تتمة الوقار ، ولهذا لم يقل والذين إذا خاطبهم الجاهلون /١٢ وجيز . في الفتح قال النضر بن شميل حدثني الخليل قال : أتيت أبا ربيعة الأعرابي ، وكان من أعلم من رأيت فإذا هو على سطح فسلمنا فرد علينا السلام ، وقال لنا استووا فبقينا متحيرين و لم ندر ما قال ، ، فقال لنا: أعرابي إلى جنبه : أمركم أن ترتفعوا قال الخليل: هو من قول الله : " ثم استوى إلى السماء " فصعدنا إليه فقال : هل لكم في خبز فطير ، ولبن هجير؟ فقلنا : الساعة فارقناه ، فقال: سلاماً فلم ندر ما قال فقال الأعرابي: إنه سالمكم متاركة لا خير فيها ، ولا شر قال الخليل : هو من قول الله عز وجل : " وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً " ، قال الحسن: هذا وصف نهارهم ثم وصف ليلتهم بقوله : " والذين يبيتون " الآية /١٢ .

(٣) المراد إحياء تمام الليلة أو أكثره بالصلاة ، فالقيام والسجود حالان من أحوال الصلاة والبيتوتة أن يدركك الليل نمت أو لم تنم والصلاة في الليل أفضل ، قال تعالى : " تتجافى جنوبهم عن المضاجع " الآية (السجدة:١٦)/١٢ وجيز .

بالليل أفضل ، ﴿وَالَّذِينَ[1] يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾ ، هلاكاً ملحًّا[2] لازمًا ، ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَراً وَمُقَاماً﴾، مستقراً مفسر لضمير مبهم في ساءت ، والمخصوص بالذم المقدر هو سبب الربط بين اسم إن وخبرها، أي : بئست مستقراً هي ، قيل : التعليلان من كلام الله أو حكاية لكلامهم ، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ : ليسوا مبذرين ، ولا بخلاء ، بل يكون إنفاقهم عدلاً وسطاً[3] ، وقواماً إما خبر ثان أو حال مؤكدة ، وقد فسر بعض المفسرين الإسراف بالنفقة في معصية الله وإن قلّت ، والإقتار بمنع حق الله ، وليت شعري كيف يصح مع قوله ، وكان إنفاقهم بين الإسراف ، والتقتير قواماً فتأمل ، ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾، قتلها ، ﴿إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾، : متعلق بلا يقتلون ، أو بالقتل المقدر ، ﴿وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾، جزاء إثمه ، أو الآثام واد ، أو بئر في جهنم ، ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، بدل من يلق أثاماً ، ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴾، وتضعيف العذاب والخلود فيه لانضمام الكبيرة إلى الكفر ، ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾، أي : تنقلب بنفس التوبة النصوح فإنه كلما تذكر ما مضى تحسر وندم واستغفر ، فيقلب الله ذنبه طاعة ، فالعبد يتمنى أن تكون سيئاته أكثر من ذلك ، والأحاديث الصحاح تدل على هذا المعنى، أو أنه يمحوها ويثبت مكانها الإيمان ، وما عمل من الطاعة في إسلامه ،

---

(١) فيه إيذان بأنهم مع اجتهادهم في العبادة خائفون مبتهلون في صرف العذاب عنهم لا معجبون بعبادتهم /١٢ وجيز .

(٢) من ألح السحاب ، أي : دام مطره وأقام/ ١٢ .

(٣) وعن عمر من اشترى أي شيء اشتهى فهو مسرف /١٢ وجيز .

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً[1] رَّحِيماً ﴾، فلذلك يعفو عن السيئات ، ويبدلها ، ﴿وَمَن تَابَ ﴾، : عن المعاصي ، ﴿وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ ﴾، يرجع إليه بذلك، ﴿مَتَاباً[2] ﴾ : مرضياً عنده ، أو يرجع إلى ثوابه مرجعاً حسناً، ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ : لا يحضرون محاضر الباطل ، أو لا يقيمون الشهادة الباطلة ، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ ﴾ : المعاصي كلها لغو ، ﴿مَرُّوا كِرَاماً ﴾ : مكرمين أنفسهم عما يشينهم مسرعين معرضين يعني لم يحضروا مجالسه، وإذا اتفق مرورهم به لم يتدنسو بشيء ، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ : وعظوا بالقرآن ، ﴿لَمْ يَخِرُّوا ﴾، : لم يسقطوا و لم يقيموا ، ﴿عَلَيْهَا صُماً وَعُمْيَاناً ﴾، يعني لم يقيموا عليها غير واعين ولا غير متبصرين بما فيها ، بل سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية ، فالنفي متوجه إلى القيد[3] ، ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ : يسألون أن تكون أزواجهم وأولادهم مطيعين لله أبرارًا تقر بهم[4] عيونهم ويسرون برؤيتهم ، ومن بيانية كرأيت منك أسداً أو ابتدائية ، ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾ : أئمة يقتدي بنا في الخير ، ولنا نفع متعدٍ إلى[5] غيرنا ، وحّد إمامًا لأن المراد كل واحد، أو لأن مجموع لاتحاد طريقتهم كنفس واحدة ، أو لدلالته على الجنس ، ولا لبس قيل : جمع أُمّ أي : اجعلنا قاصدين تابعين للمتقين ، ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ ﴾ : الدرجة

---

(١) والظاهر من الآية قبول توبة المسلم القاتل بغير حق /١٢وجيز .

(٢) أو المراد من تاب فقد تاب إلى من له اللطف الشامل والرحمة الواسعة /١٢ وجيز.

(٣) أي : ليس نفياً للخبر بل هو إثبات له ونفي للصمم والعمى نحو : لا يلقاني زيد مسلماً هو نفي للسلام لا للقاء /١٢ وجيز.

(٤) مأخوذ من القر وهو البرد ، يقال : أقر الله عينك وأسخن عين عدوك فقيل : دمع السرور بارد ودمع الحزن حار / ١٢ .

(٥) كالأنبياء / ١٢ منه .

الرفيعة في الجنة ، وهي اسم جنس أريد به الجمع ، ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ : على طاعة الله وبلائه وعن محارمه ، ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً﴾ : تحييهم الملائكة ، وتسلم عليهم ، وبعضهم بعضاً لقاهم كذا أى : استقبالهم به ، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَراً وَمُقَاماً﴾، مقابل ساءت مستقراً ومقاماً في المعنى والإعراب ، ﴿قُلْ[1] مَا يَعْبَأُ بِكُمْ﴾ : ما يصنع بكم ، ﴿رَبِّي﴾ : لا وزن ولا مقدار لكم عنده ، ﴿لَوْلا دُعَاؤُكُمْ[2]﴾ إيمانكم وعبادتكم ، أو ما يعبأ بخلقكم لولا عبادتكم يعني أن خلقكم لعبادته ، أو ما يبالي مغفرتكم لولا دعاءكم معه آلهة أخرى، أو ما يفعل بعذابكم لولا شرككم ، وما إن كانت استفهامية نصبت على المصدر ، أي : أي : عبأ يعبأ بكم، ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ : بما أخبرتكم به ، حيث خالفتموه ، ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ : التكذيب أي: جزاؤه، ﴿لِزَاماً﴾: لازمًا لا ينفك عنكم.

اللهم اجعلنا ممن أحسنت مستقرهم ومقامهم.

---

(١) لما ختم أوصاف عباد الرحمن بالدعاء والإخلاص وذكر حسن جزائهم أمر الرسول النذير بأن يقول لمن تكبر عن سجود الرحمن فقال : " قل ما يعبأ بكم " الآية/١٢ وجيز .

(٢) قيل : معناه ما يعبأ بعذابكم في الدنيا لولا دعائكم في الشدائد فالعذاب لنفعكم كما قال الله : " فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون" (الأنعام:٤٢) /١٢ وجيز .

سورة الشعراء مكية

إلا قوله: "والشعراء يتبعهم الغاوون" إلى آخره

وهي مائتان وست أو سبع وعشرون آية وأحد عشر ركوعًا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طسٓمٓ ① تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ② لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ③ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ④ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ⑤ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ⑥ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ⑦ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ⑧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ⑨ ﴾

﴿**طسم**﴾ عن بعض السلف إنه من أسماء الله ، وعن بعض إنه قسم ﴿**تلْكَ**﴾ إشارة إلى السورة ﴿**آيَاتُ الكتَاب المُبِين**﴾ القرآن ﴿**لَعَلَّكَ باخِعٌ**﴾ قاتل ﴿**نَّفسَكَ**﴾ أشفق[1] على نفسك أن تقتلها ، ﴿**أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمنينَ**﴾ لئلا يؤمنوا ، ﴿**إن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً**﴾ ملجئة إلى الإيمان ﴿**فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ**﴾ منقادين فلا يقدرون بعدها على الإعراض ، ولم يقل خاضعة؛ لأن المقصود أهل الأعناق ، وزيدت الأعناق لبيان موضع الخضوع ، أو كما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء أجريت مجراهم ، أو المراد من الأعناق الرؤساء ، أو الجماعات ، وعطف بصيغة الماضي على المضارع الذى هو الجزاء إشعارًا بأن انقيادهم أمر مقطوع به كأنه

---

(١) لعل للإشفاق / ١٢.

مضى فيخبر عنه ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ طائفة من القرآن تكون موعظة ﴿مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ[1]﴾ مجـرد إنزاله ﴿إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ استمـروا علـى

---

(١) قال البخاري في صحيحه : قال ابن مسعود : عن النبي صلى الله عليه وسلم "إن الله يحدث من أمره ما يشاء ، وإن مما أحْدث أن لا تكلموا في الصلاة" [علقه البخاري في صحيحه (١٣/٤١٦) بصيغة الجزم، ووصله أبو داود وغيره بإسناد حسن] وعن ابن عباس قال : كيف تسألون أهل الكتاب عن كتبهم ، وعندكم كتاب الله أقرب الكتب عهدًا بالله تقرءونه محضًا لم يشب ، قال البخاري : إن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين لقوله : " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير "(الشورى:١١) انتهى ، قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه : مذهب سلف الأمة وأئمتها أنه سبحانه لم يزل متكلمًا إذا شاء وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته ، وأنه نادى موسى بصوت سمعه موسى ، وإنما ناداه حين أتى لم يناده قبل ذلك ، وإن صوت الرب لا يماثل أصوات العباد كما أن علمه لا يماثل علمهم ، وقدرته لا تماثل قدرتهم ، وقد قال الإمام أحمد حينئذ وغيره: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء ، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته يتكلم بشيء بعد شيء ،وقالت طائفة : هو معنى واحد ، وهو الأمر بكل مأمور ، والنهي عن كل منهي ، والخبر بكل مخبر إن عبر عنه بالعربية كان قرآنًا ، وبالعبرانية كان توراة ، وبالسريانية كان إنجيلاً ، فجعلوا آية الكرسي ، وآية الدين ، وسائر آيات القرآن ، والتوراة ، والإنجيل ، وكل كلام يتكلم الله به معنى واحدًا لا يتعدد ، ولا يتبعض وهذا القول مخالف للشرع والعقل ، وقالت طائفة : هو حروف وأصوات قديمة والأعيان ملازمة لذات الله لم تزل لازمة لذاته ، وأن الباء والسين والميم موجودة مقترنة بعضها ببعض معًا أزلاً ، وأبدًا لم تزل ، ولا تزال لم يسبق منها شيء شيئًا ، وهذا أيضًا مخالف للشرع ، والعقل ، وقالت الطائفتان : إن الله لا يتكلم بمشيئته وقدرته ، وإنه في الأزل كان متكلمًا بالنداء الذي سمعه موسى ، وإنما تجدد استماع موسى؛ لأنه ناداه حين أتى الوادي المقدس ، بل ناداه قبل ذلك بما لا يتناهى ، ولكن تلك الساعة سمع النداء ، وهؤلاء وافقوا الذين قالوا: إن القرآن مخلوق في أصل قولهم ، فإن أصل قولهم إن الرب =

إعراضهم ، فلم يرفعوا إليه رءوسهم ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ بالذكر ، وأدى تكذيبهم إلى الاستهزاء ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أهو حقيق[1] بالتعظيم حق أم بالاستهزاء باطل ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ لم ينظروا ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ إلى عجائبها ﴿كَمْ أَنْبَتْنَا

= لا تقوم به الأمور الاختيارية ، فلا يقوم به كلام ، ولا فعل باختياره ومشيئته ، وقالوا : هذه حوادث ، والرب لا تقوم به الحوادث ، وإنه يتكلم بكلام لا يقوم بنفسه ، وإنه لم يستو على عرشه بعد أن خلق السماوات والأرض ولا يأتي يوم القيامة ، ولم يناد موسى حين ناداه ، ولا تغضبه المعاصي ، ولا ترضيه الطاعات ، ولا تفرحه توبة التائبين، وقالوا في قوله تعالى: "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"(التوبة:١٠٥) ونحو ذلك إنه لا يراها إذا وجدت ، بل إما أنه لم يزل رائيا لها، وإما أنه لم يتجدد شيء موجود ، بل تعلق معدوم إلى أمثال هذه المقالات التي خالفوا فيها نصوص الكتاب والسنة مع مخالفة صريح العقل ، وخالفوا السلف والأئمة في قوله: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء ووافقوا الجهمية والمعتزلة في أصل قولهم : إن الرب لا تقوم به الحوادث ، والقرآن المجيد يدل على بطلان هذا الأصل في أكثر من مائة موضع وأما الأحاديث الصحيحة فلا يمكن ضبطها في هذا الباب ، وقد جرد الإمام أحمد الآيات التي من القرآن تدل على بطلان قولهم ، وهي كثيرة جدًا ، بل الآيات التي تدل على الصفات الاختيارية التي يسموها حلول الحوادث كثيرة جدًا فخالفوا صحيح المنقول، وصريح المعقول ، واعتقدوا أنهم بهذا يردون على الفلاسفة ، ويثبتون حدوث العالم، وأخطئوا في ذلك فلا للإسلام نصروا ، ولا للفلاسفة كسروا انتهى. ملتقطًا من مواضع مع اختصار ، وقد مر بعض الكلام على هذا في صورة الأنبياء فتذكر .

تـالله قـد لاح الصـباح لمـن له ... عيـنان نحـو الفجـر ناظـرتان

وأخـو العمايـة في عمايـته يقول ... اللـيل بعـد أيسـتوى الـرجلان

. ١٢

(١) فيه وعيد بعذاب الدنيا والآخرة ، ولما كان إعراضهم لعدم التأمل في الصنائع نبههم ببديع يشبه الموت ، والحشر ، فقال : " أولم يروا إلى الأرض " الآية / ١٢ وجيز .

﴿فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف ﴿كَرِيمٍ﴾ كثير النفع، والكريم صفة لكل ما يرضى في بابه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الإنبات ﴿لَآيَةً[1]﴾ على أن منبتها قادر حكيم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ في علم الله ، وقضائه ، فلهذا لا تنفعهم الآيات ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ[2] الرَّحِيمُ﴾ فيمهلهم مع أنه لا غالب عليه أحد.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ۝١٣ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝١٤ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ۝١٥ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٧ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝١٨ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٩ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢١ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٢٢ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٢٤ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۝٢٥ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ

---

(١) ولما كان الإثبات شيئًا واحدًا أفرد آية أو أراد أن في كل واحد من تلك الأزواج/١٢ وجيز .

(٢) ولولا اجتماع العزة والرحمة لانتقم منهم من غير مهل ، ولما ذكر تسجيلهم بكفر أكثرهم سلى نبيه بقصة موسى مع فرعون ، وإغراق القبط مع كثرتهم وما قاساه منهم، فقال : " وإذ نادى ربك موسى " الآية / ١٢ وجيز .

ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَـٰهًا غَيۡرِى لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَىۡءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعۡبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيۡضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَإِذْ نَادَى﴾ مقدر باذكر ﴿رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ﴾ أي بأن ، أو أن مفسرة ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ[1] فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ ﴾ تقديره ائتهم قائلاً قولي لهم " ألا يتقون " نحو : "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب "(البقرة:١٨٦) أو استئناف أتبعه إرساله إليهم تعجيبًا لموسى من أمنهم العواقب ، وعدم خوفهم عقاب الله ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنطَلِقُ[2] لِسَانِي﴾ بعد التكذيب فأعجز عن جوابهم ﴿فَأَرْسِلْ[3]﴾ جبريل ﴿إِلَى هَارُونَ ﴾ اجعله نبيا يقوي قلبي ، ويتكلم حيث تعروني حبسة ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ تبعة ذنب وهي قصاص قتل قبطي قتله موسى ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ به فلم يتم أمر الرسالة ﴿قَالَ كَلاَّ﴾ لن يقتلوك ﴿فَاذْهَبَا﴾ عطف على ما دل عليه كلا ، أي : ارتدع عما تظن فاذهب أنت وهارون، وغلب الحاضر ﴿بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ[4] ﴾ لما يجري بينكم ، وبين

---

(١) الأجود نصب قوم بأنه عطف بيان سجل عليهم بالظلم ، أولاً ثم عينهم وبينهم ألا يتقون، أي : ائتهم قائلاً قولي لهم " ألا يتقون " / ١٢ وجيز .

(٢) يعني لي ثلاثة أشياء ، خوف التكذيب ، وضيق الصدر ، وعدم انطلاق اللسان/١٢ وجيز .

(٣) يعني لهذه الثلاثة أرسل / ١٢ منه .

(٤) قوله تعالي : " إنا معكم " وليس معني قوله " إنا معكم " أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة ، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة ، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق،=

عدوكم ، فأظهركم عليه ، فلا تخف ذكر " معكم " بلفظ الجمع كـــ " مستمعون " للتعظيم مثل نفسه بمن حضر محضرًا ليصغي إلى مقاولتهم فيمد أولياءه ، ومعكم إما حال ، أو ظرف مقدم ، أوخبر أول ، ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لوحدة المرسل به وحد الرسول أو لاتحادهما في الأخوة ، أو لأنه أراد كل واحد منهما ، أو لأنه مصدر وصف به أى : ذوو رسالة ﴿أَنْ أَرْسِلْ﴾ بأن أرسل ﴿مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ خلهم يذهبوا معنا إلى الشام[1] ﴿قَالَ﴾ فرعون بعدما أتيا وأديا

= بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته ، وهو موضوع في السماء ، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان ، وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع إليهم إلى غير ذلك من معني ربوبيته ، وكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة مثل أن يظن أن ظاهر قوله "في السماء" أن السماء تقله ، أو تظله ، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان ، فإن الله قد وسع كرسيه السماوات والأرض ، وهو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا ، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، "ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره"(الروم:٢٥) / ١٢ العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام .

(١) أي: فلسطين ولا تستعبدهم ، وكان فرعون استعبدهم أربعمائة سنة ، وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثنتين ألفا ، فانطلق موسى إلى مصر وهارون بها فأخبره بذلك ، وفي القصة (إن موسى رجع إلى مصر ، وعليه جبة صوف ، وفي يده عصا والمكتل معلق في رأس العصا ، وفيه زاده فدخل دار نفسه وأخبر هارون بأن الله أرسلني إلى فرعون وأرسلني إليك حتى ندعوا فرعون إلى الله ، فخرجت أمهما وصاحت وقالت : إن فرعون يطلبك ليقتلك فلو ذهبتما إليه قتلكما فلم يمتنعا لقولها ، وذهبا إلى باب فرعون ليلاً ودقا الباب ، ففزع البوابون ، وقالوا: من بالباب؟ وروى أنه اطلع البواب عليهما وقال : من أنتما ؟ فقال موسى : أنا رسول رب العالمين ، فذهب البواب إلى =

رسالتهما : ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾ في منازلنا ﴿وَلِيدًا﴾ طفلاً ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ ثلاثين سنة ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ أي : قتل القبطي ، وبخه بما جرى على يده ، وعظمه حيث أتي به مجملاً كأنه لفظاعته لا ينطق به بعدما عدد عليه نعمه ، ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الجاحدين لنعمتي ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ الجاهلين لم يأتني من الله شيء ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ نبوة أو فهمًا وعلمًا ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي : تلك التربية نعمة ، لأنك اتخذهم عبيدًا ، وما اتخذتني عبدا فهذا اعتراف بنعمته ، أوتلك نعمة لأجل أنك عبدتهم ، ولولا ذلك لكفلني أهلي ، وما كنت إلى تربيتك محتاجًا يعني هذا منة، ونعمة لا حقيقة تحتها ، بل نقمة في الحقيقة ، أو تلك إشارة إلى ما في الذهن ، وقوله أن عبدت إلخ عطف بيانها أي: تعبيدك إياهم منة تمنها عليَّ ، وليست إلا غاية نقمة وبلية ، أو همزة الإنكار مقدرة أي : أو تلك نعمة ، وقوله: أن عبدت إلخ علة للإنكار ، أي : هل يبقي إحسان مع تلك الإساءات ، وكيف تقابله ؟! ، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي : أي شيء هو وهذا إنكار منه أن يكون إله غيره ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ما بين الجنسين ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ من أهل الإيقان والنظر الصحيح ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ من أشراف قومه تعجبًا: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ هذا كأنه سمع ما لم يسمع قط ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ حين لم يكن فرعون ، ولا قومه إشارة إلى أن الإله لابد أن يكون قديمًا فالحادث لا يليق ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ حيث يتكلم بما

فرعون وقال : إن مجنونًا بالباب يزعم أنه رسول رب العالمين ، فترل حين أصبح ، ثم دعاهما هذا ما نقله البغوي بصيغ التمريض في المعالم ، والله بصحته وسقمه أعلم / ١٢ .

لم نعهد أن نسمعه ، وينفي ما اتفق عليه الخلق من ألوهيتي ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فإن طلوع الشمس من جانب ، والغروب من آخر علي هيئة مستقيمة مع اختلاف المطالع في فصول السنة من أظهر ما استدل به ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ إن كنتم عقلاء عارض " إن رسولكم لمجنون " به قيل: سؤال(*) فرعون بقوله ، وما رب العالمين ، عن حقيقة المرسل ، وموسى عرفه بأظهر خواصه وآثاره، إشارة إلى أن بيان حقيقته ممتنع ، ولهذا قال : إن كنتم موقنين الأشياء محققين لها ثم استعجب فرعون لأنه سأل عن الحقيقة ، وأجيب بالأفعال ، ثم عدل إلى ما أقرب إلى الناظر ، وأوضح عند التأمل ، ثم صرح فرعون بجنونه لأنه يسأل عن شيء ، ويجيب عن آخر ، ثم استدل بشيء من غرائب آثاره الظاهرة الدالة على كمال قدرته وحكمته ، فعدل فرعون إلي التهديد ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ اللام للعهد فسجنه هوة بعيدة العمق مظلمة ، أي : ممن عرفت حالهم في السجن﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ الواو للحال ، أي أتفعل بي ذلك ، ولو جئتك بشيء يبين لك صدقي؟ ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك أو في أن لك بينة ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر[1] ثعبانيته ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ تتلألأ كالشمس لها شعاع يكاد يغشى الأبصار ويسد الأفق.

﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ

(*) في النسخة (ن): سأل.

(١) ليست من التي تزور بالشعبذة/١٢ .

مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ ﴾

﴿قَالَ لِلْمَلأ حَوْلَهُ﴾ ظرف في محال الحال: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ في سحره ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ﴾ بأن يذهب بقلوب الناس ، فيكثر أعوانه ، فيغلبكم على دولتكم ، فيأخذ البلاد منكم ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ من المؤامرة وهي المشاورة ، أي : أشيروا على فيه ما أصنع أو من الأمر أي : أي أمر تأمرون؟ وعلى الوجهين كلامه من فرط الدهش ﴿قَالُوا أَرْجِهْ﴾ أخره ﴿وَأَخَاهُ﴾ أو احبسهما ﴿وَابْعَثْ﴾ شرطًا ﴿فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ يجمعون السحرة ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ لعلهم يغلبونه ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ الميقات وقت الضحى ، واليوم يوم عيدهم ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ حثهم على الإنطلاق كما تقول لعبدك هل أنت منطلق إلى فلان؟ ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ﴾ ولا نتبع موسى ﴿إِن كَانُوا هُمُ الغَالِبِينَ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ يعني : إن غلبتم

لكم الأجر ، والقربة "فإذًا" جواب وجزاء ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ هذا إذن منه في تقديم ما هم فاعلوه[1] البتة ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ﴾ جمع عصى ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الغَالِبُونَ ﴾ أقسموا بعزته لفرط اعتقادهم الغلبة ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ ﴾ ما يزورونه[2] أو ما مصدرية ، وتسمية المأفوك إفكًا للمبالغة ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾ لعلمهم أن هذا وراء السحر يعني لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض كأنهم أخذوا فطرحوا طرحًا على وجوههم ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ فوادعكم[3] ذلك وتواطأتم عليه ، أو فعلمكم شيئًا دون شيء يريد التلبس على قومه من خوف اعتقادهم حقيته ، ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبال ما فعلتم ﴿لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ﴾ مختلفات اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ[4] أَجْمَعِينَ قَالُوا لاَ ضَيْرَ﴾ لا ضرر لنا في ذلك ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ نرجع إليه ، وهو لا يضيع أجر الصابرين ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا﴾ لأن كنا

---

(١) فلا يلزم الإذن في فعل الحرام قيل: أذن فيه ليبطله من أسه ، ويظهر على الخلق بطلانه/١٢ وجيز .

(٢) ويقلبونه عن وجهه بتمويههم ، وتزويرهم ، فيخيلون حبالهم وعصيهم أنهم حيات تسعى ، وفيه دليل على أن منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئًا لا حقيقة له/١٢ بيضاوي .

(٣) وادعهم صالحهم /١٢ ق ، موادعة مصالحة/١٢ صراح .

(٤) قيل إنهم فعل بهم ما توعدهم به من التقطيع والتصليب ، وقيل: لم يفعله بهم ولم يرد في القرآن ما يدل على أنه فعل بهم ذلك ، فلما سمعوا ذلك من قوله قالوا : " لا ضير " الآية / ١٢ فتح .

﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لموسى من القبط ، أو بالله من أهل زماننا ، وقد مـــر في ســورة الأعراف وطه بسطها فأرجع إليهما.

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْأَخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْأَخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ من مصر ، وذلك بعد مدة متطاولة هو بين أظهر القبط يدعوهم إلى الله ، وهم لا يزيدون سوى الكفـــر ، والإصـــرار ﴿إِنَّكُـــم مُّتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده ، وهذا علة الأمر بالإسراء لأنـــه ســـبب هـــلاك الأعداء ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين علم خروجهم ، ﴿فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ يحشـــرون العساكر ليتبعوهم فيأخذوهم ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ﴾ أي : قال لهم إن بني إسرائيل ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾ طائفة قليلة ﴿قَلِيلُونَ﴾ صفة ، أو خبر بعد خبر ، قيل : إنهم ستمائة وسبعون[1] ألفًا ،

---

(١) قاله ابن مسعود / ١٢ فتح .

ومقدمة جيش فرعون سبعمائة[1] ألف ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴾ لفاعلون ما يغيظنا ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ لَجَمْعٌ من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور، وهذه معاذيره لئلا يظن به الخوف ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم﴾ من كلام الله لا حكاية كلامهم، أي : بهذه الداعية ﴿مِّن جَنَّاتٍ﴾ بساتين بنوا على شاطئ النيل ﴿وَعُيُونٍ ﴾ أنهار جارية ﴿وَكُنُوزٍ﴾ أموال جمعوها و لم يعطوا حق الله ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ منازل حسنة ﴿كَذَلِكَ﴾ الأمر وأخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفنا ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أعطيناهم ديارهم ، وأموالهم ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ فلحقوهم ﴿مُّشْرِقِينَ﴾ داخلين في وقت الشروق ، أي : طلوع الشمس ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾ رأى كل منهما الآخر ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ[2] ﴾ ملحقون ﴿قَالَ﴾ موسى ثقة بوعد الله ﴿كَلاَّ﴾ لن يدركوكم ﴿إِنَّ مَعِيَ[3] رَبِّي﴾

---

(١) وجملة جيشه ألف ألف وستمائة ألف قال صاحب الفتح -بعدما ذكر أقوالاً مختلفة في ذلك: هذه الأقوال ، والروايات المضطربة قد روى عن كثير من السلف ما يماثلها في الاضطراب والاختلاف ، ولا يصح منها شيء عن النبي -صلى الله عليه وسلم/١٢ .

(٢) قالوا حين رأوا عدوهم والبحر أمامهم فساءت ظنونهم / ١٢ وجيز .

(٣) قال شيخ الإسلام أبو العباس -رحمه الله- في شرح حديث النزول : اعلم أنه قد بسط الإمام أحمد الكلام على المعية في الرد على الجهمية ، ولفظ المعية في كتاب الله جاء عامًّا كما في قوله تعالى : "وهو معكم أينما كنتم "(الحديد:٤) وفي قوله : " ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم" (المجادلة:٧) إلى قوله : " إلا هو معهم أينما كانوا " (المجادلة:٧)، وجاء خاصًّا كما في قوله: " إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " (النحل:١٢٨)، وقوله: " إني معكما أسمع وأرى "، وقوله: " لا تحزن إن الله معنا "(التوبة:٤٠) ، فلو كان المراد بذاته مع كل شيء لكان التعميم يناقض التخصيص ، فإنه قد علم أن قوله : " لا تحزن إن الله معنا "(التوبة:٤٠) ، أراد به تخصيص نفسه ، =

بالنصرة ﴿سَيَهْدِينِ﴾ طريق[1] النجاة ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب﴾ أن مفسرة ﴿بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ القلزم[2] ﴿فَانفَلَقَ﴾ أي : ضرب فانشق ، أوحى إلى البحر إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له ، فبات البحر تلك الليلة يضطرب يضرب بعضه بعضًا فرقًا من الله ، وانتظارًا لما أمره الله ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ كل قطعة من البحر ﴿كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ كالجبل الضخم ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ قربنا ﴿ثَمَّ الآخَرِينَ﴾ فرعون وقومه حتى

= وأبا بكر دون عدوهم من الكفار ، وكذلك قوله : " إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " (النحل:١٢٨) خصهم بذلك دون الظالمين ، والفجار وأيضًا فلفظ معية ليست في لغة العرب ولا شيء من القرآن ، أن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى كما في قوله : " محمد رسول الله والذين معه "(الفتح:٢٩) ، وقوله : " فأولئك مع المؤمنين "(النساء:١٤٦) ، وقوله : " اتقوا الله وكنوا مع الصادقين "(التوبة:١١٩) ، وقوله : " جاهدوا معكم "(الأنفال:٧٥) ، ومثل هذا كثير فامتنع أن يكون قوله: "وهو معكم " يدل على أن ذاته تكون مختلطة بذوات الخلق ، وأيضًا فإنه افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم ، فكان السياق يدل على أنه أراد أنه عالم بهم ، وقد بسط الكلام عليه في موضع آخر ، وبين أن لفظ المعية في اللغة وإن اقتضى المجامعة والمصاحبة والمقاربة فهو إذا كان مع العباد لم يناف ذلك علوه على عرشه ، ويكون حكم معيته في كل مواطن بحسبه ، فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان ويخص بعضهم بالإعانة والنصر والتأييد ، وقال في موضع آخر من الكتاب المذكور : وقد ثبت عن السلف أنهم قالوا : هو معهم بعلمه ، وقد ذكر ابن عبد البر ، وغيره أن هذا إجماع الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان ، ولم يخالفهم فيه أحد يعتد بقوله ، وهو مأثور عن ابن عباس ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان ، وسفيان الثوري ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهم ، ثم ذكر الأسانيد ، وأطال الكلام / ١٢ .

(١) ولا يبعد أن موسى عليه السلام استنبط ذلك من قول الله : " إنا معكم مستمعون "/ ١٢ وجيز .

(٢) وهو اسم الخليج من البحر الأخضر ، وهو على تسع منازل من مصر/١٢ وجيز .

دخلوا مداخلهم من أثرهم ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ عبرة وعظة ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم[1] مُّؤْمِنِينَ﴾ ما آمن منهم إلا رجل وامرأتان ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه.

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا

---

(١) أي : ما كان أكثر القبط مؤمنين ، فإنه قد آمن السحرة ، وآسية امرأة فرعون ، ومؤمن آل فرعون ، وامرأة أخرى اسمها مريم / ١٢ .

يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿**وَاتْلُ**[1]﴾ يا محمد ﴿**عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ**﴾ سألهم ليريهم أن معبودهم لا يستحق العبادة ﴿**قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ**﴾ ندوم ﴿**لَهَا عَاكِفِينَ**﴾ عابدين، أطنبوا في الجواب كمن يفتخر بصنيعه ﴿**قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ**﴾ يسمعون دعاءكم ﴿**إِذْ تَدْعُونَ**﴾ ومجيئه مضارعًا مع إذ على حكاية الحال الماضية استحضارًا لها ، ﴿**أَوْ يَنفَعُونَكُمْ**﴾ إذ تعبدوها ﴿**أَوْ يَضُرُّونَ**﴾ إذ تعرضون عنها ﴿**قَالُوا**[2] **بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾ فقلدناهم أسندوا فعلهم إلى التقليد

---

(١) ولما قدم قصة موسى ، لأن قومه حضار مصدقون بالحكاية أتبعه قصة إبراهيم ، لأنه أب العرب له شأن عند الجميع ، فأمر بتلاوتها ، وقال : " واتل " الآية / ١٢ .

(٢) لما لم يجد أبوه وقومه ما يدفعون به حجته عدلوا إلى التقليد ، وهذا من أقوى الدلائل على فساد التقليد ، ووجوب التمسك بالاستدلال إذ لو قلبنا الأمر فمدحنا التقليد ، وذممنا الاستدلال لكان ذلك مدحًا لطريقة الكفار التي ذمها الله تعالي ، وذما بطريقة إبراهيم عليه الصلاة والسلام التي مدحها الله تعالى ، فأجابهم إبراهيم عليه السلام بقوله: " أفرأيتم " إلخ أراد به أن الباطل لا يتغير بأن يكون قديمًا وحديثًا ، ولا بأن يكون في فاعليه كثرة أو قلة هذا ما في الكبير ، وفي الفتح لم يجدوا لحجة إبراهيم جوابًا إلا رجوعهم إلى التقليد البحت ، وهذا الجواب هو العصا التي يتوكأ عليها كل عاجز ، ويمشى بها كل أعرج فإنك لو سألت هذه المقلدة للرجال التي طبقت الأرض بطولها ، والعرض ، وقلت لهم: ما الحجة لكم على تقليد فرد من أفراد العلماء ، والأخذ بكل ما يقوله في الدين ، ويبتدعه من الرأي المخالف للدليل لم يجدوا غير هذا الجواب ، وأخذوا =

المحض ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾ فإن التقدم ، والأولية لا يكون برهانًا على الصحة ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ أراد أن يقول عدو لكم لكن بنى الكلام على التعريض ؛ لأنه أدخل في القبول كقولك لمن يسيء الأدب: ليت والدى أدبني، يعني هل عرفتم أنكم عبدتم أعداءكم ، قال تعالى: " كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا "(مريم:٨٢) قيل معناه : عدو لي لو عبدتهم ، فلهذا لا أعبدهم ، وقيل من باب القلب ، أي : إني عدو لهم ، ووحد العدو لأنه في الأصل مصدر ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ منقطع ، أو متصل لأنهم يعبدون الأصنام مع الله ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلى طريق مصالح معاشي ومعادي ، وعطف الجملة الإسمية بالفاء للدلالة على استمرار الهداية المتأخرة﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ تكرار الموصول للدلالة على استقلال كل باقتضاء الحكم ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ عطف على الصلة من غير إعادة الموصول ،لأن الصحة والمرض في الأكثر يتبعان المأكول ، والمشروب ، وراعى الأدب كما حكى الله تعالى عن الجن : "وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدًا"(الجن:١٠) وأيضًا غرضه تعداد النعم ، والمرض من النقم بحسب الظاهر ، وأما الإماتة مع أنها وسيلة للسعداء إلى نيل الفوز ، وللأشقياء إلى تقليل أسباب عذابهم ، وتطهير الدنيا من دنسهم ، فبموت الظالم تفرح الطير في أوكارها ، فأمر لا ضرر فيه ، لأنها غير محسوس إنما الضرر في مقدماتها أعني المرض﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾

= يعدون عليك من سبقهم إلى تقليد هذا من سلفهم ، وظنوا أنهم خير أهل الأرض وأعلمهم فلم يسمعوا لناصح نصحًا ، ولو فطنوا لرأوا أنفسهم في غرور عظيم ، وجهل شنيع ، فعليك أيها العامل بالكتاب والسنة أن تورد عليهم حجج الله ، فإنه ربما انقاد لك منهم من لم يستحكم داء التقليد في قلبه ، وأما من استحكم فيه فإنك لا تهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء / ١٢ .

يعني إن صدر عني صغيرة ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ علمًا وفهمًا أو نبوة ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ الكاملين في الصلاح الذين ما أذنبوا ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾ ذكرًا جميلاً ، وثناء حسنًا بعدى إلى القيامة أذكر به ، ويقتدى بى في الخير، وقيل صادقًا من ذريتي يدعو الناس إلى الله ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ أي : ممن لهم الجنة كأخص أموالهم ﴿وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ وهذا قبل أن يتبين أنه عدو لله كما مر في سورة التوبة ﴿وَلاَ تُخْزِنِي﴾ لا تفضحني ولا تذلني ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ يبعث الخلائق ، أو هؤلاء المشركون ، وجميع الأنبياء عليهم السلام مشفقون من سوء العاقبة ، فإنه لا معقب لحكمه يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، أو لا تخزني بإهانة والدى ، وقد ورد[1] أن إبراهيم يلقى أباه في القيامة ، فيقول : وعدك أن لا تخزني يوم يبعثون ، فيقول الله : إني حرمت الجنة على الكافرين﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ لكن من أتى بقلب سليم عن الشرك، أو صحيح لا مريض كالمنافق يسلم وينتفع ، أو حال[2] من أتى بهذا القلب ينفعه ، أو لا ينفع شيء إلا[3] حال من أتى الله به ، أو لا ينفعان أحد إلا سليم[4] القلب ، لأنه صرف المال في الخير ، وأرشد الأولاد أو جعل سلامة[5] قلبه من جنسهما كما تقول : هل لك مال وأولاد ؟ فيقول : مالي ، وأولادي غنى قلبي

---

(١) كما في البخاري ، والترمذي / ١٢ وجيز .

(٢) فعلى هذا المضاف المحذوف ليس من جنس المستثنى منه حقيقة ، بل بضرب من الاعتبار كما في قوله: تحية بينهم ضرب وجيع أي : إلا حال من أتى الله بقلب سليم عبارة عن سلامة القلب كأنه قيل إلا سلامة قلب من أتى الله ، الآية .

(٣) على هذا الاستثناء منقطع / ١٢ .

(٤) فعلى هذا المستثنى منه محذوف ، وهو مفعول ينفع / ١٢ .

(٥) فالمضاف المحذوف ما دل عليه المال والبنون من الغنى ، وهو المستثنى منه / ١٢ .

﴿وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ قربت[1] لهم عطف على لا ينفع ﴿وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ﴾ أظهرت ﴿لِلْغَاوِينَ[2] وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ كما زعمتم أهم شفعاء ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ[3]﴾ بدفع العذاب عن أنفسهم ، فإنهم وما يعبدون من دون الله حصب جهنم﴿فَكُبْكِبُوا﴾ ألقوا، والكبكبة : تكرير الكب جعل تكرير لفظه لتكرير معناه ، كأنه ينكب فيها مرة بعد اخرى ﴿فِيهَا﴾ في جهنم ﴿هُمْ﴾ المعبودون ﴿وَالْغَاوُونَ﴾ العابدون أو التابعون والمتبعون ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ متبعوه ﴿أَجْمَعُونَ﴾ تأكيد للجنود ﴿قَالُوا﴾ السفلة للكبراء ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ جملة حالية معترضة بين القول ومقوله ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا﴾ أي : إنه كنا ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُم[4] بِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ حيث كنا لكم تبعًا ، أوضمير قالوا للأصنام ، وعابديها وتسويتهم أهم عبدوها ، واتخذوها آلهة﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ

---

(١) قربت لينظروا إليها ، ويزيدهم قوة ونورًا وسرورًا / ١٢ وجيز .

(٢) من شملته الغواية ، وهم الكفرة لتعجيل همهم ويقين شقاوتهم / ١٢ وجيز .

(٣) بدفع العذب عن أنفسهم ، فإنهم وما يعبدون من دون الله حصب جهنم / ١٢ وجيز.

(٤) حيث كنا لكم تبعًا قال الله : " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله "(التوبة:٣١)/١٢ وجيز .

وكان تسويتهم إياها بالله في الحب والتعظيم مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه ، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ، ولا تميت ولا تحيي ، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم ، والعبادة كما قال الله تعالى : " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله "(البقرة:١٦٥) ، وقال : " ثم الذين كفروا بربهم يعدلون "(الأنعام:١) ، وأصح القولين أنهم يعدلون به غيره في العبادة والموالاة والمحبة ، فإنهم ما ساووهم به في الذات والأفعال ، ولا قالوا إن آلهتهم خلقت السماوات والأرض وأنها تحيي وتميت ، وإنما ساووها به في محبتها وتعظيمها كما ترى عليه أهل الإشراك ممن ينسب إلى الإسلام كذا قال الإمام ابن القيم رحمه الله / ١٢ .

﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ على الوجه الأول من باب الالتفات ، وعلى الثاني المراد من المجرمون آباؤهم وسادتهم﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ﴾ كما للمؤمنين ﴿وَلاَ﴾ من ﴿صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ من الاحتمام ، أي : الاهتمام ، أو من الحامة ، أي : الخاصة ، ولتعدد أنواع الشفاء من الملك والنبي والولي جمع الشفيع بخلاف الصديق ، ولأن الصديق الحقيقي قليل[1] ولذلك قيل هو اسم لا معني له ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ﴾ نصب بجواب " لو " التي للتمني ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من قصة إبراهيم ﴿لآيَةً﴾ حجة وعظة ، فكم فيها من الإرشاد والتنبيه والاستدلال على ترتيب أنيق نصحهم ووعدهم وأوعدهم بأحسن طريق﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم[2] مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ[3]﴾ القادر ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالإمهال.

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) ولذلك قيل : هو اسم لا معنى له ، قيل : الصديق كالعدو يقع على الواحد وعلى الأكثر / ١٢ وجيز .

(٢) مع ظهور الدلائل التي استدل بها ، وفي ذلك مسلاة لخاتم النبيين صلاة الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين / ١٢ وجيز .

(٣) قال: بعض المفسرين قد تم حكاية قول إبراهيم عند قوله : " ولا تخزني يوم يبعثون " وقوله: " يوم لا ينفع " ابتداء كلام من الله أو صلة إلى كلام إبراهيم إلي قوله: "وهو العزيز الرحيم"، وعندي أن هذا ليس ببعيد ، بل هو الصواب إن شاء الله/١٢ وجيز.

﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ ﴾

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ القوم بدليل تصغيرها على قويمة مؤنثة[1] ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ فإن من كذب رسولاً فقد كذب الرسل ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ لأنه منهم ﴿أَلاَ تَتَّقُونَ﴾ الله ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ عرفتموني قبل الرسالة بالأمانة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على ما أدعوكم إليه ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ كرره تأكيدًا، و تنبيهًا على أن كلاًّ من الأمانة، وحسم الطمع موجب لقبول النصح ، فكيف إذا اجتمعا﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ[2] لَكَ﴾ الهمزة للإنكار ﴿وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ[3] ﴾ الواو للحال ، وأتباعه الحاكة والسوقة حينئذ ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ما أعلم صنائعهم ، وليس لي من دناءتهم شيء إنما كلفت بالدعوة المطلقة ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي﴾ أي : لا أطلب إلا التصديق فيما جئت به ، والله مطلع على السرائر ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ لعلمتم ذلك ، قيل مرادهم أنهم سفلة اتبعوك لعزة ولقمة لا لاعتقاد ويقين كما قال تعالى حكاية : " الذين هم أراذلنا بادي الرأي "(هود:٢٧) فأجاب بأني لا أعلم أعمالهم ،

---

(١) ولهذا قال : " كذبت " / ١٢ .

(٢) شرع أشراف قومه في تنقيص متبعيه ، وأن انتفاء إيمانهم لهذا /١٢ وجيز .

(٣) كما قاله قريش في شأن عمار وصهيب وغيرهما / ١٢ وجيز .

وأنهم مخلصون فيها أو لا وأنا لا أطلب سوى التصديق ، وحسابهم على الله[1]﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ[2]﴾ فقيرًا كان أو غنيًّا شريفًا أو دنيًّا ، ﴿إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ[3] مُّبِينٌ﴾ فليس لي طرد أحد واجتباء آخر ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ﴾ عما تقول ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ المقتولين بالحجارة ، أو المشتومين ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ وما دعا وما شكا عليهم ، وعنهم إلا بعد أيام متطاولة يدعوهم ، وهم في كفرهم يعمهون ﴿فَافْتَحْ﴾ فاحكم ﴿بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من بلاء تنزل عليهم ، أو من كيدهم وشؤمهم ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ المملوء من أنواع الأشياء ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ أي : بعد إنجاء المؤمنين ﴿الْبَاقِينَ﴾ من قومه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ دالة على أن المكذبين في معرض العقوبة ولو بعد حين ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

---

(١) وعلى هذا الجواب ألصق / ١٢ وجيز .

(٢) وهذا مشعر بأنهم طالبوا طردهم كما طلب قريش مثل هذا ، ونزلت : " ولا تطرد الذين يدعون ربهم " الآية (الأنعام:٥٢) / ١٢ وجيز .

(٣) فلا اشتغال إلا بما هو شغلي / ١٢ وجيز .

عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ ﴾

﴿**كَذَّبَتْ عَادٌ**﴾ التأنيث باعتبار القبيلة ، وهو في الأصل اسم أبيهم ﴿**الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ**[١] **هُودٌ**﴾ هو أيضًا منهم ﴿**أَلاَ تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ تصدير القصص بمضمون عبارة واحدة ليعلم أن كلمتهم متفقة ، وإن اختلف في بعض الفروع ﴿**أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ**﴾ مكان مرتفع ﴿**آيَةً**﴾ عمارة مشيدة عالية كآية في الشهرة ﴿**تَعْبَثُونَ** ﴾ في بنائها[٢] لا تحتاجون إليها ، بل للشهرة قيل: بنوا على الطرق عمارات كالقصور يجلسون فيها يسخرون بمن يمر ، أو المراد منها بروج الحمام ، فإنهم متولعون بها ﴿**وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ**﴾ قصورًا أو حصونًا ، أو مآخذ الماء ﴿**لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ**[٣] ﴾ ترجون الخلود ﴿**وَإِذَا بَطَشْتُم**﴾ سطوتم ﴿**بَطَشْتُمْ**[٤]

---

(١) كان أخاهم من النسب تاجرًا جميلاً أشبه الخلق بآدم عليه السلام عاش أربعمائة سنة وأربعًا وستين ، ومنازلهم بين عمان إلى حضرموت أمرع البلاد فجعلها مفاوزًا ، ورمالاً / ١٢ .

(٢) في بنائها من غير احتياجكم إليها ، ونعم ما قيل: إن في هذا نعي على المترفين يبنون للتنعم والتلذذ/١٢ وجيز .

(٣) يعني يشبه حالكم حال من لا يأمل الموت كما قال تعالي : " يحسب أن ماله أخلده "(الهمزة:٣)/١٢ وجيز .

(٤) قال الزجاج : إنما أنكر عليهم ذلك ، لأنه ظلم ، وأما في الحق فالبطش بالسوط ، والسيف جائز قال الكرخي : علم أن اتخاذ الأبنية العالية تدل على حب الدنيا ، واتخاذ =

﴿جَبَّارِينَ﴾ متسلطين ظالمين بلا رحمة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فإن أعمالكم تورث الخزي والندامة ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم﴾ أعطاكم ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ من الخير نبههم على نعم الله مجملاً ، ثم فصلها بقوله ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ثم أوعدهم فقال ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ إن بقيتم على الكفر والكفران ﴿قَالُوا سَوَاءٌ﴾ مستو ﴿عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ أي : مستو علينا وعظك وعدمه ، فإنا على ما نحن فيه لا نرعوى[1] عنه ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ﴾ ما هذا الدين الذي نحن عليه إلا دين الأوائل ، ونحن سالكون وراءهم نعيش كما عاشوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا نشور ، أو ما هذا الذي جئتنا به إلا عادتهم يكذبون ويزخرفون ، ومن قرأ " خَلْقُ " بفتح الخاء وسكوت اللام ، فالمراد اختلاقهم واختراعهم﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ فلا نخاف مما تخاف علينا وتخوفنا به ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ يعني بريح صرصر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ

= المصانع يدل على حب البقاء ، والجبارية تدل على حب التفرد بالعلو ، وهذه صفات الألوهية وهي ممتنعة للحصول للعبد انتهى ، ثم لما وصفهم بهذه الصفات القبيحة الدالة على الظلم والعتو والتمرد والتجبر أمرهم بالتقوى فقال : " فاتقوا الله " الآية / ١٢ فتح.

(١) لا نكف عنه / م .

ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ**[1] **الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ**﴾ إنكار لأن يتركوا مخلدين في نعيمهم ، أو تذكير بالنعمة في تخلية الله إياهم ، وما يتنعمون فيه آمنين ، فالهمزة للإنكار ، أو للتقرير ، و " ما " موصولة ، أي : في الذي استقر في هذا المكان من النعم ، ثم فسر المجمل بقوله: ﴿**فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ**﴾ لطيف ضامر طلع إناث النخل بالنسبة إلى فحولها لطيف ، وطلع البرني[*] ألطف من غيره ، أو مكسور مظلوم من كثرة الثمر ، وإفراد النخل لفضله على الأشجار ﴿**وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ**﴾ حاذقين متقنين لنحتها ، قيل من رأي منازلهم لرأى عجبًا ، أو أشرين[2] بطرين﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلاَ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ**﴾

---

(١) كان بين عاد وثمود مائة سنة / ١٢ منه .

(*) البَرْنِيُّ: ضرب من التمر أصفر مدور وهو أجود أنواع التمر (اللسان.برن).

(٢) هذا على قراءة " فرهين " من الفراهة ، وهو النشاط وأما فارهين فحاذقين في القاموس: فره ككرم فراهة حذق حذاقة / ١٢ .

رؤسائهم[1] ، وقادهم ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ بالكفر ، وأنواع المعاصي ﴿وَلاَ يُصْلِحُونَ ﴾ قطعًا ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ[2] ﴾ الذين سحروا كثيرًا حتى غلبوا على عقولهم ، أو من الذين لهم سحر ، أي : رية يعني أنت لست بملك ، فكيف تكون نبيًا ؟! ﴿مَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ هذا على الوجه الثاني تأكيد ﴿فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ﴾ دعا الله تعالى فأخرجها من الصخرة في محضرهم باقتراحهم ﴿لَّهَا شِرْبٌ﴾ نصيب من الماء ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ هو يوم لا تشرب فيه الماء ﴿وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ عظم اليوم لعظم ما يحل فيه ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أسند العقر إليهم لأن كلهم راضون به ﴿فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴾ عند معاينة العذاب ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ زلزال مع صيحة اقتلعت قلوبهم بهما ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ

(١) أي : المشركين ، وقيل التسعة الذين عقروا الناقة / ١٢ فتح .

(٢) أي : الذين أصيبوا بالسحر قاله مجاهد وقتادة ، وقيل المسحر هو المعلل بالطعام ، والشراب/١٢ ، قاله الكلبي ، وغيره فيكون المسحر الذي له سحر ، وهو الرية فكأنهم قالوا إنما أنت بشر مثلنا تأكل وتشرب / ١٢ فتح .

إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلاَ تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ أي : أتأتون من بين العالمين الذكران يعني إنكم مختصون بتلك الفاحشة لا يشارككم شيء ، أو أتأتون الذكران من بين أولاد آدم مع غلبة الإناث الموضوع له ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم[١]﴾ (من) بيان[٢] (لما) ﴿بَلْ[٣] أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ مفرطون في المعصية ، حيث تختصون بفاحشة لا تشارككم بهيمة ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عما تنازعنا فيه ﴿يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ من أرضنا ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ من المبغضين غاية[٤] البغض ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ من وباله ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ أهل بيته ومن تبعه ﴿أَجْمَعِينَ﴾ بأن أخرجناهم من بينهم حين حلول العذاب ﴿إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ أي : موصوفة بكونها في الباقين في العذاب هي امرأة

---

(١) قال مجاهد : تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال / ١٢ معالم .

(٢) قيل: من للتبعيض بدل من (ما) فالمراد مما خلق المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود "ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم" / ١٢ وجيز .

(٣) والإضراب للانتقال من شيء إلى شيء لا أنه إبطال لما سبق وجاء تصدير الجملة بضمير الخطاب تعظيمًا لقبح فعالهم ، وتنبيهًا على أنهم هم المختصون بذلك / ١٢ وجيز .

(٤) ثم دعا ربه فقال : " رب " إلخ / ١٢ .

لوط خرجت معهم ، وهم مأمورون بأن لا يلتفتوا إلى القرية إذا سمعوا صيحة العذاب وهي التفتت لأنها كانت تحبهم راضية بعملهم، فأهلكها الله بحجارة من السماء ، أو هي ما خرجت معهم **﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾** أهلكنا **﴿الآخَرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾** قلب الله ديارهم ، وحين التقليب أمطر عليهم الحجارة ، أو إمطار الحجارة على مسافريهم **﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾** مطرهم ، ولام المنذرين للجنس، لأنه يجب أن يكون فاعل المدح والذم جنسًا ، أو مضافًا إليه ليكون فيه إبهام ، ويكون المخصوص بالمدح أو الذم تفسيره **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾**.

﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴾

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ﴾ شجرة كانوا يعبدونها **﴿الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾** لم يقل هنا أخوهم مع أنه أخوهم نسبًا ، لأنه نسبهم إلى عبادة شجرة فقطع نسبة الأخوة بينهم ، والأصح أنهم أهل مدين ، ولهذا وعظهم ، وأمرهم بوفاء الكيل كما في

قصة مدين سواء ، وعن بعض : هم غيرهم ، وشعيب من أهل مدين لا منهم ، فلهذا لم يقل أخوهم﴿**أَلاَ تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ**[1] **أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ**﴾ بالميزان السوي قيل القسطاس القبان[*] ﴿**وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ**﴾ لا تنقصوا شيئًا من حقوقهم ﴿**وَلاَ تَعْثَوْا**﴾ لا تغلوا في الفساد ﴿**فِي الأَرْضِ**﴾ حال كونكم ﴿**مُفْسِدِينَ**﴾ بالقتل ، وقطع الطريق ﴿**وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ**﴾ ذوى الجبلة ﴿**الأَوَّلِينَ**﴾ يعني : وخلق الخلائق الأولين ﴿**قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا**﴾ أتوا بالواو هؤلاء دون قوم ثمود دلالة على أنه جامع بين وصفين متنافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه ، وكذا أكدوا في نفيها عنه بقولهم: ﴿**وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ والظن بمعنى العلم[2] بدليل " إن " واللام ، ولذا أيضًا ما طلبوا البرهان عنه ، بل قطعوا بما يدل على اليأس ، حيث قالوا: ﴿**فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا**﴾ قطعة ، أو عذابًا ﴿**مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ في الدعوى ﴿**قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ فيجازيكم بما أنتم تستحقون ﴿**فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ**﴾ سلط عليهم حر شديد ، فأظلتهم سحابة ، واستظلوا جميعًا بظلها ، فخرجت نار من السحابة ، وأحرقتهم ، وعن بعض : كشف عنهم الظلة ، وحمى عليهم الشمس فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى

---

(١) وإنما كانت دعوة هؤلاء الأنبياء كلهم فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على الأمر بالتقوى والطاعة والإخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الأجر على الدعوة، ولتبليغ الرسالة/١٢ معالم .

(*) في اللسان (قبن): القَبَّان: الذي يوزن به، قال الجوهري: القبان، القسطاس مُعَرَّب.

(٢) بدليل (إن) المخففة من المثقلة ، واللام / ١٢ .

﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ[1] ﴾ هذا هو العلة في نزول العذاب على الأمم ، ولو آمن أكثرهم كما آمن قريش لأمهلهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب المنتقم من الأعداء ﴿الرَّحِيمُ[2] ﴾ على أوليائه ، وهذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار بعدما فصلها مكررة تسلية لرسوله ، وتهديدًا[3] لمن خالفه.

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا

---

(١) وعلم من نصائحهم مع كفرهم بترك ذنوبهم الخاصة بكل واحد من الأمم أن الكفار يؤخذون بالفروع / ١٢ وجيز .

(٢) ولما قص حكاية الأمم السوالف عاد إلى ما افتتح به السورة من إعراض المشركين عما يأتيهم من الذكر ليناسب المفتتح والمختتم ، فقال : " وإنه لتتريل رب العالمين " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) وتنبيهًا على أن لكل من الرسل دعوة واحدة ، ونصائح مختلفة بحسب ما هم فيه من المعاصي/١٢ وجيز .

كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

﴿**وَإِنَّهُ**[١]﴾ القرآن[٢] ﴿**لَتَنزِيلُ**﴾ منزل ﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ**﴾ الباء للتعدية ﴿**الرُّوحُ الْأَمِينُ**﴾ جبريل ﴿**عَلَى قَلْبِكَ**﴾ لأنه بلسانك ولغتك ، فتفهمه أولاً من غير أن تلاحظ الألفاظ كيف جرت ، ولو لم يكن بلغتك لكان نازلاً على سمعك تسمع الألفاظ ، أولاً ثم تخرج المعاني منها وإن كنت ماهراً بتلك اللغة أيضاً﴿**لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ**﴾ عن كل ما لا يرضى به الله ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾ واضح المعنى متعلق

---

(١) لما ختم ما اقتصه من خبر الأنبياء ذكر بعد ذلك ما يدل على نبوته ، فقال : " وإنه لتنزيل رب العالمين " / ١٢ كبير.

(٢) قاله أكثر المفسرين وقال مقاتل : ذكر محمد ونعته / ١٢ معالم .

بنزل ، وقيل بالمنذرين أي : لتكون ممن أنذروا بلغة العرب ، وهم خمسة هود ، وصالح، وإسماعيل ، وشعيب ، ومحمد عليهم أفضل الصلوات وأتمها ومن التحيات أزكاها ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي : ذكر القرآن ﴿لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ﴾ كتبهم ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً﴾ على صحته ﴿أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي : أليس علم علمائهم بأنه من الله دليلاً دالاً على صحته ، والمراد العدول[1] منهم كعبد الله بن سلام وسلمان ، وقرئ تكن بالتاء مع رفع آية فآية اسم كان ، ولهم خبره " وأن يعلمه " إلخ بدل من الاسم ، أو اسم كان ضمير القصة " وأن يعلمه " إلخ مبتدأ أو آية خبره ، والجملة خبر كان ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ﴾ القرآن الفصيح الذى عجز دونه أفصح فصحاء العرب ﴿عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ﴾ الذين لا يدرون من العربية[2] ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ لفرط عنادهم ، قال تعالي : " إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية" الآية (يونس:٩٦)، قيل: معناه ، ولو نزلنا القرآن بلغة العجم على بعض الأعجمين فقرأه على أهل مكة ما كانوا به يؤمنون قال تعالى: "ولوجعلناه قرآنًا أعجميًا لقالوا لولا فصلت آياته "(فصلت:٤٤) ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ أدخلنا الكفر والتكذيب ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ فلا ينفعهم حينئذ ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ بإتيان العذاب ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ يتمنون النظرة ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ وهم يطلبون النظرة عند

---

(١) فكأن قريش في كثير من الأمور النقلية ترجع إلى علماء اليهود يسألونهم قائلين : " إنهم أصحاب الكتب الإلهية ، وقد تهود وتنصر كثير من العرب ، وعن ابن عباس : إن أهل مكة بعثوا إلى أحبار يثرب يسألونهم عن النبي ، فقالوا: هذا زمانه ووصفوا نعته ، ذكره التعلبي / ١٢ وجيز .

(٢) والأعجم في الأصل من يكون في لسانه عجمة وعقدة ، ثم استعمل فيمن تكلم بلسان غير لسانهم ، فالعرب عند العجم أعجمى وبالعكس ، وأما العجم فكل من هو غير العرب / ١٢ وجيز .

نزول العذاب كما قالوا : " فأتنا بما تعدنا " (الأعراف:٧٠) نقل أنه لما نزل لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم ، قالوا : متى هذا العذاب؟ فترل " أفبعذابنا يستعجلون "؟! ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ لم ينفعهم تمتعهم[1] في أيام متطاولة ، و لم يدفع شيئًا من العذاب عنهم ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنذِرُونَ﴾ رسل ينذرونهم[2] ﴿ذِكْرَى﴾ مصدر لمنذرون[3] لأن أنذر وذكر متقاربان ، أو مفعول له أي : منذرون لأجل الموعظة ، أو أهلكناهم بعد إلزام الحجة تذكره وعبرة لغيرهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فنهلك قبل الإنذار ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ نزل به الروح الأمين لا الشياطين ﴿وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ﴾ ما يصح للشياطين أن يترلوا به فإنهم يترلون لفساد ، وما في القرآن إلا الرشاد ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ إنزاله وإن أرادوا ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ عن استراق السمع من السماء بحيث يكون المسموع كلامًا مفيدًا تامًّا ﴿لَمَعْزُولُونَ[4]﴾ محجوبون كما قالوا : " وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع " الآية (الجن:٩) ﴿فَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

---

(١) وفيه إشارة إلى أنهم في حالة إمهالهم لا يؤمنون ، ولا يكتسبون ما ينفعهم ، ولما ذكر أن إمهالهم لا ينتجهم إلا مزيد نكالهم بين أنه أخبرهم ومهلهم وأمهلهم للسعادة لكن تقدمت شقاوتهم و لم يلتفتوا فقال : " وما أهلكنا من قرية " الآية/١٢ وجيز .

(٢) وأمهلناهم ليحذروا عما أنذروا ، وجمع منذرون لأن من قرية عام كأنه قال ، ما أهلكنا القرى الظالمة /١٢ وجيز .

(٣) أو لتوغلهم في التذكير جعلهم نفس العظة كرجل عدل / ١٢ وجيز .

(٤) نفى أولاً تتريلهم به ، وما نفى الإمكان ، ثم نفى صلاحيتهم ، كأنه قال ولو فرض الإمكان لم يكونوا أهلاً له ، ثم نفى قدرتهم على ذلك وأنه مستحيل في حقهم فارتقى من نفي الفعل إلى نفي الصلاحية ، ومن نفى الصلاحية إلى نفى الاستطاعة ، ولما أشار إلى أن الشياطين يدعون إلى الطواغيت ، والقرآن هو الداعي إلى الحق سبب عنه بقوله: " فلا تدع مع الله " الآية / ١٢ وجيز .

آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ عن ابن عباس يحذر به غيره يقول : يا محمد أنت أكرم خلقي ، ولو اتخذت إلهاً غيرى لعذبتك ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ[1] ﴾ فإن الاعتناء بشأنهم[2] وفو ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ لين جانبك ، وتواضع ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ لا من المنافقين[3] ، فإنهم أيضًا يتبعونك بحسب الظاهر ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ لم يتبعوك ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ الذي يقدر على قهر الأعداء ، ونصر الأولياء يكفيك شر من يعصيك ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴾

---

(١) وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال : لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشًا فعم وخص ، فقال : "يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار ، فإني لا أملك لكم ضرا ولا نفعًا ، يا معشر بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، فإني لا أملك لكم ضرًّا ولا نفعًا ، ويا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، فإني لا أملك لكم ضرًّا ولا نفعًا ، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار ، فإني لا أملك لك ضرًا ولا نفعًا ، ألا إن لكم رحمًا ، وسأبلها ببلالها" ، قال الشوكاني في شرح الصدور بعد ذكر الحديث : فإذا كان هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخص قرابته به ، وأحبهم إليه فما ظنك بسائر الأموات الذين لم يكونوا أنبياء معصومين ولا رسل مرسلين ، بل غاية ما عند أحدهم أنه فرد من أفراد هذه الأمة المحمدية ، وواحد من هذه الملة الإسلامية فهو أعجز أن ينفع أو يدفع عنها ضرًّا ، وكيف لا يعجز عن شيء قد عجز عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر أمته كما أخبر الله عنه وأمره بأن يقول للناس بأنه لا يملك لنفسه شيئًا من ضر ولا نفع ، وأنه لا يغني عن أخص قرابته من الله شيئًا ، فيا عجبًا كيف يطمع من له أدنى نصيب من علم أو أقل حظًّا من عرفان أن ينفعه أو يضره فرد من أفراد أمة هذا النبي الذي يقول عن نفسه هذه المقالة ، والحال أنه فرد من التابعين له المقتدين بشرعه ، فهل سمعت أذناك أرشدك الله بضلال عقل أكبر من هذا الضلال الذي وقع فيه أهل القبور ، إنا لله وإنا إليه راجعون / انتهى ١٢ .

(٢) فإنهم والناس سواء في أنهم معذبون إن لم يهتدوا / ١٢ وجيز .

(٣) بل واغلظ عليهم ومأواهم جهنم / ١٢ .

إلى الصلاة وحدك[1] ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ عطف على كاف يــراك ، أي : تصرفك بأركان الصلاة فيما بين المصلين يعني : يراك إذا صليت منفردًا ، وإذا صليت في جماعة أو تصرفك وذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين ، أو تقلبك في أصــلاب آبائك الأنبياء من نبي إلى نبي ، حتى أخرك يعني : توكل على من يــراك في أحــوال اجتهادك في مرضاته ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ هَلْ[2] أُنَبِّئُكُمْ عَلَــى مَــن تَــنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ بعدما قال : " وما تنزلت به الشياطين " ، قال: هــل أخــبركم بــأن الشياطين على من تنزل" ﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الإثم هــم الكهنة والمنجمون ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ أي : يسترق الشياطين الســمع مــن الســماء فيختطفون كلمة من الملائكة ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس مع مائة كذبــة ، وفي الحديث[3] "ربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقى قبل أن يدركه" ، وهــذا يدل على أن الاستراق حينئذ أيضًا واقع ، أو معناه يلقى الأفاكون السمع إلى الشياطين فيتلقون منهم ظنون وأمارات أكثرها أكاذيب ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ قل من يصــدق منهم ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ﴾ أي : الضالون يعني : شعراء الكفــار الذيــن يهجون النبي عليه السلام ، ويقولون : نحن نقول مثل ما يقول محمد يجتمع إليهم غواة يستمعون ويروون عنهم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ﴾ من أودية الكلام ﴿يَهِيمُونَ[4]﴾ يذهبون كالمجنون ، فإن أكثر الأشعار وأحسنها خيالات لا حقيقة[5] لهــا ﴿وَأَنَّــهُمْ

---

(١) في أثناء الليل ، وفيه حث على التهجد / ١٢ وجيز .

(٢) ولما قال : " وما تنزلت بــه الشــياطين " قــال : " هــل أنبئكــم " الآيــة / ١٢ وجيز .

(٣) كما في الصحيحين / ١٢ وجيز .

(٤) الهائم : الذاهب على وجهه لا مقصد له ، وتمثيل لذهابهم في كل شعب من القول/١٢ .

(٥) حتى يجعلون في المدح أجهل الناس أفضلهم وأبخلهم أسخاهم وأجبنــهم أشــجعهم ، وأسفلهم أعلاهم ، وفي الذم يعكسون وينكسون / ١٢ وجيز .

يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ[1] ﴾ فعلم أن القرآن ليس بشعر ، وأنت لست بشاعر ،فـإن أتباعك هداة مهديون ، والقرآن كله حق صدق وأنت بالصدق موصوف ، وبالوفاء معروف ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ استثناء للشعراء المؤمنين المادحين لرسول الله صلى الله عليه وسلم الهاجين لأعداء الله ﴿**وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ في شعرهم ، وغير شعرهم ﴿**وَانتَصَرُوا**﴾ من الكفار هجوهم ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا**﴾ أي : مكافأة هجاهم هجوا للمسلمين لما نزلت " والشعراء يتبعهم الغاوون " جاء حسان ، وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك إليه عليه السلام ، وهم يبكون ، فقالوا : قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء ، فأنزل الله " إلا الذين[2] آمنوا " الآية ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ بأن ذموا قومًا ، ومدحوا قومًا بباطل ، وتكلموا بالأكاذيب ﴿**أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾ أي : مرجع يرجعون بعد الموت ، فيه تهديد شديد وسياق الآية ، وإن كان في الكفار وشعرائهم لكن عام لكل ظالم ، ولهذا كتب الصديق رضى الله عنه عند الوصية : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أبو بكر بن أبي قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهي الفاجر ويصدق الكاذب إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب . فإن يعدل فذاك ظني به ، ورجائي فيه ، وإن يجرو ويبدل فلا أعلم الغيب ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

---

(١) ينسبون إلى أنفسهم من مثل فرط الحب والعشق ، وما ليس فيهم فهم كاذبون في شأن غيرهم ، وفي شأن أنفسهم/ ١٢ وجيز .

(٢) وهذه الآية إلى آخر السورة مدنية كما صرح بذلك محيي السنة وغيره ، والباقي من أول السورة إلى هذه الآية مكية ، فلا إشكال في سبب الترول على ما نقلنا ، والمورد خاص والحكم عام، فمن كان شعره في أمر ديني أو في مكافأة ظلم بقدره ، وهو متصف بما وصفه الله فهو من الذين استثناهم الله/١٢ وجيز .

سورة النمل مكية

وهي ثلاث أو أربع وتسعون آية وسبع ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝١٢ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝١٤﴾

﴿**طس**﴾ عن ابن عباس : هو من أسماء الله ﴿**تِلْكَ آيَاتُ الْقُرآنِ**﴾ إشارة إلى آيات تلك السورة ﴿**وَكِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾: وهو القرآن ، وعطفه لعطف إحدى الصفتين على

الأخرى[1] ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ حالان من الآيات ، أو خبران لمحذوف ، أو بدلا من الآيات ، أو خبران بعد خبر ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ[2]﴾ تكرير الضمير للاختصاص ، والواو للعطف أو للحال ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي : أعمالهم القبيحة حتى رأوها حسنة ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ عنها لا يدركون قباحتها ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾: في الدارين ﴿وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾: ما أحدٌ أشد منهم خسرانًا ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى﴾ لتؤتى ﴿الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أيّ حكيم أيّ عليم، ولهذا المعنى نكرهما ، وهذا تمهيد لذكر هذه القصص التي تأتي ، فكم فيها من لطائف حكمه ، ودقائق علمه﴿إِذْ قَالَ﴾ مقدر باذكر ، كأنه قال خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ، أو متعلق بعليم﴿مُوسَى لأَهْلِهِ﴾ حين مسيره من مدين إلى مصر ، وقد ضل الطريق ﴿إِنِّي آنَسْتُ﴾: أبصرت ﴿نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا﴾: من أهل النار ﴿بِخَبَرٍ﴾ عن حال الطريق ﴿أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ الشهاب : الشعلة ، والقبس : النار المقتبسة من جمر ونحوه ، فهو إما بدل أو صفة ، وقراءة الإضافة من إضافة الخاص إلى العام ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ رجاء أن تستدفئوا بها من البرد فإنهم في ليل شتوى ﴿فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ﴾ أي : بأن ، أو (أن) مفسرة ، فإن في النداء معنى القول ﴿مَن فِي النَّارِ﴾ عن ابن عباس وغيره أي : قدس من في النار ، وهو الله سبحانه، والنار نوره تعالى على معنى أنه نادى موسى منها ، وأسمعه كلامه من جهتها،

---

(١) نحو: هذا فعل السخي والجواد / ١٢ .

(٢) لما كانت الصلاة والزكاة مما يتجدد ، ولا تستغرق الأزمنة جاءت الصلة فعلاً مضارعًا ، ولما كان الإيمان مما هو ثابت مستقر الديمومة جاءت الجملة الاسمية ، وتكرير الضمير وتغيير الأسلوب للدلالة على قوة يقينهم وأنهم الأوحدون فيه / ١٢ وجيز .

أو المراد من في طلب النار وهو موسى ، أو المراد الملائكة ، فإن فيها ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ الملائكة ، أو موسى ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ من تمام ما نودى به، لئلا يتوهم أنه مكاني يشبه شيئًا من مخلوقاته ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ﴾ الضمير للشأن ﴿أَنَا اللَّهُ﴾ أو راجع إلى المتكلم ، و"أنا" خبره ، والله بيان له ، أو خبر بعد خبر ﴿الْعَزِيزُ﴾: الغالب ﴿الْحَكِيمُ﴾ فيما يفعله ﴿وَأَلْقِ[1] عَصَاكَ﴾ عطف على بورك ، أي : قيل له بورك من في النار ، وقيل له: ألق عصاك ﴿فَلَمَّا رَآهَا﴾ أي : فلما ألقى رآها ﴿تَهْتَزُّ﴾: تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾: حية خفيفة سريعة ، ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ أي : هرب موسى ، ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ[2]﴾: لم يرجع ، ﴿يَا مُوسَى﴾ أي: نودى يا موسى ، ﴿لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ[3] لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ حين يوحى إليهم من فرط الاستغراق ، قيل معناه: من أمنته ، من عذابي لا يخاف من حية ، ﴿إِلاَّ مَن ظَلَمَ﴾ ، لكن من ظلم من العباد نفسه، ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾: تاب وعمل صالحًا ، ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أغفر له ظلمه أي : لستم أيها المرسلون من الظالمين التائبين ، فلا خوف عليكم بوجه ، أو لكن من ظلم قبل النبوة ، ثم تاب فإني أغفر له ، ومن غفر له لا يخاف، أو الاستثناء متصل أي : لا يخافون إلا الذين ظلموا بارتكاب الصغائر حينئذ تم الكلام ، ويكون (ثم بدّل) عطفًا على محذوف تقديره: فمن ظلم ثم

---

(١) عطف على " إنه أنا الله " عطف جملة الأمر على جملة الخبر ، وقد نص سيبويه على جوازه سيما في مثل هذا الموقع ، فإنه لا ينكره أحد من العلماء / ١٢ وجيز .

(٢) عطف على (ولّى) يقال عقب المقاتل، إذا كر بعد الفرار وأقبل بعد الإدبار/١٢ وجيز .

(٣) قيل : لا يخاف إلا من ظلم نفسه من مثل الصغائر ثم تاب فإنه يخاف مع أني غفرت له ، وهذا كما وقع في الحديث الصحيح من حكاية الشفاعة إن كل نبي أحال الشفاعة إلى نبي آخر لأجل خوفهم إلا خاتم النبيين فإنه قام بالشفاعة صلوات الله وسلامه عليه ، وعليهم أجمعين/ ١٢ وجيز .

بدل إلخ ، فإني أغفر له، أو معناه لا يخافون إلا من فرط منه ما غفر له فإنه يخاف ، وقد تحقق أن المغفور له المرحوم لا يخاف من الذنب المغفور البتة ، فإذن لا يخاف منهم أحد البتة على القطع ، ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ أي : في جيب درعك ، وقد نقل[1] أنه كان عليه مدرعة من صوف لا كم لها ، ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ كأنها قطعة قمر تتلألأ ، ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ كبرص ، ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ أي : اذهب في تسع آيات ، ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ أو معناه أدخل يدك في جملة تسع آيات وعدادهن ، وعلى هذا (إلى فرعون) متعلق بمحذوف، أي : مبعوثًا مرسلاً إليه ، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا﴾ بأن جاءهم موسى بها ، ﴿مُبْصِرَةً﴾: ظاهرة للناظرين ، ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا﴾: كذبوا ، ﴿بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ أي : وقد استيقنتها أنفسهم أنها من عند الله ، الواو للحال[2] ﴿ظُلْمًا﴾ أي : جحدوا للظلم ، ﴿وَعُلُوًّا﴾: وللترفع والتكبر عن اتباعه ، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ في الدارين .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ

---

(١) نقله محيي السنة / ١٢ وجيز .

(٢) يعني جحدوا وكذبوا بالآيات للظلم والتكبر عن اتباعه ، والحال أنهم متيقنون أنها آيات الله ليست بسحر / ١٢ وجيز .

أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَلَقَدْ[1] آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ أيَّ علم، **﴿وَ[2]قَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾**: شكرًا على ما أعطاهما من العلم، **﴿وَوَرِثَ**

---

(١) ولما أتم قصته شرع في قصة أخرى فقال: (ولقد آتينا داود) / ١٢ وجيز.

(٢) قيل: هذا موقع الفاء دون الواو فقال السكاكي: أخبر تعالى عما صنع بهما، وأخبر عما قالا، فكأنه قال نحن فعلنا إيتاء العلم، وهما فعلا الحمد تفويضًا لاستفادة ترتب الحمد على إيتاءه العلم إلى فهم السامع / ١٢ وجيز.

﴿سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ نبوته، وعلمه وملكه دون سائر[1] أولاده ، ﴿وَقَالَ﴾ سليمان يعدد نعم الله عليه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا[2] مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾: نفهم ما يقصد بصوته ، ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ[3]﴾ أي : أوتينا ما يحتاج إليه الملك ، أو المراد الكثرة كما تقول : فلان يعلم كل شيء،﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ[4] وَحُشِرَ﴾: جمع ، ﴿لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ﴾ وكانوا هم حول الإنس ، ﴿وَالإِنسِ﴾ وهم يلونه ، ﴿وَالطَّيْرِ﴾ وهن فوق رأسه فإن كان حر أظلته منه بأجنحتها ، ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾

---

(١) قيل: له تسعة عشر ابنا / ١٢ وجيز .

(٢) قيل: كانت الطير تكلمه معجزة ، وهذا خلاف ظاهر القرآن ، وقوله: (علمنا) كللبين للميراث هذا ما في الوجيز ، وفي الفتح قال جماعة من المفسرين: إنه علم منطق جميع الحيوانات ، وإنما ذكر الطير لأنه كان جندًا من جنوده يسير معه لتظليله من الشمس ، فخص بالذكر لكثرة مداخله ، وقال قتادة والشعبي: إنما علم منطق الطير خاصة ، ولا يعترض ذلك بالنملة فإنها من جملة الطير ، وكثيرًا ما تخرج لها أجنحة فتطير ، وكذلك كانت هذه النملة التي سمع سليمان كلامها وفهمه أخرج أحمد في الزهد ، وابن أبي شيبة ، وابن أبي حاتم عن أبي الصديق الناجى قال : خرج سليمان بن داود يستسقي بالناس، فمر على نملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها إلى السماء ، وهي تقول : اللهم إنا خلق من خلقك ليس بنا غنى عن رزقك ، فإما أن تسقينا ، وإما أن تهلكنا ، فقال سليمان للناس: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم ، وقد ذكر الخازن والنسفي في تفسيريهما: منطق بعض الطيور وما تقوله القمرى وغيرها ، وكذا القرطبي بلا إسناد صحيح متصل يعتمد عليه ويصار إليه، فتركنا ذكره هاهنا فإنه لا يأتى بكثير فائدة للمنقحين / ١٢ فتح .

(٣) وقد رويت قصص في عظم ملك سليمان عن القرظي وغيره، لا تطيب النفس بذكر شيء منها فالإمساك عن ذكرها أولى / ١٢ فتح .

(٤) قال ذلك شكراً لا فخراً / ١٢ فتح .

يحبس أولهم على آخرهم ليجتمعوا ، ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ﴾ هو بالشام ، أو بالطائف ، ولما كان إتيانهم من فوق عدَّى بعلى ، أو المراد قطعه كما تقول : أتى على الشيء إذا أنفده وبلغ آخره ، ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ لما نسب إليهم ما يختص به العقلاء بحسب الظاهر خاطبهم خطاب العقلاء ، ﴿لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ أي : لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم ، استئناف ، أو بدل من الأمر ، ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ أنهم يحطمونكم ، فيه إشعار بأنهم لو علموا لم يحطموا؛ لأنهم جنود نبي ، ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ أي : تبسم مقدرًا الضحك ، فإن المتبسم يصير ضاحكًا إذا اتصل وداوم، وهو للتعجب أو للسرور ، ﴿مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾: ألهمني شكرها ، أو أولعني وحرصني به ، ﴿الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي﴾: عداد ، ﴿عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾: الكاملين في الصلاح ، ﴿وَتَفَقَّدَ﴾: تعرف ، ﴿الطَّيْرَ[(١)]﴾ فلم ير فيها الهدهد ، ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ كأنه ظن أنه حاضر [(٢)]، ولا يراه لساتر، ثم لاح أنه غائب فقال: ﴿أَمْ كَانَ﴾ بل أكان ، ﴿مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ كأنه يسأل عن صحة ما لاح له ، عن ابن عباس : إن الهدهد يدل سليمان على الماء ينظر الماء تحت الأرض ، ويعرف كم مساحة بعده ، ويخبره فيأمر الجن بالحفر، فنزل بفلاة يومًا و لم يجده[(٣)] فقال:

---

(١) تعرفها ، وذلك للاهتمام بالرعايا ، قيل : كان يأتيه من كل صنف واحد فلم ير فيها الهدهد / ١٢ وجيز .

(٢) لأن العادة أن لا يذهب من جنده إلا بإذنه / ١٢ وجيز .

(٣) نقله محيي السنة وقال : قال سعيد بن جبير : لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن الأزرق : يا وصاف انظر ما تقول! إن الصبي منا يصنع الفخ ، ويحثوا عليه التراب فيجيء الهدهد ولا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه ، فقال له ابن عباس: ويحك إن القدر إذا جاء حال دون البصر ، وفي رواية: إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمى البصر / ١٢ منه .

﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا[1] شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ، بحجة تبين عذره ، حلف على أحد الثلاثة التعذيب أو الذبح أو العفو بشرط العذر ، أو الحلف على الأولين إن لم يكن الثالث، والثالث للتقابل ، أدخل في سلكهما لا أنه محلوف عليه بالحقيقة ، ﴿فَمَكَثَ﴾ الهدهد ، ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: زمانًا غير مديد ، ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾: علمت ما لم تعلمه ، ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَأٍ﴾: مدينة باليمن ، أو اسم قبيلة هم ملوك اليمن ، ﴿بِنَبَإٍ[2]﴾: بخبر ، ﴿يَقِينٍ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً﴾ أي : بلقيس ، ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ الضمير للسبأ باعتبار أهلها ، ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ ، يحتاج إليه الملوك ، ﴿وَلَهَا عَرْشٌ[3] عَظِيمٌ﴾ بالنسبة إلى عروش أمثالها من ذهب مكلل بأنواع

---

(١) قال ابن عباس ومجاهد وابن جريج : هو أن ينتف ريشه جميعًا ، وروى نحو هذا عن جماعة من التابعين ، قال البغوي : أظهر الأقاويل أن ينتف ريشه وذنبه ، ويلقيه في الشمس ممعطًا لا يمتنع من النمل ولا من هوام الأرض ، وقيل غير ذلك/١٢ .

(٢) لا شك في صدقه بادر [في الأصل : يادر] إلي جوابه بما يسكن غيظه ، وأبهم أولاً حتى يتشوق النفس إلى معرفته ، وتجاسر بأن لـ معلومًا لم يكن لنبي الله ، ثم انتقل إلى ما هو أقل إبهامًا إذ فيه إخبار بما كان جاء منه وإن له علم بخبر يقيني ، وراعى على الفصاحة في كلامه بوجوه، ثم صرح بما كان أبهم فقال : (إني وجدت) إلخ / ١٢ وجيز .

(٣) وما أحسن انتقالات خبر هذا الطير بعد تهديد الهديد ، وعلمه بذلك أخبر أولاً: باطلاعه على ما لم يطلع تحصنًا من العقوبة لعلمه برتبة العلم عنده ، ثم أخبر ثانيًا: بأنه أمر متيقن ليزيد شوق السامع ، ثم أخبر ثالثًا: عن ملك عظيم لامرأة وكان سليمان قد سأل الله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده ، ثم أخبر رابعًا: بما ظاهره الاشتراك بين سليمان و امرأة بشيء ليس لفحول الرجال وهو أن لها كل شيء ، ثم أخبر خامسًا: بأن لها عرشًا عظيمًا تجلس عليه ، و قد كان لسليمان بساط عظيم قد صنع له ، ولما علم أن سليمان عال همته لم يتأثر بأمر دنيوي أخبره سادسًا: بما يهزه لطلب تلك المملكة ودعائها إلى الإيمان ، فقال: (وجدتها) إلخ / ١٢ وجيز .

الجواهر ، ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾: فلا يهتدون إلى قبائح أعمالهم ، ﴿فَصَدَّهُمْ﴾: منعهم ، ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾: طريق الحق ، ﴿فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ ﴾ إليه ، ﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا﴾ أي : صدهم أو زين لهم أعمالهم لئلا يسجدوا ، ومن قرأ "ألا" بالتخفيف، فمعناه: ألا يا قوم اسجدوا، وهو استئناف أمر من الله بالسجود ، أو من الهدهد ، أو من سليمان ، ﴿لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾: يظهر ما خفي في غيره ، وهو عام[1] لإنزال المطر ، وإنبات النبات ، وإنشاء البنين ، والبنات، وغيرها ، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ فله استحقاق السجود لا لكرة تدور علي الفلك بأمر مديرها ، ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾: المحيط بجملة[2] المكوَّنات ، ﴿قَالَ﴾ سليمان: ﴿سَنَنظُرُ﴾ ، نتعرف من النظر بمعنى التأمل ، ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ أي: أم كذبت فالتغيير للمبالغة ، ومحافظ الفواصل ، ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي[3] هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ ، تنح عنهم إلى مكان قريب[4] ، ﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾: يردون بالجواب ، أو ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول ، ﴿قَالَتْ﴾ بعدما ألقي الكتاب إليها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ﴾ خاطبت عظماء قومها ، ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ لوجازته وفصاحته ، أو لأنه مختوم[5] أو لشرف صاحبه ، أو لغرابته من جهات،

---

(١) هكذا فسره ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير والحسن ، وغير واحد من السلف/ ١٢ .

(٢) فهو العرش لا عرش بلقيس ، ولما فرغ الهدهد من كلامه أخر سليمان أمره إلى أن يتبين صدقه فقال : (سننظر) إلخ / ١٢ وجيز .

(٣) يعني أمر بكتابة كتاب وذهاب الهدهد إليهم فقال : (اذهب) إلخ / ١٢ .

(٤) بحيث تسمع كلامهم / ١٢ .

(٥) وقد روى: كرامة الكتاب ختمه / ١٢ وجيز .

﴿إِنَّهُ[1] مِن سُلَيْمَانَ﴾ استئناف ، ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي : المكتوب أو المضمون[2] ، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، وعن السلف لم يكتب أحد قبله البسملة ، ﴿أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ﴾ أي : المقصود ألاّ تتكبروا علي ، أو عليكم أن لا تتكبروا علي ، فـ(أن) مصدرية ، ﴿وَأْتُونِي[3] مُسْلِمِينَ ﴾: مؤمنين أو منقادين لما أظهر عندهم المعجزة ، وهي إلقاء الكتاب على تلك الحالة أمرهم بالإسلام والانقياد ، ونقل بعض المفسرين أن عبارة الكتاب "إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم" الآية، فعلى هذا لما قالت: " ألقي إلى كتاب كريم " كأن سائلا قال : بين لي مضمونه ومكتوبه؟ فأجابت وقرأت، وعن بعضهم[4] إن عبارته : من عبد الله سليمان ابن داود إلى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فلا تعلوا على وأتوني مسلمين، فحينئذ كأن سائلاً يقول: بعدما قالت: ألقي إلي، ما فيه ؟ فقالت : إن مضمونه ، وما فيه من سليمان ، وإن فيه بسم الله الرحمن الرحيم إلخ ، وترك الواو في "ألاّ تعلوا" ليدل على أنه المقصود من الكتاب .

---

(١) قيل : " إنه من سليمان " بيان لعنوان الكتاب فكذا قوله: من عبد الله سليمان إلى ملكة سبأ وليس من أصل الكتاب ، كذا قاله الإمام ، ويشعر به كلام الزمخشري فسؤال تقديم سليمان اسمه على اسم الله ساقط / ١٢ منه .

(٢) أخرج ابن أبي حاتم عن ميمون بن مهران ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم حتى نزلت هذه الآية ، فكان يكتب البسملة ، وبعدها السلام على من اتبع الهدى/ ١٢ فتح .

(٣) وهذا أي : إنه سليمان من إلى مسلمين عبارة الكتاب ، ولما قرأت على الملأ استشارتهم استعطافاً ، وتطييبًا لقلوبهم ليقوموا معها ، قالت : " يا أيها الملأ " إلخ/١٢ وجيز .

(٤) نقله الزمخشري غفر الله زلاته / ١٢ منه .

﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ
﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ
﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ
وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ
ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ
مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ
لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟
أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ
أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى
عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ
مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا
عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ
أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾
وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا
ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ
مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾: أجيبوا لي في أمرى الحادث ، ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً﴾: فاصلة ﴿أَمْرًا﴾: ما أبته ، ﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾: إلا بمحضركم[1] ، ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا[2] قُوَّةٍ﴾: عدد كثير ، ﴿وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: بلاء ونجدة في الحرب كان الملأ ثلاثمائة واثنا عشر أميراً مع كل منهم عشرة آلاف ، ﴿وَالْأَمْرُ﴾ موكول ، ﴿إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾: من المقاتلة والصلح نطعك ، ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ عنوة وقهرًا ، ﴿أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً[3]﴾ ، ذكرت لهم عاقبة الحرب ، وسوء مغبتها ، وأنها سجال لا يدرى عاقبتها ، ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ هو من كلام الله تصديق لها ، وقيل: من تتمة كلامها تقريرًا، وتأكيدًا لما وصفت، ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾: بأيادى رسل ، ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾: بأي شيء يرجعون من حالة حتى أعمل بحسب ذلك ، عن ابن[4] عباس وغيره قالت : إن قبل الهدية فهو ملك نحاربه ، وإن لم يقبل فهو نبي نتبعه ، ﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾ ما أهدى إليه أو الرسول ، ﴿سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ﴾ خطاب للرسل ، أو للرسول والمرسل على تغليب المخاطب ، ﴿بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ﴾: من النبوة والملك والمال ، ﴿خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم﴾ فلا وقع لهديتكم عندى ﴿بَلْ[5] أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ﴾ التي يرسل بها بعضكم إلى بعض ،

---

(١) وإذا كان هذا عادتي في الأمور فكيف لا أستشيركم في هذه الحادثة الكبرى/١٢ وجيز.

(٢) حاصل الجواب أنهم ذكروا أمرين إظهار القوة الذاتية والعرضية إن أرادت الحرب والدفع ، وإظهار الطاعة لها إن أرادت السلم ، ولا يمكن ذكر جواب أحسن من هذا/ ١٢ كبير .

(٣) مالت إلى المهادنة والصلح لما رأت من الملوك ، وكتب الله سعادتها / ١٢ .

(٤) نقله محيي السنة / ١٢ .

(٥) لما أنكر عليهم الإمداد ، وعلل ذلك أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم على الإمداد ، وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا/١٢ منه ، قال =

﴿تَفْرَحُونَ﴾ أو بل أنتم بهذه الهدية التي أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك، بأنكم قدرتم على إهداء مثلها ، وأما أنا فغني عنها ، وقيل معناه : بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم ، وتفرحوا بها ، فيكون عبارة عن الرد، والهدية الذهب والجواهر مع الجواري والغلمان ﴿ارْجِعْ﴾ أيها الرسول ، ﴿إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ﴾: لا طاقة[1] ، ﴿لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا﴾ ، من بلدهم ، ﴿أَذِلَّةً﴾ ، ذليلين بذهاب أسباب عزهم ، ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾: أسراء[2] ، ﴿قَالَ[3] يَا أَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ لما وصف الهدهد عرشها أعجبه فأراد أن يأخذه قبل إسلامها، لأنه يحرم عليه أموالهم بعد الإسلام ، أو طلب عرشها ليريها معجزة أخرى ، أو أراد اختبار عقلها بأن تعرف عرشها ، ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾: خبيث قوي ، ﴿مِّنَ الجِنِّ﴾ بيان له ، ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾: من مجلسك للحكومة ، وكان يجلس إلى نصف النهار ، ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾: على حمله ، ﴿لَقَوِيٌّ

= الرازي: أما الكلام في صفة الهدية فالناس أكثروا فيها لكن لا ذكر لها في الكتاب ، وقولها : " فناظرة بما يرجع المرسلون " فيه دلالة على أنها لم تثق بالقبول وجوزت الرد ، وأرادت بذلك أن ينكشف لها غرض سليمان / ١٢، وفي الوجيز: وذكروا في الهدية أقوالاً مختلفة ، ومن حال سليمان مع الرجل حين وصلت الهدية ما الله أعلم بصحته ، ولا مدخل له في تفسير كلام الله، فأضربنا عنه /١٢ .

(١) وحقيقة القبل: المقاومة والمقابلة / ١٢ وجيز .

(٢) أسراء جملة حالية، قيل: في ذلك دليل على جواز الحالين الذي حال واحد ، وهي مسألة خلافية ، فقيل: يمكن أن يكون الثانية تأكيد الأولى فإنهما حال واحدة/١٢ وجيز .

(٣) سليمان حين رأى جماعة من بعيد فسأل عنهم قالوا : فوج بلقيس " يا أيها الملأ أيكم " إلخ / ١٢ وجيز .

﴿أَمِينٌ[1]﴾ على ما فيه من الجواهر ، فقال سليمان : أريد أسرع[2] من هذا ، ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ جنس الكتب السماوية ، وهو آصف[3] كاتبه صديق يعلم اسم الله الأعظم ، وعن بعض هو خضر ، وكان عرشها في اليمن وسليمان في بيت المقدس ، ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أي : قبل أن ترد طرفك التي أرسلت نحو شيء ، وهذا مثل في الإسراع ، وآتيك في الموضعين يحتمل الفعل واسم الفاعل ، ﴿فَلَمَّا رَآهُ﴾: العرش ، ﴿مُسْتَقِرًّا﴾: حاصلاً ، ﴿عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ اعترف بأنه فضل ، وهو غير مستحق به ، ﴿لِيَبْلُوَنِي﴾: يعامل معي معاملة من يختبر عبده ، ﴿أَأَشْكُرُ[4]﴾ نعمه فأرى ذلك من فضله بلا حول ولا قوة مني، ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ بأن أرى نفسي مستحقًا له أقصر في أداء مواجبه ، والفعلان بدلان من مفعول يبلو ، ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ ترجع فوائده إليه ، ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شكره ، ﴿كَرِيمٌ﴾ بالإفضال علي من يكفر ، ﴿قَالَ نَكِّرُوا﴾: غيروا ، ﴿لَهَا عَرْشَهَا﴾ بتقديم شيء ، وتأخير شيء من أجزائه ، وتبديل جواهره عن مكانها ، ﴿نَنظُرْ﴾ جواب الأمر ، ﴿أَتَهْتَدِي﴾: إلى أنه عرشها ، ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ﴾: بلهاء[5] لا تعرف شيئًا إذا ذكرت عندها بسخافة العقل ، ﴿فَلَمَّا

---

(١) لا أختلس منه شيئًا / ١٢ .

(٢) لأنه أراد أن يكون عرشها حين قدومها قائمًا عنده / ١٢ وجيز .

(٣) يعلم اسم الله الأعظم ودعاؤه: يا ذا الجلال والإكرام ، أو يا حي يا قيوم ، أو يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحدًا لا إله إلا أنت ائتني بعرشها/١٢ منه .

(٤) والشكر كما قيل قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة / ١٢ وجيز .

(٥) قال وهب ومحمد بن كعب : خاف الجن أن يتزوجها سليمان فتفشي إليه أسرار الجن ، فإن أمها جنية فقالوا : إن في عقلها شيئًا وإن رجلها كحافر حمار ، وإنها شعراء الساقين، قيل: معناه لتهتدي للإيمان بأن رأت تلك المعجزة الأخرى ، أم هي من =

جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ رعت الحزم فما جزمت لقيام احتمال عقلي ، وهذا من ذكائها ، ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ بصحة نبوته ، ﴿مِن قَبْلِهَا﴾: قبل تلك المعجزة التي رأيناها اليوم ، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾: منقادين له قبل مجيئنا ، ﴿وَصَدَّهَا﴾: منعها ، ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: عبادتها الشمس عن التقدم إلى الإسلام ، ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ ، مستأنفة بمنزلة العلة ، وقوله : " وصدها " إلى هنا إما من كلام الله ، أو من كلام سليمان ، أو قوله : " وأوتينا العلم " إلخ من كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها؛ لأنه لاح من جوابها إيمانها بالله ورسوله ، حيث جوزت خرق العادة الذي هو من معجزات الأنبياء أي : وأوتينا العلم بالله قبلها ، وكنا منقادين لم نزل على دين الله ، وغرضهم من هذا الحديث التحدث بنعم الله شكرًا له ، وقيل معناه : وصد سليمان بلقيس عن عبادة الشمس ، أو صدها عن التوحيد عبادتها للشمس وكونها نشأت بين أظهر المشركين لا سخافة عقلها كما قيل ، ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي[1] الصَّرْحَ﴾ القصر أُمر قبل قدومها فبُني قصر صحنه من زجاج أبيض وتحته

= المتأصلين في الكفر ، ومن حيث هذا لم يقل من اللاتي مثل قوله -في شأن مريم: "وكانت من القانتين" (التحريم:١٢) / ١٢ وجيز .

(١) أخرج ابن المنذر وعبدَ بن حميد ، وابن أبي شيبة وغيرهم عن ابن عباس في أثر طويل : إن سليمان تزوجها بعد ذلك ، قال أبو بكر بن أبي: شيبة ما أحسنه من حديث، قال ابن كثير في تفسيره بعد حكاية هذا القول : بل هو منكر جدًا ، ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس والله أعلم ، والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة من أهل الكتاب مما يوجد في صحفهم لروايات كعب ووهب سامحهما الله فيما نقلا إلى هذه الأمة من بني إسرائيل من الأقاويل والغرائب ، والعجائب مما كان ومما لم يكن ، ومما حرف وبدل ونسخ انتهى، وكلامه هذا هو شعبة مما قد كررناه في هذا التفسير ، ونبهنا عليه في عدة مواضع ، وكنت أظن أنه لم ينبه على ذلك غيري، فالحمد لله على=

الماء ، وأُلقي فيه حيوانات البحر ، ووضع سريره في صدره ، ﴿**فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً**﴾ ماءًا راكدًا ، ﴿**وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا**﴾ وإنما فعل ذلك ليريها عظمته ومعجزته، أو لأنه أراد أن يتزوجها ، وقد قيل له: إن قدميها كحافر حمار ، فأراد أن يبصرها فرأى أحسن الناس[1] ساقًا ، ﴿**قَالَ**﴾ لها: ﴿**إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ**﴾ ، مملس ، ﴿**مِّن قَوَارِيرَ**﴾: زجاج فلا تخافي ولا تكشفي عن ساقيك ، ﴿**قَالَتْ**﴾ لما رأت معجزاته ودعاها إلى الإسلام: ﴿**رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي**﴾ بالشرك ، ﴿**وَأَسْلَمْتُ**[2] **مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ فيما أمر به عباده .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ

= هذه الموافقة لمثل هذا الحافظ المنصف ، وقيل: انتهى أمرها إلى قولها: (أسلمت)، ولا علم لأحد وراء ذلك ، لأنه لم يذكر في الكتاب ولا في خبر صحيح / ١٢ فتح .

(١) وعند بعض : إن المقصود من الصرح إرادة عظمته ، وحصول كشف الساق تبع، وإما أنها كانت شعراء ، فأمر الجن فاحتالوا النورة فمذكور في القصص/١٢ وجيز .

(٢) مع اسم يدل على الصحبة واستحداثها، كما صرح به الزمخشري في سورة "يوسف" عند قوله: "ودخل معه السجن فتيان"(يوسف: ٣٦) ، وفي سورة " والصافات " في قوله : "فلما بلغ معه السعي"(الصافات: ١٠٢) فعلى هذا فالمراد أسلمت بالموافقة، أو بأن لقنها / ١٢ وجيز .

وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

﴿**وَلَقَدْ**[1] **أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ**﴾ أي : بأن ، ﴿**اعْبُدُوا**[2] **اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ**﴾: فريق مؤمن وفريق كافر ، ﴿**يَخْتَصِمُونَ**[3]﴾ ، واختصامهم ما مر في سورة الأعراف " قال الذين استكبروا "(الأعراف: ٧٥) الآية ، ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ**﴾: بالعقوبة فتقولون: ائتنا بما تعدنا ، ﴿**قَبْلَ الْحَسَنَةِ**﴾: التوبة،

(١) ولما ذكر قصة داود وسليمان وهما من بني إسرائيل، ذكر قصة من هو من العرب يذكر بهم العرب ، وينبئهم على أن العرب والعجم من الأنبياء يدعون إلى منع الشرك ليعلموا أنهم في ضلال من عبادة الأصنام فقال : " ولقد أرسلنا " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) قد مر مرارًا (أن) في مثله جاز أن تكون تفسيرية ، ومصدرية بتقدير حرف الجر/١٢ وجيز .

(٣) وعطف بالفاء؛ لأنهم بادروا بالاختصام متعقبًا دعاء صالح إياهم إلى عبادة الله وحده ، و"يختصمون" بصيغة الجمع على المعنى / ١٢ وجيز .

فتؤخروها إلى نزول العذاب ، كانوا يقولون إن صدق إيعاده: تبنا حينئذ، زاعمين أنها مقبولة حينئذ، فخاطبهم على حسب اعتقادهم ، ﴿لَوْلاَ﴾: هلا ، ﴿تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ قبل العذاب ، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فإنها لا تقبل حينئذ ، ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا﴾: تشاءمنا ، ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ فإنهم قحطوا وتفرقت كلمتهم منذ كذبوه ، ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ أي : شؤمكم عنده أتاكم منه بكفركم ، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾: تختبرون بالخير والشر، أضرب عن بيان الطائر إلى ذكر ما هو الداعي إلى الضراء ، ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾: في مدينة ثمود ، ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ أي : أنفس ، وقع تميزًا للتسعة ، لأنه بمعنى الجماعة ، وهو من الثلاثة أو من السبعة إلى العشرة ، وهم الذين عقروا الناقة أبناء أشرافهم ، ﴿يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ ﴾ يعني: أعمالهم محض فساد ، ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أي : قال بعضهم لبعض احلفوا ، ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ أي : لنقتلنه ليلاً، ﴿وَأَهْلَهُ﴾ ، والبيات: مباغتة العدو ليلاً ، ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾ لولي دمه ، ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾: ما حضرنا إهلاكهم ، ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ أي : ونحلف إنا لصادقون ، أو نقول له ذلك ، والحال إنا عند الناس عظماء صادقون قيل: إنا لصادقون في ذلك القول لأنا ما حضرنا مهلكهم وحده ، بل مهلكه ومهلكهم كأن الكذب عندهم أقبح من قتل نبي الله والمؤمنين ، ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾ بتلك المواضعة ، ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾: جازيناهم على ذلك ، ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ بمكرنا ، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ فإنهم لما خرجوا لإهلاكهم بعد عقر الناقة دمغتهم الملائكة بالحجارة ، أو جثم عليهم جبل فماتوا ، ﴿وَقَوْمَهُمْ [1]أَجْمَعِينَ ﴾: وإهلاكهم

---

(١) روى أن صالحًا أخبرهم بعدما عقروا الناقة بمجيء العذاب فاتفقوا على قتل صالح ، فاختفوا في غار شاهرين أسيافهم بالليل، فأهلكهم الله و لم يشعر كل واحد بهلاك الآخر / ١٢ وجيز

بالصيحة ، وقراءة "إنا" بكسر الهمزة بالاستئناف ، وخبر كان "كيف"، وإن جعلتها تامة فـ(كيف) حال ، أو بدل ، ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾: خالية أو ساقطة، حال عاملها معنى الإشارة ، ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾: بسبب ظلمهم ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فإن الجهال لا يتأملون حتى يتعظوا ، ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾: صالحًا ومن معه ، ﴿وَلُوطًا﴾ أي : اذكره ، ﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل ، ﴿لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ كأنها لقبحها ليست الفاحشة إلا إياها ، ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: يبصر بعضكم بعضًا لا تستترون ، وتأتون في ناديكم المنكر ، أو تعلمون أنها فاحشة[1]، ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾: تتركون المانع الشرعي والزاجر العقلي بمجرد شهوة ، ﴿مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾ التي لا مانع لها لا شرعيًا ولا طبعيًا ، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: سفهاء[2] ، ولما كان القوم في معنى المخاطب ذكر الفعل بصيغة الخطاب ، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾: يتنزهون عن أفعالنا ويعدونها أقذارًا، وعن ابن عباس: هذا استهزاء ، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أي : قدرنا كونها من الباقين في العذاب ، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: هو الحجارة ، ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ قد مر إعرابه في آخر سورة الشعراء فتذكر ، ﴿قُلِ﴾ يا محمد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ[3] وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ أمره أن يحمد على نصرة أوليائه وإهلاك أعدائه وأن السلام على عباد الله المصطفين الأخيار ، وهم الأنبياء ، وعن ابن عباس هم الصحابة

---

(١) فإنها مع العلم أقبح / ١٢ .

(٢) لا عقل ولا طبع / ١٢ .

(٣) لما فرغ من تلك القصص أمر نبيه بحمده ، وبالسلام على المصطفين على نصرة أوليائه وإهلاك أعداءه ، ثم أخذ في مباينة واجب الوجود للأصنام التي أشركوها مع الله تعالى، فقال : " آلله خير أما يشركون " الآية / ١٢ وجيز .

اصطفاهم لنبيه رضي الله عنهم ، ﴿آللَّهُ﴾ الذي نجَّى من وحَّدَه من الهلاك ، ﴿خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الأصنام التي لم تغن شيئًا عن عابديها ، وهو إلزام لهم وتسفيه لرأيهم ، فمن المعلوم ألاّ خير[1] فيما أشركوه أصلاً .

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

(١) وهم اعتقدوا فيه نفعاً بالجهل ، ولهذا عبر عنه بما لا يمن ، هذا ما في الوجيز ، وفي الفتح: وهذه الخبرية ليست بمعناها الأصلي ، بل هي كقول الشاعر :

أتهجوه ولست له بكفءٍ ... فشركما لخيركما الفداء

فيكون ما في الآية من باب التهكم بهم، إذ لا خير فيهم أصلاً / ١٢ فتح .

﴿أَمَّنْ﴾ بل أمَّن ، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ قيل: تقديره أما يشركون خير أمَّن خلق السماوات والأرض ، ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ﴾ عدل إلى التكلم، للتنبيه على أن الإنبات الذي هوعندكم من أنفع الأشياء مختص به لا يقدر عليه غيره ، ﴿حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾: بساتين ذات حسن ، ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ﴾ ليس في قدرتكم ، ﴿أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾: أغيره يقرن به ، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ عن الحق ، ﴿أَمَّن[1] جَعَلَ﴾ بدل من (أمَّن خلق) ، ﴿الأَرْضَ قَرَارًا﴾: دحاها وسواها للاستقرار ، ﴿وَجَعَلَ خِلالَهَا﴾: وسطها ، ﴿أَنْهَارًا﴾ جارية ، ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾: جبالاً ثوابت ، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾: العذب والمالح ، ﴿حَاجِزًا﴾: مانعًا من قدرته لا يختلطان كما مر في سورة الفرقان ، ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾: جهلاء ، ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ الكفرة يعترفون بذلك لا يلجئون في حال الاضطرار إلا إليه ، ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ﴾: سكانها يهلك قرنًا وينشئ آخر ، ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (ما) صلة ، أي : تذكرون تذكرًا قليلاً لا يترتب عليه نفع ، أو المراد من القلة العدم ، ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ بما خلق من الدلائل السماوية كالنجوم ، والأرضية كالجبال ، ﴿وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾: مبشرات ، ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾: قدام المطر ، ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ يقدر على مثله ، ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ الكفرة وإن أنكروا الإعادة، لكن كانت مبينة بالحجج الواضحة فهي ثابتة ، ﴿وَمَن[2] يَرْزُقُكُم

---

(١) ولما ذكر شيئًا مشتركًا بين السماء والأرض من إنزال الماء وإنبات الحدائق ذكر ما هو مختص بالأرض، فقال : " أمن جعل الأرض " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما كان إنعام الإيجاد لا يتم إلا بالرزق قال : " ومن يرزقكم من السماء والأرض " الآية / ١٢ وجيز .

﴿مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ بأسباب سماوية وأرضية ، **﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾** يفعل ذلك ، **﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ[1]﴾** على أن مع الله إلهًا آخر ، **﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾** ، في دعواكم ، **﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ[2] إِلاَّ اللَّهُ﴾** ، لما بين اختصاصه بكمال القدرة أتبعه ما هو كاللازم له ، وهو التفرد بعلم الغيب ، وقد ذكر أنها نزلت حين سأل المشركون متى البعث والإعادة ، والاستثناء منقطع ، ورفعه على لغة بني تميم، واختيار تلك اللغة لنكتة ، وهي المبالغة في نفي علم الغيب عن غيره كما قالوا في:

وبلدة ليس بها أنيس   إلا اليعافير وإلا العيس[3]

والمراد بمن فيهما الموجودون ، فإن العوام يحسبون أن كل موجود فيهما البتة ، فعلى هذا الاستثناء متصل ، **﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ[4]﴾**: متى ينشرون ، **﴿بَلِ ادَّرَكَ[5] عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾**: انتهى واضمحل، في شأن الآخرة لا يقرون بوجوده سيما بوقته، وقراءة "ادَّراك" بمعناه ، أي : تتابع حتى انقطع قيل: بمعنى تلاحق ، وتساوى أي: هم في الجهل في أمر الآخرة سواء ، أو بمعنى أدرك انتهى وتكامل وادارك: تتابع ،

---

(١) هذا يدل على أنه لابد في الدعوى من البرهان ، وعلى فساد التقليد ، ولما بين أنه المختص بالقدرة، أخذ يبين أنه مختص بعلم الغيب ، وإذا ثبت ذلك ثبت أنه هو الإله المعبود ، لأن الإله هو الذي يصح منه مجازاة من يستحق الثواب على وجه لا يلتبس بأهل العقاب ، فقال : " قل لا يعلم " الآية / ١٢ كبير .

(٢) ولا يخفى على من له أدنى فهم، أن من أخبره الله بشيء من المغيبات لم يصدق عليه بحال أنه عالم الغيب ، كيف وهو جاهل إلا بما لقنه؟! / ١٢ وجيز .

(٣) رجز لجران العود في ديوانه ص ٩٧ .

(٤) نقل محيى السنة إن هذه الآية نزلت، حين سأل المشركون تهكمًا متى البعث والإعادة؟ / ١٢ وجيز .

(٥) كذا أوردها المصنف على وجه للقراءة.

واستحكم علمهم في يوم القيامة حين عاينوها ، ولا ينفعهم العلم كما قال تعالى" أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا "(مريم: ٣٨) ، الآية ، ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾ أي : لا يقرون بوجودها ، بل لهم الشك فيها فإن عدم الإقرار بشيء قد يكون لعدم التوجه إليه، وقد يكون بعده ، والثاني أقبح ، ويحسن الإضراب ، ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ[1] ﴾: عيون قلوبهم عُمْي ، ومنشؤ عماهم الآخرة ، فلذلك عداه بمن دون عن، فإن الكفر بها صيرهم أضل من البهائم ، وهذا وإن كان خاصًا بالمشركين ممن في السماوات والأرض، نسب إلى الجميع كما يسند فعل البعض إلى الكل .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾

---

(١) ولما ذكر أنهم غير مقرين ، بل شاكون عُمْي القلوب، أثبت بالدليل فقال : " وقال الذين كفروا " الآية / ١٢ وجيز .

إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ**﴾ من القبور أحياء، والعامل في "إذا" فعل يدل عليه " أئنا لمخرجون "، وهو يخرج؛ لأن ما بعد كل من الهمزة وإن واللام لا يعمل فيها قبله، وتكرير الهمزة لتأكيد الإنكار، ﴿**لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ**﴾: من قبل بعث محمد، ﴿**إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**﴾: سمرهم وأكاذيبهم، ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾ حتى تعلموا أن هذا ليس بكذب وإسمار، ﴿**وَلاَ تَحْزَنْ**﴾ يا محمد، ﴿**عَلَيْهِمْ**﴾: على تكذيبهم وإعراضهم عنك، ﴿**وَلاَ تَكُن فِي ضَيْقٍ**﴾: حرج صدر، ﴿**مِّمَّا يَمْكُرُونَ**﴾: من مكرهم فإن الله يعصمك، ﴿**وَيَقُولُونَ**[1] **مَتَى هَذَا الْوَعْدُ**﴾: القيامة، وقيل: وعد العذاب، ﴿**إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم**﴾، دنا لكم وتبعكم، ﴿**بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ**﴾ كيوم بدر، فإنه قامت فيه قيامتهم، وحكم لعل وعسى في مواعيد الملوك حكم الجزم، وإنما يطلقونه إظهاراً لوقارهم، وأن الرمزة منهم كافية في الأغراض، ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى**

---

(١) ولما ذكر أنهم في شك من القيامة، وأورد من كلماتهم ما دل ظاهره على شكهم، ثم أوعدهم بالهلاك، وسلّى فؤاد نبيه ذكر منهم ما دل على عنادهم وتماديهم في جهلهم مما يدل ظاهره أيضًا على شكهم، فقال: " ويقولون متى هذا الوعد " إلخ/١٢ وجيز.

﴿النَّاسِ﴾ بتأخير عذابهم مع استحقاقهم ، **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ وَإِنَّ[1] رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ﴾**: ما تخفي ، **﴿صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ[2]﴾**: خافية ، **﴿فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ[3]﴾**: اللوح المحفوظ ، **﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾**: كأمر عيسى وعزير ، وأحوال الجنة والنار ، **﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾** فإنهم أهل الانتفاع به ، **﴿إِنَّ[4] رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم﴾**: بين المختلفين في الدين ، **﴿بِحُكْمِهِ﴾**: بما يحكم به، **﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾**: فلا يرد حكمه ، **﴿الْعَلِيمُ﴾** بأحوال من يحكم عليه وله ، **﴿فَتَوَكَّلْ[5] عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾**: والحق يعلو ولا يعلى، **﴿إِنَّكَ[6] لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾**: الكفار ، فإنهم كالموتى في عدم الانتفاع بما يستمعون ، **﴿وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾** والكفار كالصم في تلك الحال، التي هي أبعد من الاستماع، فإن الأصم إذا كان حاضرًا قد يسمع ، **﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلاَلَتِهِمْ﴾**: وهم عمي ، **﴿إِن تُسْمِعُ﴾** سماع انتفاع ، **﴿إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾**: من

---

(١) ولما كان الإمهال ربما يكون لجهل بذنوب المذنب نفاه بقوله : " وإن ربك ليعلم " الآية /١٢ وجيز .

(٢) ما من شيء في غاية الغيوبة والخفاء ، والتاء للمبالغة كراوية وعلامة / ١٢ .

(٣) فصحَّ أن الله محيط علمه، إذ لا خصوصية لهذا دون غيره بالنسبة إلى علمه/١٢ وجيز .

(٤) ولما ذكر الاختلاف، قال : " إن ربك يقضى " الآية / ١٢ .

(٥) ولما ثبت حكمه وعلمه، أمر نبيه بأن يعتمد كل الاعتماد عليه فقال : " فتوكل على الله " الآية / ١٢ وجيز .

(٦) ولما قال : " إنك على الحق المبين " كأن سائلاً سأل فما بالهم لا يذعنون ؟ فقال : " إنك لا تسمع الموتى " الآية / ١٢ وجيز .

هو في علم الله مصدق بآياتنا، ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: مخلصون منقادون ، فبلغ أنت رسالتك ، ولا تضيق صدرك ، ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ﴾: وجب العذاب والسخط ، ﴿عَلَيْهِمْ[1]﴾ حين لا يقبل من كافر الإيمان ، ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً[2] مِّنَ الأَرْضِ﴾: من نفس مكة ، أو من بواديها ، وفي الحديث[3] (*)أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من المغرب ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيتها كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريب) ، ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ من الكلام ، أو من الكَلْم ، أي : الجروح ، فقد ورد[4] إن عصا موسى تكون بيدها فتنكت في وجه المؤمنين نكتة بيضاء فتبيض منها وجوههم ، وبيدها خاتم سليمان ، وتنكت الكافر بها في وجهه فتسود منها وجوههم(**)، وفي الشواذ (تَكْلِمهم) بفتح التاء وجزم الكاف ، ﴿أَنَّ النَّاسَ﴾ قرئ بفتح الهمزة وكسرها ، ومن قال : إن هذا كلامها ، فيكون تقديره: بأن الناس ، والكسر لتضمين الكلام معنى القول ، وعند من يقول: إنه من الكلم ، أو كلامها إبطال كل دين سوى الإسلام ، أو لعنة الله على الكافرين، فتقديره: لأن الناس علة

---

(١) وعن أبي العالية، إنه فسر وقع القول بما أوحى إلى نوح "إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن"(هود:٣٦) نقله صاحب الفتح ، وفي الوجيز وقع القول: أنجز وعد عذابهم الذي يضمنه القول الأزلي الأولى من الله ، ولا يقبل من كافر إيمانه/١٢ .

(٢) والظاهر أنها واحدة ، وروى أنها تخرج في كل بلدة ، فعلى هذا دابة اسم جنس ، واختلف في كيفيتها اختلافًا لا ينضبط/١٢ وجيز .

(٣) رواه مسلم / ١٢ وجيز .

(*) أخرجه مسلم في "أشراط الساعة" / باب: ذكر الدجال (٧٩٨/٥) ط الشعب.

(٤) رواه ابن ماجه وأبو داود ، وابن جريج / ١٢ وجيز

(**) أخرجه ابن ماجه (٤٠٦٦) وضعفه الشيخ الألباني في "الضعيفة" (١٦٠٨).

لتكلمهم ، أو لأخرجنا ، وعلى كسرها مستأنفة ، ﴿كَانُوا بآيَاتِنَا﴾ يعني بخروجها ، وسائر أحوالها، فإنهما من آيات الله ، أو بالقرآن ، فإن أكثر الناس حينئذ كفار ، ﴿لاَ يُوقِنُونَ﴾ وكلامها على بعض التوجيهات حكاية لقول الله .

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

﴿وَيَوْمَ[1] نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾ "من" للتبعيض ، ﴿فَوْجًا﴾: جماعة ، ﴿مِّمَّن﴾ "من" للبيان ، ﴿يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يحبس أولهم على آخرهم ليجتمعوا ، وهو

(١) ولما كان من فعل الدابة التمييز بين المؤمن والكافر دفعة، تلاه بتمييز كل فريق منهما عن صاحبه بنوع آخر، فقال : " ويوم نحشر " الآية / ١٢ وجيز .

عبارة عن كثرتهم ، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوا﴾ إلى المحشر ، ﴿قَالَ﴾ الله لهم: ﴿أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ الواو للحال أي : أكذبتموها بادئ الرأي من غير إحاطة علم بكنهها أو للعطف ، أي : أجمعتم بين التكذيب ، وعدم التأمل لتحققها ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أم أي شيء كنتم تعملون بها بعد ذلك؟! وهذا توبيخ وتبكيت كما تقول لعبدك الذي أكل مالك ، وأنت تعلمه : أكلته أم بعته أم ضل عنك أم ماذا عملت به ؟! ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ حل عليهم العذاب الموعود ، ﴿بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا[1] يَنطِقُونَ﴾ بحجة وعذر في جواب هذا السؤال عنهم ، ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ ألم ينظروا ويتفكروا؟ ﴿أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ بالقرار والنوم ، ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ في نصب مبصرًا بالحال مبالغة ، فإن ما هو حال لأهله جعله من أحواله يعني: لو تأملوا لعلموا كمال قدرته ولطفه على خلقه ، فما أنكروا الحشر وشكروا نعمه فما أشركوا به ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ[2]﴾ فإنهم المتأملون في مثل تلك الآيات ، ﴿وَيَوْمَ﴾ أي : اذكر يوم ، ﴿يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾: قرن ينفخ فيه إسرافيل في آخر عمر الدنيا ، والمراد الزمان الممتد الشامل لزمان النفختين ، ﴿فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ[3]﴾ من الهول ، وعن بعضهم معناه يلقى عليهم الفزع

---

(١) لأنه لا عذر لهم ، وقيل: يختم على أفواههم ، فيكون ذلك في موطن من القيامة ولما ذكر الحشر استدل عليهم بحشرهم كل ليلة إلى المبيت ، والختم على مشاعرهم وبعثهم من المنام، فقال : " ألم يروا أنا جعلنا " إلخ / ١٢ وجيز .

(٢) فإنهم لو تأملوا لعلموا كمال قدرته ولطفه على خلقه وأن النوم كالموت ، والنهار كالبعث ، فما أنكروا البعث وما أشركوا ، ولما ذكر هذا الحشر الخاص الذي هو كالدليل علي الحشر العام أعقبه بالحشر العام ، فقال : " ويوم ينفخ في الصور " الآية/١٢ وجيز .

(٣) عن أبي هريرة إن النفخ ثلاث نفخة فزع في حياة الدنيا ، ونفخة الصعق ، ونفخة القيام من القبور / ١٢ وجيز .

إلى أن يموتوا ، ﴿إِلاَّ مَن شَاءَ[١] اللَّهُ﴾ ، عن كثير من السلف : هم الشهداء[٢] لا يصل إليهم الفزع أحياء عند ربهم ، أو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، لا يصل إليهم الفزع ثم يقبض أرواحهم ، أو موسى بدل صعقته في الدنيا ، أو الحور والرضوان ومالك والزبانية ، وقيل غير ذلك ، ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ﴾ المراد حضورهم الموقف ، ﴿دَاخِرِينَ﴾: صاغرين ، ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾: ثابتة في مكانها ، ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ في السرعة والأجرام العظام إذا تحركت لا يكاد تتبين حركتها[٣] كالسحاب ، ﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لنفسه من مضمون (يوم ينفخ) الآية ، ﴿الَّذِي أَتْقَنَ﴾: أحكمَ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ وأودع فيه من الحكم ما أودع ، ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم عليه ، ﴿مَن جَاءَ﴾ في ذلك اليوم ، ﴿بِالْحَسَنَةِ[٤]﴾: كلمة التوحيد ، والإخلاص ، ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾: رضوان الله ، أو تضعيف حسنته ، ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ نوع فزع ، وهو فزع دخول النار ، أو الفزع مطلقه، ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ أجمع السلف على أن المراد من السيئة هنا الشرك ، ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ ، المراد من الوجوه: الأنفس ، أو ذكر الوجوه للإيذان

---

(١) فلا ينالهم الفزع ، ونعم ما قيل: الله أعلم بثنياه / ١٢ وجيز .

(٢) مقلدون السيوف حول العرش / ١٢ وجيز .

(٣) وذلك أحوال الجبال تسير ثم ينسفها الله فتصير كالعهن ، ثم تكون هباء منثورًا/١٢ وجيز .

(٤) وبالحسنة الإيمان أخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن مردويه عن أبي هريرة (عن النبي صلى الله عليه وسلم "من جاء بالحسنة فله خير منها " قال : هي لا إله إلا الله" ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار " قال :هي الشرك) ، وإذا صح هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالمصير إليه في التفسير متعين/١٢ فتح .

بأنهم يكبون فيها منكوسين ، ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ[1] تَعْمَلُونَ﴾ أي : قيل لهم ذلك ، ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أمر رسوله أن يقول لهم ذلك ، والبلدة مكة حرم الله صيدها ونباتها وأشجارها[2] ولقطتها ، ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾: ملكًا ، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لله ، ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ على الناس ، ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾: بالقبول والاتباع ، ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لا ينفع إلا نفسه ، ﴿وَمَن ضَلَّ﴾: بعدم القبول والاتباع ، ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ فلا علي من ضلالكم شيء ، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ما أنعم عليَّ من النبوة والعلم ، ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ في الدنيا كوقعة بدر ، ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ حين لا ينفعكم ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فتأخير العذاب ليس لغفلة ، بل لرحمة.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) فما ذلك إلا عدل ، ولما رغب ورهب بقوله "هل تجزون" أمر الله نبيه بأن يبين شغله وحال أمته معه ليتميز القسمان القسيمان ، فقال : " إنما أمرت " الآية/١٢ وجيز .

(٢) ولما في الحديث (إن إبراهيم حرم مكة) فالمراد أنه أخبر بذلك ، ومنه ظهر حرمتها ، وله كل شيء خلقًا وملكًا ، فله التحريم والتحليل / ١٢ وجيز .

سورة القصص مكية

قيل إلا قوله: "الذين آتيناهم الكتاب" إلى قوله: "الجاهلين"

وهي ثمان وثمانون آية وتسع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ۝٦ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٧ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ۝٨ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٠ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝١١ ۞ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ

أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿**طسم تِلْكَ**﴾ إشارة إلى السورة ﴿**آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ**﴾ القرآن أو اللوح المحفوظ ﴿**نَتْلُو**﴾: نقرء بلسان جبريل أو نترل ﴿**عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ**﴾ مفعول نتلوا ومن للتبعيض ﴿**مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ**﴾ محقين ﴿**لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ لأهم المنتفعون به ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ**﴾ استئناف يبين بعض النبأ ﴿**عَلَا فِي الْأَرْضِ**﴾ استكبر في أرض مصر ﴿**وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا**﴾ أصنافًا يصرف كل صنف فيما يريد ﴿**يَسْتَضْعِفُ**﴾ حال من فاعل جعل ﴿**طَائِفَةً مِّنْهُمْ**﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿**يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ**﴾ بدل من يستضعف ﴿**وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ**﴾ يخليهن أحياء للخدمة ﴿**إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَنُرِيدُ**﴾ حكاية حال ماضية ﴿**أَن نَّمُنَّ**﴾ نتفضل ﴿**عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ**﴾ بإنقاذهم من بأسه ، والجملة عطف على " إن فرعون " أو حال من مفعول يستضعف " وأن نمن " مستقبل وإرادة الله إذا تعلقت بشيء في زمان مترقب وجب أن لا يتوقف عن ذلك الزمان ﴿**وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً**﴾ قادة في الخير أو ملوكًا ﴿**وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾: لما كان في تحت يد فرعون وقومه ، ﴿**وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾: نسلطهم في أرض مصر والشام ﴿**وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم**﴾ من بني إسرائيل متعلق بنرى ﴿**مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ**﴾ من ذهاب ملكهم في يد مولود من بني إسرائيل فإن القبط قد سمعوا ذلك من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿**وَأَوْحَيْنَا**[1]﴾

(١) ألهمنا : أى هذا وحي إلهام لا وحي نبوة قال قتادة : قذفنا في قلبها، وأم موسى يوحاند بنت لاوى بن يعقوب هذا ما قاله محيى السنة ، وفي الفتح وقد أجمع العلماء على أنها لم تكن نبية وإنما كان إرسال الملك إليها عند من قال به على نحو تكليم الملك للأقرع =

ألهمنا [١] ﴿إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ ما دمت غير خائفة عليه ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ من أن يحس فرعون به ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ[٢]﴾ بحر نيل ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ عليه فعلينا حفظه ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ في هجره ﴿إِنَّا رَادُّوهُ[٣] إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ فإن أمه جعلته في تابوت ، وسيرته في النيل فوقع التابوت في نهر كان يجرى منه إلى بيت فرعون فأخذه أهل داره ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ اللام لام العاقبة ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ مذنبين فعاقبهم الله بأن ربي عدوهم على أيديهم، أو خاطئين في الأفكار فأخطئوا في تربية عدوهم ﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ[٤] فِرْعَوْنَ﴾ لفرعون حين فتحت التابوت ورأت[٥] فيه غلاماً هيًا ﴿قُرَّتُ﴾ أى: هو قرة ﴿عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ فأجابها أما لك فنعم ، وأما لي فلا فكان كذلك ﴿لَا تَقْتُلُوهُ[٦]﴾ فإنه جاء من أرض أخرى، وهو أكبر[٧] من ابن سنة ﴿عَسَى

= والأبرص والأعمى كما في الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما ، وقد سلمت على عمران بن حصين الملائكة كما في الحديث الثابت الصحيح فلم يكن بذلك نبيًا /١٢ .

(١) أى : ألهمناها الذي صنعت قاله ابن عباس / ١٢ فتح .

(٢) يعني اجعليه في تابوت كما مر في سورة طه / ١٢ وجيز .

(٣) وهذا كما قيل يمكن تحمل الفراق حين رجاء التلاق/١٢ وجيز .

(٤) وقد هم مع أعوانه بقتله ، وهي آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء وبنات الأنبياء ، وقيل: كانت من بني إسرائيل ، وقيل: كانت عمة موسى حكاه السهيلى/١٢ فتح .

(٥) ألقى الله حبه على قلب آسية / ١٢ وجيز .

(٦) قيل : إنها قالت لا تقتلوه فإن الله أتى به من أرض بعيدة ، وليس من بني إسرائيل ثم عللت ما قالته بالترجي منها الحصول النفع منه لهم أو التبني له فقالت " عسى أن ينفعنا " الآية / ١٢ فتح .

(٧) وفرعون لا يخاف إلا من أبناء تلك السنة / ١٢ وجيز .

﴿أَن يَنفَعَنَا﴾ فإن آثار اليمن تظهر منه ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ نتبناه فليس لها ولد منه ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ من كلام الله أي: التقطوا، وقيل: كذا وكذا أو الحال أنهم لا يشعرون ما أراد الله منه بالتقاطهم إياه وقيل: من كلام امرأة فرعون والضمير للناس، أي: نتخذه ولدًا والناس لا يشعرون أنه ولد غيرنا ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ[1] أُمِّ مُوسَى فَارِغًا[2]﴾ خاليًا من كل شيء كالمجنون في غم ولدها[3] ﴿إِن كَادَتْ﴾ إنها كادت ﴿لَتُبْدِي بِهِ﴾ أي: من شدة الحزن كادت تظهر أن لها ولدًا ذهب به الماء ﴿لَوْلاَ أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ بالصبر جوابه ما يدل عليه ما قبله ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ[4]﴾ من المصدقين بوعد الله حين ألهمها بأنا رادوه إليك وهو علة الربط قيل: معناه أصبح فؤادها خاليًا من الغم لسماعها أن فرعون تبناه وكادت من الفرح تظهر حاله ﴿وَقَالَتْ لأُخْتِهِ﴾ أخت موسى مريم[5] ﴿قُصِّيهِ﴾ اتبعى أثره وتتبعي خبره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ﴾ عن بعد ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ أنها أخته ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ تحريمًا قدريا، يعني منعناه من أن يرتضع من المرضعات ﴿مِن قَبْلُ[6]﴾ من قبل تتبعها

---

(١) لما علمت بالتقاطه/ ١٢.

(٢) من كل شيء إلا من أمر موسى كأنها لم تهتم بشيء سواه، قاله المفسرون/١٢ فتح.

(٣) حين سمعت أن ولدها التقطه آل فرعون / ١٢ وجيز.

(٤) قال يوسف بن الحسين: أمرت أم موسى شيئين وبشرت عن شيئين وبشرت بشيئين فلم ينفعها الكل حتى تولى الله حياطتها فربط على قلبها / ١٢ فتح.

(٥) وقال الضحاك: إن اسمها كائمة، وقال السهيلي: كلثوم ذكره الماوردي/١٢ فتح.

(٦) أي: قبل رده إلى أمه، أي: منعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمه فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة/١٢ جلالين، وكانت امرأة فرعون طلبت لموسى المرضعات ليرضعنه فلم يرضع من واحدة منهن/١٢.

﴿فَقَالَتْ[1]﴾ أخته: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ﴾ يضمنونه ويرضعونه ، لكم : لأجلكم ﴿لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ لا يقصرون في خدمته قيل لما قالت ذلك القول أخذوها ، وقالوا: عرفت هذا الولد فدلينا ، فقالت : لا أعرفه وإنما أردت أهم للملك ناصحون لا للولد حتى استدللتم على أني أعرفه فخلوها فأتت بأمها فالتقم ثديها فقالوا: من أنت منه ، فقالت: إني امرأة طيبة النشر لا أوتى بصبي إلا قبلني فأعطوه إياها مع أجر وعطاء جزيل فذهبت به إلى بيتها شاكرة ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ برؤيته ﴿وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ﴾ علم مشاهدة ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ في رده إليها وجعله من المرسلين ﴿حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ[2]﴾ غرضنا في رده إليها، أو لا يعلمون أن وعدنا رده إليها أو أن وعده حق.

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ

(١) لما رأت حنوهم عليه وامتناعه من الرضاع / ١٢ .

(٢) بهذا الوعد ولا بأن هذه أخته وهذه أمه فمكث عندها إلى أن فطمته وأجرى عليها أجرها لكل يوم دينار وأخذها لأنها مال حربي فأتت به فرعون فتربى عنده كما قال تعالى حكاية عنه في سورة الشعراء: " ألم نربك فينا وليدًا ولبثت فينا من عمرك سنين "(الشعراء:١٨)/١٢ جلالين .

فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾

﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ**﴾ منتهى قوته وهو ما فوق الثلاثين ﴿**وَاسْتَوَى**[1]﴾ اعتدل عقله ﴿**آتَيْنَاهُ حُكْمًا**﴾ نبوة ﴿**وَعِلْمًا**﴾ بالدين أو حكمة وفهما قبل النبوة ﴿**وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ مثل ذلك الجزاء نجزيهم ﴿**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ**﴾ مدينة بأرض مصر وهذه الجملة ذكر سبب وصوله إلى النبوة وقصته على الوجه الأول الذي فسرنا الحكم بالنبوة ، فإنها كانت قبل بعثته ﴿**عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا**﴾ كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين ﴿**فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ**﴾ من بنى إسرائيل ﴿**وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ**﴾ من القبط والإشارة على الحكاية ﴿**فَاسْتَغَاثَهُ**﴾ طلب أن يغيثه

---

(١) أى : بلغ أربعين سنة كذا روى ابن أبي حاتم ، وابن جرير عن مجاهد أن بلوغ الأشد في ثلاث وثلاثين والاستواء في أربعين ، وعن ابن عباس أن الأشد ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين ، والاستواء ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، والتحقيق أن أصل معناه القوة ، وهي تختلف باختلاف الأوقات والأعصار ، ولذا وقع له تفاسير مختلفة في كتب اللغة ، والتفسير بحسب القرائن/١٢ كمالين حاشية جلالين.

بالعون ﴿الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ لما كان فيه معنى طلب العون عدى بعلى ﴿فَوَكَزَهُ﴾ هو الضرب بجمع الكف أو الدفع بأطراف الأصابع ﴿مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ فقتله ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ لأنه لم يؤمر بقتل الكفار ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتله ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ ذنبي ﴿فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ﴾ بحق إنعامك ﴿عَلَيَّ﴾ اعصمني ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ معينًا ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ لمن أدت مظاهرته إلى جرم أو معناه أقسم بإنعامك علي وجوابه محذوف ، أي : لأتوبن ، وعن ابن عباس لم يستثن ، فابتلى به مرة أخرى ، أي : لم يقل فلن أكون إن شاء الله ﴿فَأَصْبَحَ﴾ موسى ﴿فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ[1]﴾ ينتظر[2] سوءً ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ﴾ ذاك الإسرائيلي ﴿يَسْتَصْرِخُهُ[3]﴾ يستغيثه ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ فإنك تسببت لقتل ، ثم تدعوني إلى آخر ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ﴾ موسى ﴿أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ بالقبطي ﴿قَالَ﴾ الإسرائيلي: ﴿يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ لما سمى الإسرائيلي غويًا ظن أن البطش عليه ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ بين الناس فلما سمع القبطي هذا الكلام منه راح إلى باب فرعون ، وأخبره فأمر بقتل موسى وأخذ جنوده الطرق لأخذه ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ من آخرها ﴿يَسْعَى﴾ يسرع صفة لرجل ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ﴾ فرعون وأشرافه ﴿يَأْتَمِرُونَ﴾ يتشاورون ﴿بِكَ﴾ بسببك

---

(١) أو يترقب الأخبار هل وقفوا على ما كان منه ، قيل: يترقب نصرة ربه / ١٢ وجيز .

(٢) لحوق طالب أو غوث الله إياه / ١٢ .

(٣) يستغيث به على قبطي آخر من الصراخ والمعنى يطلب منه أن يزيل صراخه/كمالين ١٢.

﴿لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾ من البلد ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ لك بيان لا صلـــه مقـــدم ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا﴾ من المدينة ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ لحوق شر ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَــوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ من شرهم.

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ۞ ﴾

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ[1]﴾ قبالة ﴿مَدْيَنَ﴾ قرية شعيب ، و لم تكن تحت سلطان فرعون ﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ قصد الطريق ، وكان لا يعرف الطريق إلى مدين فتوكل وتوجه﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ وصل إلى بئر لهم ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيهم﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ في مكان أسفل من مكانهم ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تمنعان غنمهما عن الماء انتظارًا لخلو شفير البئر ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما شأنكما تذودان؟ ﴿قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ﴾ يصرف ﴿الرِّعَاءُ﴾ مواشيهم ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يستطيع الخروج للسقي ، ونحن ضعفاء لا نقدر على مزاحمة الرجال﴿فَسَقَى﴾ مواشيهما ﴿لَهُمَا﴾ رحمة عليهما عن عمر : " لما فرغ[2] الناس جعلوا صخرة لا يستطيع رفعها إلا عشرة على رأس البئر فرفع موسى الحجر وحده ثم لم يستق إلا ذنوبًا واحدًا ودعا بالبركة وروى غنمهما ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ ظل شجرة ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ طعام ﴿فَقِيرٌ﴾ محتاج سأل ربه أن يرزقه شيئًا ليأكل فإنه من الجوع في غاية "وما " موصوفة وتنكير خير للشيوع أى : قليل أو كثير ، وتعدية فقير باللام لأنه ضمن معنى طالب وسائل ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ مستحيية متسترة بكم[3] درعها ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾ فإنهما لما رجعتا سأل أبوهما عن سرعتهما اليوم في السقى فقصتا ،

---

(١) جهتها وهي قرية شعيب مسيرة ثمانية أيام من مصر سميت بمدين بن إبراهيم ، ولم يكن يعرف طريقها قال : " عسى ربي أن يهديني سواء السبيل " فأرسل الله إليه ملكًا بيده عنزة فانطلق به إليها / ١٢ جلالين .

(٢) قوله " عن عمر " إلخ رواه أبو بكر بن أبي شيبة ، وقال الشيخ ابن كثير: إن إسناده صحيح/١٢ وجيز .

(٣) أي : واضعة كم درعها على وجهها حياءً منه كذا أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عمر وفيه مشروعية ستر الوجه للحرة ، وأنه لا باس بكلامها مع الرجال / ١٢ كمالين .

فبعث إحداهما لتدعوه ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ جزاء سقيك ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ موسى ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ أخبره بأمره الذى أخرجه من أرضه ﴿قَالَ لَا تَخَفْ[1] نَجَوْتَ[2] مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فرعون وقومه ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ لرعى الغنم ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ وهو كذلك علمت قوته من قلع الحجر ، وأمانته من أنه أمرها بأن تكون خلفه في الطريق كيلا يراها ، واختلف في أنهما ابنتا شعيب أو ابن أخيه أو رجل مؤمن من قومه(*) ﴿قَالَ

---

(١) قيل: قرب إليه طعامًا فقال موسى: إنا من أهل بيت لا نبيع ديننا على ملء الأرض ذهبًا فأجابه شعيب: ليس هذا عوض السقى ، ولكن عادتي وعادة آبائي قرى الضيف فأكلا عليهما الصلاة والسلام / ١٢ وجيز .

(٢) لأن فرعون لا سلطان له على مدين ، وفيه دليل على جواز العمل بخبر الواحد ، ولو عبدًا أو أنثى ، وعلى المشي مع الأجنبية مع ذلك الاحتياط والتورع وللرازى في هذا الموضع إشكالات باردة [هذه الكلمة ترد كثيرا في تعليقات الشارح] جدا لا تستحق أن تذكر في تفسير كلام الله عز وجل ، والجواب عليها يظهر للمقصر فضلاً عن الكامل ، وأشف ما جاء به أن موسى كيف أجاب الدعوة المعللة بالجزاء لما فعله من السقي ويجاب عنه بأنه اتبع سنة الله في إجابة دعوة نبي من الأنبياء ، ولم تكن تلك الإجابة لأجل أخذ الأجر على هذا العمل ، وفي الكشاف إن طلب الأجرة لشدة الفاقة لا يكره ، ويشهد لصحته " لو شئت لاتخذت عليه أجرًا"(الكهف:٧٧) / ١٢ فتح .

(*) الراجح بعد التحقيق أنه ليس بشعيب النبي، وإليه جنح ابن كثير، والذي يحمل على هذا الترجيح أن هذا الرجل شيخ كبير، وشعيب شهد مهلك قومه المكذبين له، ولم يبق معه إلا المؤمنون به، فلو كان هو شعيب النبي بين بقية قومه المؤمنين، ما سقوا قبل بنتي نبيهم الشيخ الكبير، فليس هذا سلوك قوم مؤمنين، يضاف إلى هذا أن شعيبا قال لقومه كما حكى الله عنه: ﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾، ولوط عليه السلام كان في عهد الخليل إبراهيم، وبين إبراهيم وموسى مفاوز، فكيف يكون الشيخ الكبير هو شعيب النبي؟!

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ[1] إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي﴾ من أجرته إذا كنت له أجيراً ، فقوله: ﴿ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ ظرفه ، أو من أجرته كذا إذا اثبته إياه ، فثماني حجج ثاني مفعوليه ، أى : رعية ثماني حجج﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾ عمل عشر حجج ﴿فَمِنْ عِندِكَ﴾ فإتمامه من عندك تفضلاً وتبرعًا ، ويمكن أن يكون مثل هذا النكاح جائزاً في شرعهم ، ويمكن أن يكون هذا استدعاء العقد لا نفسه ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ بالإلزام إتمام العشر ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ في حسن الصحبة ، والوفاء بالقول ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي عاهدتنى فيه ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ قائم لا نخرج عما شرطنا ﴿أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ﴾ الأقصر والأطول ﴿قَضَيْتُ﴾ ما زائدة ﴿فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه ، ولي الخيار مطلقًا ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَانَقُولُ﴾ من المشارطة ، ﴿وَكِيلٌ ﴾ شاهد.

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ

(١) فيه مشروعية عرض ولي المرأة لها على الرجل وهذه سنة ثابتة في الإسلام كما ثبت من عرض عمر لابنته حفصة على أبي بكر وعثمان والقصة معروفة ، وغير ذلك ومما وقع في أيام الصحابة ، وأيام النبوة / ١٢ فتح .

فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿**فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ**[1]﴾ في الحديث قضى أطولهما ﴿**وَسَارَ بِأَهْلِهِ**﴾ بامرأته بنته الصغرى وقيل الكبرى ﴿**آنَسَ**﴾ أبصر ﴿**مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً**﴾ وكان في البرية في ليلة مظلمة شديدة البرد ﴿**قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا**﴾ لعل معها غيرها أو عظمها لأنها ابنة

---

(١) روي البخاري عن ابن عباس أنه قضى أطولها / ١٢ وجيز .

نبي ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ من الطريق فإنه أخطأ الطريق ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ عود غليظ ﴿مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون بها من البرد ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ﴾ جانب ﴿الْوَادِ[1] الْأَيْمَنِ﴾ عن يمين موسى ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ متصل بالشاطئ ، أو صلة لنودي ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ[2]﴾ بدل اشتمال من شاطئ فإنها نابتة على الشاطئ ﴿أَن يَا مُوسَى﴾ أن مفسرة ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ[3]﴾ أي : الذي يكلمك رب العالمين ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ عطف على أن يا موسى ﴿فَلَمَّا رَآهَا﴾ أي : فألقاها وصارت ثعباناً تهتز فلما رآها ﴿تَهْتَزُّ﴾ تتحرك بسرعة ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ ، حية صغيرة من سرعة حركتها[4] ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ منهزماً من الخوف ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ لم يرجع ﴿يَا مُوسَى﴾ أي: نودي يا موسى ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ فرجع ووقف في مكانه الأول ﴿اسْلُكْ﴾ أدخل ﴿يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ كأنها قطعة قمر ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ كبرص ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ أمر أن يضم إليه يده إذا خاف من شيء ، وعن ابن عباس وغيره إذا خاف أحد ووضع يده على فؤاده يَخِفّ ويزول خوفه فمن الرهب أي : من أجله أو معناه تجلد ولا ترتعد من الخوف ، والطائر ينشر جناحيه حين خوفه ويضم حين اطمئنانه ﴿فَذَانِكَ﴾ العصا واليد ﴿بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ معجزتان ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾

---

(١) صفة لشاطئ أو الوادي على معنى اليمن والبركة وبركتها لما خصت به من آيات الله وأنواره تكليمه لموسى ، ولما خلق فيها من الأرزاق والثمار الطيبة/١٢ وجيز .

(٢) قيل: هي عناب / ١٢ وجيز .

(٣) وقد حكى الله تعالى في كل سورة من مثل طه والنمل بعض ما اشتمل عليه النداء/١٢ وجيز .

(٤) وإن كانت هي في نفسها عظيمة الجثة / ١٢ وجيز .

أي : مرسلاً بهما إليه ﴿وَمَلَإِيْهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُون[1] ﴾ بها ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ وقد مر أن له نوع لكنة ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ معينًا ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ بإتمام الحجة ورفع الشبهة ويصدقني بالجزم جواب ، وبالرفع صفة ردءًا ، وعن مقاتل أرسله يصدقني فرعون لأن خبر الاثنين أوقع ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ نقويك ﴿بِأَخِيكَ﴾ فإن اليد تشتد بشدة العضد وجملة البدن تقوى بشدة[2] اليد ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ حجة وبرهانًا ﴿فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ لا سبيل لهم إلى الوصول إلى أذاكم ﴿بِآيَاتِنَا﴾ بسبب إبلاغكما آيات الله ، وقيل متعلق بنجعل ﴿أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الغَالِبُونَ ﴾ وقيل: بآياتنا متعلق بالغالبون على أن يكون اللام فيه للتعريف لا بمعني الذي﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ على الله ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الذي يدعونا إليه أو السحر ﴿فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴾ في أيامهم ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ بعد أن كذبوه ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِندِهِ﴾ فيعلم حقيتي وبطلانكم ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ النصرة والعاقبة المحمودة في الدنيا ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا المَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ أظهر عند الرعية أن وجود إله غيره غير معلوم ، وأنه يستطيع أن يحقق ذلك ، فلذلك أمر ببناء صرح وقال: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ أطبخ لي الآجر ﴿فَاجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ بناء مشرفًا عاليًا ﴿لَّعَلِّي أَطَّلِعُ[3] إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ كأنه ظن

---

(١) ولم يتم أمر الرسالة / ١٢ وجيز .

(٢) على مزاولة الأمور ، فهو مجاز مرسل من باب إطلاق السبب على المسبب بمرتبتين/١٢ وجيز .

(٣) كأنه سمع من موسى أن الله في السماء هذا ما في الوجيز ونقل شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام عن الإمام أبي الحسن الأشعرى أنه قال في كتابه (اختلاف

=

....

= المصلين ومقالات الإسلاميين): كذب فرعون موسى في قوله إن الله فوق السماوات. انتهى . وفي كتاب العلو للذهبي يعني : أظن موسى كاذبًا في أن إلهه في السماء ، ولو لم يكن موسى عليه السلام يدعوه إلى أنه في السماء لما قال هذا ، إذ لو كان موسى قال له إن الإله الذي أدعوك إليه ليس في السماء لكان هذا القول من فرعون عبثًا وكان بناء القصر جنونًا انتهى ، وقال العلامة الحافظ ابن قيم في القصيدة النونية :

هذا وسابع عشرها إخباره ... سبحانه في محكم القرآن

عن عبده موسى الكليم وحربه ... فرعون ذي التكذيب والطغيان

تكذيبه موسى الكليم بقوله ... الله ربي في السماء بنان

ومن المصائب قولهم إن اعتقا ... د الفوق من فرعون ذي الكفران

فإذا اعتقدتم ذا فأشياع له ... أنتم وذا من أعظم البهتان

فاسمع إذا من ذا الذي أولى بفر ... عون المعطل جاحد الرحمن

وانظر إلى ما جاء في القصص التي ... تحكى مقال إمامهم ببيان

والله قد جعل الضلالة قدوة ... بأئمة تدعو إلى النيران

فإمام كل معطل في نفيه ... فرعون مع نمرود مع هامان

طلب الصعود إلى السماء مكذبًا ... موسى ورام الصرح بالبنيان

بل قال موسى كاذب في زعمه ... فوق السماء الرب ذو السلطان

فابنوا لي الصرح الرفيع لعلني ... أرقى إليه بحيلة الإنسان

وأظن موسى كاذباً في قوله ... الله فوق العرش ذو سلطان

وكذاك كذبه بأن إلهه ... ناداه بالتكليم دون عيان

هو أنكر التكليم والفوقية الـ ... ـعليا كقول الجهم ذي صفوان

فمن ذا الذي أولى بفرعون إذًا ... منا ومنكم بعد ذا التبيان

بجهله أنه لو كان لكان جسمًا في السماء يمكن الصعود إليه **﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾** أي : موسى **﴿مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾** في أن لكم إلهًا غيرى وهو رسوله **﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾** بغير استحقاق **﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾** اعتقدوا أنه لا قيامة ولا معاد **﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾** ألقيناهم **﴿فِي الْيَمِّ﴾** ككف رماد **﴿فَانظُرْ﴾** يا محمد **﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾** فحذر قومك عن مثلها **﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾** قدوةً وسادةً للضلال **﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾** إلى موجباها من الكفر والمعاصى **﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾** بدفع العذاب **﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾** يلعنهم الرسل والمؤمنون **﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾** سود الوجوه زرق العيون.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا

= يا قومنا والله إن لقولنا ... إلفًا تدل عليه بل إلفان
عقلاً ونقلاً مع صريح الفطرة ... الأولي وذوق حلاوة القرآن
كل يدل بأنه سبحانه ... فوق السماء مبائن الأكلوان
أترون أنا تاركوا ذا كله ... لجعاجع التعطيل والهذيان

انتهى . وقال شيخ الإسلام: ولا ريب أن قول هؤلاء يعني منكري الفوقية والتكليم يُئَوَّلُ إلى قول فرعون وإن كانوا يفهمون ذلك فإن فرعون كذب موسى في ما أخبره به من أن ربه هو الأعلى وأنه كلمه كما قال تعالى : " وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً " إلى " وإني لأظنه كاذبًا " وهو قد كذب موسى في أن الله كلمه/١٢ .

قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ ﴾

﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ**[1]﴾ التوراة ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا القُرُونَ الأُولَى**﴾ قوم فرعون ونوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿**بَصَائِرَ لِلنَّاسِ**﴾ من عمى القلب والغي ، نصب على الحال من الكتاب ﴿**وَهُدًى**﴾ إلى الطريق المستقيم ﴿**وَرَحْمَةً**﴾ لو عملوا به نالوا رحمة الله ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ ليكونوا على حالٍ يرجى منهم التذكر ﴿**وَمَا كُنتَ**﴾ يا محمد ﴿**بِجَانِبِ الغَرْبِيِّ**﴾ حاضرًا في جانب الغربي من الجبل الذى كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقية ﴿**إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ**﴾ فوضنا إليه أمر الرسالة ﴿**وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ لذلك حتى تعرف هذه القصة وترى هذه الأحوال فما

(١) التوراة وهو أول كتاب فيه الفرائض والأحكام / ١٢ وجيز .

هو إلا من إعلام الله ووحيه ، فكيف يرتاب أحد في نبوتك ﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ خلقنا أممًا بعد موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فخربوا الشرائع ، وكذبوا الرسل وأفسدوا ، ونسوا عهودهم فلذلك كذبوك وإن كانت دلائل نبوتك ظاهرة ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ مقيمًا ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ هم شعيب(*) والمؤمنون به ﴿تَتْلُو عَلَيْهِمْ﴾ تقرأها عليهم تعلمًا منهم ﴿آيَاتِنَا﴾ التي فيها قصتهم فتحكى ما رأيت ، وتعلمت قال بعض المفسرين معناه : ما كنت فيهم رسولاً تتلوا عليهم آياتنا فتقص ما قد رأيت منهم ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ إليك أخبارهم بوحينا ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا(١)﴾ موسى وأعطيناه التوراة، وقلنا له خذ الكتاب بقـــوة، وعن بعض السلف

(*) في القطع بأنه شعيب النبي نظر، وانظر التعليق السابق.

(١) اعلم أنه تعالى وصف نفسه بالمناداة ، والمناجاة في قوله : وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيًّا" (مريم:٥٢) وقوله : " ويوم يناديهم " (القصص:٦٢) وقوله "وناداهما ربهما" (الأعراف:٢٢) ووصف عباده بالمناداة والمناجاة فقال : إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون "(الحجرات:٤) ، وقال : و"إذا ناجيتم الرسول"(المجادلة:١٢) ، وقال : و"إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان " (المجادلة:٩) ، وليس المناداة كالمناداة ، ولا المناجاة كالمناجاة ولا بد من إثبات ما أثبته الله لنفسه ، ونفي مماثلته لخلقه ، فمن قال: ليس له نداء ولا نادى ، ولا ناجى كان معطلاً جاحدًا ممثلاً له بالمعدومات والجمادات ، ومن قال: له نداء كنداء المخلوقات كان مشبهًا ممثلاً له بالحيوانات ، بل لابد من إثبات بلا تمثيل وتتريه بلا تعطيل ولله المثل الأعلى ، وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في القصيدة النونية :

والله قد نادى الكليم وقبله	سمع الندا في الجنة الأبوان
وأتى النداء في تسع آيات له	وصفًا فراجعها من القرآن
واذكر حديثًا في صحيح محمد	ذاك البخاري العظيم الشان
فيه نداء الله يوم معادنا	بالصوت يبلغ قاصيًا والدَّانِ

=

معناه إذ نادينا أمتك في أصلاب آبائهم حين سألني موسى رؤيتك ، وقلت له إنك لن تصل إلى ذلك لكن إن شئت أسمعتك صوت أمته ﴿وَلَكِن﴾ علمناك وأوحينا إليك ﴿رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ عليك وعلى أمتك ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ متعلق بما قدرناه عاملاً في رحمته ﴿مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ فإنهم في فترة بينك وبين عيسى ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ لكي يتعظوا ﴿وَلَوْلا﴾ هي امتناعية ﴿أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا﴾ الفاء للعطف على تصيبهم ﴿رَبَّنَا لَوْلا﴾ هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ﴾ الفاء جواب لولا الثانية ﴿آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وجواب لولا الأولى محذوف ، أي : لما أرسلناك وحاصل الآية لولا قولهم ربنا هلا أرسلت رسولاً نؤمن به ويعلمنا الدين، إذًا عاقبناهم بسبب ما كسبت أيديهم من المعاصى لما أرسلناك

= وفي صحيح البخاري عن جابر عن عبد الله بن أنيس قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان " وعن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إذا قضي الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان " عن أبي سعيد الخدري قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : "يقول الله : يا آدم فيقول : لبيك وسعديك ، فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار" انتهى . وقال شيخ الإسلام في بعض رسائله: وهو سبحانه نادى موسى بصوت سمعه موسى ، فإنه قد أخبر أنه نادى موسى في غير موضع من القرآن والنداء لا يكون إلا صوتا باتفاق أهل اللغة انتهى ، وقال الحافظ ابن قيم في القصيدة المذكورة :

أيصح في عقل وفي نقل نداء	ليس مسموعًا لنا كأذان
أم أجمع العقلاء والعلماء من	أهل اللسان وأهل كل لسان
إن الندا الصوت الرفيع وضده	فهو النجاء كلاهما صوتان
والله موصوف بذاك حقيقة	هذا الحديث ومحكم القرآن

انتهى .

فإرسالك لئلا يكون لهم حجة علينا إن عذبناهم يعنى هم مستحقون للعقاب لكن تأخيره وإرسالك لقطع الحجة ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ أي: محمد عليه السلام ﴿قَالُوا﴾ عنادًا ﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ من اليد والعصا وغيرهما ﴿أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا﴾ أي : ألم يؤت موسى ما أوتي وألم يكفروا أى أبناء جنسهم ، وهم كفرة زمان موسى ﴿بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ قَالُوا﴾ في موسى وهارون ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ تعاونا واتفقا ، وقراءة " سحران " في معني ذوا سحر أو سموهما سحران للمبالغة ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ﴾ منهما ﴿كَافِرُونَ ﴾ أو معناه يطلب قريش منك مثل معجزات موسى ، أو لم يكفروا بمعجزاته وقالوا فيكما يا محمد وموسى ساحران كل يصدق الآخر ، ويعاونه أو القرآن والتوراة سحران كل يصدق الآخر ، وقالوا : نحن بكل منهما كافرون ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾ من التوراة والقرآن ﴿أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أنا ساحران وهذا إلزامهم وتبكيتهم ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ دعائك إلى الإتيان بكتاب أهدى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ لأنهم ما رجعوا بعد ما ألزمتهم بالحجة عن العناد ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ استفهام إنكار ﴿بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ حال للتوكيد وقيل للتقييد فإن هوى النفس قد يكون من الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ المتبعين للهوى.

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن

يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿**وَلَقَدْ**[١] **وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ**﴾ أي : القرآن أتاهم متتابعاً متواصلا قصصًا للأمم الخالية ونصائح ووعدًا ووعيداً أو نزل عليهم نزولاً متصلاً بعضه ببعض ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ لكي يتعظوا ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ**﴾ من قبل القرآن ﴿**هُم**﴾ لا قريش ﴿**بِهِ يُؤْمِنُونَ**﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب أو في وفد جاءوا من عند النجاشي من الحبشة ، " وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول " الآية (المائدة:٨٣)، ﴿**وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ**﴾ لأنا نعلم قبل ذلك محمدًا والقرآن لأن وصفهما مذكور في كتابنا ﴿**أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ**[٢]﴾ مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن ، وإن كانوا مؤمنين به

---

(١) ولما ذكر دلائل صحة نبوته ، وكررها بطرق مختلفة لئلا يبقي لهم شبهة وأنزل عليهم آيات بينات بين سبب تواصلها وتواليها فقال : " ولقد وصلنا لهم القول " الآية/١٢.

(٢) أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بالكتاب الأول

من قبل ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بسبب صبرهم وثباتهم على اتباع الحق أولاً وآخراً ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ يدفعون ﴿بِالْحَسَنَةِ﴾ بالطاعة ﴿السَّيِّئَةَ[1]﴾ المعصية ، أو لا يقابلون الأذى بمثله بل يعفون ، بل يجازون بالإحسان ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في الخير ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ القبيح من القول كشتمهم ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ تكرمًا ﴿وَقَالُوا﴾ للاغين ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ المراد سلام المتاركة والتوديع ﴿لاَ نَبْتَغِي الجَاهِلِينَ﴾ لا نريد صحبتهم وطريقتهم وذلك حين كان المشركون يسبون مؤمني أهل الكتاب قائلين تبًا لكم تركتم دين آبائكم ﴿إِنَّكَ[2] لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ[3]﴾ نزلت حين عرض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الإيمان على أبي طالب في حين موته فأبى ورد ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ بالمستعدين لذلك ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الهُدَى مَعَكَ﴾ نؤمن بك ﴿نُتَخَطَّفْ مِنْ[4] أَرْضِنَا﴾ نخرج من بلادنا ، نزلت في قوم قالوا: نحن نعلم صدقك لكنا إن اتبعناك خفنا أن يخرجنا العرب من أرضنا مكة لإجماعهم على خلافنا فرد الله قولهم

= والآخر ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده"/١٢ فتح .

(١) كما قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ: " أتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن " / ١٢ وجيز .[حسن، وانظر صحيح الجامع(٩٧)]

(٢) ولما بين أنه فصل القول لقريش لكن سبقت السعادة لغيرهم أعقبه بقوله " إنك لا تهدي من أحببت " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) قد أجمع أهل الدين على أنها نزلت في أبي طالب وحديثه مسطور في الصحيحين/١٢ وجيز .

(٤) كما يتخطف العصافير من أوكارها ، لمخافة كافة العرب لأنا نصير قليلاً من غير نصير والاختطاف الانتزاع بسرعة / ١٢ وجيز .

بقوله ﴿أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ﴾ أو لم نجعل مكانهم ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾ مع كفرهم ، فكيف نعرضهم للتخوف والتخطف إذا كانوا موحدين ! يعني : هم كاذبون في عذرهم ﴿يُجْبَى﴾ يجمع ويحمل ﴿إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي : ثمرات كثيرة[1] ﴿رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ مصدر من معنى يجبى ؛ لأنه في معنى يرزق أو مفعول له أو حال بمعني مرزوقا من ثمرات وجاز لتخصصها بالإضافة﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ جهلة ، ولذلك قالوا ما قالوا ثم بين أنهم أحقاء بأن يخافوا بأس الله لا العرب ، فقال: ﴿وَكَمْ[2] أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ أى : من أهلها ﴿بَطِرَتْ﴾ طغت وأشرت تلك القرية ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ أي : في معيشتها منصوب بترع الخافض أو مفعول بطرت بتضمين كفرت يقال : بطر فلان نعمة الله أى : استخفها وكفرها ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ﴾ خاوية ﴿لَمْ تُسْكَن﴾ من السكنى ﴿مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلًا﴾ أى : إلا سكنى قليلاً إذ لا يسكنها إلا المسافر حين العبور ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ إذ لم يبق أحد منهم يرثهم ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ أي : ما جرت عادة الله على إهلاكها ﴿حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا﴾ أصلها وأعظمها فإنما الأشراف فيها ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ فإن أنكروا نزل عليهم العذاب ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ بتكذيب الرسول وارتكاب المعاصى وعن بعض المفسرين معناه ما كان في حكمنا وقضائنا أن نهلك القرى ونخرب الدنيا حتى نبعث في أم القرى "

---

(١) أى : ثمرات كثيرة من أنواع متباينة من ثمرات البلاد الحارة والباردة ففيه الفواكه مع أنه واد غير ذى زرع وفي فعل المضارع إشارة إلى أن هذا يبقى مستمرًا / ١٢.

(٢) ولما ذكر تأمينهم وإنجائهم وتمكينهم مع أنهم قائلون معترفون بضعفهم أتبعه بما وقع من إهلاك قرى أقوياء يخاف الناس من سطوتهم فالأول ترغيب والثاني ترهيب فقال : " وكم أهلكنا من قرية " الآية / ١٢ وجيز .

مكة " رسولاً إلخ ﴿وَمَا أُوتِيتُم[1] مِّن شَيْءٍ﴾ قليل أو كثير من أسباب الدنيا ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ ما هو إلا تمتع وزينة أيامًا قلائل ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ﴾ الجنة ونعيمها ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ[2]﴾ فتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير.

﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

---

(١) ولما اعتلوا في الوقف عن الإيمان بالخوف والتخطف والخوف، إما على الأنفس أو على ما في أيديهم من الدنيا وذكرهم نعمته في الأمن وخوفهم سطوته وهم في مسكنهم وقوتهم إشارة إلى أنهم فوتوا بعدم الإيمان ما هو أغلى وأعلى وأفضل وأولى فقال : " وما أوتيتم " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) من لم يرجح الآخرة على الدنيا فليس بعاقل قال الشافعي : من وصى بثلث ماله لأعقل الناس صرف إلى المشتغلين بطاعة الله / ١٢ فتح .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ * ﴾

﴿أَفَمَن[1] وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ حسن الوعد بحسن الموعود كالجنة ﴿فَهُوَ لاقِيهِ﴾ مدركه ﴿كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الذى هو مشوب بأنواع الغصص ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ المُحْضَرِينَ﴾ للحساب والعذاب وهذه الآية كالنتيجة لما قبلها ، ولذلك رتب عليها بالفاء نزلت في النبي عليه السلام وأبي جهل أو في علي وحمزة وأبى جهل ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي : اذكر يوم ينادى المشركين ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أى : تزعموهم شركائى بحذف المفعولين ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ﴾ وجب عليهم العذاب ، أي : شياطينهم وسادهم في الضلال خوفًا من أن يقول السفلة لا ذنب لنا إنما الذنب لسادتنا ﴿رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ أي : أغويناهم ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ أى : أغويناهم فغووا غيًّا مثل ما غوينا هي خبر هؤلاء والذين مع صلته صفته أو الموصول خبره وهذه مستأنفة ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ منهم

---

(١) ولما بين التفاوت البين بين المتاعين شرع يبين تفاوت المنتفعين بهما فقال : " أفمن وعدناه " الآية / ١٢ وجيز .

﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ فإنهم يعبدون أهواءهم فنحن وهم سواء في الغواية شهدوا على أنفسهم بالغواية والإغواء ثم تبرءوا من عبادتهم ، قال تعالى : "إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا" الآية (البقرة:١٦٦)، ﴿وَقِيلَ ادْعُوا[١] شُرَكَاءَكُمْ﴾ لتخلصكم عن العذاب ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لعجزهم ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ لهم ولأربابهم ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ جواب لو محذوف ، أي ما رأو العذاب أو لو للتمني فهو على الحكاية كأقسم ليضربن أو على تأويل رأوا متمنين هدايتهم ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ سأل أولاً عن إشراكهم ثم عن تكذيبهم رسلهم ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ صارت الأنباء كالعمى عليهم لا تهتدى إليهم وفيه مبالغة ليس في عموا عن الأنباء وهذا كما يقول الكافر في قبره هاه هاه لا أدري[*] قال مجاهد: معناه فخفيت عليهم الحجج ﴿فَهُمْ لاَ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ لا يسأل بعضهم عن بعض لفرط حيرة كل منهم ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ أي من جمع بين الإيمان والعمل الصالح فليطمع في الفلاح وليكن بين الخوف والرجاء وعسى من الكرام تحقيق﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ لا معقب ولا منازع لحكمه ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ أي : التخير يعني ليس

---

(١) لما سألوا وأجابوا بغير جوابه سألوا ثانياً وأضاف الشركاء إليهم لمزيد نكالهم ووبالهم فقال ادعوهم لأن يخلصوكم عما هم فيه تهكماً بهم " فدعوهم " لحماقتهم وسخافة عقولهم "فلم يستجيبوا لهم" الآية / ١٢ وجيز .

(*) هو حديث البراء بن عازب الطويل في عذاب القبر ونعيمه، أخرجه أحمد وغيره بسند صحيح.

لأحد أن يختار عليه أو معناه ليس لهم اختيار أصلاً بل هم عاجزون تحت[1] قدره قيل: ما موصولة مفعول يختار والعائد محذوف أي يختار الذى كان لهم فيه صلاحهم ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ عن إشراكهم نقل أنها نزلت حين قالوا : " لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم "(الزخرف:٣١) ، ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تستر ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ وَهُوَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى﴾ الدنيا ﴿وَالآخِرَةِ﴾ فإنه مولى النعم في الدارين ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ فصل القضاء بين الخلق ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ بالنشور ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ[2]﴾ أخبروني ﴿إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ دائمًا ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ لا نهار معه ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ ﴾ سماع فهم ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا﴾ هو من السرد ، والميم مزيدة ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ، لا ليل معه ، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ ، استراحة عن المتاعب وصف الليل دون النهار، لأن النهار مستغن عن الوصف ، ﴿أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾ ختم الأولى بقوله أفلا تسمعون ، والثانية بأفلا تبصرون لمناسبة قوة السامعة بالليل ، وقوة الباصرة بالنهار

---

(١) والصحيح أن ما نافية كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس فإن المقام في بيان انفراده بالخلق والاختيار ، ولهذا عقبه بقوله: "سبحان الله" قال الله تعالى : " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم"(الأحزاب: ٣٦) / ١٢ وجيز .

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح تعليم الاستخارة وكيفية صلاتها ودعائها فلا نطول بذكرها / ١٢ فتح .

(٢) ولما ذكر أن لله العلم العام التام وليس له شريك وهو الموصوف بجميع الصفات الحسنى، وهو الحاكم يرجع إليه الأمر ، شرع يثبت المدعى بحجة ثابتة مفحمة فقال : " قل أرأيتم " الآية / ١٢ وجيز .

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ بالنهار بأنواع المكاسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ولكي تشكروا نعمه ﴿وَيَوْمَ[1] يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ[2] الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ التكرار للتقريع بعد التقريع ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه ﴿فَقُلْنَا﴾ للأمم ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على صحة ما كنتم تدعونه ﴿فَعَلِمُوا﴾ حينئذ ﴿أَنَّ الحَقَّ لِلَّهِ﴾ ولرسله لا لهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ غاب غيبة الضائع ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الباطل.

﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ

---

(١) ولما أثبت أن له القدرة والحكمة والإحسان وأفحمهم وفهمهم نبه على عجزهم عن البرهان مرة بعد أخرى لكي يرجعوا إلى الحق ويذعنوا فقال : " ويوم يناديهم "١٢/ وجيز.

(٢) وتكرار ذلك كمن أورد مدعى الخصم وأبطله ثم بعد الإبطال أعاد المدعى ليقرعه ويقر بالإبطال / ١٢ وجيز .

عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿إِنَّ قَارُونَ[1] كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى[2]﴾ ابن عمه آمن به ثم نافق ﴿فَبَغَى﴾ تكبر ﴿عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ[3]﴾ جمع مفتح وهو ما يفتح به ﴿لَتَنُوءُ﴾ تثقل ﴿بِالْعُصْبَةِ﴾ الجماعة الكثيرة ﴿أُوْلِي الْقُوَّةِ﴾ ما الموصولة مع صلته التي

---

(١) ولما صاغ تلك السورة من قصص موسى عليه الصلاة والسلام فصل حكايته في أول السورة مع جنايته ، ولما أتمها بين فائدتها ثم شرع في حكاية أخرى منه مع أحد من أقاربه كما وقع لمحمد صلى الله عليه وسلم حذو النعل بالنعل فقال : " إن قارون "(القصص:٧٦) / ١٢ وجيز .

(٢) من بني إسرائيل بلا خلاف واختلف في قرابته فعن ابن عباس أنه ابن عم موسى ، وكان يسمى المنور لحسن صورته كان أحفظ بني إسرائيل للتوراة وأقرأهم لكنه نافق كما نافق السامري حسدًا / ١٢ وجيز .

(٣) قال الواحدي: إن المفاتح الخزائن في قول أكثر المفسرين كقوله : " وعنده مفاتح الغيب "(الأنعام:٥٩) قال: هو اختيار الزجاج قال: الأشبه في التفسير أن مفاتحه خزائن ماله وقال آخرون: هي جمع مفتاح ، وهو ما يفتح به الباب ، فهذا قول قتادة ومجاهد وعن خيثمة قال: كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود الإبل كل مفتاح مثل الإصبع كل مفتاح على خزائنه على حدة فإذا ركب حملت المفاتيح على سبعين بغلاً أغر محجل ، وعنه قال : وجدت في الإنجيل أن بغال مفاتيح خزائن قارون غير محجلة قال الشوكاني : لم أجد في الإنجيل هذا الذي ذكره خيثمة / ١٢ فتح .

هي أن واسمها وخبرها ثاني مفعولي " آتينا " ﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرف لتنوء ﴿لَهُ قَوْمُـــهُ لاَ تَفْرَحْ﴾ بدنياك ، فإن الفرح بها مدة قصيرة وهو يورث غمًّا ســـرمدًا ﴿إِنَّ اللَّـــهَ لاَ يُحِبُّ الفَرِحِينَ ﴾ الأشرين البطرين بالدنيا ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ من المال ﴿الدَّارَ الآخِرَةَ﴾ بأن تصرفه في مرضاة الله ﴿وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ فإن نصيب كـل أحد ليس إلا ما يأكل ويلبس ، أو النصيب ما ينفعك مالاً وما هو إلا أعمال الخــير ، قيل النصيب الكفن ﴿وَأَحْسِن﴾ إلى الناس ﴿كَمَا[1] أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ قيل: أحسن بالشكر كما أحسن الله بالإنعام إليك ﴿وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ﴾ الظلم والكبر والمعـــاصي ﴿فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ قَالَ[2] إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى[3] عِلْمٍ عِندِي﴾ أي: أعطاني على علم وفضل عندى أستحقه لذلك ، ولولا معرفته بفضلي ورضاه مـا أعطاني وهو كان أقرأ بنى إسرائيل وأحفظهم بالتوراة ، قيل (عندى) خبر محـذوف أى

---

(١) لا يلزم أن تكون المشابهة من كل جهة / ١٢ وجيز .

(٢) قارون جواب النصح / ١٢ وجيز .

(٣) قيل أراد علم الكيمياء أى الإكسير المزيل لعيوب حدثت لبعض الفلزات من معادنه/١٢ وجيز . ورد بعض المفسرين بأن علم الكيمياء في نفسه علم باطل لأن قلب الأعيـان لا يقدر عليها أحد إلا الله أقول : ليس هو من باب التقليب ، وهو علم حـق ومن ظن ذلك فمن جهله بحقيقة ذلك العلم هذا ما في المنهية ، وقال الخطابى: تحت حديث (لعن الله الواشمات) إنما نهى عن ذلك لما فيه من الغش والخداع ، ولو رخص في ذلك لاتخذه الناس وسيلة إلى أنواع الفساد ، ولعله قد يدخل في معناه صنعة الكيمياء فإن من تعاطاه إنما يروم أن يلحق الصنعة بالخلقة ، وكذلك كل مصنوع يشبه بمطبوع ، وهو بـــاب عظيم من الفساد انتهى ، وقد صنف شيخ الإسلام كتابًا في إبطال الكيميـــاء سمـاه (إبطال الكيمياء وتحريمها ولو صحت) وكذلك تلميذه شمس الدين ابن القيم صنـــف كتابًا سماه (بطلان الكيمياء من أربعين وجهًا) وهو مجلد/١٢.

هذا في اعتقادي وظني وقيل: متعلق بأوتيت[1] كقولك جاز ذلك عندي ﴿أَوَ لَمْ[2] يَعْلَمْ﴾ عطف على محذوف أي : ألم يقرأ و لم يعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال ، فلا تدل كثرة الدنيا على أن صاحبها يستحق رضى الله﴿وَلاَ يُسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ، أي : لا يسأل الله أو الملائكة المجرمين عن ذنوبهم، بل يدخلهم النار بلا سؤال وحساب وهذا في موطن خاص أو هو سؤال علم ، بل هو سؤال توبيخ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ[3]﴾ من مراكب وملابس وخدم وحشم ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي : المؤمنون الراغبون في الدنيا ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ من الدنيا ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ أي : الأحبار لمن تمنى ويلكم ﴿وَيْلَكُمْ﴾ دعاء بالهلاك مستعمل في الزجر ﴿ثَوَابُ اللَّهِ﴾ في الآخرة ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ مما أوتي قارون ﴿وَلاَ يُلَقَّاهَا﴾ الثواب والتأنيث لأنه بمعنى المثوبة أو الجنة ﴿إِلاَّ الصَّابِرُونَ ﴾ على حكم الله ، وهو من تتمة النصيحة أو المعنى ما يلقى هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء إلا الصابرون فعلى هذا من كلام الله منقطع عن الأول

(١) والأظهر أن (عندي) صفة علم / ١٢ وجيز .

(٢) ابتداء كلام من الله / ١٢ .

(٣) في بيان زينته ذكر أشياء الله أعلم بصحتها منها أنه خرج في تسعين ألفًا عليهم المعصفرات ، والحلي راكبين وراجلين هذا ما في الوجيز ، وفي الفتح عن أوس بن أوس الثقفي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "خرج على قومه في أربعة آلاف بغل" أخرجه ابن مردويه ، وقد روى عن جماعة من التابعين أقوال في بيان ما خرج به على قومه من الزينة ولا يصح منها شيء مرفوعًا بل هي من أخبار أهل الكتاب كما عرفناك غير مرة ، ولا أدري كيف إسناد هذا الحديث الذي رفعه ابن مردويه فمن ظفر بكتابه فلينظر فيه /١٢ .

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾ نقل[1] أنه كان يؤذى موسى كل وقت فأعطى يومًا مالاً لامرأة لتنسبه إلى الزنا فلما كان يوم العيد في محضر الخلق رمته بنفسها فناشدها موسى أن تصدق ، فقالت: أعطاني قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي فدعى عليه موسى فأوحى الله إليه أن جعلنا الأرض مطيعة لك فأمرها تأخذه(*) فأخذته وإنه ليتجلجل فيها إلى يوم القيامة ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ﴾ أعوان ﴿يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ من الممتنعين من عذاب الله ، أو من المنتصرين بنفسه ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ﴾ منزلته ﴿بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ﴾ مركب من " وى " وهي كلمة تندم و "كأن" أو ويل بمعنى ويلك وأن الله منصوب بمقدر وهو اعلم ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ بمقتضى إرادته لا لكرامة وفضل ﴿لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ لأنا وددنا أن نكون مثله ﴿وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ لنعمه أو بالله ورسله.

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة والحاكم ، وصححه وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس/١٢ فتح .

(*) بالأصل (يأخذه) .

رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ﴾ في تلك الإشارة تعظيم للآخرة أى : التى سمعت بذكرها ، وبلغك وصفها ﴿نَجْعَلُهَا﴾ إما خبر تلك والدار صفته أو الدار خبره وهو استئناف﴿لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ﴾ تكبرًا أو استكبارًا عن الإيمان ﴿وَلاَ فَسَادًا[1]﴾ عملاً بالمعاصى أو دعوة الخلق إلى الشرك ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ الحسنى ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عن معاصيه ﴿مَن[2] جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ من وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة تبغيض السيئة إلى قلوب السامعين ﴿إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي : إلا مثله فحذف المثل للمبالغة[3]

---

(١) إعادة "لا" دالة على أن كلاًّ من العلو والفساد مقصود لا جمعهما ، والويل للجامع كقارون ، ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما نحو : " ولا تركنوا إلى الذين ظلموا "(هود:١١٣) قرأها فضيل فقال : ذهبت الأماني ولا يبعد أن يراد لا يريد أن يكون جبارًا مسلطًا على العباد ، ولا يريد الفساد في البلاد ، وقوله في الأرض مشعر بما قلنا فلا يتخذ عباد الله خولاً ولا مال الله دولاً. همته ونيته إعلاء الدين وإصلاح المسلمين / ١٢ وجيز .

(٢) ولما حصل التمييز بين أهل الآخرة وأرباب الدنيا فكأن قائلاً قال : ما حال من أحسن وما حال من أساء ؟ فقال : " من جاء بالحسنة " الآية /١٢ وجيز .

(٣) كأنه لا يصل إليه إلا هذه السيئة بعينها التى أعد لنفسه والشخص إذا خرج من جلباب البدن الكثيف وإن كان كافرًا يعرف بعقله ويبين بين مساواة الجزاء ، وزيادته ونقصه ، ولما ذكر أن العاقبة للمتقين وأعقبه بقوله : " من جاء بالحسنة فله خير منها" توجه الفهم إلى حال إمام المتقين وسيد المحسنين باليقين فقال : " إن الذي فرض " الآية / ١٢ وجيز .

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أي : تلاوته وتبليغه ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ وأي معاد ، وهو معاد ليس لغيرك مختص بك وهو المقام[1] المحمود أو إلى مكة، فقيل: نزلت حين المهاجرة في طريق المدينة، وعن بعض المفسرين: إن ابن عباس فسره مرة بالموت[2] ومرة بالعود إلى مكة، ومراده بالثاني أيضاً الموت، لأن ابن عباس يرى فتح مكة من علامات قرب موته، وكأن التفسيرين واحد﴿قُل[3]﴾ يا محمد لمن ينسبك إلى الضلال ﴿رَّبِّي أَعْلَمُ﴾ يعلم ﴿مَن جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فمن جاء مفعول لفعل دال عليه أعلم ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ ما كنت تظن وتأمل الوحي والنبوة قبل ذلك﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ لكن ألقي إليك لرحمة من ربك وقيل: الاستثناء متصل محمول على المعنى كأنه قال: ما ألقي إليك الكتاب لأمر إلا لرحمة ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾ فخالفهم ونابذهم ، نقل أنه نزل حين دعى إلى دين آبائه ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ العمل بالقرآن ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ إلىمعرفته وطاعته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ حقيقةالخطاب لأهل دينه ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ[4]﴾ إلا ذاته المقدس عن الفناء أو معناه إلا ما أريد به وجهه، أي: كل عمل لم يرد به وجه الله فهو باطل فان﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، للجزاء.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) كما رواه البخاري والنسائي عنه / ١٢ .

(٢) كما روى السدي وغيره بطرق متعددة عنه / ١٢ .

(٣) ولما كان المشركون يقولون: لو كان محمد على حق وهدى لما رضي ربه بأن يكون مخرجًا من بيته وغربته وكربته ، قال: "قل" يا محمد "ربى أعلم" الآية/١٢وجيز.

(٤) في البخاري يقال : إلا وجهه إلا ملكه ويقال: إلا ما أريد به وجه الله ، وفي المعالم قال أبو العالية : ما أريد به وجهه / ١٢ .

سورة العنكبوت مكية

وهي تسع وستون آية وسبع ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾
وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ
ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا
يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ
أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن
جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ
فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ
فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا
كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن
شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ
وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

﴿الـم أَحَسِبَ[1]﴾ الهمزة للإنكار ﴿النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا﴾ على عافية وفراغ ، ولما كان صلة أن مشتملة على مسند ، ومسند إليه يسد مسد مفعولى حسب ، وهذا هو الأولى ﴿أَن يَقُولُوا آمَنَّا﴾ أي : بأن أو لأن ﴿وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾ بل يمتحنهم الله بالمصائب ، ومشاق التكاليف ليميز المخلص من المنافق﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ[2] اللَّهُ﴾ ليتعلق علمه بالامتحان علمًا حاليًّا يتميز به ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ﴾ فيه ﴿أَمْ حَسِبَ﴾ أم منقطعة ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾ يعجزونا فلا نقدر على انتقامهم ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بئس الذى يحكمونه حكمهم هذا ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ﴾ وصوله إلى ثوابه أو من يخشى حسابه وجزاءه ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ﴾ فليستعد وليعمل لذلك الوقت المضروب للجزاء فإنه آت لا محالة أو معناه من يأمل لقاء الله في الجنة فوقت اللقاء آت فليبادر إلى ما يحقق رجاءه ولذلك قال بعض المحققين: هذه تعزية من الله للمشتاقين إلى لقائه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ فيعلم الأقوال والعقائد ﴿وَمَن جَاهَدَ[3]﴾ نفسه في منعها عن المناهي ، وحملها على المعروف ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾ لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

---

(١) قال الشعبي : نزلت في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام فكتب إليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه لا يقبل فيكم الإقرار بالإسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين إلى المدينة فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ، ومنهم من نجا فأنزل الله هاتين الآيتين / ١٢ معالم .

(٢) وفي البخاري : فليعلمن الله ، علم الله ذلك إنما هي بمنزلة فليميز الله كقوله : "ليميز الله الخبيث" (الأنفال:٣٧)/ ١٢ .

(٣) ولما أمره بالمبادرة والاستعداد قال : " ومن جاهد " إلخ / ١٢ وجيز .

أحسن جزاء أعمالهم ﴿وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ بإيتاء أو بإيلاء والديه ﴿حُسْنًا﴾ أي : فعلاً ذا حسن أو للمبالغة جعل الفعل حسنًا لفرط حسنه ، قيل تقديره : وصيناه بتعهد[1] الوالدين افعل بهما حسنًا ، وعلى هذا يحسن الوقف على بوالديه ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ﴾ أي : وقلنا إن جاهداك ﴿لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ﴾ بإلاهيته ﴿عِلْمٌ﴾ فإن ما لا يعلم صحته لا يتبع سيما إن علم بطلانه ﴿فَلاَ تُطِعْهُمَا﴾ في ذلك فلا طاعة في معصية ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ مرجع الكل المؤمن والمشرك والبار والعاق ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بالجزاء عليه ، نزلت[2] في سعد بن أبي وقاص حلفت أمه ، إنها لا تأكل ولا تشرب حتى تموت إن لم يرجع إبنها[*] من الإسلام ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي﴾ جملة ﴿الصَّالِحِينَ ﴾ وكمال الصلاح منتهى الدرجات ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ أصابه مضرة من المشركين للإيمان بالله ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ ما أصابه من جهتهم في الصرف عن الإيمان ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ في الآخرة فجزع من عذابهم وأطاعهم كما يجزع ويطيع الله من يخافه وشتان ما بينهما ، أو معناه إذا نزل عليهم مصيبة اعتقدوا أنها من نقمة الله للإسلام فارتدوا ﴿وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ فتح وغنيمة ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدين فأعطونا من المغنم ﴿أَوَ لَيْسَ اللَّهُ﴾ عطف على محذوف أي : أَقَوْلُهُمْ ينجيهم وليس الله؟ ﴿بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴾ من الإخلاص والنفاق ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعرف المؤمنين حقيقة ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ[3] ﴾ لا يشتبه عليه ولا

---

(١) من جملة ما فتناه / ١٢ وجيز .

(٢) رواه مسلم / ١٢ وجيز .

(*) في الأصل " ابنه "

(٣) بترك الإسلام عند نزول البلاء واختلفوا في نزول هذه الآية قال مجاهد: نزلت في أناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فإذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا ، وقال=

يمكن الإلباس عليه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ ديننا وطريقنا ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ إن كان ذاك خطيئة عطفوا "ولنحملن" وهو أمر لأنفسهم على " اتبعوا " وهو أمر للمؤمنين إرادة للمبالغة وأن كليهما لابد من الحصول ، وهذا قول صناديد قريش ﴿وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ﴾ أى : شيئًا من خطايهم ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ[1] ﴾ في إنجاز وعدهم هذا ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أثقال أنفسهم ﴿وَأَثْقَالًا﴾ أخر ﴿مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ وهي أثقال أوزار من أضلوه من غير أن ينقص من أوزار متبعيهم شيئًا ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ سؤال تقريع وتوبيخ ﴿عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ من الأباطيل.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا

= عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت في الذين أخرجهم المشركون معهم في بدر وهم الذين نزل فيهم " إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم " (النساء:٩٧)، وقال قتادة : نزلت في القوم الذين ردهم المشركون إلى مكة، وقال الشعبي هذه الآيات العشر من أول السورة إلى ها هنا مدنية وباقي السورة مكية/١٢ معالم .

(١) وحاصل المعنى إن تتبعونا ، وبلغكم في ذلك مكروه ، فنحن نرفع منكم مكروهكم، فالجزاء خبر لا يطابق الواقع فهو كذب صريح ، ومن قال: الوعد إنشاء وليس الكذب إلا في الخبر والجواب أن لو سلمنا ذلك فهذا الإنشاء ملزم لخبر والكذب باعتبار اللازم / ١٢ وجيز .

فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأَخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ[١] أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ﴾ بعد نبوته ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ[٢] عَامًا﴾ هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ بعد هذه المدة لما لم يزدهم دعاؤه إلا فرارًا ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ فَأَنجَيْنَاهُ﴾ نوحًا ﴿وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ من كان معه فيها ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ السفينة أو القصة ﴿آيَةً لِّلْعَالَمِينَ[٣]﴾ عن ابن[٤] عباس : بعث نوح وهو ابن أربعين سنة وعاش بعد الطوفان

---

(١) ولما كان السياق للبلاء والامتحان والصبر ذكر من الرسل من هو أولهم وطال صبره ولم يفتر عزمه عن النصح تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتًا له ولأصحابه فقال : " ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) فيه تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم كأنه قيل له : إن نوحًا لبث هذه المدة الكثيرة يدعو قومه ولم يؤمن منهم إلا قليل فصبر وما ضجر فأنت أولى بالصبر / ١٢.

(٣) من بعدهم فقد هلك سوى أصحاب السفينة وما بقى في الديار ديار ولما كان بلاء إبراهيم وصبره من أعظم البلايا لقذفه في النار وكون عدوه أباه أتبع حكايته حكاية نوح ، فقال : " وإبراهيم إذ قال لقومه " الآية / ١٢ وجيز .

(٤) عزاه بعض المحشين إلى الحاكم / ١٢ .

ستين ، فمجموع عمره ألف وخمسون سنة ، وفي جامع الأصول أنـــه عـــاش بعـــد الطوفان خمسين ، ومدة الطوفان ستة أشهر آخرها يوم عاشوراء ﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾ عطـف على نوحًا ﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرف لأرسلنا ﴿لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما أنتم عليه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الخير والشر ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـــهِ أَوْثَانًـا وَتَخْلُقُونَ﴾ تكذبون ﴿إِفْكًا﴾ كذبًا في أنها شركاء الله شفعاء أو تنحتونها للإفك ، جعـل نحتهم خلقًا وإيجادًا ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُـــمْ رِزْقًـا﴾ ولا يكون المعبود إلا الرازق ، ورزقًا مفعول به من غير تأويل ، والتنكير للتعميم ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ كله فإنه مالكه وحده ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ فاسـتعدوا للقائه ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا﴾ أي : تكذبوني ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ رســـلهم كقـــوم شيث وإدريس ونوح ، ولم يضرهم تكذيبهم فلا يضرني تكذيبكم ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُـولِ﴾ اللام للجنس ﴿إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ ﴾ وهذه الآية والتي بعدها إلى قوله: "فما كان جـــواب قومه" الأظهر أنها من جملة قول إبراهيم لقومه ، ويحتمل أن يكون معترضة تسلية لرســـول الله صلى الله عليه وسلم وتنفيسًا بين نصيحته وجواب قومه ، أي : وإن تكذبـــوا محمـــدًا إلخ ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ من العدم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ عطف على "أَوَ لَــمْ يَرَوْا" لا على "يُبْدِئُ" فإنه في معرض الاستدلال من الأول على الثاني وما تعلق به رؤيتهم وإنما هو إخبار[1] على حياله﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الإعادة بعد الإنشاء ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِـــيرٌ قُــلْ سِيرُوا﴾ حكاية كلام الله لإبراهيم على التقدير الأول ﴿فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَـدَأَ الْخَلْقَ﴾ مع اختلاف أجناسهم ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ[2] الآخِرَةَ﴾ عطف على سـيروا

---

(١) قيل: معناه يعيد الأشياء كالنبات والأشجار إن قطعت أو يبست وكالثمار إن قطفت/١٢ وجيز .

(٢) وأصرح باسمه الأقدس في كيف يبدأ الله وأضمر ثم يعيده وهنا أضمر وأبرز بالعكس من الأول الدلالة على تفخيم النشأة الآخرة كأنه قيل : ثم ذلك الذى بدأ الخلق هو ينشـئ النشأة الآخرة / ١٢ وجيز .

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تعلق قدرته على جميع الممكنات على السواء ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ﴾ رحمته ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ تردون ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ ربكم إن هربتم ﴿فِي الأَرْضِ﴾ بالتوارى فيها ﴿وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ بالتحصن فيه أو ولا في السماء لو كنتم فيها قيل تقديره ولا من في السماء ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ لو أراد الله بكم ضرًا.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِ اللَّهِ﴾ بكتبه أو بدلائل وحدته ﴿وَلِقَائِهِ﴾ البعث ﴿أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾ لإنكارهم البعث والجنة ﴿وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ لكفرهم

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ[1] قَوْمِهِ﴾ أي : إبراهيم له ﴿إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ أي: عذبوه أحد العذابين ﴿فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ بعد ما قذفوه فيها بأن جعلها عليه بردًا وسلامًا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ إنجائه منها ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فإن الكفار غير موفقين على التدبر في مثل ذلك ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي : لِتَوَادُّوا بينكم وتتواصلوا كما يتفق الناس على مذهب ليكون ذلك سبب تحابهم ، وثاني مفعولي اتخذ محذوف وهو آلهة أو هو مودة بحذف مضاف ، أي : سبب مودة ، أو بأنها بمعنى مودودة وقراءة رفعها على تقدير هي مودة، أو سبب مودة على أنها صفة "أوثانًا" أو خبر لأن ، وما موصولة ، أي : إن الذين اتخذتموهم ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ فَآمَنَ لَهُ﴾ لإبراهيم ﴿لُوطٌ﴾ هو ابن أخي إبراهيم لا ابن أخته فإنه لوط بن هاران بن آزر وهو أول من آمن به ، وفي الحديث "ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى وغيرك خاطب به امرأته(*)" فالمراد والله أعلم أن ليس على وجه الأرض زوجان على الإسلام ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ[2]﴾ من قومي ﴿إِلَى رَبِّي﴾ هاجر من سواد الكوفة إلى حران ثم

---

(١) لما بين إبراهيم سفههم في عبادة الأوثان رجعوا إلى الغلبة التي هي عادة العاجز عن الجواب / ١٢ وجيز .

(*) جزء من حديث أخرجه البخاري مطولا في قصة إبراهيم وبناء البيت.

(٢) قال النخعي وقتادة : الذي قال إني مهاجر هو إبراهيم ، قيل هو أول من هاجر إلى الله وترك بلده وسار إلى حيث أمره الله بالمهاجرة إليه عن أنس قال : أول من هاجر من المسلمين إلى الحبشة بأهله عثمان بن عفان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (صحبهما الله إن عثمان لأول من هاجر إلى الله بأهله) أخرجه أبو يعلى / ١٢ فتح.[أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٣١١) بسند ضعيف]

منها إلى الشام ومعه لوط وامرأته سارة ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فيمنعني من الأعداء ، ويوفقني بما هو صلاحي ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ وهو ولد إسحاق تولد في حياة إبراهيم ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ أي : جنسه وكل نبي بعده كان من ذريته ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ جمع له بين السعادتين سعادة الدنيا أي : الرزق الواسع ، والمترل الرحب ، والزوجة الحسنة ، والثناء الجميل إلى يوم القيامة ، وسعادة الآخرة وهي لا يعرفها إلا الله ﴿وَلُوطًا﴾ عطف على نوحًا ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ أرسل في حياة خليل الله إلى أهل سدوم ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ الفعلة القبيحة ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ[١]﴾ استئناف مقرر لغاية قباحتها ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ[٢] السَّبِيلَ﴾ فإنهم كانوا يقتلون المارين وينهبون أموالهم ، وقيل: يقطعون سبيل النسل﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾ مجلسكم الغاصة ﴿الْمُنكَرَ[٣]﴾ وفي الحديث "هو خذف أهل الطريق بالحصى والاستهزاء بهم"، أو الصفير ولعب الحمام وحل أزرار القبا ومضغ العلك وتطريف الأصابع بالحنا ، أو الضراط والضحك والفحش في المزاح﴿فَمَا كَانَ

---

(١) يعني : أتأتون تلك الفعلة القبيحة مبتدعين غير مسبوقين بها وفيه دليل على أنه لم يتر [في اللسان (نز): فلان نزيز أي: شهوان، وقتلته النزة أي: الشهوة] ذكر على ذكر قبل قوم لوط/١٢ وجيز .

(٢) قيل: المراد سبيل الولد بتعطيل الفروج، وهم أول من لاط رجالهم وسحقت نساؤهم/١٢ وجيز .

(٣) وفي المنكر خلاف في حديث أحمد والترمذى وحسنه هو الاستهزاء بالمارين [ضعيف]، وعن الكثير كانوا يأتون الرجال في مجالسهم ينظر بعضهم بعضًا/ ١٢ .

جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ[1] اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ في النبـوة، أو في الوعيد ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ[2] ﴾ بإنزال العذاب عليهم.

﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا

---

(١) أما ما وقع من جوابهم " أخرجوا آل لوط من قريتكم " (النمل:٥٦) في آية آخرى فإنهم قالوا أولاً في جوابه: ائتنا بعذاب الله ثم تكرر لما منه نهي ووعد ووعيد قالوا : " أخرجوا " فهذان جوابهم / ١٢ وجيز .

(٢) فإنهم مصرون لا يذعنون الحق بوجه / ١٢ وجيز .

بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗا ۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِ ۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ ۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿**وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا**﴾ الملائكة ﴿**إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى**﴾ من الله بإسحاق وولده جاءوا على طريقة أضياف ﴿**قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ**﴾ سدوم ﴿**إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ**﴾ مستمرون على الكفر والفسق ﴿**قَالَ**﴾ إبراهيم ﴿**إِنَّ فِيهَا**﴾ في القرية ﴿**لُوطًا**﴾ وهو نبي غير ظالم ﴿**قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ**﴾ الباقين في العذاب ﴿**وَلَمَّا أَن جَاءَتْ**﴾ أن صلة زيدت لاتصال الفعلين، وتأكيدهما ﴿**رُسُلُنَا لُوطًا**﴾ بعدما ساروا من عند إبراهيم في صورة أمارد حسان ﴿**سِيءَ بِهِمْ**﴾ جاءته المساءة والغم بسببهم ﴿**وَضَاقَ**[1] **بِهِمْ ذَرْعًا**﴾ أي: عجز وضاق بسببهم وتدبير أمرهم طاقته فإنه خاف عليهم من قومه ﴿**وَقَالُوا**﴾ لما رأوا غمه

---

(١) أن مزيدة لاتصال الفعلين كأنه قيل لما أحس بمجيئهم فاجأ به المساءة من غير مكث خيفة عليهم من القوم وضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه وطاقته، قد جعلت العرب ضيق الذراع عبارة عن فقد الطاقة والأصل فيه أن الرجل إذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلاً في العجز والقدرة / ١٢ وجيز .

﴿لاَ تَخَفْ﴾ علينا ﴿وَلاَ تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ نصب أهلك لعطفه على محل الكاف أو بإضمار فعل ﴿إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾ عذابًا ﴿مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ بسبب فسقهم ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا﴾ من كلام الله تعالى ﴿مِنْهَا﴾ من قرية لوط ﴿آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ هي آثار منازلهم الخربة أوأنهارهم المسودة أو الأحجار الممطورة التي أهلكوا بها ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ عطف على نوحًا إلى قومه ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا﴾ اخشوا ﴿الْيَوْمَ الآخِرَ﴾ وقيل: افعلوا ما ترجون به ثواب يوم الآخر من إقامة المسبب مقام السبب ﴿وَلاَ تَعْثَوْا﴾ العثو أشد الفساد ﴿فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ يعني لا تزيدوا[(١)] في الفساد حال كونكم مفسدين ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة أو الصيحة أخرجت قلوبهم ، أو عذاب يوم الظلة ، وقد مر في سورة الأعراف وهود والشعراء ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ باركين على الركب ميتين ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ﴾ منصوبان بفعل دل عليه ما قبله مثل أهلكنا وعدم انصراف ثمود بتأويل القبيلة ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ﴾ بعض مساكنهم باليمن أو تبين لكم إهلاكهم من جهة مساكنهم إذا رأيتموها﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ السيئة[(٢)] ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ عن الطريق المستقيم ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ عقلاء عند أنفسهم معجبين برأيهم أو كانوا في نفس الأمر متمكنين من النظر أو مستبصرين بضلالهم لكنهم لجوا ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ عطف على عاداً وثمودا ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ[(٣)] ﴾ فائتين بل

---

(١) فإن العثي أشد الفساد / ١٢ وجيز .

(٢) حتى حسبوها حسنة / ١٢ .

(٣) قيل: ما كانوا سابقين الأمم إلى الكفر تلك عادة الأمم مع الرسل / ١٢ وجيز .

أدركهم أمر الله ﴿فَكُلاًّ﴾ من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ ريحًا صرصرًا تحمل الحصباء فتلقيها عليهم ، وتقتلعهم من الأرض ثم تنكسهم على أم رأسهم فتشدخهم ، فكأنهم أعجاز نخل منقعر ، وهم قوم عاد ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ وهم ثمود ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ﴾ قارون ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ فرعون وهامان وروى عن ابن عباس أن الأول قوم لوط ، والرابع قوم نوح ، والأظهر ما ذكرنا قال بعض المحدثين: الرواية منقطعة عن ابن عباس﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فيما فعل بهم ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ فاستحقوا مقت الله ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يتكلون إليه ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ تعتمد عليه وتحسب أنه لها بيتًا ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾ لا بيت أضعف من بيتها مما يتخذه الهوام لا يدفع حرًّا ولا بردًا ، ولا يحجب عن الأعين ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ لعلموا أن هذا مثلهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ أي : الذي تدعونه من دون الله من شيء أي : شيء[1] كان فيجازيكم قيل ما نافية ومن شيء مفعول تدعون يعني الله يعلم أنهم ما يعبدون شيئًا من دون الله ، بل الذي يعبدون لا شيء ، فعلى هذا توكيد للمثل وتجهيل لهم ، ولا يخفى بعده ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فيقدر على الانتقام ولا يظلم ، بل في أفعاله حِكَم ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ﴾ هذا المثل ونظائره ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ نبينها تقريبًا لما بعد من أفهامهم ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا﴾ لا يفهمها ولا يتدبر فيها ﴿إِلاَّ الْعَالِمُونَ[2] ﴾ في الحديث في تفسير تلك الآية العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ﴿خَلَقَ اللَّهُ

---

(١) من ملك أو بشر أو حجر أو شجر ، وهو يجازيكم / ١٢ وجيز .

(٢) وكان جهلة قريش يضحكون قائلين: إن رب محمد يضرب الأمثال بالذباب والعنكبوت ، ولما بين أنه هو العزيز الحكيم أثبت ما بين بشيء مشاهد دال على ذلك ، فقال : " خلق الله السموات والأرض " الآية / ١٢ وجيز .

﴿السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ لا على وجه العبث ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الخلق ﴿لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ[1]﴾ فإنهم يتدبرون في صنائع ملكه.

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ﴾ أمره بقراءة القرآن ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ أي : إن مواظبتها تحمل على ترك ذلك ، وفي

---

(١) المتدبرين في صنائع خلقه ، ولما أفاد القرآن هذا الإخبار ودل على أن فهم أمثاله من رسوخ الإيمان خاطب سيد أهل الإيمان بتلاوة ما يفيد الإخبار ، فقال : (اتل ما أوحى إليك) الآية / ١٢ وجيز .

الحديث : (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا[1] بعدًا) أو مراعاتها تجره إلى الانتهاء ، وفي الحديث[2] (قيل له عليه السلام إن فلانًا يصلى بالليل فإذا أصبح سرق قال: سينهاه ما تقول) والصلاة تنهاه عن ذلك حين الصلاة ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ وأفضل من كل شيء فالصلاة لما كانت كلها مشتملة بذكره تكون أكبر من غيرها من الطاعة ، أو ذكر الله لعباده أكبر من ذكرهم إياه ، وهذا هو المنقول عن كثير من السلف ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ فيجازيكم ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إلا بطريقة هي أحسن فإن من أراد الاستبصار منهم إذا رأوا منكم لينًا وسمعوا منكم حججًا لاهتدوا ، قال تعالى: "ادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" (النحل:١٢٥) الآية ، والظاهر أنها غير منسوخة بآية السيف ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالإفراط في المعاداة فانتقلوا معهم من الجدال إلى الجلاد ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ هذا كأنه من المجادلة الحسنة ﴿وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ﴾، خاصة ﴿لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ فيه تعريض بأنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الإنزال ﴿أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ﴾ كتابًا مصدقًا لسائر الكتب قال ابن جرير : معناه أنزلنا إليك الكتاب يا محمد كما أنزلنا على من قبلك من الرسل ﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ كمؤمني أهل الكتاب ﴿وَمِنْ هَؤُلاءِ﴾ الذين بين ظهرانيك ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِ﴾ كمؤمني العرب ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ مع ظهور معجزاتها ﴿إِلاَّ الكَافِرُونَ ﴾ المتوغلون فيه ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ﴾ قبل نزول القرآن ﴿مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾

---

(١) أخرجه الطبراني وغيره عن ابن عباس / ١٢ فتح .[رواه الطبراني في الكبير وفيه ليث بن أبي سليم،وهو ثقة، ولكنه مدلس، كذا قال الهيثمي في "المجمع"، (٢٥٨/٢)]

(٢) رواه الإمام أحمد وغيره / ١٢ وجيز .[أخرجه أحمد (٤٤٧/٢) وصحح إسناده الشيخ الألباني كما في تعليقه على المشكاة (١٢٣٧)]

ذكر اليمين زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبًا ﴿إِذًا﴾ لو كان شيء من التلاوة والخط ﴿لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ فيقولون لعله قرأه والتقطه من الكتب المتقدمة ﴿بَلْ هُوَ﴾ القرآن ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ يتلونه من حفظهم لا من مصاحفهم وذلك من خاصة هذا الكتاب فإن سائر الكتب ما كان يقرأ إلا من المصاحف ، ولهذا جاء في صفة أمة محمد في الكتب المتقدمة صدورهم أناجيلهم أو معناه ، بل العلم بأنك أمى لا تقرأ أو لا تخط آيات بينات في صدور العلماء الأخيار ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ[1]﴾ المكابرون مع وضوح دلائل صدقه ﴿وَقَالُوا لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كناقة صالح ، وعصا موسى ﴿قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ هوالقادر على إنزالها لا غير ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ[2]﴾ ليس من شأني إنزال الآيات ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ﴾ أي : ألم يردعهم عن طلب آية و لم يكفهم ﴿أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ مع علمهم بأنك أمى لا تخط ولا تقرأ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ القرآن وإنزاله ﴿لَرَحْمَةً﴾ نعمة ﴿وَذِكْرَى﴾ تذكرة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فإنهم المنتفعون به.

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ

---

(١) ختمت الأولى بالكافرين ، لأنه قسيم للمؤمنين لقوله : " و من هؤلاء من يؤمن به " والثانية بالظالمين لأنه جحد بعد إقامة الحجج والدلائل / ١٢ وجيز.

(٢) فأنا على شغلي / ١٢ .

بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ﴾ الباء يزاد في فاعل كفى ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ يرى تبليغي ونصحي ، وتكذيبكم وتعنتكم ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فلا يخفي عليه حالي وحالكم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ كالطواغيت ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾ في صفقتهم ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ كما يقولون: أمطر علينا حجارة من السماء ﴿وَلَوْلا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لعذاب قومك ﴿لَّجَاءَهُمُ العَذَابُ﴾ عاجلاً ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً[1] وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ بإتيانه ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ لا يبقى منهم أحد إلا دخلها ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ العَذَابُ﴾

---

(١) منصوب بالمصدر لأنها نوع من الإتيان / ١٢ ومنه .

ظرف محيطة يعني لا يليق استعجالهم ، ومثل هذا العذاب معد لهم وعن بعض السلف : إن جهنم هو البحر ، وهو محيط بهم ينتثر فيه الكواكب ثم يستوقد فيكون هو جهنم ، وفي مسند الإمام أحمد أنه قال عليه السلام: "البحر[١] هو جهنم" فعلى هذا يوم ظرف لمحذوف ، أي : يوم يغشاهم العذاب كيت وكيت[٢] **﴿مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ﴾** الله **﴿ذُوقُوا﴾** جزاء **﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ يَا عِبَادِيَ[٣] الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي[٤] وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾** نصب فإياي بفعل يفسره ما بعده ،

---

(١) قال في الفتح : وفي هذا نكارة شديدة فإن الأحاديث الكثيرة الصحيحة ناطقة بأن جهنم موجودة مخلوقة على الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة / ١٢.

(٢) يقصر الوصف عن بيانه / ١٢ .

(٣) ولما أبلغ في الإنذار وحذر من الذنوب الكبار لم يهمل الإشارة إلى الصغار وقال : " إن جهنم لمحيطة بالكافرين " وقد كرر أن هذه المواعظ للمؤمنين خاطبهم لطفًا وعناية وقال : " يا عبادي الذين آمنوا " / ١٢ وجيز .

(٤) فيه أنه يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ، ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث يتهيأ له أن يعبد الله حق عبادته قال على القاري: وأما اليوم فإنا بحمد الله لم نجد أعوانًا على قهر النفس وأجمع للقلب وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من الفتن وأربط للأمر الديني وأظهر له من مكة حرمها الله تعالى. أقول: لولا ما فيه الآن من استطالة أهل البدع على أهل السنة وإيثار التنظيمات السلطانية على الأحكام الرحمانية ، وظلم أهل المكس على الحجاج ، وعدم الانتصاف من أهل الاعتساف على العمل بالسنة والتمسك بالحق ، والله يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد. قال سهل: إذا ظهرت المعاصي والبدع في أرض فاخرجوا منها إلى أرض المطيعين قلت: وأنى لنا هذا اليوم؟! لو علمنا أرضًا طائعة على وجه البسيطة على حسب ما نطق به الكتاب والسنة أو ما ذهب إليه فقهاء الأمة لخرجنا إليه إن شاء الله تعالى، ولكن كم من أمنية ضاعت فإنا لله وإنا إليه راجعون / ١٢ فتح البيان .

وهو جواب شرط محذوف ، أي : أرضي واسعة فإن لم تتمكنوا في إخلاص العبادة في أرض فاعبدوني في غيرها ولما حذف الشرط عوض عنه تقديم المفعول مع أن التقديم مفيد للاختصاص نزلت في ضعفة المسلمين الذين لم يستطيعوا الهجرة إلىالمدينة ، أو في قوم خافوا من ضيق العيش ، وتخلفوا عن الهجرة﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ فاستعدوا له بأي طريق تيسر لكم أو خوفهم بالموت ليهون عليهم الهجرة ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم**﴾ نترلنهم ﴿**مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا**﴾ نصب غرفًا على قراءة لنبوئنهم أي : لنقيمنهم مفعول ثان أيضًا لإجرائه مجرى لنترلهم أو بترع الخافض أوتشبيه الظرف المعين بالمبهم لأنه منكر كأرضًا في "أو اطرحوه أرضًا "(يوسف:٩) ﴿**تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ ذلك ﴿**الَّذِينَ صَبَرُوا**﴾ على مفارقة الأوطان والمشاق لله ﴿**وَعَلَى رَبِّهِمْ**﴾ لا على غيره ﴿**يَتَوَكَّلُونَ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا**﴾ لا ترفع رزقها معها ولا تدخره ﴿**اللَّهُ يَرْزُقُهَا**[1] **وَإِيَّاكُمْ**﴾ أيضًا إن كنتم تجمعون وتدخرون فلا تخافوا على معيشتكم بالهجرة ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ**﴾ لأقوال العباد ﴿**الْعَلِيمُ**﴾ بأحوالهم فلا يغفل عنهم أبدًا ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم**﴾ أي : أهل مكة ﴿**مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ أي : إذا كان هذا جواهم فكيف يصرفون عن توحيده فإهم مقرون بأنه خالقها﴿**اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ**﴾ يضيق ﴿**لَهُ**﴾ هذا الضمير غير عائد إلى من ، بل وضع موضع لمن يشاء بجامع كوهم مبهمين ، وهذا من توسعهم فيتعدد المرزوق أو عائد إليه والتعدد بحسب أحواله يبسط له تارة ويقبض له أخرى ﴿**إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ يعلم مصالحهم ومفاسدهم وهذه

---

(١) قال سفيان بن عيينة: ثلاث تدخر الفأر ، والنمل ، والبشر لا رابع لها ، في الحديث : (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصًا وتروح بطانًا) أخرجه الترمذي ، وقال: حديث حسن كذا في الوجيز .[صحيح وانظر صحيح الجامع (٥٢٥٤)]=

الآية لبيان أنه كما هوخالق فهو رازق ، وهم معترفون به أيضًا كما يبين بقوله:[1] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ فإن المطر هو السبب الكلي لوجود الرزق ، وهم مع اعترافهم بخالقيته ورازقيته يعدلون عنه ﴿قُلِ﴾ يا محمد: ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ظهور حجتك عليهم ، وعلى عصمتك عن مثل تلك الضلالة ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ ما يقولون من الدلالة على بطلان الشرك.

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿وَمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ إشارة تحقير ﴿إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ كما يجتمع الصبيان سويعة مبتهجين ، ثم يتفرقون وليس في أيديهم سوى إتعاب البدن ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ﴾ الحياة الحقيقية التي لا موت فيها ، فكأنها في نفسها حياة والحيوان مصدر حي وقياسه حية ففيه شذوذان قلب الياء واوًا وترك الإدغام﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ حقيقتها لعلموا صحة[2] ما قلنا ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

---

(١) والآية لبيان أنه كما هو الخالق فهو الرازق ، وهم معترفون بذلك أيضًا وكيف لا " ولئن سألتهم " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولم يؤثروا دار الفناء عليها فالخزف الباقي أحسن من الذهب الفاني سيما إذا كان الخزف هو الفاني / ١٢ وجيز .

﴿الدِّينَ﴾ يدعون أصنامهم ولا يدعونها، يبين أنهم مع الاعتراف بخالقيته ورازقيته في بعض الأحيان يعترفون بوحدانيته ومع ذلك يشركون ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ فاجئوا المعاودة إلى شركهم من غير تأمل وسبب ، ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من النعم ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ اللام لام الأمر على التهديد من باب " اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير " ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ عاقبة ما فعلوا ﴿أَوَ لَمْ[1] يَرَوْا﴾ أهل مكة ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ جعلنا بلدهم ذا أمن لا يغار على أهله ﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ يختلسون تغزوا العرب بعضهم بعضًا حولهم ، وهم آمنون مع قلتهم وكثرة العرب ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾ أي : أبعد لهذه النعمة الظاهرة بالصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ حيث أشركوا به غيره ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ بالرسول أو القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُ﴾ بلا تأمل واستعمال فكر ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ تقرير لثوائهم فيها أي ألا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الافتراء وكذبوا هذا التكذيب ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا[2]﴾ في حقنا ومن أجلنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ الطرق الموصلة إلى جنابنا وثوابنا أو لنزيدهم هداية إلى سبيل[3] الخير ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ[4] ﴾ بالنصرة والإعانة.

والحمد لله حق حمده.

---

(١) ولما أوعدهم لاطفهم بنعمة جليلة ظاهرة فقال : " أولم يروا " الآية / ١٢ .

(٢) في حقنا ورضانا ولم يجاهدوا في أنفسهم والشياطين / ١٢ وجيز .

(٣) قوله : " والذين اهتدوا زادهم هدى " (محمد:١٧)/ ١٢ .

(٤) عن عيسى كلمة الله صلوات الله وسلامه عليه (إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك) رواه ابن أبي حاتم/١٢ وجيز .

سورة الروم مكية إلا قوله "فسبحان الله"[1]
وهى ستون أو تسع وخمسون آية وست ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم *

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِى بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٍ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ۝٨ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٩ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٠﴾

﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ﴾ غلبوا فى أدنى أرض العرب منهم، وهى أطراف الشام أو أدنى أرضهم إلى عدوهم، وهى الجزيرة أو الأردن، **﴿وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ[1]﴾**،

(١) قالوا لأبى بكر الصديق -رضى الله عنه- لما قرأ عليهم " الم غلبت الروم " أهذا كلامك أم كلام صاحبك فقال: ليس بكلامى ولا كلام صاحبي، ولكنه كلام الله تعالى، ذكره شيخ الإسلام أبو العباس فى بعض فتاواه فى كلام البارى عز وجل/١٢.

من إضافة المصدر إلى المفعول[1]، ﴿سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ[2] سِنِينَ﴾، البضع ما بين الثلاث إلى العشر أو إلى التسع نزلت حين بلغ خبر غلبة فارس على الروم إلى مكة[3] فشمت أهلها وقالوا: أنتم أيها المؤمنون والنصارى أهل كتاب، ونحن وأهل فارس أميون، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ولنظهرن نحن عليكم، ﴿لله الأَمْرُ مِن قَبْلُ﴾: من قبل كونهم غالبين، ﴿وَمِنْ بَعْدُ﴾: بعد كونهم مغلوبين يعني: ليس مغلوبيتهم

---

(١) أى غلبة فارس إياهم/ ١٢.

(٢) أخرج الترمذى وصححه والدارقطنى فى الأفراد والطبرانى وابن مردويه وأبو نعيم فى الدلائل، والبيهقى فى الشعب عن نيار بن مكرم الأسلمى قال: لما نزلت " الم غلبت الروم " كانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين الروم، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل الكتاب، وفى ذلك يقول الله: ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله " إلخ. وكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا أهل الكتاب، ولا إيمان ببعث فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر يصيح فى نواحى مكة " الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين " فقال ناس من قريش لأبى بكر: ذلك بيننا وبينكم يزعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارس فى بضع سنين أفلا نراهنك على ذلك فقال: بلى وذلك قبل تحريم الرهان فارهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان، وقالوا لأبى بكر لم نجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطًا ننتهى إليه قال: فسموا بينهم ست سنين فمضت الست قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبى بكر فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم فعاب المسلمون على أبى بكر تسميته ست سنين لأن الله تعالى قال: "فى بضع سنين" فأسلم عند ذلك ناس كثير،[حسن، وانظر صحيح الترمذى(٢٥٥٢)] وأخرج الترمذى وحسنه عن ابن عباس -رضى الله عنه- أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال لأبى بكر: "ألا احتطت يا أبا بكر فإن البضع ما بين ثلاث إلى تسع"[صحيح، انظر صحيح الجامع (٢٥٥١)]، وأخرج البخارى عنه فى تاريخه نحوه، وفى الباب روايات وما ذكرنا يغنى عما سواه/١٢فتح.

(٣) وكان ذلك قبل هجرة النبى -صلى الله عليه وسلم- إلى مكة/ ١٢ كمالين.

وغالبيتهم إلا بإرادته وقضائه، ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾: يوم يغلب الروم فارس، ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾: بتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له أو لأجل ظهور صدقهم فيما أخبروا به من غلبة الروم، ﴿يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: ينتقم من عباده تارة بالمغلوبية، ﴿الرَّحِيمُ﴾ فيتفضل أخرى بالنصر، ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾، مصدر مؤكد لنفسه، ﴿لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾: صحة وعده لكفرهم، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فإن لها ظاهرًا وهو التمتع بزخارفها، والتنعم بملاذها وباطنًا وهو أنها مجاز إلى الآخرة، ومزرعتها، جملة مستأنفة لبيان موجب جهلهم، ﴿وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾: لا يخطر ببالهم، فهم عقلاء فى أمور الدنيا بُلهٌ فى أمور الدين، ﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم﴾، التفكر لا يكون إلا فى القلوب لكن فيها زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك: أضمره فى نفسك، ﴿مَّا خَلَقَ اللَّهُ﴾، ما نافية متعلق بمحذوف، أي: فيقولوا أو فيعلموا ما خلق الله، ﴿السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ﴾: متلبسة، ﴿بِالْحَقِّ﴾: لا عبثًا وباطلاً، ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: تنتهى عنده وهوقيام الساعة، عطف على الحق، أو معناه أو لم يتفكروا فى أمر أنفسهم فإنها عالم صغرى فيعلموا حقيقة خلق العالم الكبرى وفناءه، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ[1] بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: قيام الساعة، ﴿لَكَافِرُونَ﴾: جاحدون، ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾: ألم يسافروا؟! ﴿فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: فينظروا مصارع الأمم السالفة المكذبة، فيعتبروا، ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، كعاد وثمود، ﴿وَأَثَارُوا الأَرْضَ﴾، قلبوها للزراعة، ﴿وَعَمَرُوهَا﴾: بالأبنية أو بالزراعة، ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾، فإنهم فى واد غير ذى زرع، ﴿وَجَاءَتْهُمْ

(١) لما كان معظم نعيم الآخرة لقاء الله سمى الآخرة باللقاء، فيا رب لا تحرمنا من النظر إلى وجهك الكريم / ١٢ وجيز.

رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: فكذبوهم، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾، فإنه حرم الظلم على نفسه، ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾، حيث عملوا ما استحقوا[1] به التدمير، ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءوا السُّوأَى﴾ أي: هم عوقبوا فى الدنيا بالدمار، ثم كانت عاقبتهم عقوبة هى أسوء العقوبات السوأى تأنيث الأسوء كالحسنى، ﴿أَن كَذَّبُوا﴾ أى: لأن، ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءونَ﴾، قيل: السوأى مفعول أساءوا أي: اقترفوا الخطيئة، و"أن كذبوا" خبر كان، أي: كان عاقبتهم أن طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا واستهزءوا بالآيات.

﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَـٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، بعد الإعادة للجزاء، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ﴾: يسكت[2] أيسًا من كل خير، ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: الكاملون فى الجرم،

---

(١) وما أغنى عنهم غناهم فليحذر قريش ومن يحذو حذوهم/١٢ وجيز.

(٢) يقال: ناظرته فأبلس إذا سكت وأيس من أن يحتج / ١٢.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِن شُرَكَائِهِمْ﴾: ممن أشركوا بالله، ﴿شُفَعَاءُ[1] وَكَانُوا﴾: فى الآخرة، ﴿بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾: يكفرون بهم بعد اليأس من شفاعتهم، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ﴾، تأكيد ليوم تقوم الساعة، ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾، أي: المؤمنون والكافرون تفرقًا لا اجتماع بعده، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ هى أرض ذات نبات وماء، ﴿يُحْبَرُونَ[2]﴾: يسرون سرورًا تهلل له وجوههم، ﴿[3]وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُوْلَئِكَ فِي العَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ لا يغيبون عنه أبدًا وهذا تفصيل لتفرقهم، ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾، تتريه منه تعالى لنفسه الأقدس وإرشاد لعباده إلى تسبيحه وتحميده فى هذه الأوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه، ﴿حِينَ تُمْسُونَ[4] وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، أي: هو المحمود فيهما وعلى أهلهما أن يحمدوه، ﴿وَعَشِيًّا﴾ عطف على حين تمسون، وله الحمد إلخ، اعتراض مناسب للتسبيح، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ الظهيرة وسط النهار وفى الحديث[5]

---

(١) لا من ملك ونبى كعيسى وعزير ولا من صنم / ١٢ وجيز.

(٢) نكر روضة لإبهام أمرها وتفخيم شأنها وجاء "يحبرون" بصيغة المضارع لأن لهم فى كل لمحة ما يسرون به من متجددات النعم وإذا جعلت فى روضة خبرًا فيحبرون حال/١٢ وجيز.

(٣) جاء فى الكافرين باسم المفعول لدوام عذابهم كأنه وصف لازم لهم ولما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد وينجى من الوعيد فقال: " فسبحان الله " الآية/١٢ وجيز.

(٤) وتخصيص التسبيح بالصباح والمساء لظهور آثار القدرة فيهما وتخصيص الحمد بآخر النهار ووسطه لأن تجدد النعم فيهما أكثر / ١٢ وجيز.

(٥) رواه الطبراني، وأبو داود فى سننه/ ١٢ وجيز[ضعيف جدًا، وانظر ضعيف الجامع(٥٧٤٥)].

" من[1] قال حين يصبح سبحان الله حين تمسون (الآية) أدرك ما فاته فى يومه، ومن قالها حين يمسى أدرك ما فاته فى ليلته"، وعن ابن[2] عباس الآية جامعة للصلوات الخمس حين تمسون المغرب، والعشاء وعشيا العصر والباقى ظاهر، ﴿يُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾: كالإنسان من النطفة، والنطفة منه، ﴿وَيُحْيِى الأَرْضَ﴾: بإخراج النبات، ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: يبسها، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الإخراج، ﴿تُخْرَجُونَ﴾: من قبوركم.

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾

---

(١) وفى الفتح وإسناده ضعيف/ ١٢.

(٢) أخرجه الحاكم / ١٢[فى المستدرك (٢/ ٤١٠) وصححه وأقره الذهبى].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾، فإنه أصل الكل، ﴿ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ أي: ثم فاجأتم وقت كونكم بشرًا منتشرين فى الأرض، فثم لتراخى الرتبة، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾: من جنسكم، أو المراد خلق حواء من ضلع آدم، قيل: المراد خلقن من نطف الرجال﴿لِّتَسْكُنُوا﴾: لتميلوا وتألفوا، ﴿إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم﴾ بين الرجال والنساء، ﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾: بعد أن لم تكن سابقة معرفة ولا سبب يوجب التعاطف، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: فى غرائب صنعه، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ[1] أَلْسِنَتِكُمْ﴾: لغاتكم وايم الله إنه من غرائب صنعه، فَلِكُلٍّ لغة والكل مركب من تسعة وعشرين حرفًا، ولو تكلم صاحب لغة بلغته من مبدأه إلى منتهاه بحكايات مختلفة متميزة لتمكن منه، ولا يتحد كلام بكلام مع اتحاد ما ركب منه، ﴿وَأَلْوَانِكُمْ﴾، هيئاتكم وحُلاكم بحيث وقع التمايز حتى بين التوأمين، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ لا تكاد تخفى على أحد، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ﴾ من باب اللف[2]، أى: منامكم، وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار وهما ظرفان والواقع فيهما مظروفهما، والظرف والمظروف كشيء واحد فلا فصل بالأجنبى والنكتة فى العدول هى الاهتمام بشأن الظرف، أو المراد منامكم فى الزمانين وطلب المعاش فيهما فحذف من أحد المتقابلين ما يقابل الآخر للدلالة، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: سماع تفهم، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ أي: إراءة البرق نزل الفعل منزلة المصدر، ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: إراءة خوف وطمع أو إخافة

---

(١) قيل: المراد كيفية النطق فلأحدٍ لكنة وللآخر فصاحة ولا تسمع منطقين متفقين فى ممر واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة / ١٢ وجيز.

(٢) قال الله تعالى: " جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه، ولتبتغوا من فضله"،[القصص:٧٣] و" جعلنا الليل لباسًا وجعلنا النهار معاشًا "[النبأ:١٠-١١] /١٢ وجيز.

وإطماعًا من الصاعقة، وفى الغيث أو خائفين وطامعين أو مفعول له لفعل يلزم المذكور كأنه قيل يجعلكم رائين البرق خوفًا وطمعًا،﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي: إنزاله منه، ﴿فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ يعنى قائمتان بأمره لهما، وتسخيره إياهما من غير مقيم مشاهد لما كان القيام غير متغير أخرج الفعل بما يدل على أنه اسم، وهو إن ليدل على الثبوت لكن إراءة البرق لما كانت من الأمور المتجددة لم يذكر معها ما يدل على المصدر، ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ[1] الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾، عطف على أن تقوم أي: ومن آياته قيام السماء ثم خروجكم من القبور إذا دعاكم دعوة واحدة والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف وثم لعظم ما فيه، ومن الأرض ظرف دعاكم وإذا الثانية للمفاجأة تنوب مناب الفاء فى جواب الشرط، ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: خلقًا وملكًا، ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾: منقادون لتصرفه فيهم، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ﴾ أي: أن يعيده، ﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، بالقياس إلى أصولكم وإلا فهما عليه بالسوية، أو أهون بمعنى هين قيل: أهون على الخلق فإنهم يقومون بصيحة واحدة فهو أهون من أن يكونوا نطفًا، ثم كذا ثم كذا ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾: الوصف العجيب الشأن الذى ليس لغيره ما يدانيه كالوحدة والقدرة،﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الذى يغلب ولا يغلب، ﴿الْحَكِيمُ[2]﴾: فى أفعاله.

---

(١) وهذه نتيجة جميع الآيات المتقدمة فإن من أذعن وفهم تلك الآيات يعرف أن هذه الآيات العظيمة ظاهرة ثابتة لا ينكرها إلا من ليس له تدبر وسمع وعقل/١٢ وجيز.

(٢) فكيف لأحد أن يتخذ أحدًا شريكًا له فى ألوهيته، ضرب لكم مثلا من أنفسكم منتزعًا • من أحوال أنفسكم فى فساد اعتقاد أن لله شركاء هل لكم من ما ملكت أيمانكم من مماليككم مع أن الملكية فيه عارض قابل للزوال ومملوككم مثلكم فى أنه بشر وفى الهيئات، ومملوك الله مبائن غير مشابه فى شيء/ ١٢ وجيز.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن
شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ
كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ
أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾
فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ
لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ
إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ
ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾
وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا
فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ
يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةُۢ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن
يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ
وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ
ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾
ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن
يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: منتزعًا من أحوالها من للابتداء، ﴿هَل لَّكُم مِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم﴾: من مماليككم، من للتبعيض، ﴿مِّن شُرَكَاءَ﴾، من زيدت للتأكيد، لأن الاستفهام بمعنى النفي، ﴿فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: من أموال وأولاد، ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾، يعني: هل ترضون أن يشارككم بعض مماليككم فى أموالكم فتكونون أنتم وهم على السواء من غير تفصلة فى التصرف، ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾: تهابون أن يستبدوا بتصرف، ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، كما يهاب بعضكم بعضًا من الأحرار فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فكيف لرب الأرباب مالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء، كانوا يقولون فى تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك،﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك التفصيل، ﴿نُفَصِّلُ﴾: نبين، ﴿الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ[1] بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أشركوا، ﴿أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: جاهلين ليس لهم رادع، ﴿فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾: من يقدر على هداية من أراد الله إضلاله، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾: يخلصوهم من الغواية وبوائقها، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ[2]﴾: قومه، ﴿لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾: لا تلتفت عنه وتوجه بكليتك إليه، وحنيفًا حال إما من فاعل أقم أو من الدين، ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ﴾: الزموا فطرته، أي: خلقته أو دينه، ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، فإنه فطر الخلق على معرفته وتوحيده[3] ثم طرأ على بعضهم العقائد الفاسدة، ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾: ما ينبغى أن يبدل تلك الفطرة، وقيل: لا تبديل لما

---

(١) لا لجاهل لا يعرف الغث من السمين / ١٢ وجيز.

(٢) يعنى لما علمت أن الله أضلهم وليس لهم ناصر فأعرض عنهم، وتوجه بكليتك إلى الله/١٢ وجيز.

(٣) كما قال -صلى الله عليه وسلم-:كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه)[أخرجاه فى الصحيحين] يعنى العقائد الفاسدة لم تطرأ إلا من خارج / ١٢ وجيز.

جبل عليه الإنسان من السعادة والشقاوة، ﴿ذَلِكَ﴾، إشارة إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له أو الفطرة المفسرة بالدين، ﴿الدِّينُ القَيِّمُ﴾: المستوى الذى لا عوج فيه، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾: استقامته، ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: راجعين إليه بالتوبة حال من فاعل الزموا أو أقم وخطاب[1] الرسول خطاب لأمته، ﴿واتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ﴾ بدل من المشركين، ﴿فَرَّقُوا دِينَهُم﴾: جعلوه أديانًا مختلفة، ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾: فرقًا، ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾: منهم، ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾: مسروررون بمذهبهم يحسبون أنهم على شيء، ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾: شدة، ﴿دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ[2]﴾: بالدعاء، ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِنْهُ رَحْمَةً﴾: خلاصًا من تلك الشدة، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُم بِرَبِهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ فاجأ بعضهم بالإشراك بالله، ﴿لِيَكْفُرُوا﴾، اللام لام العاقبة، ﴿بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أو لام الأمر للتهديد فيناسب قوله: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾، لكن فيه التفات للمبالغة، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: عاقبة تمتعكم، ﴿أَمْ أَنزَلْنَا﴾: بل أنزلنا، ﴿عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾: حجة، ﴿فَهُوَ[3] يَتَكَلَّمُ﴾: ينطق، ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ أي: الحجة ناطقة بالأمر الذى بسببه يشركون أو بإشراكهم بالله، ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾: نعمة، ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾: فرح البطر، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِئَةٌ﴾: شدة، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، من المعاصي، ﴿إِذَا هُمْ[4] يَقْنَطُونَ﴾ فاجأوا القنوط من رحمة الله، ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن

---

(١) ولذا أتى بصيغة الجمع / ١٢.

(٢) وحدوه بالتضرع، والدعاء وتركوا أصنامهم لعلمهم أنه لا يكشف السوء إلا الله/١٢.

(٣) والتكلم مجاز نحو: " هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق "[الجاثية:٢٩] / ١٢ وجيز.

(٤) قال صاحب البحر: لا نعلم إذا الفجائية جواب إن إلا فى موضعين هـذا وفى " وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون "[التوبة:٥٨] / ١٢ وجيز.

﴿يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: يضيق لمن يشاء فما لهم يقنطون من رحمته ولا يشكرون كالمؤمنين، **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾**، فإنهم مستدلون بها على حكمته وقدرته، **﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾**: من الصلة والبر، لما ذكر بسط الرزق أتبعه ذكر الصدقة فجيء بالفاء، **﴿وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾**، وحقهم نصيبهم من الصدقة، **﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾** أي: جهته، وجانبه أو يريدون النظر إليه فى الآخرة، **﴿وأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**، حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم، **﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِبًا﴾**، أى: ما أعطيتم من أجل ربا، **﴿لِيَرْبُوَ﴾**: ليزيد ويزكو، **﴿فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾** أى: بين أموالهم[1]، **﴿فَلاَ يَرْبُو﴾**: لا يزكو، **﴿عِندَ اللَّهِ﴾**، ولا يثاب عليه يعنى من يعطى عطية يريد أن يرد المهدى له أكثر مما أهدى فلا ثواب له لكن هذا ليس بحرام أو الآية فى الربا المحرم والأول هو قول السلف، **﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ﴾**: صدقة، **﴿تُرِيدُونَ﴾**: به، **﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾** أي: مخلصين، **﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾** أي: ذو الإضعاف من الثواب وضمير ما محذوف أى المضعفون به، **﴿اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾**، "من" موصولة مبتدأ و"من شركائكم" خبره و"من" للتبعيض، و"من شيء" مفعول يفعل ومن زيدت لتعميم المنفى ومن فى "من ذالكم" إما للبيان قدم أو للتبعيض، قيل من استفهامية ويفعل خبره ومن شركائكم بيان من قدم عليه وفى هذا الوجه من المبالغة ما ليس فى الأول ولما أثبت صفات الألوهية لله ونفاها عن الشركاء استنتج من ذلك تقدسه عن الشركة فقال: **﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى﴾**، عطف على ناصب سبحانه، **﴿عَمَّا يُشرِكُونَ﴾**.

---

(١) بين أموال الناس فيرجع إليه كمن أرسل غنمه بين غنم الناس ليسمن فى مرعاهم فيرجع إليه بعد سمنها / ١٢.

۞ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ
ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن
كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ
ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ
فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ
يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ
لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا
رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ
وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن
ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞

﴿ظَهَرَ[1] الفَسَادُ﴾ كالجدب وقلة الأمطار، وقلة الريح وكثرة الوباء، والمحن ومحق البركات، ﴿فِي البَرِّ﴾: الفيافي، ﴿وَالْبَحْرِ﴾: الأمصار والعرب تسمى الأمصار البحار أو المراد منهما المعروفان، وقالوا: إذا انقطع القطر عميت دواب البحر وخلت أجواف الأصداف، ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ﴾: من المعاصي، ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ﴾ أي: جزاء بعض، ﴿الَّذِى عَمِلُوا﴾: فى الدنيا واللام للعلة متعلق بظهر، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ[2]﴾: عما هم عليه، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾، ليروا فى منازلهم آثار البلاء وكيف خبر كان، ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾، استئناف للدلالة على سوء عاقبتهم لفشو الشرك فيهم، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾: قوم وجهك له وعدِّله، ﴿القَيِمِ﴾: البليغ الاستقامة، ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِى يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ﴾: لا يقدر أن يرده أحد، ﴿مِنَ اللَّهِ﴾، ظرف يأتى أو مرد أي: لا رد من جهته لأن إتيانه فى علمه القديم ومرد مصدر بمعنى الرد، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾: يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير، ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ[3]﴾: لا على غيره، ﴿كُفْرُهُ﴾: وبال كفره، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾: عملاً صالحًا، ﴿فَلأَنفُسِهِمْ﴾ لا لغيرها، ﴿يَمْهَدُونَ﴾: يسوون فى آخرتهم منزلاً، ﴿لِيَجْزِى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ﴾، علة ليصدعون أو للا مرد أو ليأتي، والاقتصار على جزاء المؤمن للإشعار بأنه المقصود

(١) ولما ذكر دلائل الوحدة، ونفى الشرك وظهر من الكلام عنادهم ولجاجهم فى ارتكاب ما لا يرضى به الله تعرض لبيان ما يستلزمه فى الدنيا فقال: " ظهر الفساد " وبارتفاع البركات وحدوث الرزايا والفتن أو غلبة الكفار / ١٢ وجيز.

(٢) يعنى أنه تعالى أفسد أسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض أعمالهم فى الدنيا قبل أن يعاقبهم بها جميعًا فى الآخرة لعلهم يرجعون فلا يذيقهم الباقى / ١٢ وجيز.

(٣) ذكر فى الكفر بعليه دلالة على الثقل والمشقة، وفى المؤمن باللام التى كلام الملك والنفع ليجزى أي: يصدعون ليجزى إلخ / ١٢ وجيز.

بالذات أو الاكتفاء على فحوى قوله ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الكَافِرِينَ﴾، فإن فيه إثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين، ومن فضله دال على أن الإثابة تفضل محض، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ[1] أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ[2]﴾: بالمطر فالصبا والشمال والجنوب رياح رحمة، ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾: التابعة لنزول المطر كالخصب، وزكاء الأرض وغيرهما عطف على مبشرات بحسب المعنى أو على محذوف أى مبشرات بالمطر لفوائد جمة وليذيقكم، ﴿وَلِتَجْرِيَ[3] الفُلْكُ﴾: بهذه الرياح، ﴿بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾، يعنى تجارة البحر، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾: ولتشكروا نعمة الله، ﴿وَلَقَدْ[4] أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ كما أرسلناك، ﴿فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات الظاهرات فبعضهم كذبوا بها، ﴿فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ وهم المكذبون، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ من جهة الوعد واللطف، ﴿نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ[5] ﴾، فيه تبشير النبى

---

(١) ولما بين أن معاصى الإنسان سبب لظهور الفساد فى البر والبحر ذكر ما أنعم فيهما فقال: " ومن آياته أن يرسل الرياح " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) بعضها لتحصيل السحاب وبعضها لجمعه وبعضها للأمطار والصبا والشمال رياح الرحمة بخلاف الدبور / ١٢ وجيز.

(٣) فى ذهابه وإيابه ولو لم يكن الرياح المختلفة لا يستوى سير الفلك المختلف مقصدها/١٢ وجيز

(٤) ولما بين دلائل الوحدة والمعاد بين الأصل الثالث الذى هو النبوة التى كالغيث كما فى الصحيحين (مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كالغيث) الحديث بطوله وأتبعه بقوله: " ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً " الآية / ١٢ وجيز.

(٥) هو اسم كان وأخره رعاية للفاصلة والاهتمام بالخبر وفى هذه العبارة بشارة عظيمة قيل يوقف على حقا، وفى كان ضمير أى الانتقام حق لا ظلم ثم ابتدأ وقال: " علينا نصر المؤمنين " ولما أجمل أمر بشارة الرياح لطفًا عامًّا لأن، يشكروا ووعد الشاكر وأوعد الكافر وآنس نبيه -صلى الله عليه وسلم- فصل أمر الرياح واستدل بما يتبعها للمعاد فقال: " الله الذى " الآية / ١٢ وجيز.

عليه السلام والمؤمنين، ﴿اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾: تخرجه من أماكنه، ﴿فَيَبْسُطُهُ فِى السَّمَاءِ﴾: فى سمتها، ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾: سائراً وواقفاً مطبقًا وغيره إلى غير ذلك، ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾ أي: تارة يبسطه وتارة يجعله قطعًا، ﴿فَتَرَى الوَدْقَ﴾: المطر، ﴿يَخْرُجُ﴾: فى التارتين، ﴿مِنْ خِلالِهِ﴾: وسطه، ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ فاجأوا بالاستبشار، ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾: المطر، ﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ تكرير للتأكيد ومعنى التأكيد الدلالة على بعد عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم،﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ آيسين، عن بعض الفضلاء إن الظرف الأول لمبلسين، والثانى لينزل، أي: ينزل من قبل وقت نزوله كما إذا كنت معتادًا لعطاء من أحد فى وقت معين فتأخر عن ذلك الوقت، ثم أتاك به فتقول: قد كنت آيساً من قبل أن تجيئنى بهذا من قبل هذا الوقت، ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾: الغيث، ﴿كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي: من هو محيى الأرض، ﴿لَمُحْيِي المَوْتَى﴾: بعد إماتتهم، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْ قَدِيرٌ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا[1] رِيحًا﴾: مضرة، ﴿فَرَأَوْهُ﴾ الضمير لأثرها أي: النبات والزرع، ﴿مُصْفَرًّا﴾: من الجائحة، ﴿لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد اصفرار الزرع، ﴿يَكْفُرُونَ﴾ وأما المؤمنون فيفرحون بنزول الرحمة لا فرح بطر ويشكرون ويرون الجائحة من شؤم أنفسهم ويستغفرون، واللام موطئة للقسم، وقوله " لظلوا " جواب له ساد جزاء الشرط، ﴿فَإِنَّكَ[2] لاَ تُسْمِعُ المَوْتَى﴾: والكفار فى عدم جدوى السماع مثلهم، ﴿وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ الأصم

---

(١) وفى الحديث (اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا)[ضعيف، أخرجه الطبرانى وغيره]، أي: إن أرسلنا ريحًا مضرة/١٢وجيز.

(٢) ولما علم من قوله: "لظلوا من بعده يكفرون" أن ليس لهم تدبر ولا بصيرة ناسب أن يتبعه بالفاء فى قوله: " فإنك لا تسمع الموتى " الآية /١٢ وجيز.

المقبل ربما يفطن من الكلام بمعونة مشاهدة القرائن شيئًا منه بخلاف المدبر، ﴿**وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْي عَنْ ضَلالَتِهِمْ**﴾ والكفار كمن لا عين له يضل الطريق وليس لوسع أحد أن يترع عنه العمى، ويجعله بصيرًا، ﴿**إن تُسْمِعُ إلاَّ مَن يُؤْمِنُ بآيَاتِنَا**﴾: ما ينفع الإسماع إلا لمن علم الله أنه يصدق بآياته وما طبع على قلبه،﴿**فَهُم مُّسْلِمُونَ**﴾: منقادون لما تأمرهم.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿**اللَّهُ**(١) **الَّذِى خَلَقَكُم مِن ضُعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضُعْفٍ قُوَّةً**(*)﴾، يعني: ابتدأكم ضعافًا كقوله: " خلق الإنسان من عجل "[الأنبياء:٣٧] يعنى أساس أمرهم

---

(١) ولما ذكر من الدلائل الآفاقية ما هو دال على الإعادة ذكر شيئًا من الأنفسية دالاً على ذلك فقال: "الله الذى خلقكم من ضعف " الآية / ١٢ وجيز.

(*) قرأ حفص (أي: فى "ضعف" الأولى، و"ضعف" الثانية، و"ضعفًا" الثالثة) بضم الضاد وفتحها فى الثلاثة لكن الضم مختار/ ١٢.

وما عليه جبلتهم الضعف، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفًا وَشَيْبَةً[1]﴾: رجع إلى حالة الطفولية، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ العَلِيمُ القَدِيرُ﴾ فإن هذا الترديد فى هذه الأحوال أظهر دليل على صانع عليم قدير، ﴿وَيَوْمَ[2] تَقُومُ السَّاعَةُ﴾: القيامة، ﴿يُقْسِمُ﴾: يحلف، ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: المشركون، ﴿مَا لَبِثُوا﴾ فى الدنيا، ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ واحدة، ومقصودهم بذلك عدم الحجة عليهم وأنهم لم ينظروا، أو لم يمهلوا ليؤمنوا أو مرادهم ما لبثوا فى قبورهم، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الصرف، ﴿كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾، [3] عن الصدق فى الدنيا أراد الله تفضيحهم فحلفوا على ما تحقق كذبه على الكل، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَالإِيمَانَ﴾: ردًا عليهم، ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: فى علم الله أو اللوح المحفوظ، ﴿إِلَى يَوْمِ البَعْثِ﴾ يعني: مبين فى كتاب الله أنكم لبثتم من ساعة، بل إلى يوم البعث، ومعلوم أنه مدة ممتدة، وعن بعض معناه: الذين أوتوا العلم فى كتاب الله يعني: الذين قرءوا فى القرآن، "ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون"[المؤمنون:١٠٠] قالوا للمنكرين: لقد لبثتم فى البرزخ إلى يوم البعث، وقيل: معناه لبثتم فى تصديق كتاب الله إلى يوم القيامة، ﴿فَهَذَا يَوْمُ البَعْثِ﴾ أي: إن كنتم منكرين البعث فهذا[4] يومه، ﴿وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لا يطلب منهم إزالة غضب الله عليهم بالتوبة، ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: بينا لهم من كل مثل يرشدهم إلى التوحيد والبعث،﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ﴾ أى آية كانت، ﴿لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ

---

(١) قد صرح بعض اللغويين أن الضعف بالضم فى البدن وبالفتح فى العقل/١٢ وجيز.

(٢) ولما أثبت قدرته على البعث ذكر شيئًا من أحواله فقال: " ويوم تقوم الساعة "/١٢وجيز.

(٣) فالغرض من الإغراق فى وصف المجرمين بالتمادي، والإصرار على الباطل/١٢ وجيز.

(٤) فالفاء لجواب شرط مقدر / ١٢.

﴿كَفَرُوا﴾: من فرط عنادهم، **﴿إِنْ أَنتُمْ﴾** أي: ما الرسول والمؤمنون، **﴿إِلاَّ مُبْطِلُونَ﴾**: مزورون، **﴿كَذَلِكَ﴾**: مثل ذلك الطبع، **﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾**: فلا يدخلها إيمان ولا إيقان والأصل على قلوبهم وضع المظهر موضع المضمر لبيان جهلهم، **﴿فَاصْبِرْ﴾**: على أذاهم، **﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾**: فينصركم ولو بعد حين، **﴿وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ[1]﴾**: لا يحملنك على الخفة والجزع، **﴿الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ[2]﴾**: المشركون.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) النهى وإن كانت لغيره لكنه فى الحقيقة راجع إليه فهو كقوله: لا أرينك هاهنا/١٢ كمالين.

(٢) بل شاكون ضالون ولا يليق بأهل اليقين أن يستخفه مثلهم/١٢ وجيز.

سورة لقمان مكية

قيل إلا ثلاثًا من قوله: "ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام"

وهى أربع وثلاثون آية وأربع ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾

﴿**الم تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ**﴾ المشتمل على الحكم، أو المحكم آياته قيل: وصف كتاب الله بصفة الله على الإسناد المجازي، ﴿**هُدًى**﴾ حال[1] عن الآيات،

---

(١) العامل فيها ما فى تلك من معنى الإشارة أي: أشير إلى آياته حال كونه هدى ورحمة/١٢ جلالين مع الكمالين.

﴿وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: أيقنوا بالدار الآخرة، والجزاء فيها فرغبوا إلى الله وأخلصوا العمل، ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[(١)]﴾: فى الدارين، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ[(٢)] الْحَدِيثِ﴾، من[(٣)] يحب الغناء ويختاره، والمزامير على حديث الحق أو يشترى المغنيات ويرغب الناس فى سماعها أي: ذات لهو الحديث أو نزلت فى من[(٤)] اشترى كتب أخبار سلاطين العجم، ويحدث بها قريشًا فيختارون استماعه على

---

(١) ولما وصف القرآن بأنه مشتمل على الحكم فمن تمسك به فهو حكيم، ومن أعرض عنه فهو سفيه ذكر على سبيل التعجب فقال: " ومن الناس " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) لهو الحديث قال القرطبي: إن أولى ما قيل فى هذا الباب هو تفسير لهو الحديث بالغناء قال: وهو قول الصحابة والتابعين، وعن ابن عباس -رضى الله عنه- قال: هو الغناء وأشباهه، أخرجه البخارى فى الأدب المفرد وعن ابن مسعود -رضى الله عنه- قال: هو والله الغناء والله الذى لا إله إلا هو يرددها ثلاث مرات[أخرجه الحاكم(٢/٤١١) وصححه] قال الطبري: قد أجمع علماء الأمصار على كراهة الغناء والمنع منه وإنما فارق الجماعة إبراهيم بن سعد، وعبد الله العنبرى قال الشوكانى فى نيل الأوطار بعد نقل الاختلاف فيه مع الأدلة: لا يخفى على الناظر أن محل التراع إذا خرج عن دائرة الحرام يخرج عن دائرة الاشتباه والمؤمنون وقافون عند الشبهات كما صرح به الحديث الصحيح، (ومن تركها فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه)[جزء من حديث أخرجاه فى الصحيحين] ولاسيما إذا كان مشتملاً على ذكر القدود والخدود والجمال والدلال والهجر والوصال ومعاقرة العقار وخلع العذار والوقار فإن سامع ما كان كذلك لا يخلو عن بلية وإن كان من التصلب فى ذات الله على حد يقصر عنه الوصف وكم لهذه الوسيلة الشيطانية من قتيل دمه مطلول وأسير الهموم غرامه وهيامه مكبول نسأل الله السداد والثبات/١٢ فتح.

(٣) رواه الحاكم وصححه عن ابن مسعود / ١٢ كمالين.

(٤) وهو النضر بن الحارث / ١٢ جلالين.

استماع القرآن، ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: عن دينه، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال من فاعل يضل قال قتادة رضى الله عنه: بحسب المرء من الجهل أن يختار حديث الباطل على الحق أو يشريه بغير علم بالتجارة[1] وبغير بصيرة، ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ أي: سبيل الله، ﴿هُزُوًا﴾: سخرية، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: لإهانتهم[2] الحق، ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى﴾: أعرض عنها، ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبرًا، ﴿كَأَن﴾ أي: كأنه، ﴿لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾، حال أي: مشابهًا حاله بحاله أو استئناف، ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾، ثقلاً مانعًا عن الاستماع بدل من كان أو حال من فاعل لم يسمع أو استئناف، ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فيه تهكم[3]، ﴿إِنَّ[4] الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لنفسه، ﴿حَقًّا﴾ مؤكد لغيره، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب المطلق، ﴿الْحَكِيمُ﴾: فى أفعاله، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: صفة لعمد يعنى لها عمد غير مرئية أو استئناف أي: ترونها لا عمد لها، ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾: جبالاً شوامخ، ﴿أَن تَمِيدَ﴾ كراهة أن تميد ﴿بِكُمْ﴾ فإن الأرض كانت تضطرب قبل خلق الجبال، فلا يمكن السكون على وجهها، ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: من كل صنف كثير النفع، ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾: مخلوقه، ﴿فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن

---

(١) بالتجارة وبغير بصيرة بالبيع والشراء حيث استبدل الضلال بالهدى / ١٢ وجيز.

(٢) بالسخرية / ١٢.

(٣) فإن من قال البشارة تستعمل فى ما لا يسر أيضًا يسلم أن المتبادر منها السرور وضمير ليشترى ويضل محمول على لفظ من، وفى أولئك لهم حمل على المعنى ثم فى عليه وفيما بعده على اللفظ / ١٢ وجيز.

(٤) لما بين سبحانه وتعالى من يعرض عن الآيات بين حال من يقبل عليها فقال: " إن الذين آمنوا " الآية / ١٢ فتح.

دُونِهِ﴾ أي: آلهتكم حتى استوجبوا عندكم عبادتها ونصب ماذا بخلق أو ماذا مبتدأ وخبر أي: ما الذى خلق وحينئذ أو أرونى معلق عنه، **﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾**، أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بضلال ليس بعده ضلال.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ﴾ الأصح، بل الصحيح أنه[1] ما كان نبيًّا، بل كان عبدًا صالحًا أدرك داود عليه السلام، وعن كثير من السلف: إنه عبد

---

(١) واتفقوا عليه إلا عكرمة فإنه قال: كان لقمان نبيًّا، وتفرد بهذا القول / ١٢ كمالين.

أسود[1] آتاه الله تعالى الحكمة، وعن بعض: إن الله خيره بين النبوة، والحكمة، فاختار الحكمة فإن فيها السلامة، ﴿أَنِ اشْكُرْ﴾، أي: لأن أو مفسرة فإن إيتاء الحكمة فى معنى القول، ﴿لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾: نفعه لا يعود إلا إليه، ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾: لا يحتاج إلى شيء، ﴿حَمِيدٌ﴾: حقيق بالحمد وإن لم يحمده أحد، ﴿وَإِذْ قَالَ[2] لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ﴾، تصغير إشفاق، ﴿لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾، نقل أن ابنه وامرأته كانا كافرين فما زال هما حتى أسلما، ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾: برعايتهما، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ[3]﴾: تضعف ضعفًا فوق ضعف أو ذات[4] وهن على وهن، ﴿وَفِصَالُهُ﴾: فطامه، ﴿فِي عَامَيْنِ﴾، أي: فى انقضائهما، وذلك أقصى مدة الرضاع عطف على الجملة الحالية التى هى تهن وهنًا على[5] وهن لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الأم من المتاعب فى حمله، وفصاله إيجابًا للتوصية بها خصوصًا، ﴿أَنِ اشْكُرْ﴾ تفسير لوصينا

---

(١) روى أنه تعجب شخص من وجاهته عند الخلق مع أنه أسود غليظ الشفتين فقال: غضى لبصرى وكفى لسانى وتركى ما لا يعنينى صيرنى كما تراني/١٢ وجيز. وقد حكى الله سبحانه من مواعظه لابنه ما حكاه وفيه كفاية، وما عدا ذلك مما لم يصح فليس فى ذكره إلا شغلة للخير وقطيعة للوقت، ولم يكن نبيًا حتى يكون ما نقل عنه شرع من قبلنا ولا صح إسناد ما روى عنه من الكلمات حتى يكون ذكر ذلك من تدين وكلام الحكمة التى هى ضالة المؤمن / ١٢ فتح.

(٢) أى اذكر إذ قال حتى تعرف من كلامه وحكمته / ١٢ وجيز.

(٣) عن ابن عباس رضى الله عنه شدة بعد شدة /١٢ وجيز.

(٤) على الوجه الأول، وهنًا مصدر لفعله المحذوف، والجملة حالية وعلى الثانى وهنًا حال مفرد بتقدير مضاف / ١٢ منه.

(٥) عطف الاسمية على الفعلية / ١٢ وجيز

أو علة له[1]، ﴿إِلَيَّ وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ فأجازيك[2]، ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ﴾: بالغاك وحرضاك، ﴿عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: ما ليس بإله يعني: ما ليس لك علم باستحقاقه للإشراك تقليدًا للوالدين فـ"ما ليس" مفعول تشرك، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾: فى ذلك، ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ أي: صحابًا معروفًا مشروعًا حسنًا بخلق[3] جميلٍ وحلمٍ وبرٍ ومروة، ﴿وَاتَّبِعْ﴾: فى دينك، ﴿سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾: رجع، ﴿إِلَيَّ﴾: بالتوحيد والطاعة، ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: المولود والوالدين، ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بجزاء عملكم والآيتان أعني: ووصينا إلى هنا وقعتا فى أثناء وصية لقمان على سبيل الاستطراد[4] تأكيدًا لما فى وصيته من النهى عن الشرك، وقد نقل أنهما نزلتا حين قالت أم سعد لسعد حين أسلم: لتدعن دينك أو لأدع الطعام والشراب حتى أموت، فأجاب: والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما تركت ديني هذا بشيء إن شئت كلى وإن شئت لا تأكلى، ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا﴾ أي: الخصلة السيئة قيل: إن لقمان قال[5] ذلك فى جواب ابنه حين قال له: إن عملت

---

(١) فإني موجدك وهما واسطتان / ١٢ وجيز.

(٢) فأجازيك فى شكرك عن ابن عيينة -رضى الله عنه- فى هذه الآية: من صلى الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين فى أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين/١٢ منه ووجيز.

(٣) وكفى بهما وصية إنهما إن أمرا بالشرك فليس عليه سوى اللين والكلام الطيب مثل أن يقول: هل ترضين يا أمى الشقاوة لى والعذاب المخلد، ومثل ذلك / ١٢ وجيز.

(٤) وفيها تشديد وتأكيد لاتباع الوالد والوالدة، والنهى عن الشرك والصحيح أن هذه الآية وآية العنكبوت نزلتا فى سعد بن أبى وقاص، وعن جماعة من السلف الآيتان مما أوصى به لقمان لابنه أخبر الله عنه بذلك بعبارته المنسوبة إلى نفسه الأقدس وقيل: من كلام الله قاله للقمان يعني: وقلنا له ووصينا / ١٢ وجيز.

(٥) نقله محيى السنة عن قتادة / ١٢ منه.

خطيئة حيث لا يرانى أحد كيف يعلمها الله؟ ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ[(١)] مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾: فى أخفى مكان وأحرزه، وعن بعض[(٢)] إن المراد منها: صخرة تحت الأرضين السبع وهى التى يكتب فيها أعمال الفجار، ﴿أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ﴾، أو فى أعلى مكان أو أسفله، ﴿يَأْتِ[(٣)] بِهَا اللَّهُ﴾: يحضرها يوم القيامة للجزاء، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾: يصّل علمه إلى كل[(٤)] خفي، ﴿يَا بُنَى أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾: من الشدائد، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: الصبر أو المذكور كله، ﴿مِنْ عَزْمِ[(٥)] الأُمُورِ﴾ أي: مما عزمه الله أى قطعه وأوجبه من الأمور، وهو مصدر للمفعول أى من معزوماتها أو مفروضاتها، ﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ﴾: لا تمله، ﴿لِلنَّاسِ﴾، كما يعمله المتكبرون، يعني: لا تعرض عن الناس بوجهك إذا كلموك تكبرًا، ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا﴾ أى: لا تمرح مرحًا أو للمرح والبطر كما قال تعالى: (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس) [الأنفال:٤٧]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾: ذى تكبر، ﴿فَخُورٍ﴾: يفتخر[(٦)] على

---

(١) فى موقع الصفة لحبة.

(٢) نقله السدى عن ابن مسعود -رضى الله عنه- وابن عباس -رضى الله عنه- وجماعة من الصحابة/١٢ منه.

(٣) جواب لـ"إن"/ ١٢.

(٤) فإنه هو خالقه وحافظه / ١٢.

(٥) جاز أن يكون المصدر بمعنى اسم الفاعل أي: من عازمات الأمور من قوله تعالى: " فإذا عزم الأمر "[محمد:٢١] نحو: جد الأمر وصدق القتال / ١٢ منه. وفى الوجيز وقد ورد (إن الله يحب أن يعمل برخصه كما يحب أن يعمل بعزائمه)[صحيح، بنحوه فى صحيح الجامع (١٨٨٥)، والإرواء] بمعنى مفروضاته.

(٦) على الناس ولهذا دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بـ"اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشرني فى زمرة المساكين"[صحيح، انظر صحيح الجامع(١٢٦١)] / ١٢ وجيز.

الناس، ولا يتواضع، ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾: توسط بين الدبيب والإسراع، ﴿وَاغْضُضْ[1]﴾: وانقص وأقصر، ﴿مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ﴾: أوحشها، ﴿لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾ أي: لصوت ذلك الجنس من الحيوان، فإنه صوت رافع لا فائدة فيه.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا

(١) وكانت العرب تفتخر بجهارة الصوت / ١٢ وجيز.

تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾

﴿أَلَمْ تروْا[1] **أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ﴾**: بأن جعله أسباب منافعكم، **﴿وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ﴾**: أوفى وأتم، **﴿عَلَيْكُمْ نعَمَهُ ظَاهِرَةً﴾**: محسوسة وما تعرفونه، **﴿وَبَاطِنَةً﴾**: معقولة وما لا تعرفونه، **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾** أى: مع هذا بعض الناس يجادل فى صفاته وإرساله للرسل، **﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** غير مستند بحجة عقلية، **﴿وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾** أي: ولا نقلية من اتباع رسول وكتاب واضح مضيء، بل قلدوا جهالهم كما قال: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾**: أيتبعوهم ويقلدوهم؟ ولو كان الشيطان يدعوهم إلى جهنم! **﴿وَمَن يُسْلِمْ**[2] **وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾**: انقاد لأوامر الله وتوكل عليه، **﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾**: فى عمله باتباع الشرع، **﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾**: اعتصم بأوثق حبل، مثل حال المتوكل المطيع بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاستمسك بأوثق عروة من حبل مأمون انقطاعه، **﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾**: مرجعها إليه، **﴿وَمَن كَفَرَ فَلاَ يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾**، فإنه بإرادتنا ولا يضرك، **﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾** يعني: لا

---

(١) ولما كانت السورة لاتباع القرآن الآمر بالتوحيد وحسن الأخلاق وأتى بحكاية لقمان، فإنه مقدم على نزول القرآن وهو أمر بما أمر به القرآن رجع إلى دليل وجوب اتباع كلامه فقال: " ألم تروا أن الله " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) معنى أسلم إن استعمل مع اللام الإخلاص نحو: "بلى من أسلم وجهه لله"[البقرة:١١٢]، وإن استعمل مع إلى فإنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى أحد والمراد التوكل/١٢ منه وكذا فى الوجيز.

يضرك كفرهم، ونحن ننتقم منهم فعليهم ضره، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: فيجازيهم عليه فضلاً عن أعمالهم الظاهرة، ﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾: زمانًا، ﴿قَلِيلًا﴾ أو تمتيعًا قليلاً، ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾: نلجئهم فى الآخرة، ﴿إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: شديد ثقيل على المعذب، ﴿وَلَئِن[١] سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، إذ قامت الحجة عليكم باعترافكم، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾: أن ذلك إلزام لهم، ﴿لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ المطلق لا يحتاج إلى عبادة عابد، ﴿الْحَمِيدُ﴾: المستحق للحمد وإن لم يحمد، ﴿وَلَوْ[٢] أَنَّمَا فِى الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ﴾، عطف على محل (أن ما فى الأرض) فإنه فى المعنى فاعل لثبت المقدر بعد لو، ﴿يَمُدُّهُ﴾ أى: البحر وهو حال أو البحر مبتدأ ويمده خبره، والواو للحال من غير ضعف، ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد ذلك البحر، ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾، فاعل يمده وهى للتكثير لا للحصر، وقد نقل أن فى العالم سبعة أبحر محيطة بالعالم، ﴿مَّا نَفِدَتْ[٣]

---

(١) يعني: هم لا يتبعون رسولنا ولا كتابنا ووالله إن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله فهم معترفون بأنه هو الخالق مضطرون إلى هذا الجواب الحق، قل الحمد لله إذ قامت الحجة عليكم باعترافكم، بل أكثرهم لا يعلمون أن هذا اعتراف على ضلالهم وانتهى جهلهم إلى أن لا يعلمون موقع الحمد فى هذا المقام/١٢وجيز.

(٢) ولما أثبت أنه غنى حميد أخذ يبين أن لا حدَّ لغناه، ولا ضبط ولا حصر لمعلوماته الموجبة لحمده فقال: "ولو أن ما فى الأرض" الآية / ١٢ وجيز.

(٣) قوله تعالى: " ما نفدت كلمات الله " فكلمات الله لا نهاية لها فإن قيل هذا تسلسل، فيقال: هذا ليس تسلسلاً فى الفاعلين والعلل الفاعلية، فإن هذا ممتنع باتفاق العقلاء، بل هو تسلسل فى الآثار والأفعال وحصول شيء بعد شيء وهذا محل النزاع، فالسلف يقولون: لم يزل متكلمًا إذا شاء وكما شاء، وقد قال تعالى: " قل لو كان البحر " إلى =

= " ولو جئنا بمثله مددًا " فكلمات الله لا نهاية لها، وهذا تسلسل جائز كالتسلسل فى المستقبل، فإن نعيم الجنة دائم لا نفاد له فما من شيء إلا وبعده شيء بلا نهاية ١٢/ شيخ الإسلام، وقال الحافظ ابن القيم فى النونية:

فلئن زعمتم أن ذاك تسلسل ... قلنا صدقتم وهو ذو إمكان
كتسلسل التأثير فى مستقبل ... هل بين ذينك قط من فرقان
والله ما افترقا لدى عقل ولا ... نقل ولا نظر ولا برهان
فى سلب إمكان ولا فى ضده ... هذى العقول ونحن ذو أذهان
فليأت بالفرقان من هو فارق ... فرقًا يبين لصالح الأذهان

إلى أن قال:

فلئن سألت وقلت ما هذا الذي ... إذا هم بخلاف ذا التبيان
ولأى شيء لم يقولوا إنه ... سبحانه هو دائم الإحسان
فاعلم بأن القوم لما أسسوا ... أصل الكلام عموا عن القرآن
وعن الحديث ومقتضى المعقول بل ... عن فطرة الرحمن والبرهان
بنوا قواعدهم عليه فقادهم ... قسرًا إلى التعطيل والبطلان
نفى القيام لكل أمر حادث ... بالرب خوف تسلسل الأعيان
فيسد ذاك عليهم فى زعمهم ... إثبات صانع هذه الأكوان
إذ أثبتوه بكون الأجسام حا ... دثة فلا تنفك عن حدثان
فإذا تسلسلت الحوادث لم يكن ... لحدوثها إذ ذاك من برهان
فلأجل ذا قالوا التسلسل باطل ... والجسم لا يخلو عن الحدثان

إلى أن قال:

هذا الدليل هو الذى أرداهم ... بل هد كل قواعد القرآن =

كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ يعنى لو ثبت أن أشجار الأرض أقلام، والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات علم الله وحكمته لما نفدت ونفدت الأقلام والمداد وهو كقوله[1]:

وهـــو الدلـــيل الـــباطل المـــردود	عـــند أئمـــة التحقـــيق والعرفان
مـــازال أمـــر الـــناس معـــتدلاً إلى	أن دار فى الأوراق والأذهـــــــان
وتمكنـــــت أجـــزاؤه بقلوبهـــــم	فأتـــــت لوازمـــــه إلى الإيمـــــان
رقعـــت قواعـــــده ونحـــت أســـه	فهـــوى البـــناء فخـــر للأركـــان

إلى أن قال:

أيكـــون حقًـــا ذا الدليل وما اهتدى	خـــير القـــرون محـــال ذان
وفقـــتموا لـــلحق إذا حـــرموه فى	أصـــل الـــيقين ومقعـــد العـــرفان
وهديـــتمونا للـــذى لم يهـــتدوا	أبـــدًا بـــه وأشـــدة الحـــرمان
وخلـــتم لـــلحق مـــن بـــاب وما	دخلـــوه واعجـــبًا لـــذى الخذلان
وســـلكتموا طـــرق الهـــدى والعلم	دون القـــوم واعجـــبًا لذا البهتان
وعرفـــتم الـــرحمن بالأجســـام	والأعـــراض والحـــركات والألوان
وهـــم عـــرفوه مـــنها بـــل مـــن	الآيـــات وهـــى فغـــير ذى برهان
الله أكـــبر أنـــتم أو هـــم عـــلى	حـــق وفى غـــى وفى خســـران
دع ذا أليـــس الله قـــد أبـــدى لـــنا	حـــق الأدلـــة وهـــى فى القـــرآن
متـــنوعات صـــرفت وتظاهـــرت	فى كـــل وجـــه فهـــى ذوا أفنان
معلومـــــة للعقـــــل أو مشـــــهودة	لـــــلحس أو فى فطـــرة الـــرحمن

إلى آخر ما بين وفصل وميز الحق عن الباطل والصواب عن الخطأ فجزاه الله خير الجزاء/١٢.

(١) بيانه أن ما هو علة للنفاد لو وجد يكون علة لعدم النفاد فكيف لو لم يوجد علة للنفاد! فافهم/١٢ منه.

(نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه)[1] نزلت حين قال أحبار اليهود: يا محمد بلغنا أنك تقول، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً أفعنيتنا أم قومك ؟ فقال: كلاً، فقالوا: إنك تتلوا إنا قد أوتينا التوراة، وفيها تبيان كل شيء، فقال عليه السلام: هى فى علم الله قليل، وقد آتاكم ما إن عملتم به انتفعتم، وهذا يقتضى أن الآية مدنية، والمشهور أنها مكية، قال بعض السلف: أمر اليهود وفد قريش أن يسألوه وهو بمكة، **﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾**: لا يعجزه شيء، **﴿حَكِيمٌ﴾**: فى جميع شئونه، **﴿مَا خَلْقُكُمْ**[2] **وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾** أي: إلا كخلق نفس واحدة وبعثها، فإنه يكفى فى الكل تعلق الإرادة، **﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾**: يسمع ويبصر كل مسموع ومبصر لا يشغله شأن عن شأن[3]، **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾**: فيطول النهار ويقصر الليل، **﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾**: منهما، **﴿يَجْرِي﴾**: فى فلكه، **﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾**: إلى وقت معين الشمس إلى آخر السنة، والقمر إلى آخر الشهر، أو الأجل المسمى يوم القيامة فحينئذ ينقطع جريهما، **﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ذَلِكَ﴾** أي: اختصاصه تعالى بسعة العلم، وشمول القدرة، وعجائب الصنع، **﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾** بسبب أنه الثابت إلاهيته، **﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ**

---

(١) ذكره العجلونى فى "كشف الخفاء" (٢/٣٩١) وقال: "اشتهر فى كلام الأصوليين وأصحاب المعانى وأهل العربية من حديث عمر، وبعضهم يرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم-، وذكره البهاء السبكى أنه لم يظفر به بعد البحث، وكذا كثير من أهل اللغة، لكن نقل فى المقاصد عن الحافظ ابن حجر أنه ظفر به فى مشكل الحديث لابن قتيبة من غير إسناد.

(٢) ولما بالغ فى عدم تناهى علمه شرع يبالغ فى قدرته، فقال: " ما خلقكم " الآية / ١٢ وجيز.

(٣) كذلك الخلق والبعث / ١٢.

﴿البَاطِلُ﴾: إلاهيته، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ العَلِي الكَبِيرُ﴾ مترفع ومتسلط على كل شيء أومعناه ذلك الذى أوحى إليك بسبب بيان أنه هو الحق وأن إلهًا غيره باطل وأنه على كبيرٌ أن يشرك به.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ۚ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿أَلَمْ[1] تَرَ أَنَّ الفُلْكَ تَجْرِى فِى البَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾: برحمته وإحسانه، ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَات لِّكُل صَبَّار شَكُور﴾ أي: لكل مؤمن فقد ورد "الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر[2]" أو لأن كون الفلك وأحوالها آية لا يدرى كما هى إلا كثير الصبر والشكر ممن ركبها فلم يقلق فيها وتأمل فى غرائبها ثم إذا خرج منها ما كفر، ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾: علاهم، ﴿مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾: كالجبال والسحاب، ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: لا يدعون معه غيره تركوا التقليد واتبعوا الفطرة،

---

(١) ولما تم قدرته فى السماء شرع فى بيان قدرته فى الأرض فقال: " ألم تر أن الفلك " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) صبر عن المألوف وشكر على المعروف[وهو ضعيف جدًا، وراجع الضعيفة]/١٢ وجيز.

﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: متوسط فى العمل لا يعمل بكل ما عهد ولا يترك كله، ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ﴾، الختر: أشد الغدر، ﴿كَفُورٍ﴾ للنعم والحاصل أن الناجى من البحر قسمان قسم بين بين، وقسم ينكر نعم الله، وأما العامل بجميع ما عهد فقليل نادر، ﴿يَا أَيُّهَا[1] النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي: لا يقضى، ﴿وَالِدٌ[2] عَن وَلَدِهِ﴾: فيه، ﴿وَلاَ مَوْلُودٌ[3]﴾مبتدأ، ﴿هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾، خبره قيل: تغيير للأسلوب بطريق التأكيد لقطع أطماع المؤمنين أن ينفعوا آباءهم الكفرة فى الآخرة فإن آباء أكثر الصحابة ماتوا على الجاهلية،﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ: بالجزاء، ﴿حَقٌّ﴾: لا يمكن خُلفه، ﴿فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾: الشيطان فينسيكم عقابه ويطمعكم فى رحمته بلا طاعة، ﴿إِنَّ اللَّهَ[4] عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ: علم وقت قيامها عنده لا يعلمه غيره وعنده خبر علم الساعة والجملة خبر إن،﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾، الظاهر أنه عطف على خبر إن ولا شبهة أن المقصود اختصاص هذا العلم لا محض القدرة على الإنزال واسم الله الجامع إذا وقع مسند إليه ثم

---

(١) ولما ذكر من أول السورة دلائل التوحيد والبعث شرع فى النصح والموعظة فقال: " يا أيها الناس " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) ولما كان الوالد أشفق على الولد من الولد على أبيه بدأ به وشفقته متجددة فى الأحوال فنفى شفقته المتجددة بصيغة المضارع / ١٢ وجيز.

(٣) أتى بصيغة اسم الفاعل الدال على الثبوت والثبوت يصدق بالمرة الواحدة والولد يطلق على ولد الولد لكن المولود لا يطلق إلا على من ولد منك ففيه أن أحدكم لو شفع لأبيه لم تقبل فضلاً أن يشفع لجده، وشيئًا يحتمل أن يكون من باب التنازع للا يجزى وللجاز/١٢ وجيز.

(٤) ولما أثبت قيام القيامة وكرر وبالغ بأن طول الحياة والتمتع بزينتها والشيطان لا ينسيكم اليوم طالت الأعناق إلى العلم ترقبها فقال: " إن الله عنده علم الساعة " / ١٢ وجيز.

بنى عليه الخبر على إرادة تقوى الحكم أفاد تخصيصًا لاسيما إذا كان عطفًا على المختص كما حققه الزمخشرى فى مواضع، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى الأَرْحَامِ﴾: أنه ذكر أو أنثى لا يعلم أحد وقت نزول الغيث إلا عند أمر الله به فإنه يعلم حينئذ الملك ومن شاءه من خلقه وكذلك لا يعلم أن ما فى الرحم ذكر أو أنثى إلا حين ما أمر بكونه ذكر أو أنثى شقيًّا أو سعيدًا، ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾: خيرًا أو شرًّا عطف على جملة إن الله، أثبت اختصاصه به تعالى على سبيل الكناية على الوجه الأبلغ، ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَى أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ وإن استوفى حيلها وإذا كان حال شيء أخص به فكيف هو من معرفة ما عداهما، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾: فلا يخفى عليه خافية، وفى الحديث (مفاتح الغيب خمس) وتلا هذه الآية(*).

والحمد لله رب العالمين.

(*) أخرجاه فى الصحيحين، من حديث ابن عمر مرفوعًا.

سورة السجدة مكية

قيل إلا ثلاث آيات من قوله "أفمن كان مؤمنًا"

وهي ثلاثون أو تسع وعشرون آية وثلاث ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿الم تَنزِيلُ الكِتَابِ﴾ هو خبر (الم) إن كان (الم) اسمًا للسورة ، والتنزيل بمعنى: المنزل، وإلا فخبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ خبره قوله: **﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾** لأن نافي الريب معه، وهو كونه معجزًا، وقوله: **﴿مِن رَّبِّ العَالَمِينَ﴾** خبر ثان أو هو الخبر و(لا ريب

فيه) اعتراض لا محل له وضمير فيه لمضمون الجملة يعني: لا ريب في كونه متزلاً من رب العالمين ، **﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾**: بل أيقولون ، **﴿افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾** أثبت أولاً أن تتريله من الله وأن ذلك لا ريب فيه، ثم أضرب عن ذلك بقوله: (أم) إنكارًا لقولهم، وتعجيبًا منه لظهور بطلانه ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق من الله ، **﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾** فإنه ما أتاهم رسول منهم مبعوث إليهم ينذرهم ، **﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾** بإنذارك ، **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى[1] عَلَى العَرْشِ﴾** قد مر في سورة الأعراف ، **﴿مَا**

---

(١) وفي كتاب العلو، قال الإمام ابن جرير في تفسير قوله : " ثم استوى على العرش " في كل مواضعه، أى: علا وارتفع ، قال البخاري في صحيحه: قال مجاهد: استوى علا على العرش انتهى ، وقال أبو عبيدة : أى: صعد ، ذكره البغوي، قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة: من لم يقر أن الله على عرشه استوى فوق سماواته بائن من خلقه فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقي على مزبلة لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة ، نقله في كتاب العرش والعلو وقال شيخ الإسلام أبوالعباس أحمد بن تيمية الحراني، في العقيدة الواسطية فصل: وقد دخل فيما ذكرنا من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر به الله في كتابه، وتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليه سلف الأمة من أن الله سبحانه فوق سماواته على عرشه علا خلقه انتهى.

وذكر الشيخ شمس الدين ابن القيم في الإغاثة: أن الأساطين(*) قبل أرسطو كانوا يقولون: بحدوث العالم وإثبات الصانع ومبائنته للعالم وأنه فوق العالم وفوق السماوات بذاته كما حكاه أبو الوليد رشيد في كتاب مناهج الأدلة وهو أعلم الناس في زمانه بمقالاتهم ، فقال: فيه القول في الجهة، وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة ، ثم تبعهم على نفيها متأخروا الأشاعرة، كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله، إلى أن قال: والشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء وأن منه تترل الملائكة بالوحي إلى النبيين وأن من السماوات نزلت الكتب وإليها كان=

لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ﴾ ، لا ولي ولا شفيع لكم من دون الله، حال مقدم ، ﴿أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ﴾ بمواعظ الله، ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾: يدبر أمر الدنيا مترلاً من السماء إلى الأرض إلى يوم القيامة، فإن السماء محل حكم الله ومنه يترل الأمور ، ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ ذلك الأمر كله، أي : يصير إلى الله لأن يحكم فيه ، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ[1] سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ وهو من يوم القيامة الذى كله خمسون ألف سنة، يوم يعرض فيه الأعمال أو معناه نزول الملك بتدبير الدنيا وعروجه في يوم واحد من أيام الدنيا ولو قطعه أحد من بنى آدم لما قطعه في ألف سنة لأن المسافة بين السماء والأرض خمسمائة فالترول والعروج لا يمكن إلا بألف سنة، والملائكة يقطعونها في يوم واحد فعلى هذا ضمير إليه للسماء أو يترل قضاءه وقدره من السماء إلى الأرض ثم يرفع الأعمال إلى ديوانها فوق السماء بيوم واحد مع أن المسافة مسافة ألف، قيل: معناه يدبر من أعلى السماوات إلى أقصى تخوم الأرض يبين ما تحت

= الإسراء بالنبي –صلى الله عليه وسلم– وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك ثم ذكر تقرير ذلك بالعقول ، وبين بطلان الشبهة التي لأجلها نفتها الجهمية ومن وافقهم إلى أن قال : فقد ظهر لك من هذا أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل، وأن إبطاله إبطال الشرائع انتهى موضع الحاجة منها.

وقال الشيخ عبد القادر في الغنية: وكونه سبحانه وتعالى على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف انتهى.

نقله في كتاب العلو.

والله ما بعد البيان لمنصف إلا العناد ومركب الخذلان

(*) يعني من الفلاسفة .

(١) وعن ابن عباس: أنه سئل عن خمسين ألف سنة؟ فقال: أيام سماها الله لا أدرى ما هي وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم / ١٢ كمالين .

تصرفه وسلطانه، ثم يرفع الأعمال إلى ديوانها فوق سماء الدنيا، ومسافة ما بين السماء والأرض خمسمائة وسمك السماء خمسمائة أخرى ، **﴿ذَلِكَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾** ما غاب عنكم وما حضر ، **﴿العَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِي أَحْسَنَ﴾**[1] **﴿كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾** أتقنه وأحكمه وأوفر عليه ما يستعده على وفق الحكمة، وخَلْقَه بدل اشتمال، وفي قراءة فتح اللام جملة فعلية صفة لكل شيء ،**﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسَانِ﴾**: آدم ، **﴿مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾**: ذريته ، **﴿مِن سُلالَةٍ﴾** ، سلالة الشيء: ما استل منه ، **﴿مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾**: حقير مبتذل ، **﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾**: قومه، والضمير لآدم أو لنسله، **﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾** أضافه إلى نفسه تشريفًا[2]، **﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾** لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا فتشكروا ، **﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾** ما زائدة أي: تشكرون شكرًا قليلاً ، **﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ﴾** بأن تمزقت أجسامنا وصرنا ترابًا أو غبنا فيها، **﴿أَئِنَّا﴾** تكرار الهمزة لتأكيد التعجب والإنكار ، **﴿لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾** العامل في إذا نُبْعَثُ الدال عليه أئنا لفي خلق جديد فإن ما بعد إن لا يعمل فيما قبله ، **﴿بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾**: بالبعث، **﴿كَافِرُونَ قُلْ يَتَوَفَّاكُم﴾**: يستوفي روحكم ويميتكم، **﴿مَّلَكُ المَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾**: بقبض روحكم، في الحديث[3]

---

(١) أخرج أحمد والطبراني عن الشريد بن سويد قال : "أبصر النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً قد أسبل إزاره فقال : (ارفع إزارك) فقال : يا رسول الله إني أحنف تصطك ركبتاي فقال : (ارفع إزارك كل خلق الله حسن)[صحيح، أخرجه أحمد والطبرانى والطحاوى وغيرهم، وانظر صحيح الجامع (٤٥٢٢)، وراجع الصحيحة (١٤٤١)] وزاد في رواية للطبراني : (إن الله لا يحب المسبلين) / ١٢ فتح .

(٢) نحو بيت الله / ١٢ .

(٣) رواه ابن أبي حاتم وغيرهلأ[وهو ضعيف لانقطاعه، وانظر العلل المتناهية لابن الجوزى(٢/٤١٤)] / ١٢ .

(إن ملك الموت قال: يا محمد ما في الأرض بيت مدر ولا شعر إلا أنا أتصفحـــــهم في كل يوم خمس مرات حتى إني لأعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم) ، ﴿**ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**﴾: للجزاء .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿وَلَوْ تَرَى[1] إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءوسِهِمْ﴾: مطأطئوها ، ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ، حياءً وندمًا ، ﴿رَبَّنَا﴾ ، أي : قائلين : ربنا ، ﴿أَبْصَرْنَا﴾ ما كذبناه ، ﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق رسلك، قيل معنى أبصرنا وسمعنا: أيقنا حقيقة الأمر ، ﴿فَارْجِعْنَا﴾ ، إلى الدنيا، ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ جواب لو محذوف أي : لو ترى لرأيت العجب العجاب ، ولو وإذ كلاهما للمضى فإن المترقب من الله بمترلة الموجود ، ﴿وَلَوْ شِئْنَا[2] لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾: ما تهتدى به من الإيمان والأعمال الصالحة ، ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ سبق وعيدى وهو ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ الذين هم في علم الله أشقياء ، ﴿أَجْمَعِينَ فَذُوقُوا﴾ أي : يقال لهم ذلك على سبيل التقريع ، ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ أي : جازيناكم جزاء نسيانكم فهو على المقابلة أو النسيان بمعنى: الترك ، ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهذه الآية جواب عن قولهم : " فارجعنا نعمل صالحًا " يعني : لو أردنا لهديناكم في الدنيا لكن ما أردنا، فذوقوا العذاب المقدر بسبب كسبكم العقائد الفاسدة والأعمال القبيحة، وهذا إما مفعول ذوقوا، أو صفة يومكم، وايم الله إنها لكسرت أنياب المعتزلة لكن من لم يجعل الله له نورًا فما له من نور ، ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾: وعظوا ، ﴿بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾: سقطوا على وجوههم ساجدين[3] خوفًا، ﴿وَسَبَّحُوا﴾: سبحوه عما لا يليق بجلاله ، ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: حامدين له شكرًا ، ﴿وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ، عن طاعته فيتبعون رسله ، ﴿تَتَجَافَى﴾: ترتفع وتتنحى ،

---

(١) ولما قص دليل البعث بما لا خفاء فيه شرع يقص بعض أهوالهم عند ذلك فقال: " ولو ترى إذ المجرمون " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما ذكر ما طلبوا من الرجوع إلى الدنيا لأن يهتدوا فيها أتبعه أن شقاوتهم بإرادة الله ولولاها لهداهم الله في الدنيا فقال: "ولو شئنا" الآية / ١٢ وجيز .

(٣) كأن الخرور عند الوعظ طبعهم وجبلتهم من غير كلفة واختيار / ١٢ وجيز .

﴿جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾: عن[1] الفرش ، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾: داعين إياه ، ﴿خَوْفًا﴾ من عقابه ، ﴿وَطَمَعًا﴾ في ثوابه ، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾: في مصارف الخير، والمراد التهجد وقيام الليل وفي الأحاديث الصحاح ما يدل عليه ، وعن بعض هو صلاة العشاء والصبح في جماعة ، وعن بعض هو صلاة الأوابين بين العشائين ، وعن بعض: هو انتظار صلاة العتمة ، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم﴾ ما موصولة مفعول تعلم بمعنى: تعرف، وفي الحديث[2] القدسي (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) ونعم ما قيل: أخفوا أعمالهم فأخفى[3] الله ثواهم، ﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾: مما تقر به عيوهم ، ﴿جَزَاءً﴾ أي : أخفى للجزاء أو جوزوا جزاء ، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾: خارجًا عن طاعة ربه ، ﴿لَّا يَسْتَوُونَ﴾ في المثوبة والمترلة، جمعه للحمل على المعنى، نزلت في علي رضي الله عنه والوليد أخي عثمان من أمه بينهما تنازع فقال لعلي : إنك صبي وأنا والله أبسط لسانًا وأحد سنانًا وأشجع منك جنانًا ، فقال له علي : اسكت فإنك فاسق، ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾ هي المأوى الحقيقي لا الدنيا ، ﴿نُزُلًا﴾: هو ما يحضر للنازل قبل الضيافة، منصوب على الحال من

---

(١) وهم المتهجدون في الليل الذين يقومون للصلاة عن الفراش، وبه قال الحسن ومجاهد وعطاء والجمهور ، وعن معاذ بن جبل قال : قيام العبد من الليل ، وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر حديثًا وأرشد فيه إلى أنواع من الطاعات ، وقال فيه: (وصلاة الرجل في جوف الليل ، ثم قرأ هذه الآية) أخرجه أحمد، والترمذي وصححه، والنسائي وابن ماجه، والحاكم وصححه، والبيهقي وغيرهم / ١٢ فتح[صحيح، وانظر صحيح الجامع (٥١٣٦)، وراجع الإرواء].

(٢) كما في الصحيحين / ١٢ وجيز .

(٣) وفيه دليل على أن المراد الصلاة في جوف الليل ليكون الجزاء وفاقًا، ثم بين سبحانه أن ذلك بسبب أعمالهم الصالحة، فقال : " جزاءً بما كانوا يعملون " / ١٢ فتح .

جنات ، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا﴾: تمنوا ، ﴿أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾: فصعدوا إلى أبواب جهنم ، ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾: إلى أسفل دركاتها ، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾، إهانة: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ وَلَنُذِيقَنَّهُم[1] مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾: مصائب الدنيا[2] ، ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾: عذاب الآخرة ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يتوبون عن الكفر ، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ يعني : ومن أظلم ممن أذقناه المصائب الدنيوية مدة متطاولة وأريناه فيها الآيات ، ثم بعد تلك المدة خاتمة أمره الإعراض، فثم وقع موقعه، لكن في سورة الكهف ذكر بالفاء لأنه ما بين أولاً إلا جدالهم مع الرسل واتخاذ الآيات هزواً فما هو إلا أنهم حين رأوا رسلهم وآياتهم أنكروا بادئ الأمر من غير تأمل ، ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾: المشركين ﴿مُنتَقِمُونَ﴾.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ

(١) ثم يبين أن هذا التعذيب عدل منه لا ظلم فقال : " ولنذيقنهم " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) هكذا فسره جماهير السلف، ونقل عنهم البخاري ومسلم والترمذي والسدي/١٢ منه . ومصائب الدنيا من القتل والأسر والنهب والقحط وغيرها / ١٢ .

صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ[1] **آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾** كما آتيناك ، **﴿فَلاَ تَكُن فِي مِرْيَةٍ﴾**: شك ، **﴿مِّن لِّقَائِهِ﴾** أي : من لقاء موسى ربه فاطمع أنت أيضاً فيه، فالإضافة إلى المفعول ، هكذا فسره النبي عليه السلام، رواه الطبراني(*) أو من[2] لقائك موسى ليلة المعراج[3] أو من تلقي موسى الكتاب بالرضاء والقبول ، قيل : معناه آتينا موسى مثل ما آتيناك فلا تك في شك من أنك أوتيت مثله ، فالضمير للكتاب الذى أريد به الجنس ، أي : لقائك الكتاب نحو " وإنك لتلقى القرآن"(النمل:٦) ، **﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾** الناس ، **﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا**[4] **صَبَرُوا﴾** على أوامر الله ومصائبه التي قدرها عليهم ، **﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾** وكأن هذه الآية وعد وتسلية لنبيه عليه الصلاة والسلام وإرشاد لأصحابه وأمته ، **﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾**: يقضي فيميز المحق من المبطل ، **﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾** من أمور دينهم ، **﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾** عطف على مقدر مثل : ألم ينبههم ، **﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ﴾** فاعل "يهد" ما يدل عليه ذلك الكلام، كأنه قال : أو لم يهد لهم كثرة إهلاكنا ، وكم منصوب بأهلكنا، وله صدر الكلام لا يعمل فيه ما

---

(١) ولما قرر الأصول الثلاثة: التوحيد والمعاد والرسالة، عاد إلى أمر الرسالة الذي السورة له فقال: "ولقد آتينا موسى" الآية / ١٢ وجيز .

(*) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح، كما فى المجمع (٧/٩٠)

(٢) كما في البخاري / ١٢ .

(٣) كما وصفه صلى الله عليه وسلم "أنه آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوءة"/١٢ وجيز .

(٤) علة للجعل قرئ "لما" بكسر اللام وتخفيف الميم / ١٢ وجيز .

قبله،﴿يَمْشُونَ﴾ أهل مكة، ﴿فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ حين يسافرون للتجارة ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَات أَفَلاَ يَسْمَعُونَ﴾: سماع اتعاظ ، ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا﴾ أي : ألم يسمعوا و لم يروا؟، ﴿أَنَّا[١] نَسُوقُ المَاءَ إِلَى الأَرْضِ الجُرُزِ﴾: التي قطع نباتها ، ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ﴾: بالماء ، ﴿زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ﴾: من الزرع ، ﴿أَنْعَامُهُمْ[٢]﴾ من أوراقه ، ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ من حبوبه ، ﴿أَفَلاَ يُبْصِرُونَ﴾ فيستدلون على كمال القدرة ، ﴿وَيَقُولُونَ[٣] مَتَى هَذَا الفَتْحُ﴾ أي: في أي وقت يكون النصر كما تزعم يا محمد؟ ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ، أن لكم وقتًا علينا تنتقمون منا ، ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لاَ يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾: وهو يوم حلول سخط الله وعقابه، كان في نياهم أنه لو نزل عليهم من السماء بلاء لآمنوا حين يروها ، ﴿وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ ﴾: يمهلون ، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تبال بكلامهم ، ﴿وَانتَظِرْ﴾ موعد النصر ، ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ حوادث الزمان عليك، قيل : انتظروا عذابهم إنهم منتظرون ذلك أيضًا ، ولذلك لم يؤمنوا ، وعن بعض الآية منسوخة وكان عليه السلام[٤] لا ينام بالليل حتى يقرأ (تبارك) و (الم تتريل).

والحمد لله وحده.

---

(١) أولاً: أقام الحجة على المشركين بالأمم السالفة، ثم أقامها عليهم بإظهار قدرته الكاملة المنبهة على البعث ، والأظهر أن المراد من سوق الماء المطر / ١٢ وجيز .

(٢) وقدم الأنعام، لتقدم مأكلها من الزرع والإنسان قد يتغذى في غير الزرع، والعرب يقدم أنعامهم على أنفسهم، فيسكن في غير مسكن لرغد دواهم / ١٢ وجيز .

(٣) ليروا تلك الآية البينة فمن رآها، وأصر، و لم يتنبه، فليس له بصر ولا بصيرة، ولما كانت الآية أول دليل على البعث أتبع لجاجهم باستهزائهم تعجيبًا من عمههم وعماهم فقال : " ويقولون " الآية / ١٢ وجيز .

(٤) رواه الإمام أحمد فيارب وفقنا لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم[صحيح، أخرجه أحمد والترمذى والدارمى وغيرهم، وراجع الصحيحة] / ١٢ وجيز.

سورة الأحزاب مدنية

وهى ثلاث وسبعون آية وتسع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم *

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَـٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَـٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾

﴿يَأَيُّهَا النَّبِى اتَّقِ اللَّهَ﴾: اثبت عليه، **﴿وَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾** نقل أن بعض قريش نزلوا على منافقى المدينة بأمان النبى -عليه السلام- وقالوا للنبى: ارفض

ذكر آلهتنا بسوء، وقل إنها تشفع لمن عبدها ندعك وربك فأخرجهم النبى عن المدينة فترلت، **﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾**: فهو أحق أن يطاع ويتبع، **﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾**: فلا تخالفوه، ومن قرأ يعملون بالياء فمعناه إنه خبير بمكائد الكفار والمنافقين فلا تبال فإنه يدفعها عنك، **﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾**: حافظًا موكولاً إليه كل أمر، **﴿مَا جَعَلَ**[1] **اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾** لم ير فى حكمته أن يجعل لأحد قلبين لأن القلب سلطان ولا يليق بمملكة إلا سلطان واحد، **﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ﴾** والمظاهرة مثل أن تقول: أنت كظهر أمى وفى الجاهلية بالمظاهرة تحصل الفرقة الأبدية وتصير كالأم، وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب والتباعد، **﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾**: إن أمهاتكم إلا اللائى ولدنكم والأمهات مخدومات والزوجات خادمات، **﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾**: الذين تدعونهم ولدًا، **﴿أَبْنَاءكُمْ﴾**، فإن البنوة أمر ذاتى والتبنى عارضى فكيف يكون هو إياه، فحاصله أنه تعالى كما لم ير فى حكمته أن يجعل لأحد قلبين فيفعل بأحدهما غير ما يفعل بالآخر لئلا يكون أحدهما فضلة غير محتاج إليه فيؤدى إلى اتصاف شخص بالعلم، والظن والمحبة والكراهة وغيرهما فى حالة واحدة و لم ير أيضًا أن تكون امرأة لرجل مخدومة وخادمة وأن يكون رجل دعيًّا غير أصيل وابنًا أصيلاً وعن بعض السلف إن الأولين للثالث أى : كما لا يكون لرجل قلبان، ولا يصير غير الأم أُمًّا كذلك لا يكون الدعى ابنًا فلا تسموا زيد بن حارثة مولى النبى الذى تبناه قبل النبوة زيد بن محمد (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم)(الأحزاب: ٤٠)، وعن كثير[2] من السلف إن الأول

---

(١) ولما نهاه عن إطاعة المعاندين لأهل الدين وأمره بالتوكل والتوجه بالكلية إليه تعالى، نبه نبيه أنه لا يجتمع الإقبال على الله بالكلية والتوجه إلى الغير، إلا بأن يكون لشخص قلبان، وهذا أمر لا يمكن "ما جعل الله لرجل" الآية / ١٢ وجيز .

(٢) كابن عباس رضى الله عنه وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة / ١٢ منه.

نزل فى شخص يقال له ذو القلبين يقول: لى قلبين أعقل بكلٍ، أفضل من عقل محمد، وعن بعض: لما سها[1] عليه السلام فى صلاته قال المنافقون : له قلبان، قلب معهم، وقلب معكم، ﴿ذَلِكُمْ﴾: إشارة إلى المجموع أو إلى الأخير، ﴿قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ لا حقيقة له، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ﴾: المطابق للواقع، ﴿وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ﴾: طريق الحق، ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ﴾ انسبوهم إليهم، وفى إفراده بالذكر إشعار إلى ما نقلنا من أن الأولين للثالث، ﴿هُوَ﴾، راجع إلى مصدر ادعوهم، ﴿أَقْسَطُ﴾ من القسط بمعنى العدل، ﴿عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾ حتى تنسبوهم إليهم، ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أى: فهم إخوانكم، ﴿فِى الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾: أولياءكم فيه فقولوا أخى ومولاي، ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: إثم، ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾: فيما فعلتموه مخطئين على النسيان أو سبق اللسان، ﴿وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: ما تعمدت عطف على ما أخطأتم أى : وعليكم جناح فيما أو مبتدأ مقدر خبره أى ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ فى الحديث[2] "ثلاث فى الناس كفر: الطعن فى النسب والنياحة على الميت، والاستسقاء بالنجوم" وفى الحديث (إن فى القرآن المنسوخ، ولا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم)[*]، ﴿النَّبِى أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: فى أمور الدارين قال عمر: لأنت أحب إلى من كل شيء إلا من نفسي، فقال عليه السلام:

---

(١) نقله الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنه، ورواه الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم عن زهير[أخرجه أحمد (١/١٦٨)، والترمذى (٣٢٥١)، وضعفه الشيخ الألبانى بقابوس بن أبى ظبيان]/ ١٢ منه.

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده وكذا مسلم فالعزو إليه أولى وفى الحديث (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه كفر)/١٢ منه.

(*) أخرجاه فى الصحيحين.

(لا يا عمر[1] حتى أكون أحب إليك من نفسك) فقال : (والله لأنت يا رسول الله أحب إلى من كل شيء حتى من نفسي)، فقال : (الآن يا عمر)، وعن بعض المفسرين معناه : النبي أولى من بعضهم ببعضهم فى وجوب طاعته عليهم، ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾: فى التوقير وتحريم نكاحهن على التأبيد لا فى النظر والخلوة والأصح[2] أن لا يقال هن أمهات المؤمنات، وفى الشواذ[3] وهو أب لهم، ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ﴾: ذوو القرابات، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾: فى الميراث، ﴿فِى كِتَابِ اللَّهِ﴾: فى حكمه، أو فى اللوح المحفوظ، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ صلة لأولى أى : هم بحق القرابة أولى بالميراث منهم بحق الإيمان والهجرة قال الزبير : أنزل الله فينا معشر قريش والأنصار خاصة وذلك لما قدمنا المدينة قدمنا ولا مال لنا فوجدنا الأنصار نعم الإخوان فواخيناهم وأورثناهم حتى أنزل الله فينا هذه الآية فرجعنا إلى مواريثنا، ﴿إِلاَّ أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا﴾ الاستثناء منقطع أى : لكن فعلكم إلى أحبائكم معروفًا جائز يعنى: ذهب الميراث وبقى البر والإحسان والوصية، ﴿كَانَ ذَلِكَ فِى الكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ أى : هذا الحكم[4] فى الكتاب[5] القديمة

---

(١) فى البخارى: (والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين)[وقد أخرجه مسلم أيضًا]/ ١٢.

(٢) وهو الأصح من مذهب الشافعي، وقد صح عن عائشة -رضى الله عنها- النهى عن ذلك/١٢ منه.

(٣) وعن أبى بن كعب وابن عباس انهما قرءا "وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم"/١٢ منه.

(٤) وهو أن أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله /١٢ منه.

(٥) فيه إشارة إلى دفع طعن الملحدين، بأنه ليس من باب البداء، فإنه غير جائز على من لا يخفى عليه شيء، ولما كان تغيير المألوف شديدًا على النفوس، وقد ذكر أشياء من تغيير المألوف، بين أن إقامة الدين هو عهد وميثاق مع أول الرسل وآخرهم فقال : (وإذ أخذنا من النبيين) الآية / ١٢ وجيز.

الذى لا يبدل مسطوراً وإن كان تعالى شرع خلافه فى وقت لما له من الحكمة البالغة، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ أى : اذكره، ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾: فى إقامة دينه وإبلاغ رسالته والتعاون والإنفاق، ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾، صرح بأسماء أولى العزم الخمسة من بينهم وقدم ذكر خاتم الأنبياء لشرفهم وشرفه عليهم الصلاة والسلام، ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا[1]﴾: عهدًا شديدًا مؤكدًا، ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ أى : فعلنا ذلك ليسأل الله الذين صدقوا عهدهم من الأنبياء عن تبليغهم تبكيتًا للكفار وقيل عن تصديقهم إياهم، ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا[2] أَلِيمًا﴾، عطف على ما دل عليه ليسأل كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾

---

(١) هذا الميثاق هو الميثاق الأول بعينه، كأنه قال: أخذنا ميثاقًا غليظًا لمحمد صلى الله عليه وسلم داخلاً فى أخذ الميثاق الغليظ من الأنبياء، والغلظ فى الأجسام استعير للمعنى/١٢ وجيز.

(٢) والحاصل أنه أخذ المواثيق على الأنبياء فى التبليغ، لكن جعل من يبلغ إليه فرقتين فرقة يسألها عن صدقها فيجيب بأنا صدقنا الله فى أمره ونهيه ويثيبها على ذلك، وفرقة كفرت فينالها ما أعد لها من العذاب، لما أمر نبيه فى أول السورة بالتوكل على الله فى دفع المعاندين، وما وقع فى البين إلى هذه الآيات من متفرعات التوكل كما أشرنا إليه، ذكر من نعمه ما هو محض حماية الله وعنايته ليرى فائدة التوكل فيزيد وثوقه فقال: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله) الآية / ١٢ وجيز.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ[(١)]﴾

يعنى الأحزاب لما اجتمع المشركون وأهل الكتاب كيدٍ واحدةٍ لعداوة المؤمنين أمر عليه

---

(١) أى : إنعام الله عليكم وقت مجيء الجنود، وذلك فى غزوة الأحزاب حين اجتمع المشركون من قريش وأهل الكتاب كيد واحدة، وهم نحو من خمسة عشر ألفًا وجاءوا =

السلام بحفر الخندق بشورى سلمان فنزلوا وحاصروا المدينة قريبًا من شهر، ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا**﴾ أى الصَّبا، ﴿**وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا**﴾: من الملائكة أرسل تعالى بعد مدة من المحاصرة فى ليلة مظلمة باردة ريحًا صرصرًا فنسفت التراب فى وجوههم وأطفأت نيرانهم، وقلعت خيامهم فماجت خيولهم بعضها ببعض فقذف فى قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة فى جوانبهم فارتحلوا خائفين خائبين، ﴿**وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾: من حفر الخندق، ﴿**بَصِيرًا إِذْ جَاءُوكُم**﴾ بدل من جاءتكم، ﴿**مِّن فَوْقِكُمْ**﴾: من أعلى الوادى من قبل المشرق، ﴿**وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ**﴾: من قبل المغرب، ﴿**وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ**﴾ مالت أبصار المسلمين عن سنتها حيرة لشدة الأمر، ﴿**وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ**﴾: رعبًا وهذا مثل فى الاضطراب، قيل: إذا انتفخت الرئة من فزع أو غضب ارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم، ﴿**وَتَظُنُّونَ**[1] **بِاللَّهِ**

= إلى المدينة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق بشورى سلمان، وقطع لكل عشرة أربعين ذراعًا، وهم كانوا ثلاثة آلاف، فالخندق إثنا عشر ألف ذراع، فنزل الأحزاب خلف الخندق، وزعمهم أنهم لا يرجعون وقد بقى للإسلام باقية، ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا الترامى بالنبل والحجارة، وظهر نفاق المنافقين واشتد الخوف على المؤمنين وتفصيل الحكاية مسطور فى السير/١٢ وجيز.

(١) ظن كل من المؤمن الخالص والمؤمن الضعيف والمنافق مختلف، وظن المنافقين ما حكى الله عنهم بقوله : " وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية " إلى قوله " يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا " (آل عمران:١٥٤)، قال بعض الأئمة بعد بيان سوء الظن: وبالجملة فأعظم الذنوب عند الله تعالى إساءة الظن به، ولهذا يتوعدهم فى كتابه على إساءة الظن به أعظم وعيد، كما قال تعالى : " الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرًا "(الفتح:٦) إلى أن قال : واعلم أنك إذا تأملت جميع طوائف الضلال=

....

= والبدع، وجدت أصل ضلالهم راجعًا إلى شيئين: أحدهما: ظنهم بالله ظن السوء، والثانى: أنهم لم يقدروا الرب حق قدره، قال الإمام العلامة شمس الدين ابن القيم رحمه الله فى الهدى النبوى : من ظن أن الله سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل وتشبيه وتمثيل، وترك الحقائق المقصورة من كلامه سبحانه وتعالى، ورمز إليهم رموزًا بعيدة وأشار إليهم إشارة ملغزة وصرح بالتشبيه، والتمثيل والأمور الباطلة التى لا تجوز عليه ولا تليق، وأراد من خلقه أن يتبعوا أذهانهم وقواهم وأفكارهم فى تحريف كلامه عن مواضعه وتأويله على غير تأويله المفهوم من ظاهره، ويتطلبوا له وجوه الاحتمالات المستكرهة شرعًا وعقلاً، والتأويل التى هى بالألغاز والأحاجى أشبه منها بالكشف والبيان، وأحالهم فى معرفته وأسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم لا على كتابه، بل أراد منهم أن لا يحملوا كلامه على ما يعرفون من خطابهم ولغتهم مع قدرته على أن يصرح لهم بالحق، الذى ينبغى التصريح به ويريحهم من الألفاظ التى توقعهم فى الاعتقاد الباطل فلم يفعل، بل سلك بهم خلاف طريق الهدى والبيان، فقد ظن به السوء، فإنه إن قيل: أنه غير قادر على التعبير عن الحق باللفظ الصريح الذى عبر به هو وسلفه، فقد ظن العجز بقدرته وإن قيل: أنه قادر ولم يبين، وعدل عن البيان والتصريح بالحق إلى ما يوهم بل يوقع فى الباطل المحال والاعتقاد الفاسد، فقد ظن بحكمته ورحمته ظن السوء، ومن ظن أنه وسلفه عبروا عن الحق بصريحه دون الله ورسوله، وأن الهدى والحق فى كلامهم وعباداتهم، وأما كلام الله فإنما يؤخذ من ظاهره التشبيه والتمثيل والضلال، وظاهر كلام المتهورين الحائرين هو الهدى والحق، هذا من سوء الظن بالله، فكل هؤلاء من الظانين بالله ظن السوء، ومن الظانين بالله غير الحق ظن الجاهلية، ومن ظن بأنه ليس فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه، وأن نسبة ذاته تعالى إلى عرشه كنسبتها إلى أسفل السافلين، فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن به أنه أسفل كما هو أعلى وإن من قال: سبحان ربى الأسفل كما قال: سبحان ربى الأعلى، فقد ظن بـــه=

﴿الظُّنُونَا﴾، حتى قال بعض المنافقين : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر والآن لا نقدر أن نذهب إلى الغائط، والألف زيدت تشبيهًا للفواصل بالقوافي، **﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾**: اختبروا فظهر المخلص من المنافق، **﴿وَزُلْزِلُوا﴾**: أزعجوا، **﴿زِلْزَالًا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾** شبهة لم تطمئن قلوبهم على الإيمان، **﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا﴾**: وعدًا لا وفاء له، **﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾** وهم المنافقون: **﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾** كان اسمًا للمدينة أى : أهل المدينة، **﴿لاَ مُقَامَ لَكُمْ﴾**: لا موضع قيام لكم هاهنا أى عند النبى المصطفى فى مقام المرابط، **﴿فَارْجِعُوا﴾**: إلى بيوتكم، **﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾** للرجوع فإنه كان عليه السلام خارجًا من المدينة بحيث أسند المسلمون ظهورهم إلى سلع ووجوههم نحو العدو والخندق بينهم، **﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾**: غير حصينة نخاف عليها السراق، **﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾**: فإنها حصينة، **﴿إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا[1]﴾**: من القتال، **﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾** يعنى : لو دخلت هذه العساكر المدينة من جوانبها، **﴿ثُمَّ سُئِلُوا﴾**: سألت هذه العساكر من قال إن بيوتنا عورة، **﴿الْفِتْنَةَ﴾**: الردة ومحاربة المسلمين، **﴿لآتَوْهَا﴾** لأعطوها، **﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾**: بالفتنة، **﴿إِلاَّ يَسِيرًا﴾**: تلبثًا يسيرًا قدر سؤال وجواب فأسرعوا الإجابة، **﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾**: من قبل

= أقبح الظن وأسوأه، ومن ظن به خلاف ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن به أن أحدًا يشفع عنده بغير إذنه، وأن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه، وأنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه، ويتوسلون بهم إليه ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم، فيدعونهم فى حاجتهم إليه سبحانه وتعالى، فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه، إلى آخر ما بين وفصل رحمه الله تعالى/١٢.

(١) قال الضحاك رجع ثمانون من غير إذن / ١٢ وجيز.

تلك المحاربة، ﴿لاَ يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ﴾: لا يفرون من الزحف، ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً﴾: عن الوفاء به، ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ﴾ فإنه لابد لكل من الموت حتف أنفه أو قتل فى وقتٍ معين، ﴿وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ﴾: بعد الفرار، ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾: زمانًا قليلاً يعنى: لو فرضتم أنه ينفعكم لا ينفعكم إلا قليلاً، ﴿قُلْ مَن ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾: مصيبة، ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ﴾ عطف على من ذا تقديره أو من ذا الذى يصيبكم بسوء إن أراد بكم، ﴿رَحْمَةً﴾ أو عطف على أرادوا العصمة بمعنى المنع مجازًا ولا حذف، ﴿وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾: ينفعهم، ﴿وَلاَ نَصِيرًا﴾: يدفع ضرهم، ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ﴾: الذين يعوقون المسلمين عن معاونة النبى -عليه السلام-، ﴿مِنكُمْ﴾، وهم المنافقون، ﴿وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ﴾ من ساكنى المدينة: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾: قربوا أنفسكم إلينا فنحن فى ظلال وثمار وراحة فى بيوتنا، عن مقاتل: أرسلت اليهود إلى المنافقين فخوفوهم وقالوا: هلموا إلينا والمنافقون كانوا يخوفون المؤمنين يقولون انطلقوا معنا إلى إخواننا، أى: اليهود، ﴿وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾: الحرب مع المؤمنين، ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾: يخرجون ولا يبارزون إلا شيئًا قليلاً، أو معناه لا يحضرون إلا زمانًا قليلاً ثم يعتذرون ويرجعون قيل هذا من تتمة قولهم يعنى: الذين قالوا لإخوانهم هلموا إلينا، والمؤمنون لا يحاربون الكفار إلا زمانًا قليلاً فيغلبون، ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بخلاء بالشفقة أو بالنفقة أو فى الغنائم نصبٌ على الحال من فاعل لا يأتون وهو حال من ضمير القائلين أو هما حالان من ضمير القائلين، ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾: وقت الحرب، ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾، فى أحداقهم، ﴿كَالَّذِى يُغْشَى عَلَيْهِ﴾ أى: كدوران[1] عين

(١) أى: كدوران عين الذى قرب من الموت، وهو الذى نزل به الموت وغشيته أسبابه، فيذهل لبه ويذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف، كذلك هؤلاء تشخص أبصارهم لما يلحقهم من الخوف / ١٢ فتح.

من يغشى عليه، ﴿مِنَ الْمَوْتِ﴾: من معالجة سكراته، ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم﴾: ضربوكم، ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾: لأجل الغنيمة وغيرها، ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ بخلاء على الغنيمة، أو ليس فيهم خير فهم جمعوا بين البخل والجبن وقلة الحياء وعدم الوفاء، ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾: أبطل جهادهم وصلاتهم وصيامهم ومثل ذلك، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾: الإحباط، ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾: هينًا، وهذا كما فى الحديث "ومن تشعبت به الهموم لم يبال الله فى أى واد أهلكه"(*)، ﴿يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾: يحسب هؤلاء المنافقون لجبنهم أن الأحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا، ﴿وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ﴾: كرة ثانية مع ما رأوا من كيفية فرارهم وعدم ظهورهم وقرارهم، ﴿يَوَدُّوا﴾: تمنوا، ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ﴾: خارجون إلى البدو، ﴿فِي الأَعْرَابِ﴾: حاصلون فيهم، ﴿يَسْأَلُونَ﴾: الناس، ﴿عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ يعنى: يتمنون إن لم يكونوا بينكم ويسألون الناس عما جرى عليكم، ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُم﴾، هذه الكرَّة و لم يفرُّوا و لم يرجعوا إلى المدينة، ﴿مَّا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلًا[1] ﴾: رياء.

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ

(*) "حسن"، انظر صحيح سنن ابن ماجه (٤١٠٦).

(١) رياء ونفاقًا كما فعلوا قبل ذهابهم، ولما أخبر عنهم بحال هى غاية المخالفة عن طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، توجه إلى الكل فقال: " لقد كان لكم " الآية/١٢ وجيز.

وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ[1] اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: هو من باب التجريد جرد من نفسه الزكية شيئًا يسمى قدوة يقتدى به سيما فى مقاساة[2] الشدائد وثبات القلب فى الحرب، ﴿لِّمَن كَانَ﴾ صلة لحسنة لا لأسوة لأنها قد وصفت أوصفة لها أو بدل بعض من لكم، ﴿يَرْجُو اللَّهَ﴾ أى : لقائه، ﴿وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ أى : نعيمه أو يخاف عذابهما، ﴿وَذَكَرَ[3] اللَّهَ كَثِيرًا وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ

---

(١) وهذه الآية وإن كان سببها خاصا فهى عامة فى كل شيء، وقد استدل بهذه الآية جماعة من الصحابة فى مسائل كثيرة اشتملت عليها كتب السنة، وفيه دلالة على لزوم الاتباع وترك التقليد الحادث الذى أصيب به الإسلام أى مصيبة / ١٢ فتح.

(٢) قاتل بنفسه فكسرت رباعيته، وشج وجهه الكريم، وقتل عمه وأوذى ضروبًا من الإيذاء فاقتدوا به، ولا ترغبوا بأنفسكم عن نفسه /١٢ وجيز.

(٣) فالمقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم من كان كذلك، لما أخبر عن حال المنافقين وقولهم : " ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا " بين حال المؤمنين وقولهم فقال : " ولما رأى المؤمنون الأحزاب " الآية / ١٢ وجيز.

﴿وَرَسُولُهُ﴾ عن ابن عباس وغيره يعنون قوله تعالى : " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم " (البقرة:٢١٤)، ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ[١]﴾: فى الوعد، ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ذلك البلاء والضيق، ﴿إِلاَّ إِيمَانًا﴾ بالله، ﴿وَتَسْلِيمًا﴾: انقيادًا لأوامره، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ فثبتوا وقاتلوا، يقال : صدقه الحديث أى : قال له الصدق فى الحديث والعاهد إذا وفى بالعهد فكأنه قال له الصدق، ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ﴾، النحب : المدة أى: استشهد كحمزة وأنس بن النضر، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ أى : الشهادة، كعثمان –رضى الله عنهم- أو معناه، ومنهم من قضى نذره فإن أنس بن النضر لما غاب عن غزوة بدر نذر وقال : لئن أرانى الله مشهدًا فيما بعد ليرين الله ما أصنع، فقاتل يوم أحد حتى قتل، ووجد فيه بضع وثمانون ضربة سيف وطعنة رمح ورمية[*]، ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾: ما غيروا العهد شيئًا من التبديل، والتغيير فيه تعريض على المنافقين بالتبديل، ﴿لِيَجْزِى اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، اللام متعلق بمعنى قوله : " ولما رأى المؤمنون الأحزاب " كأنه قال: إنما ابتلاهم الله برؤية هذا الخطب ليجزى الصادقين، ويعذب المنافقين، أو متعلق بما بدلوا مع ما يفهم منه بالتعريض، كأنه قال: ما بدل المؤمنون وبدل المنافقون ليجزي، الآية، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: فيقبل توبة من تاب، ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أى : الأحزاب، ﴿بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ هما حالان أى: المتغيظين غير ظافرين، ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة، ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا﴾ على إيجاد ما شاء، ﴿عَزِيزًا﴾: غالبًا مطلقًا، ﴿وَأَنزَلَ﴾

---

(١) لم يقل وصدقا للتلذذ بصريح الاسم، ولما قيل: الجمع بين اسم الله ورسوله فى الضمير سوء أدب، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بئس الخطيب) حين قال: (ينهيانكم) يعنى الله ورسوله[أخرجه مسلم وغيره] / ١٢ وجيز.

(*) أخرجه البخارى وغيره.

الله، ﴿الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم﴾: عاونوا الأحزاب، ﴿مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ﴾ يعنى : بنى قريظة نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أن أبآءهم نزلوا الحجاز قديمًا طمعًا فى اتباع النبى الأمى المكتوب فى التوراة، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾: حصونهم، ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: الخوف، ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: رجالهم، ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾: نساءهم وذراريهم، لما انهزمت الأحزاب رجع رسول[1] الله إلى المدينة، وكان على ثناياه نقع الغبار جاء جبريل وقال: أو قد وضعت السلاح؟! لا والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح، أخرج إلى بنى قريظة، وقاتلهم فخرجوا إلى حصونهم[2] وحاصروهم خمسة وعشرين ليلةً ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ[3]، فحكم بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم وتقسيم أموالهم[4]، ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾: مزارعهم، ﴿وَدِيَارَهُمْ﴾: حصونهم، ﴿وَأَمْوَالَهُمْ﴾، من النقود والمواشي، ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَأُوهَا﴾: خيبر أو مكة أو فارس والروم، أو كل أرض تفتح إلى القيامة، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

---

(١) هكذا ثبت فى كتب الحديث بتفصيل وتطويل / ١٢ منه.

(٢) فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بألا يصلى العصر أحد إلا فى بنى قريظة، فمنهم مصلٍّ فى الطريق، ورأى أن هذا من باب الاستعجال، ومنهم مصلٍّ بعد العشاء، وكل مصيب / ١٢ وجيز.

(٣) بعد ما أبوا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم بما هو فى القرآن، وقال صلى الله عليه وسلم : (لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع أرقعة) ثم استنزلهم فى خندق فى سوق المدينة وضرب أعناق ستمائة أو أكثر إلى تسعمائة، وتفصيله فى كتب السيرة / ١٢ وجيز.

(٤) ذكر صاحب الفتح بعض هذه القصة وعزاها إلى أحمد وابن مردويه وابن أبى شيبة/١٢.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ[1] قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: السعة والمال، **﴿وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾**: أعطكن متعة الطلاق، **﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾**: أطلقكن، **﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾**: طلاقًا من غير ضرار، **﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ**

---

(١) ولما أمر نبيه من أول السورة بالتقوى والتوكل وحب الدنيا رأس كل خطيئة، فلا يناسب أن يكون الدنيا فى بيته وأهل بيته من أهلها، فقال : (يا أيها النبى قل لأزواجك) الآية / ١٢ وجيز.

الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ﴾ من : للتبيين[1] ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يستحقر دونه الدنيا برمتها، نزلت حين[2] سألن ثياب الزينة، وزيادة النفقة بغيرة بعضهن على بعض، فلما نزلت بدأ بعائشة فاختارت الله ورسوله ثم خير سائرهن فاخترن كما اختارت، وأكثر أهل العلم على أنه لم يكن تفويض الطلاق فلم يقع بنفس الاختيار، بل لو اخترن الدنيا طلقهن، ثم الأكثرون على أن المخيرة إذا اختارت زوجها لا يقع شيء ولو اختارت نفسها يقع واحدة رجعية عند الشافعي بائنة عند أبي حنيفة، ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِي مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ﴾: كبيرة، ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾: ظاهر قبحها، عن ابن عباس هي النشوز وسوء الخلق، ﴿يُضَاعَفْ لَهَا العَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾: ضعفي عذاب غيرهن، فإن الذنب أقبح من العارفين والشرط لا يقتضي الوقوع قال تعالى: " قل إن كان للرحمن ولد "(الزخرف:٨١)، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هينًا، لا ينظر إلى كونهن نساء نبيه، بل هو السبب ﴿وَمَن يَقْنُتْ﴾: يطع، ﴿مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾: مثلي ثواب غيرها، وتعمل بالتاء وبالياء محمول على معنى من وعلى لفظه، ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا[3]﴾، في أعلى

---

(١) فكلهن محسنات وذكر المحسنات ليعلم أن الأجر للإحسان، لما فتح الله على نبيه بالغنائم قعدت أزواجه حوله، وقلن يا رسول: الله بنات كسرى وقيصر في حلي وحلل وإماء وخول ونحن على ما ترى من فاقة، وآلمن قلبه المنور، فأمره الله بأن يتلو عليهن كما نزل في أمرهن، فتلا أولاً على عائشة فاختارت الله ورسوله، ثم اخترن كما اختارت، ولما أن وقعت تلك الخطيئة منهن ورجعن عنها هددهن وأدبهن الله عناية وحماية فقال : " يا نساء النبي " الآية /١٢ وجيز.

(٢) كذا في صحيح البخاري وصحيح مسلم / ١٢ منه.

(٣) حلالاً من غير تعب في الدنيا، وفي الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وذكر صيغة الماضي لتحققه واستيثاقهن ثم خاطبهن وجاملهن فقال : " يا نساء النبي لستن " الآية / ١٢ وجيز.

عليين من الجنة، ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِي لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ أى : لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء، وأصل أحد[1] وحد بمعنى: واحد، ثم وضع فى النفى العام مستويًا فيه التذكير والتأنيث والواحد وما وراءه، ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾: راعيتن التقوى، ﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾: لا تكلمن كلامًا لينًا خنثًا[2]، يعنى لابد لكن من الغلظة[3] فى المقالة مع الأجانب، ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِى فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾: فجور أو نفاق، ﴿وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ يرتضيه الدين والإسلام من غير خضوع، ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ من وقر أو من قر، والأمر منه اقْرُرْنَ أو اقْرَرْنَ حذفت الأولى من الرائين بعد نقل حركتها إلى ما قبلها كظلن وظللن،﴿وَلاَ تَبَرَّجْنَ﴾ التبرج: إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال، ﴿تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾: جاهلية الكفر، والجاهلية الأخرى: جاهلية الفسوق فى الإسلام، أو الأولى لا أخرى لها كما قيل فى أهلك عادًا الأولى، أو الأولى: زمن داود وسليمان أو زمن نمرود، فإن المرأة تلبس درعًا من لؤلؤ وتخرج عارضة نفسها على الرجال، ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فى جميع ما أمركن ونهاكن، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾: خبائث القلب، أو ما ليس لله فيه رضا، ﴿أَهْلَ البَيْتِ﴾ نصب على النداء أو على المدح، ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ عن الذنوب، ﴿تَطْهِيرًا﴾ فى مسلم (إن عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا جاءوا فأدخلهم النبى

---

(١) وفى الوجيز ذكر صاحب البحر: أن "أحد" الذى يستعمل فى النفى العام مخصوص بذوى العقول بخلاف واحد، ثم ذكر أن النحويين صرحوا أن مادة "أحد" الذى للعموم بهمزة وحاء ودال، ومادة "أحد" بمعنى: واحد أصله واو وحاء ودال، فقد اختلفا مدلولاً ومادة/١٢ وجيز.

(٢) فى الأساس: خنث تكسر وتثن وقد خنث وخَنَّثَ كلامه: لينه / ١٢ منه.

(٣) لا كما كانت الحال فى نساء العرب من مكالمة الرجال برخيم الصوت ولينه / ١٢ وجيز.

عليه السلام فى كساء من شعر أسود كان عليه، ثم قال : " إنما يريـــد الله ليذهــب عنكم " الآية، وفى مسند الإمام أحمد وغيره[1] بروايات عن أم سلمة: "أنه عليه السلام كان فى بيتها، فجاء على وفاطمة وابناهما وجلس عنده على كساءٍ خيبرى فأنزل الله هــذه الآية، فأخذ فضل الكساء وغطاهم به ثم أخرج يده وألوى إلى السماء، وقـــال : اللــهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب الرجس عنهم، وطهرهم تطهيرًا، قالت : فأدخلت رأسى البيـــت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله، فقال : (إنك إلى خير، إنك إلى خير)"، والأحاديث الــتى هى أصرح فى هذا المعنى كثيرة، والأصوب أن أزواجه المطهرات من أهل بيته، وإذا كـــان أزواجه من أهل بيته فهؤلاء أحق وأولى بهذه التسمية، وهذا مثل ما نقلنا فى آية "لمســـجد أسس[2] على التقوى"(التوبة:١٠٨)، ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّـــهِ وَالْحِكْمَةِ**﴾ أمرهن أن لا ينسين النعمة الجليلة القدر، وهى ما يتلى فى بيوهن من الكتـــاب الجامع بين أمرين، ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا[3] خَبِيرًا**﴾ فلذلك خيركن ووعظكن.

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ

---

(١) كابن أبى حاتم وابن جرير، والحـــافظ الـــبزار وغـــيرهم[وانظـــر صحيـــح ســـنن الترمذى(٢٥٦٢)] / ١٢ منه.

(٢) كما مر بيانها فإنها نزلت فى مسجد قباء، وفى صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم: "هو مسجدى هذا" والتوفيق أنه إذا كان ذلك أسس على التقوى فمسجدى هذا أولى وأحرى بهذه التسمية، والله أعلم/١٢ منه.

(٣) فيختار ما ينفعكم فى الدنيا والدين والظاهر والباطن، ولما ذكر ما هو خاصة لأهل بيته ونصحهم، عمم الوعد والنصح للرجال والنساء فقال : " إن المسلمين والمســـلمات " الآية/ ١٢ وجيز.

فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ۖ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ﴾: المنقادين لأمر الله، ﴿وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾: المصدقين بما يجب التصديق به، ﴿وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ﴾: المداومين على الطاعة، ﴿وَالْقَانِتَاتِ[1]

(١) ثم إذا آمن وعمل صالحًا كمل فيكمل غيره ويأمر بالمعروف، وينصح أخاه ويصدق فى كلامه عند النصيحة، وهو المراد بقوله والصادقين والصادقات، ثم إن من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يصيبه أذى فيصبر عليه، كما قال تعالى: " والصابرين والصابرات" ثم إنه إذ أكمل وكمل قد يفتخر بنفسه ويعجب بعبادته فمنعه منه بقوله : " والخاشعين والخاشعات "، ولما ذكر هذه الحسنات أشار إلى ما يمنع منها هو إما حب الجاه أو حب المال من الأمور الخارجية أو الشهوة فقال : " والمتصدقين والمتصدقات " أى : الباذلين =

﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ فى جميع الأحوال، ﴿وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ﴾: على المصائب، ﴿وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ﴾: المتواضعين لله، ﴿وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ﴾: المحسنين إلى الناس، ﴿وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ﴾ عن سعيد بن جبير من صام بعد الفرض ثلاثة أيام من كل شهر دخل فى الصائمين، ﴿وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ﴾ عن الحرام، ﴿وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ فى الحديث[1] "من أيقظ امرأته من الليل فصليا ركعتين كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات"، ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾، لذنوبهم، ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا[2]﴾ عن أم

= الأموال الذين لا يكترونها لشدة محبتهم إياها، ثم قال : " والصائمين والصائمات " إشارة إلى الذين لا تمنعهم الشهوة البطنية من عبادة الله، ثم قال : " والحافظين فروجهم والحافظات " أى : الذين لا تمنعهم الشهوة الفرجية، ثم قال: "والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات" يعنى هم فى جميع هذه الأحوال يذكرون الله، ويكون إسلامهم وإيمانهم وقنوتهم وصدقهم وصبرهم وخشوعهم، وصدقتهم وصومهم بنية خالصة لله، واعلم أن الله تعالى فى أكثر المواضع حيث ذكر الذكر قرنه بالكثرة هاهنا، وفى قوله بعد هذا: " يأيها الذين أمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا " وقال من قبل : " لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا "[الأحزاب:٢١] لأن الإكثار من الأفعال البدنية غير ممكن أو عسير، ولكن لا مانع أن يذكر الله تعالى وهو آكل، ويذكره وهو شارب أو ماش أو بائع أو شار، وإلى هذا أشار بقوله تعالى : " الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم "(آل عمران: ١٩١) / ١٢ وكبير.

(١) رواه النسائى وابن ماجه وابن أبى حاتم[وكذا أبو داود والحاكم بسند صحيح، وانظر صحيح الجامع] / ١٢ وجيز.

(٢) لا يعرف أحد قدر ما عظمه الله، ولما ذكر أن النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وحرض أمته على إطاعته وحذرهم من مخالفته أتبع ذلك بقوله " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة " الآية / ١٢ وجيز.

سلمة أنها قالت : "قلت يا نبى الله ما لنا لا نذكر فى القرآن كما يذكر الرجال، فنزلت"[١]، ﴿**وَمَا كَانَ**﴾: ما صح، ﴿**لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ أى : أن يختاروا من أمر الله ورسوله ما شاءوا، بل يجب عليهم اتباع اختيار رسول الله وترك رأيهم، وجمع ضمير لهم على المعنى فإن المؤمن والمؤمنة وقعا تحت النفي،﴿**وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا**﴾ لما خطب[٢] النبى عليه السلام زينب بنت جحش ابنة[٣] عمته لمولاه زيد بن حارثة فامتنعت نزلت ثم أجابت،﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ**﴾: بالإسلام، ﴿**وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ**﴾: بالعتق وهو زيد اشتراه فى الجاهلية وأعتقه وتبناه، ﴿**أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ**﴾ زينب حين قال : أريد أن أطلقها، ﴿**وَاتَّقِ اللَّهَ**﴾ فيها ولا تطلقها، ﴿**وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ**﴾ أى : شيئًا الله مظهره، وهو علمه بأن زيدًا سيطلقها وهو ينكحها، فإن الله قد أعلمه بذلك أو ميل قلبه إليها وإلى طلاقها، فإن نفسه الأقدس مالت إليها بعد أن تزوجها زيد[*]، ﴿**وَتَخْشَى النَّاسَ**﴾: تكره

---

(١) رواه النسائى وغيره ١٢ وجيز، وعزاه فى الفتح إلى أحمد وابن جرير وابن المنذر والطبرانى وابن مردويه[وسنده صحيح] / ١٢.

(٢) منقول عن ابن عباس رضى الله عنه، ومجاهد ومقاتل بن حيان وغيرهم / ١٢ منه.

(٣) فإنها بنت أميمة ابنة عبد المطلب / ١٢ منه.

(*) هذا التأويل يحمل على سوء الظن بالنبى صلى الله عليه وسلم- وحاشاه من ذلك لمكان العصمة، وقد أورده الحافظ فى "الفتح" (٣٨٤/٨) أثرًا اعتمده فى تأويل هذه الآية أخرجه ابن أبى حاتم عن السدى أن النبى صلى الله عليه وسلم- لما زوج زيدًا زينب أعلمه الله تعالى بعد أنها من أزواجه فكان يستحيي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون بين الناس، فأقره النبى صلى الله عليه وسلم- أن يمسك عليه زوجه وأن يتقى الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا: تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيدًا، ثم قال الحافظ: ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبى =

قالتهم وتعييرهم، ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ فلا تأمر بما تعلم يقينًا أنه لا يتم، أو فلا تظهر بلسانك ما تحب بقلبك غيره، فإن الأنبياء عليهم السلام مأمورون بتساوى الظاهر والباطن، ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾: حاجة، ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ بعد طلاقها وانقضاء عدتها بلا ولى من بشر ولا شاهد ولا مهر، ولهذا تقول افتخارًا : زوجنى الله[1] من فوق سبع سماوات والسفير جبريل، ﴿لِكَى لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ بالبنوة، ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ أى : دخلوا عليهن، قيل قضاء الوطر: كناية عن الطلاق يعنى لئلا يظن أن حكم الأدعياء حكم الأبناء، فإنه جاز أن يتزوج موطوءة دعيه، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: قضاءه، ﴿مَفْعُولاً﴾: مكونًا لا محالة، ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِى مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾: قدر وقسم له، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾: سن ذلك سنة، ﴿فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ من الأنبياء أى : كثرة الأزواج سنة الأنبياء وطريقتهم من قبل، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾: قضاءه قضاء مقضيًّا، ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ﴾، صفة مادحة للذين خلوا، ﴿وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ﴾ فلا يمنعهم شيء من الإبلاغ بوجه فيه تهييج، بأن يسلك هو عليه السلام طريقتهم، ولذلك قالت عائشة[2]: لو كتم محمد عليه السلام شيئًا من

= حاتم والطبرى ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغى التشاغل بها، والذى أوردته منها هو المعتمد. والحاصل أن الذى كان يخفيه النبى صلى الله عليه وسلم- هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذى كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبنى، بأمر لا أبلغ منه وهو تزوج امرأة الذى يدعى ابنا، ووقوع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم، وإنما وقع الخبط فى تأويل متعلق الخشية. والله أعلم.

(١) كما رواه البخارى وأحمد والترمذى وغيرهم / ١٢ فتح.

(٢) رواه ابن جرير وغيره / ١٢.

الوحى لكتم " وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشـــاه "، **﴿وكفى باللهِ حسيبًا﴾**: كافيًا للمخاوف، **﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾** حتى يثبت بينه وبينه ما بين الوالد والولد من حرمة المصاهرة وغيرها، والمراد ولــده لا ولد ولده، وأما قاسم وإبراهيم وطاهر مع أهم لم يبلغوا مبلغ مبلغ الرجال، فما كـانوا من رجالهم، **﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾** أى : ولكن كان رسول الله، **﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّـينَ﴾**: آخرهم، وعيسى عليه السلام يترل بدينه مؤيدًا له، **﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًــا﴾** فهو أعلم حيث يجعل رسالته.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن

يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ۝ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ۝ ﴾

﴿يَاأَيُّهَا[1] الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا[2]﴾، فى الحديث (أكثروا ذكر الله حتى يقال مجنون)(*)، وعن ابن عباس رضى الله عنه: ما فرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حدًا معلومًا، ثم عذر أهلها فى حال العذر، غير الذكر، ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً﴾: أول النهار، ﴿وَأَصِيلاً﴾ وآخره خصوصًا، وعن بعض: المراد صلاة الصبح والعصر أو

---

(١) لما وعد بأنه أعد للذاكرين الله كثيرًا والذاكرات المغفرة والأجر العظيم وأثبت أنه بكل شيء عليم، أمر المؤمنين بالذكر فقال : " يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله " الآية/١٢ وجيز.

(٢) روى الإمام أحمد والترمذى، والطبرانى وابن ماجه "أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا فمرنا بأمر نتشبث به فقال : صلوات الله عليه وسلامه لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله"[صحيح، وانظر صحيح الجامع(٧٧٠٠)] / ١٢ وجيز.

(*) "ضعيف" انظر الضعيفة .

العصر والعشائين، ﴿هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾: يتعطف الله وملائكته عليكم ويترحمون، فإن استغفارهم تعطف سيما وهم مستجابوا الدعوة، ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾: من ظلمات الكفر والمعاصي، ﴿إِلَى النُّورِ﴾: نور الإيمان والطاعة، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا تَحِيَّتُهُمْ﴾ إضافة المصدر إلى المفعول، ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ فى الجنة أو عند الموت، ﴿سَلَامٌ﴾ أى : يسلم الله عليهم وعن قتادة تحية بعضهم بعضًا فى الدار الآخرة (سلام)، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾: الجنة ونعيمها، ﴿يَأَيُّهَا النَّبِى إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ لله بالوحدانية أو على الناس بأعمالهم فى القيامة، وهو على الثانى حال مقدرة، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين، ﴿وَنَذِيرًا﴾، للكافرين، ﴿وَدَاعِيًا﴾ للخلق، ﴿إِلَى اللَّهِ﴾: إلى توحيده وطاعته، ﴿بِإِذْنِهِ[1]﴾: بتيسيره قيد الدعوة به، إيذانًا بأنه أمر صعب لا يتيسر إلا بإعانته، ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾: بينًا أمره يستضاء به عن الجهالة، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عطف على محذوف، مثل: فراقب أحوال الناس، وصفه بخمسة أوصاف وحذف مقابل الأول لأن الباقى كالتفصيل له، فيكون وبَشّرْ فى مقابلة مبشرًا، ﴿بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا﴾ كتضعيف الحسنات، ﴿وَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ دم واثبت على ما أنت عليه، وهو مع قوله، ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾ مقابل لنذيرًا أى : دع إيذاءهم إياك اصبر عليها ولا تغتم به، أو إيذاءك إياهم ولا تجازيهم، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ مقابل لداعيًا، فإن من توكل على الله يسر عليه كل عسير، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: موكولاً إليه الأمور وهو مقابل لسراجًا فإن من جعله برهانًا جدير بأن يكتفى به، وجاز أن يكون دع فى مقابلة داعيًا، فإن الداعى للخلائق لابد له من الصبر، والمواساة حتى يتم له الأمر، وتوكل فى مقابلة سراجًا وكفى بالله تأييد وتأكيد

---

(١) بتيسيره وإعانته فإنه أمر صعب، يقال: البخيل غير مأذون فى الإنفاق، أى غير مسهل عليه/١٢ وجيز.

للتوكل، ﴿يَأَيُّهَا[1] الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ[2] طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾: تجامعوهن، ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾: تستوفون عددها، وقوله: (المؤمنات) تحريض على نكاحهن، وظاهر الآية إن العدة بعد الجماع لا بمجرد[3] خلوة، وأن الطلاق بعد النكاح، وعليه جمهور السلف، ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ بنصف الصداق إن كان لهن صداق، وإلا فالمتعة على قدر حاله، وعن بعض المتعة غير النصف وهو أمر ندب، وعن بعض أمر وجوب، ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾ من غير ضرار ومنع حق، ﴿يَأَيُّهَا[4] النَّبِىُ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِى آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ[5]﴾ : مهورهن وتعجيل إعطاء المهر سنة، ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ[6] اللَّهُ عَلَيْكَ﴾: مما غنمك الله من دار الحرب، ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ

---

(١) لما كان معقود تلك السورة بيان الأحكام وما وقع بينها متعلق بها، وحين تم حكم وما تعلق به يرجع إلى حكم آخر مناسب لما يليه، وأكثر أحكامها متعلق بالزواج والنساء، وكذلك ترى فيها تصريحًا باسمهن ما لم تر فى غير تلك السورة وجميع أحكامها متناسقة فقال : " يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات " الآية/١٢ وجيز.

(٢) لما كان العقد: رغبة، والطلاق: نفرة، والغالب أن يتخلل بينهما مهلة أتى بثم/١٢ وجيز.

(٣) وهذا فى المطلقة، لكن المتوفى عنها زوجها عليها العدة مسها أو لا، وحكم الكتابيات حكم المؤمنات، فقوله: " المؤمنات " تحريض على نكاحهن / ١٢ وجيز.

(٤) ولما بين بعض أحكام أنكحة سائر الخلق، أتبعه بذكر طرف من نساء النبى فقال : " يا أيها النبى " الآية / ١٢ وجيز

(٥) وهؤلاء فى مقابلة ما ملكه الله، والواهبات أنفسهن والسرارى / ١٢ وجيز.

(٦) غنمك الله من دار الحرب، وصفية وجويرية من ذلك فأعتقهما وتزوجهما وأما مارية وريحانة فمن السرارى / ١٢ وجيز.

وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ﴾ لا كالنصارى فإنهم لا يتزوجون امرأة بينه وبينها سبعة أجداد، ولا كاليهود يتزوج أحدهم ابنة أخيه وأخته، ﴿اللاَّتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ إلى المدينة لا يحل[1] له غير المهاجرات، وعن بعض معناه: اللاتى أسلمن، ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً﴾ دون غيرها، نصبها بأحللنا لأن معنى أحللنا قضينا أو أعلمنا حلها، فلا ينافى الماضى الشرط المستقبل، أو نقول أحللنا جواب الشرط بحسب المعنى والحقيقة، فهو أيضًا مستقبل، ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِى إِنْ أَرَادَ النَّبِى أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ أى: طلب نكاحها يعنى هبتها نفسها منه لا توجب حلها إلا بإرادته نكاحها، فإنها جارية مجرى القبول، عدل إلى الغيبة ثم إلى الخطاب بقوله:﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ للإيذان بأنه مما خص به لشرف النبوة والخطاب أدخل فى التخصيص، والاسم فى التعظيم والأصح أنه ينعقد فى حقه عليه السلام بلفظ الهبة من غير ولى وشهود ومهر، وعند بعض لا ينعقد فى حقه أيضًا إلا بلفظ الإنكاح واختصاصه فى ترك المهر فقط، ونصب خالصة على المصدر المؤكد لمضمون جملة "امرأة مؤمنة" إلخ، أو على الحال من ضمير "وهبت" أوتقديره: هبة خالصة لك، ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِى أَزْوَاجِهِمْ﴾، من حصرهم فى أربع نسوة واشتراط عقد ومهر وشهود، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾، من توسيع الأمر فيها، ﴿لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾، متعلقه خالصة أى: اختصصتك بأشياء فى التزوج لئلا يكون عليك ضيق فقوله: " قد علمنا " إلى " أيمانهم " معترضة بين خالصة ومتعلقها، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ للزلات، ﴿رَّحِيمًا﴾ بالتوسعة، ﴿تُرْجِي﴾: تؤخر، ﴿مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾: من نسائك ومن الواهبات، ﴿وَتُئْوِي﴾: تضم، ﴿إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ﴾: من نسائك والواهبات، يعنى: أنت بالخيار فى أمرهن قد

---

(١) كما فى حديث الترمذى وغيره[وسنده ضعيف، فإنه من رواية السدى عن أبى صالح]/ ١٢ وجيز.

حط عنك القسم فلا يجب عليك[1] بعد، وفى أمر الواهبات إن شئت قبلت وإن شئت رددت، ﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ﴾: طلبت وأردت إصابتها، ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾: من النساء اللاتى عزلتهن عن القسمة، ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ فى ذلك، ﴿ذَلِكَ﴾ التفويض إلى مشيئتك من غير وجوب القسم، ﴿أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلاَ يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ أى : أقرب إلى قرة عيونهن، وقلة حزنهن ورضاهن جميعًا، فإنه إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج فى القسم، ثم مع هذا أنت تقسم لهن اختيارًا فرحن به، وحملن جميلتك فى ذلك واعترفن بعدلك وكمال إنصافك فى قسمك، وإن رجحت بعضهن علمن أنه بفسحة من الله لك ورضاه، فتطمئن[2] نفوسهن، وعن بعض معناه تطلق من تشاء منهن، وتمسك من تشاء، ومن ابتغيت ممن طلقت بالرجعة فلا إثم، والتفويض إلى رأيك أقر لرضاهن، لأنك لو لم تطلقهن حملن فى ذلك جميلتك " وكلهن " تأكيد لفاعل "يرضين"، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ من الميل إلى بعضهن مما لا يمكن دفعه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ فلا يؤاخذكم بما فى قلوبكم، ﴿لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾، من بعد هؤلاء التسع فلا يجوز لك العشرة فما فوقها، ﴿وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾: بأن تطلق واحدة من هؤلاء وتتزوج بدلها أخرى، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ[3]﴾ أى : مفروضًا إعجابك بهن، حال من فاعل تبدل، وعن

---

(١) وذلك أشهر الأقوال فى الآية وأصحها كما قاله القرطبى وقال ابن عباس : تطلق من تشاء، وتمسك من تشاء / ١٢ كمالين.

(٢) واتفقت الروايات على أنه صلى الله عليه وسلم راعى القسم إلى وفاته وأخذ بالفضل، غير ما جرى لسودة فإنها وهبت ليلتها لعائشة لئلا يطلقها، فتكون محشورة بين نسائه/١٢.

(٣) وفى الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء، ويؤيده ما روى عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل) أخرجه أبو داود[حسن، وانظر صحيح الجامع] / ١٢ فتح.

كثير من السلف: لما خيرن بين الدنيا والآخرة فاخترن الآخرة كما تقدم جـــازاهن الله بتحريم التزويج لغيرهن، ثم نسخ حكم هذه الآية كما دل عليه الأحاديث الصحــــــاح وأباح[1] له التزوج أى عدد أراد لكن لم يقع منه بعد ذلك لتكون المنة له عليه الســلام وعن بعض معناه: لا يحل لك النساء من بعد الأجناس الأربعة التى مر ذكرها فى قولـه: " إنا أحللنا " الآية، فلا يحل له عربية غير بنات عمه وعماته وخاله وخالاته، ولا غـــير مهاجرة وإن كانت قريبة، ولا غير مؤمنة فقولة " ولا أن تبدل بهن " على هذا تــأكيد بخلافه فى المعنى الأول، ﴿إِلاَّ مَا مَلَكَتْ[2] يَمِينُكَ﴾ استثناء متصل من النساء المتنــاول للأزواج والإماء، أو منقطع، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ فلا تتخطوا عمــــا حد لكم.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن

(١) كما صرحت بذلك عائشة كما روى الإمام أحمد والترمذى والنســـائى فى ســـننيهما عنها/ ١٢ وجيز. وأخرج أحمد والترمذى فى صحيحه والنسائى والحاكم وصححـــه، عن عائشة قالت: (لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له أن يـتزوج من النساء ما شاء إلا ذات محرم لقوله " ترجى من تشاء منهن " الآية، وعن ابن عباس رضى الله عنه مثله / ١٢ فتح.

(٢) وقد ملك صلى الله عليه وسلم بعدهن مارية القبطية أهداها له المقوقس ملك القبـــط، وهم أهل مصر والإسكندرية، وولدت له إبراهيم فى ذى الحجة سنة ثمان، ومــات فى حياة أبيه، وله سبعون، يومًا وقيل: سنة وعشرة أشهر / ١٢ فتح.

وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾

﴿يَاأَيُّهَا[١] الَّذِينَ آمَنوا لاَ تَدْخُلُوا[٢] بُيُوتَ النَّبِى إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ أى : إلا وقت أن يؤذن لكم أو إلا مأذونًا، أو إلا بأن يؤذن لكم، ﴿إِلَى طَعَامٍ﴾ متعلق بيؤذن لتضمينه معنى يدعى، ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾: غير منتظرين إدراكه أو وقته، حال من ضمير لكم، نهى عن جميع الأوقات إلا وقت وجود الإذن المقيد، يعنى : لا ترقبوا طبخ الطعام حتى إذا قارب الاشتواء تعرضوا للدخول فإنه مذموم، ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾: اخرجوا من بيته ولا تمكثوا فيه، ﴿وَلاَ مُسْتَئْنِسِينَ

---

(١) لما بين ما تجب مراعاته عليه من حقوقهن، شرع يبين ما تجب رعايته على الناس من حقوق نساء النبى صلى الله عليه وسلم، فقال : " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى " الآية / ١٢ فتح.

(٢) هذا الأمر بعد ضرب الحجاب بقوله: "وقرن فى بيوتكن" / ١٢ وجيز.

﴿لِحَدِيثٍ﴾ أي : لحديث بعضكم بعضًا عطف على ناظرين، **﴿إِنَّ ذَلِكُمْ﴾** المكث، **﴿كَانَ يُؤْذِى النَّبى فَيَسْتَحْيِى مِنكُمْ﴾**: من إخراجكم، **﴿وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِى مِنَ الحَقِّ﴾** أي : الله لا يمتنع ولا يترك الحق ترك الحيى منكم، يعني: إن إخراجكم حق ينبغي أن لا يتسحيى منه، نزلت[١] حين تزوج زينب، وأولم، فلما طعموا جلس ثلاثة منهم متحدثين، فخرج عليه السلام من مترله ثم رجع ليدخل وهم جلوس، وكان عليه السلام شديد الحياء فرجع، **﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾**: حاجة، **﴿فَاسْأَلُوهُنَّ﴾** المتاع، **﴿مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾**، أي : ستر، هذه آية الحجاب نزلت فى ذى القعدة من السنة الخامسة أو الثالثة من الهجرة، **﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾** من وساوس الشيطان والريبة، **﴿وَمَا كَانَ﴾**: ما صح، **﴿لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾** بوجه، **﴿وَلاَ أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾** نزلت فى رجل من الصحابة هم أن ينكح بعض نسائه إن قبض، واختلف فى المطلقة بعد الدخول، هل تحل؟ على قولين، أما مطلقته قبل ادلخول فلا نزاع فى حلها، **﴿إِنَّ ذَلِكُمْ﴾** إيذاءه ونكاح نسائه، **﴿كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا إِن تُبْدُوا شَيْئًا﴾** كنكاحهن على ألسنتكم، **﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾**، فى صدوركم، **﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾**، قيل: لما نزلت آية[٢] الحجاب قال رجل : ما لنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا، فترل قوله: "إن تبدوا شيئًا" الآية، **﴿لاَ جُنَاحَ﴾** لا إثم، **﴿عَلَيْهِنَّ فِى آبَائِهِنَّ وَلاَ أَبْنَائِهِنَّ وَلاَ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ﴾** أي : فى ألا يحتجبن من هؤلاء سئل عكرمة والشعبي: عن سبب ترك ذكر العم والخال؟ فقالا : لأنهما يصفاها لبنيهما، وقيل: لأنهما بمترلة الوالدين فلاحاجة، **﴿وَلاَ نِسَائِهِنَّ﴾** أي : المؤمنات، **﴿وَلاَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾**:

(١) كما فى الصحيحين / ١٢ وجيز.

(٢) ذكره محيى السنة رضى الله عنه/ ١٢ منه.

من العبيد والإماء، وقد مر بسطه فى سورة النور، ﴿وَاتَّقِينَ اللَّهَ﴾ فى السر والعلانية، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ لا يخفى عليه شيء ﴿إِنَّ اللَّهَ[1] وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾: يترحمونه ويعظمونه، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا[2]﴾ قولوا: اللهم صل على محمد وسلم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ[3] اللَّهَ﴾ فينسبون إليه ما لا يليق بكبريائه كقولهم: " يد الله مغلولة"(المائدة:٦٤)، ﴿وَرَسُولَهُ﴾ بالطعن فيه وفيما يتعلق به، أو المراد من إيذائهما فعل مايكرهانه، ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: أبعدهم من رحمته، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾، يعنى: عذابًا جسديًّا وروحانيًّا، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾: بغير جناية واستحقاق للأذى، ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ عن مقاتل : نزلت فى الذين يؤذون على بن أبى طالب، ويسبونه، وفى الترمذى "قيل : يا رسول الله ما الغيبة؟، قال: (ذكرك أخاك بما يكره) قال: أفرأيت إن كان فيه ما أقول ؟ قال : (إن كان فيه فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته[*])".

---

(١) ولما كان أكثر الآيات المذكورة دالة على شرف نبى الله صرح بما تضمنه فقال: "إن الله وملائكته يصلون على النبي" أى : إن الله يذكر نبيه بالثناء والتبجيل، وملائكته يسألون من ربهم ثناء رسوله وتعظيمه، ولا شك أن هذا الطلب منهم عين الثناء والتعظيم / ١٢ وجيز.

(٢) عظموا أنتم نبيكم بأن تطلبوا من فضل الله مزيد ثناءه وتنويه قدره فعلى هذا لا اشتراك ولا جمع بين الحقيقة والمجاز، وعند أكثر أهل العلم الصلاة والسلام عليه فرض غير محدود بوقت، وسقوط الفرض بالصلاة عليه فى عمره مرة، أما عند الشافعى وأصحابه فواجبة فى تشهد الصلاة لا غير / ١٢ وجيز.

(٣) فى الصحيحين يقول الله عز وجل: "يؤذينى ابن آدم ويسب الدهر وأنا الدهر أقلب ليله ونهاره" ومعناه كما أورده الشافعى وغيره، أن أهل الجاهلية كانوا يقولون: يا خيبة الدهر، فعل بنا كذا وكذا، وينسبون أفعال الله إليه ويسبونه، وإنما الفاعل لذلك الله/١٢ منه.

(*) صحيح أخرجه أبو داود وغيره، وانظر غاية المرام .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾

﴿يَأَيُّهَا النَّبِى قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾ الجلباب: رداء فوق الخمار تستر من فوق إلى[1] أسفل، يعنى يرخينها عليهن ويغطين وجههن وأبدانهن، **﴿ذَلِكَ أَدْنَى﴾**: أقرب، **﴿أَن يُعْرَفْنَ﴾** أنهن حرائر ويميزن من الإماء، **﴿فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾** بالتعرض لهن، كان ناس من الفساق يتعرضون للإماء حين كانت تخرجن فى الليالي، فأمرت الحرائر بإرخاء الجلباب لتتميز الحرائر من الإماء، **﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً﴾** لما سلف من ترك التستر، **﴿رَّحِيمًا﴾** بعباده حيث يأمرهم بجزئيات مصالحهم، **﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾**: عن نفاقهم، **﴿وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم**

(١) صرح بذلك السلف / ١٢ وجيز.

﴿مَّرَضٌ﴾: ضعف إيمان، وهم الزناة عن فجورهم، ﴿وَالْمُرْجِفُونَ﴾: المخبرون على غير حقيقة عن فعلتهم، ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ وهم الذين يخبرون عن سرايا المسلمين بأخبار[1] سوء، ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: نسلطنك عليهم ونأمرنك بقتالهم، ﴿ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا﴾: فى المدينة عطف على لنغرينك بثم، كأنه قال : لئن لم ينتهوا ليحصل لهم خطبان، عظيمان الثانى أعظم عليهم فإن الجلاء من الأوطان أعظم المصائب، ﴿إِلا قَلِيلًا﴾: زمانًا قليلاً وذلك بأن يضطروا إلى الجلاء، ﴿مَلْعُونِينَ﴾ نصب على الذم، وقيل: حال من فاعل يجاورون بأن دخل إلا على الظرف والحال معًا يعنى : لا يجاورن فى زمن من الأزمنة وفى حال من الأحوال إلا قليلاً ملعونين وفيه ضعف، ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾: وجدوا، ﴿أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾ وهذا الحكم فيهم على جهة الأمر، وكأن المنافقين والفجار والمرجفين كانوا قومًا واحدًا هم المنافقون، ذكرهم الله بثلاث خصائلهم(*)، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أى : سن الله سنته، ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ فى الذين ينافقون الأنبياء، أن يقتلوا حيث وجدوا، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾: تغييرًا، فإنه لا يغير سنته، ﴿يَسْأَلُكَ[2] النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾: عن وقت قيامها؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾ لم يطلع عليه أحدًا، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾: أى شيء يعلمك وقتها، ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾، تذكير قريبًا لأن الساعة بمعنى اليوم، أو لأنه صفة محذوف،

---

(١) كانوا يخبرون عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم كسروا وقتلوا، وجرى عليهم كيت وكيت، وفى المدينة يحتمل تعلقه بالأخير، وبالثلاثة على سبيل التنازع / ١٢ وجيز.

(*) وفى النسخة (ن): خصائل لهم.

(٢) ولما ذكر خصائص المنافقين وبئيس أمرهم، وأن حكمهم كحكم من قبلهم، تعرض بشيء من قبائحهم مثل قبائح الذين خلوا، فقال : " يسألك الناس عن الساعة " سخرية وتعجبًا واستخفافًا، كما كان الأولون يسألون عن أنبيائهم / ١٢ وجيز.

أى: شيئًا أو زمانًا قريبًا، أو لأنه بوزن فعيل الذى يستوى فيه الصيغ، ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا**[1]﴾: نارًا شديدة الإيقاد، ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا**﴾: يحفظهم، ﴿**وَلَا نَصِيرًا يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ**﴾: تصرف من جهة إلى جهة كلحمة تدور فى القدر إذا غلت، أو المراد طرحها فى النار مقلوبين منكوسين، ﴿**يَقُولُونَ**﴾ هو ناصب يوم: ﴿**يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وأَطَعْنَا الرَّسُولاْ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا**﴾: هم الذين لقنوهم الكفر، ﴿**فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ**﴾ أى : من عذابنا، أومن هذا العذاب الذى عذبتهم به، فإنهم أحقاء لزيادة لعذاب، ﴿**وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا**[2]﴾: هو أشد اللعن وأعظمه.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾

---

(١) ولما بين حالهم فى الدنيا، أنهم ملعونون مهانون مقتولون، عقبه بحالهم فى الآخرة فقال : " إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرًا " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) فإنهم ضلوا وأضلوا عبادك، ولما كان المنافقون وبعض المؤمنين آذوا رسول الله بأنه تزوج زوجة ابنه وبغير ذلك، أنزل الله تعالى قوله : " يا أيها الذين أمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى " الآية / ١٢ وجيز.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾ حين نسبوه إلى برص وأدرة لفرط تستره[1] حياء، أوحين نسبوه إلى قتل أخيه هارون[2]، ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾، بأن أظهر براءته من مضمون مقولهم مؤداه بمعجزة، ﴿وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ ذا وجاهة ومنزلة، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾: قاصدًا إلى الحق عدلاً صوابًا، ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ بالقبول يعنى يتقبل حسناتكم أو يوفقكم للأعمال الصالحة، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ فإن حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير، ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا[3]﴾، أظفر بالخير كلـــه، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ[4]﴾، الطاعة والفرائض، ﴿عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

---

(١) رواه البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعًا / ١٢.

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن على بن أبي طالب رضى الله عنه.

(٣) لما أرشد إلى ما أرشد من ترك الأذى واتقاء الله وسداد القول، ورتب على الطاعة ما رتب، أراد أن يبين أن ما كلفه الإنسان أمر عظيم لا يتبع إلا من له وجاهة ورتبة فقال: " إنا عرضنا الأمانة " الآية / ١٢ وجيز.

(٤) قال القرطبي: الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور، وقد اختلف فى تفاصيل بعضها، فقال ابن مسعود: هى أمانة الأموال كالودائع وغيرها، وقال أبو الدرداء: غسل الجنابة أمانة، وقال السدى: هى ائتمان آدم ابنه قابيل على ولده هابيل وخيانته إياه، فى قتله وما أبعد هذا القول، وليت شعرى ما هو الذى سوغ للسدى تفسير هذه الآية بهذا، فإن كان ذلك لدليل دله على ذلك فلا دليل، وليست هذه الآية حكاية عن الماضى من العباد حتى يكون له فى ذلك متمسك فهو أبعد من كل بعيد وأوهن من بيت العنكبوت، وإن كان تفسيره هذا عملاً بما تقتضيه اللغة العربية، فليس فى لغة العرب ما يقتضى هذا ويوجب حمل هذه الأمانة المطلقة على شيء كان فى أول هذا العالم، وإن كان هذا تفسيرًا منه بمحض الرأي، فليس الكتاب العزيز عرضة لتلاعب آراء الرجال به، ولهذا ورد الوعيد على من فسر=

﴿وَالْجِبَالِ﴾ ، بأن قلنا لهن : هل تحملن الأمانة وما فيها ؟ قلن بعد أن أنطقهن[1] الله : وأى شيء فيها ؟، قلنا : إن أحسنتن أثبناكن، وإن أسأتن عوقبتن[2]، قلن : لا طاقة لنا ولا نريد الثواب، ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾: خفن، ﴿مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ﴾: آدم لما عرضنا عليه، ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه بتحمله ما يشق عليها، ﴿جَهُولاً﴾ بوخامة[3] عاقبته، عن كثير من السلف: ما كان بين قبول الأمانة، وبين خطيئته إلا قدر ما بين العصر إلى الليل، ذكر الزجاج وبعض العلماء أن الأمانة فى حق السماوات والأرض والجبال الخضوع والانقياد لمشيئة الله وإرادته، وفى حق بنى آدم الطاعة والفرائض، ومعنى "أبين أن يحملنها" على هذا: أدين الأمانة و لم يخن فيها، وخرجن عن عهدتها، وحملها الإنسان خان فيها وماخرج عن عهدتها، يقال: فلان حامل الأمانة ومحتملها، أى لا يؤديها إلى صاحبها، وقد نقل عن الحسن مثل ذلك، والظلومية والجهولية باعتبار الجنس، قال الإمام الرازى: أى من شأنه الجهل والظلم،

= القرآن برأيه، فاحذر أيها الطالب للحق عن قبول مثل هذه التفاسير، واشدد يديك فى تفسير كتاب الله على ما تقتضيه اللغة العربية فهو قرآن عربى كما وصفه الله، فإن جاءك التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تلتفت إلى غيره، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، وكذلك ما جاء عن الصحابة رضى الله عنهم فإنهم من جملة العرب ومن أهل اللغة وممن جمع الى اللغة العربية العلم بالاصطلاحات الشرعية، ولكن إذا كان معنى اللفظ أوسع مما فسروه به فى لغة العرب، فعليك أن تضم إلى ما ذكره الصحابى ما تقتضيه لغة العرب وأسرارها، فخذ هذه الكلية تنتفع بها/ ١٢ فتح.

(١) هذا كلام أكثر السلف، وهو غير مستحيل كحنين الجذع وتسبيح الحصى وغير ذلك/ ١٢ وجيز.

(٢) وعن عظماء السلف أنهن ضججن إلى الله ثلاثة أيام قائلات: لا طاقة لنا بالعمل/١٢ وجيز.

(٣) وخامة: ثقالة / ١٢ وجيز.

كما تقول: الماء طهوروالفرس جموح، ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَات وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ تعليل للعرض يعني عرضناها ليظهر نفاقهم فيعذبهم ويظهر إيمانهم فيتوب عليهم، ويعود بالرحمة والغفران عليهم إن حصل منهم تقصير وللإشارة إلى تقصير الأكثرين، قال: "ويتوب الله" أو تعليل للحمل واللام للعاقبة، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيمًا﴾، حيث يقبل التوبة ويثيب.

والحمد لله على لطفه وفضله.

سورة سبأ مكية

قيل إلا قوله: "ويرى الذين أوتوا العلم" الآية

وهي أربع وخمسون آية وست ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ﴾ كلها[*] منه نعمة وفضلا، فهو الحقيق بالحمد وحده فى الدنيا، ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِى الْآخِرَةِ﴾ لأن ما فى الآخرة أيضًا خلقه، وهم[*] المنعم عليه فيها بلا وساطة أحد، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل، ﴿فِى الأَرْضِ﴾: كالدفائن والأموات والبذور، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: كالحيوان والنبات، ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾، كالمطر والملك والأرزاق، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ كالملك والأعمال الصالحة، ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾: للمقصرين فى شكر تلك النعم، ﴿وَقَالَ[1] الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾: القيامة، إنكارًا للبعث، ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي﴾ إثبات لما نفوه بآكد وجه، ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾: الساعة، ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾، بالجر صفة ربي، وبالرفع على تقدير هو عالم وصفه بهذه من بين الصفات لأن الساعة من أدخل المغيبات فى الخفية، ﴿لا يَعْزُبُ﴾: لا يبعد، ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى السَّمٰوَاتِ وَلا فِى الأَرْضِ﴾: مقدار أصغر نملة، ﴿وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هو كلام منقطع عما قبله بالرفع، أو الفتح كلا حول ولا قوة إلا بالله، ﴿لِيَجْزِيَ﴾: الله، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ متعلق بقوله: "لتأتينكم[2]" ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: فى الجنة بلا تعب ومنة، ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِى آيَاتِنَا﴾: بالإبطال، ﴿مُعَاجِزِينَ﴾:مفوتين على زعمهم يحسبون أنهم يفوتوننا، ﴿أُولَئِكَ

(*) فى النسخة ن: كله.

(*) فى النسخة ن: وهو.

(١) لما ذكر تلك الأمور البدائع من خلقه وأثبت العلم الواسع له، فليس لأحد أن ينكر شيئًا من بدائعه التى أخبر بها، فقال على سبيل التعجب:"وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة"/١٢وجيز.

(٢) أي: الساعة ليجزي، وقيل لا يعزب ليجزى، والأول أولى وإن كان الثانى أقرب، وما ذلك إلا حجة ساطعة فى صدق ما أقسم عليه لأنه مركوز فى العقول ثبوت الجزاء والعقاب للمحسن والمسيء، فكأنه تعليل لتأتينكم/١٢وجيز.

لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ﴾: سيئ العذاب، ﴿أَلِيمٌ[١]﴾: مؤلم، ﴿وَيَرَى﴾: يعلم، ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، كمؤمنى أهل الكتاب، أو كالصحابة ومن تبعهم، ﴿الَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن، ﴿هُوَ الْحَقَّ﴾، ثانى مفعولى يرى والضمير فصل، وقراءة الرفع على أهما مبتدأ وخبر والجملة ثانى مفعوليه، قيل ويرى عطف على ليجزى أي: ليرى أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق عيانًا كما علموه الآن برهانًا، ﴿وَيَهْدِي﴾: القرآن، أو الذين أوتوا العلم، ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ هو دين الإسلام، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ[٢] كَفَرُوا﴾ أي: بعضهم لبعض، ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾ يعنون أصدق الصادقين -عليه الصلاة والسلام ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾: يحدثكم بمحال عجيب، ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: فرقتم وقطعتم كل تفريق وتقطيع ولما كان ما بعد إن لا يعمل فيما قبله فعامل إذاً محذوف يدل عليه قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: تنشأون خلقًا جديدًا بعد أن تكونوا ترابًا، ﴿أَفْتَرَى﴾ أي: أفترى، ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: اختلق عليه قاصدًا للكذب، ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾: فيتفوه بما لا يعقله وجاز أن تكون منقطعة كأهم قالوا: دعوا حديث الافتراء فإن هاهنا ما هو أهم منه فإن العاقل لا يفترى المحال، بل جنونه يوهمه ذلك، ﴿بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ[٣] بِالْآخِرَةِ فِى الْعَذَابِ وَالضَّلالِ الْبَعِيدِ﴾: عن الصواب ولذلك يترددون فى أنه مفتر أو مجنون، ولولا ذلك لعلموا أنه أصدق وأعلم الصادقين والعالمين وصف الضلال بما هو صفة للضال حقيقة للإسناد

---

(١) صاحب ألم، كان الرجز أو العذاب من شدته صاحب ألم فما حال المعذب به؟!/١٢وجيز.

(٢) بعد ما أنكروا مجيء الساعة وقالوا لا تأتينا الساعة قال بعضهم لبعض على سبيل التعجب والتعجيب "هل ندلكم على رجل" يعنون أصدق الصادقين عليه الصلاة والسلام ونكروا اسمه، وهو أعرف اسم فى الأرض والسماء كأهم لا يعرفونه/١٢وجيز.

(٣) أضرب تعالى عن مقالتهم والمعنى: ليس للرسول مثل ما نسبتم إليه، بل أنتم فى العذاب والضلال البعيد/١٢وجيز.

المجازي، ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: أعموا فلم ينظروا إلى أن السماء والأرض محيطتان بهم لا يستطيعون الخروج من أقطارهما و لم يخافوا أن نخسف بهم أو نسقط عليهم قطعة من السماء لكفرهم؟ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: فيما يرون من السماء والأرض، ﴿لَآيَةً﴾: دلالة، ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ[1]﴾: راجع إلى ربه مطيع لكثرة تأمله.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ

---

(١) ولما ذكر إنكارهم البعث لأنه مستحيل عندهم ذكرهم بأشياء كل منها مستحيل عادة بعضها اتفقت به أخبارهم ونطقت به أشعارهم، ومن اعترف بثبوته و لم يعترف بالبعث مع أنه اتفق عليه ألسنة الصادقين بالأدلة الواضحة مع البينات الظاهرات من المعجزات فما هو إلا معاند قليل الحياء، فقال:"ولقد آتينا داود منا فضلا" الآية/١٢-١٢وجيز.

وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً﴾ جمع له بين النبوة والملك والجنود والمعجزات الظاهرة، **﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾** أي: قلنا يا جبال رجعي معه التسبيح، أو النوحة أي: سبحي معه إذا سبح بدل من "آتينا" **﴿وَالطَّيْرَ﴾**، عطف على محل جبال أو مفعول معه لأوبي كان إذا سبح تسبح معه الجبال والطير وتجاوبه بأنواع اللغات، **﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾**: كالطين والشمع يصرفه بيده من غير نار ولا ضرب مطرقة، **﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾** أي: أمرناه أن اعمل دروعًا واسعات، **﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ[1]﴾**: لا تجعل المسامير دقاقًا ولا غلاظًا قيل أي: قدر في نسجها تناسب حلقها فإن دروعه لم تكن مسمرة، **﴿وَاعْمَلُوا﴾** أي: داود وآله، **﴿صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**: فلا يضيع عملكم، **﴿وَلِسُلَيْمَانَ﴾** أي: وسخرنا له، **﴿الرِّيحَ﴾**، وقراءة رفع الريح على تقدير

---

(١) والسرد: نسج الدورع/١٢.

ولسليمان الريح مسخرة، ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾: مسيرها بالغداة إلى انتصاف النهار مسيرة شهر وبالعشى كذلك ففى اليوم الواحد تجرى مسيرة شهرين، ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾: أسال معدن النحاس فينبع كما ينبع الماء من العين، ﴿وَمِنَ الْجِنِّ﴾، حال متقدمة أو خبر لقوله: ﴿مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، والجملة عطف على الريح، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾: بأمره، ﴿وَمَنْ يَزِغْ﴾: يعدل، ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾: الذى هو طاعته، ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ يدركه الصاعقة فتحرقه أو المراد عذاب الآخرة، ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ﴾، البناء الرفيع والمساجد والقصور، ﴿وَتَمَاثِيلَ﴾: صور الملائكة والأنبياء واتخاذها مباح فى شريعتهم، ﴿وَجِفَانٍ﴾، جمع جفنة أي: قصعة، ﴿كَالْجَوَابِ﴾، جمع جابية وهى الحوض الكبير، ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾: ثابتات كالجبال أثافيها منها قيل كان يأكل فى جفنة ألف رجل ﴿اعْمَلُوا[1]﴾ حكاية ما قيل لهم، ﴿آلَ[2] دَاوُدَ شُكْرًا﴾ أي: الجن يعملون لكم فاعملوا أنتم شكرًا، والشكر على ثلاثة أضرب بالقلب وباللسان وبالجوارح فقال:

---

(١) وإنما قال اعملوا لينبه على التزام جميع أنواع الشكر فإن فى قوله عليك بإعمال الفكر مبالغة ليس فى قولك تفكر فى تلك المسألة، وكان عليه السلام لا يشبع قط من خبز الشعير ولا يطعم ألذ الأطعمة/١٢وجيز.

(٢) أي: قلنا لهم اعملوا يا آل داود شكرًا له على ما آتاكم وسئل الجنيد عن الشكر فقال: بذل المجهود بين يدى المعبود، ثم بين بعد أمرهم بالشكر أن الشاكرين له من عباده ليسوا بكثير، فقال: "وقليل من عبادى الشكور" وقال ابن عباس يقول: قليل من عبادى الموحدين توحيدهم، والشكور المتوفر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادًا واعترافًا، وقد جاء عن داود عليه السلام أنه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلى/١٢فتح.

"اعملوا" لينبه على التزام الأنواع الثلاثة أو مصدر لاعملوا لأن فيه معنى اشكروا، أو معناه اعملوا طاعة الله للشكر أو شاكرين، **﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِى الشَّكُورُ﴾**: المبالغ الباذل وسعه فيه، **﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾** أي: على سليمان، **﴿الْمَوْتَ[1] مَا دَلَّهُمْ﴾** أي: الجن، **﴿عَلَى مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ﴾**: الأرضة، **﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾**: عصاه، **﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾**: سليمان، **﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيبَ مَا لَبِثُوا فِى الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾**، كان من عادته أنه يعتكف فى مسجد بيت المقدس سنة وسنتين وأقل وأكثر، فلما علم قرب أجله قال: اللهم غم موتى على الجن حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، ثم دخل المحراب واتكأ على عصاه وقبضه ملك الموت والجن يرونه قائمًا يحسبونه حيًّا وهم فى أعمالهم الشاقة، فلما أكلت الأرضة عصاه خر سليمان فعلمت الجن أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة نحوًا من سنة فشكرت الجن الأرضة فهم يأتونها بالماء والطين فى أى موضع[2] هى فيه، وتبين إما بمعنى ظهر لازم فيكون أن مع صلتها بدل اشتمال من الجن كما تقول تبين زيد جهله أي: ظهر جهل الجن للإنس، وإما متعدٍ أي: علموا أنهم كانوا كاذبين فى ادعاء علم الغيب، ولو علموا

---

(١) أي: أنفذنا عليه ما قضينا فى الأزل من الموت وأوقعناه عليه/١٢وجيز.

(٢) كذا روى ابن أبى حاتم عن ابن عباس وغيره هذا ما فى الوجيز وبمعنى هذه القصة نقل صاحب الفتح وعزاها إلى البزار، وابن جرير، وابن المنذر والطبرانى وابن السنى وغيرهم ذكر أهل التاريخ أن سليمان ملك، وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقى فى الملك مدة أربعين سنة، وشرع فى بناء بيت المقدس لأربع سنين مضين فى ملكه، وتوفى وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وقيل إن داود أسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى، فمات قبل أن يتمه فوصى به إلى سليمان فأمر الشياطين بإتمامه، فلما بقى من عمره سنة سأل ربه أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا عنه ولتبطل دعواهم علم الغيب/١٢فتح.

لعلموا موته حين وقع فلم يلبثوا فى الأعمال الشاقة التى هى العذاب المهين بعد مـــدة، ﴿لَقَدْ[١] كَانَ لِسَبَإٍ﴾: اسم قبيلة، ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾: موضع سكناهم، وهو باليمن أو مسكن كل واحدٍ منهم، ﴿آيَةٌ[٢]﴾: دالة على وجود قادر مختار علـــى مـــا يشـــاء، ﴿جَنَّتَانِ﴾، بدل من آية أو خبر محذوف هو هي، ﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ أي: جماعتـان من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها، وكل واحدة منهما فى تقاربهـــا وتضامها كأنها جنة واحدة والآية قصتهما، ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَـهُ﴾، حكاية ما قال لهم الأنبياء أو لسان الحال، ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾، كانت أرخص البلـــدان أو أطيبها فى الهواء، و لم يكن فيها ذباب ولا شيء من الهوام، ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾: لمن شكره استئناف لبيان موجب الشكر أي: هذه بلدة طيبة، وربكم الـــذى رزقكـــم وطلـــب شكركم رب غفور، ﴿فَأَعْرَضُوا﴾: عن الشكر إلى عبادة الشمس، وكذبوا الأنبيـــاء[٣] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ العرم: الوادى أو الماء الغزير أو الصعب أو الجرذ، وهو نوع من الفأر الذى نقب عليهم السد ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَـــى أُكُـــلٍ خَمْطٍ﴾: أراك[٤] قيل: كل شجر ذى شوك أو كل نبت مر فهو خمط، والأكل الثمـــر وأصله أُكُلِ أُكُلِ خَمْطٍ فأقيم المضاف إليه مقام المضاف، ﴿وَأَثْلٍ﴾ هـــو الطرفـــاء أو

---

(١) ولما ذكر سبحانه حال بعض الشاكرين لنعمه عقبه بحال بعض الجاحدين الكافرين لهـــا تذكرة لقريش وعبرة وموعظة لكل من سمعه فقال: "لقد كان لسبأ" الآيـــة/كـــذا فى الوجيز والفتح/١٢.

(٢) وأما الآية فما هى إلا قصتهم من إعراضهم عن الشكر وخراب ديارهم/١٢وجيز.

(٣) عن وهب أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبيًا وقال السدي: اثنى عشر ألـــف نـــبى فـــالله أعلم/١٢منه.

(٤) فسره بالأراك جماعة من مشاهير السلف كابن عباس -رضى الله عنه- والحسن وقتـادة والسدى الكبير/١٢منه.

شجر يشبهه عطف على أكل، فإن الأثل لا أكل له، ﴿وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ هو أجود أشجارهما وتسمية البدل جنة للمشاكلة، وفيه من التهكم، كان قدام قريتهم سد عظيم يجتمع خلفه الماء فيستعملونه على قدر حاجتهم، فلما كذبوا الرسل سلط الله عليه الجرذ فنقبه وغرقهم، ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾: بكفرهم أو بكفرانهم ﴿وَهَلْ نُجَازِي[1] إِلا الْكَفُورَ﴾: هل يعاقب إلا البليغ فى الكفر، أو الكفران أو هل نجازى بمثل هذا الجزاء إلا الكفور، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾، هى قرى الشام، ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾: متواصلة يرى بعضها من بعض بحيث أن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل ماء وزاد، ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾: بحيث يقيلون من اليمن إلى الشام فى قرى ويبيتون فى أخرى، ﴿سِيرُوا﴾ أي: قلنا لهم: سيروا، ﴿فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾: لما مكنوا من السير فى رغدٍ وأمن كأنهم أمروا بذلك وأذن لهم إن شاءوا فى الليل، وإن شاءوا فى النهار فإن الأمن فى كلا الوقتين حاصل، ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾، لما بطروا النعمة وملوا العافية طلبوا مفاوز يحتاجون فى قطعها إلى زاد ورواحل وسيرٍ فى حرور ومخاوف ويمكن أن يكون ذلك لئلا يتمكن الفقراء من تلك السفرة، فيتطاولون عليهم وهذا كما طلب بنو إسرائيل الفوم والعدس بدل المن والسلوى، ﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بالبطر، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾: لمن بعدهم فصاروا ضرب مثل يقال: تفرقوا أيدى سبأ، ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ﴾: فرقناهم فى الأرض، ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: كل تفريق بعض إلى الشام، وبعض إلى عمان، وبعض إلى العراق، وهكذا، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾: عن المعاصي، ﴿شَكُورٍ﴾: على النعم وهو المؤمن

---

(١) والحاصل أن الله سبحانه عدد عليهم النعم، ثم ذكر ما نزل بهم من النقم، ثم عاد لتعديد بقية ما أنعم به عليهم مما هو خارج عن بلدهم من اتصال القرى بينهم وبين ما يريدون السفر إليه، ثم ذكر بعد ذلك تبديله بالمفاوز والبرارى كما سيأتي/١٢فتح.

فإنه إذا أعطى شكر وإذا ابتلى صبر، ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أي: حقق ظنه فيهم، وأما على قراءة تخفيف الدال فبتقدير فى ظنه أو يظن ظنه نحو فعلته جهدك أو لأن صدق نوع من القول عدى إليه بنفسه كصدق وعده، وكلام السلف دال على أن ضمير عليهم لبنى آدم لا لأهل سبأ خاصة عن بعضٍ[1] منهم أن إبليس لما قال: لأضلنهم ولأغوينهم، لم يكن مستيقنًا أن ما قاله يتم فيهم، وإنما قاله ظنًا فلما أطاعوه صدق عليهم ما ظنه، ﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من بيانية أي: فريقًا هم المؤمنون، وقيل للتبعيض والمراد غير العاصين منهم، ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: ما كان تسليطنا إياه عليهم بالوسوسة والإغواء، ﴿إِلا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾: ليتميز المؤمن من الشاك، أو لنعلم علما وقوعيًّا فإنه كان معلومًا بالغيب أو ليتعلق علمنا تعلقًا يترتب عليه الجزاء، فالمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة، ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾: محافظ.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ

---

(١) قاله الحسن البصرى وابن قتيبة/١٢منه.

شُرَكَآءَ كَلَّاۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

﴿قُلِ[1]﴾: يا محمد لمشركى قومك، **﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾** أي: زعمتموهم آلهة، **﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾**: من الملائكة، والأصنام ليكشفوا عنكم ضركم ويعينوكم ويرزقوكم، **﴿لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾**: من خير وشر، **﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾**، جملة لا يملكون إما استئناف جواب عن المشركين لأنه أمر متعين لا يقبل المكابرة وإما حال عن الذين زعمتم، **﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِما مِنْ شِرْكٍ﴾**: من شركة، **﴿وَمَا لَهُ﴾**: لله، **﴿مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾**: من عوين[*]، فإنه هو المستقل فى جميع الأمور لا شريك ولا معين له، **﴿وَلا تَنْفَعُ[2] الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ﴾** أي: شفاعة شافع لمشفوع، **﴿إِلا لِمَنْ أَذِنَ[3] لَهُ﴾**: أن يشفع، أو أن يشفع له، **﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾**: أزيل الفزع

---

(١) ولما ذكر إنعامه على أهل سبأ ثم تدميرهم لإطاعتهم لإبليس أمر نبيه بأن يبين لقريش ضلالهم فقال: "قل ادعوا الذين" الآية/١٢وجيز.

(*) فى النسخة ن: معين.

(٢) ذكر الرازى تحت هذه الآية مذاهب المشركين وقال: واعلم أن المذاهب المفضية إلى الشرك أربعة، ثم ذكرها إلى أن قال، ورابعها: قول من قال: إنا نعبد الأصنام التى هى صور الملائكة ليشفعوا لنا، فقال تعالى فى إبطال قولهم: "ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له" فلا فائدة لعبادتكم غير الله فإن الله لا يأذن فى الشفاعة لمن يعبد غيره، فبطلبكم الشفاعة تفوتون على أنفسكم الشفاعة/١٢.

(٣) فى هذه الآية قطع لأصول الشرك ومواده، وقلع لعروقه وهدم لأساسه لأن المشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا فى من فيه خصلة من هذه الخصال الأربعة إمامًا لك لما يريد عابده منه، فإن لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك،=

وكشف عنها، ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ﴾، توجيهه على رأى المتأخرين أن حتى غاية لما فهم من السابق من أن ثمة انتظارًا وتربصًا للإذن، كأنه قيل: يتربصون فزعين حتى إذا كشف الفزع عن قلوبهم بكلمة تكلم بها رب العزة قال بعضهم لبعض -على وجه السؤال: ماذا قال ربكم؟ قالوا: قال القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى، وأما كلام السلف هو أنه تعالى إذا تكلم بالوحى أرعد أهل السماوات من الهيبة، فيلحقهم كالغشى فإذا جلي عن قلوبهم سأل بعضهم بعضًا: ماذا قال ربكم؟

= فإن لم يكن شريكًا له كان معينًا له وظهيرًا، فإن لم يكن معينًا ولا ظهيرًا كان شفيعًا عنده، فنفى سبحانه وتعالى المراتب الأربعة نفيًا مرتبًا منتقلا من الأعلى إلى ما دونه، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التى يطلبها المشرك وأثبت شفاعة لا نصيب فيها للمشرك، وهى بإذن الله تعالى فكفى بهذه الآية نورًا وبرهانًا ونجاة وتجريدًا للتوحيد وقطعًا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها، والقرآن مملوء من أمثالها، ونظائرها ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له ويظنه فى نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثًا وهذا هو الذى يحول بين القلب وبين فهم القرآن، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم وشر منهم ودونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب -رضى الله عنه: إنما ينقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ فى الإسلام من لم يعرف الجاهلية، وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره ودعا إليه وصوبه وحسنه، وهو لا يعرف أنه هو الذى كان عليه الجاهلية أو نظيره أو شر منه أو دونه، فينتقض بذلك عرى الإسلام، ويعود المعروف منكرًا والمنكر معروفًا والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد ويبدع بتجريد متابعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حى سليم يرى ذلك عيانًا، والله سبحانه هو المستعان وعليه التكلان هذا ما قاله العلامة الحافظ ابن القيم فى شرح المنازل فى باب التوبة/١٢.

قالوا: القول الحق، أي: المطابق للواقع يعني: أخبر بعضهم بعضًا بما قال الله من غير زيادة ونقصان، وفى البخارى والترمذى وابن ماجه أحاديث صريحة فى هذا المعنى، وعلى هذا طباق الآية مشكل ويمكن أن يقال: إن المشركين يعبدون الملائكة زاعمين أنهم شفعاء[1] لهم فبين سبحانه مقام عظمته وجبروته أن لا يجترئ أحد منهم أن يشفع لأحد إلا بإذنه فهم خلف سرادق الهيبة متحيرون متربصون حتى إذا أزيل عنهم الفزع قالوا: "ماذا قال ربكم" الآية، كأنه قال: لا تنفع الشفاعة إلا لمن لا يثبت عند سماع كلام الحق ولا يقدر التكلم حتى إذا أزيل الفزع وعن بعض السلف[2] معناه: حتى إذا نزع الغفلة عن قلوب المشركين عند الاحتضار ويوم القيامة قالت الملائكة لهم: ماذا قال ربكم فى الدنيا بالوحي؟ قالوا "الحق" فأقروا حين لا ينفعهم الإقرار، وعلى هذا أيضًا توجيهها مشكل اللهم إلا أن يقال معناها: قل يا محمد للمشركين ادعوا آلهتكم أي: اعبدوهم، فيكون الأمر للتهديد، حتى إذا نزع الغفلة عن قلوبهم، ويكون حتى غاية لعبادتهم، ويكون قوله عن قلوبهم التفات من الخطاب، والله أعلم، **﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾**: له العلو والكبرياء، **﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾**: إذ لا يجحد ذلك إلا معاند، **﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ[3]﴾**:

---

(١) قال تعالى: "وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى"[النجم:٢٦] وقال تعالى: "ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشية ربهم مشفقون"[الأنبياء:٢٨] ١٢منه، وفى الوجيز، بل أصل عبادة الأحجار أنهم نحتوا كل صنم على مثال ملك بزعمهم/١٢.

(٢) صرح بذلك مجاهد، وعبدالرحمن بتريد بن أسلم والحسن/١٢منه.

(٣) ولما كانوا فى جواب السؤال بين أمرين إما السكوت فيعلم كل سامع أن الحجة لزمتهم وإما الجواب بوقاحة: نحن على الهدى، وأنتم على الضلال، أمره أن يجيبهم على هذا بما

=

أى أحد الفريقين ممن يتوحد الرازق بالعبادة، وممن يشرك به الجماد لعلى أحد الأمرين إما مستعل على ذروة[1] الهدى أو منغمس فى حضيض الضلال، وليس هذا على سبيل الشك، بل على الإنصاف فى الحجاج، وهو أبلغ من التصريح فى هذا المقام، ﴿قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾: من الصغائر والزلات، ﴿وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: من الكفر والمعاصى وهذا أيضًا من الإنصاف فى غايته، حيث أسند الإجرام إلى نفسه، والعمل إليهم، ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾: فى المحشر، ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾: يفصل ويَحْكُم، ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ قُلْ أَرُونِيَ[2] الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ[3] بِهِ شُرَكَاءَ﴾ أي: أرونى بأى صفة ألحقتموهم بالله حال كونهم شركاء على زعمكم، وهذا استفسار شبهتهم بعد إلزام الحجة، ﴿كَلا﴾ ردع عن المشاركة، ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: فأين هؤلاء الأذلاء عن هذه الصفات، وضمير هو لله أو للشأن، ﴿وَمَا[4] أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً[5] لِلنَّاسِ﴾: إلا إرسالة عامة، نحو: ما قمت إلا طويلا، والأظهر ما

= هو أبلغ فى الإنصاف من الأول، فقال: قل لا تسألون عما أجرمنا من الذنوب إن كنا على الضلال، ولا نسأل عما تعملون/١٢وجيز.

(١) هذا المعنى مستفاد من على وفي/١٢منه.

(٢) ولما كان شأن وقاحتهم أن يجيبوا بأن الضلال عليكم، أمره بأن يبين لهم وقاحتهم فقال: "قل أرونى الذين" الآية/١٢وجيز.

(٣) فيه إشارة إلى أن آلهتهم كشيء فى أيديهم يقلبونه حيث ما أرادوا/١٢وجيز.

(٤) ولما تم دليل بطلان دينهم وأثبت لهم أنهم على الضلال المبين شرع فى تحقيق هدايته فقال: "وما أرسلناك إلا كافة للناس"/١٢وجيز.

(٥) هو من الكف لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم عن أن يخرج عنها أحد منهم قال الزجاج: كافة حال من الكاف، فعلى هذا التاء للمبالغة كتاء علامة، وراوية يعني: أرسلناك جامعًا للناس فى الإنذار، والإبلاغ/١٢منه.

اختاره ابن مالك من أنه حال عن المجرور، ولا بأس بالتقديم لأن استعمال الفصحاء وارد عليه، ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾: القيامة، أو المبشر به والمنذر عنه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ﴾، الإضافة بيانية، ﴿لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلا تَسْتَقْدِمُونَ﴾، إذا فاجأكم، وهذا جواب إنكارهم القيامة لوحظ فى الجواب المقصود من سؤالهم لا ما يعطيه[1] ظاهر اللفظ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

---

(١) فإن ظاهر اللفظ أنهم سألوا عن وقت الساعة، وأجيبوا عن أحوالهم، ولكن ليس مقصودهم إلا إنكار الساعة، وأنها لا تأتى البتة، فالجواب مطابق للمقصود، وليس هذا من باب أسلوب الحكيم فلا تغفل/١٢منه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلا بِالَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: كالتوراة والإنجيل، أو المراد منه يوم القيامة، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: للحساب، ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾: فى التلاوم، والجدال لرأيت العجب، فجواب لو مقدر، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾: الأتباع، ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: المتبوعين، ﴿لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾: فإنكم أضللتمونا، ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ أنكروا أنهم أضلوهم، وأثبتوا أنهم آثروا الضلال باختيارهم، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، إضراب عن إضرابهم أي: بل مكركم[1] بنا بالليل، والنهار هو السبب فى ضلالنا والإضافة على الاتساع، ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا﴾ أي: أضمر الفريقان التابع والمتبوع، أو أظهروا فإن الهمزة تصلح للإثبات والسلب، ﴿النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: فى أعناقهم[2] لكفرهم، ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[3]﴾ أي: إلا على أعمالهم، فهو بنزع الخافض، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾: أغنياؤها ورؤساؤها، وهذا تسلية لنبيه – عليه السلام– وإثبات لمبادرة الأغنياء بالإنكار، فهم المضلون، ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾، زعموا أن

---

(١) فيه إشارة إلى أن مكر الليل مبتدأ، والخبر مقدر/١٢منه.

(٢) فيه إشارة إلى أنه من باب وضع الظاهر موضع المضمر/١٢منه.

(٣) ومعنى الاستفهام النفى فإلا داخل بعد النفي، والمقصود بيان استحقاقهم، ولما ذكر استحقاقهم للعذاب يذكر ما يدل على ذلك، وفيه إشعار بصدق كلام المستضعفين فقال: "وما أرسلنا فى قرية من نذير" الآية/١٢وجيز.

ذلك من محبة الله لهم، فلا يعذب المحب حبيبه، ﴿قُلْ﴾: ردًا لحسبانهم، ﴿إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: يضيق لمن يشاء، فلا البسط للرضى ولا التضييق للسخط، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾: فيحسبون كثرة الأموال والأولاد شرفًا على البت.

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞﴾

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي﴾ أي: بالخصلة التي، **﴿تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾**: فإنها خصلة واحدة هى التقوى أو ما جماعة[1] أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتى تقربكم قربة، **﴿إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾**، كلام السلف يدل على أن الاستثناء منقطع أي: لكن من آمن وعمل صالحا، **﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ﴾**: أن يضاعف حسناهم إلى عشر إلى سبعمائة ضعف، فهو من إضافة المصدر إلى المفعول، والجزاء يتعدى إلى مفعولين، **﴿بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ﴾**: غرفات الجنة، **﴿آمِنُونَ﴾**: من المكاره قيل: الاستثناء متصل من مفعول تقربكم أي: ما جماعة الأموال والأولاد بالتى تقرب أحدًا إلا من آمن فإن أموال المؤمن الصالح تصرف بوجوه الخير، وأولاده بتربية أبيه يعلمون الدين، أو من أموالكم وأولادكم على حذف المضاف، أي: إلا مال وولد من آمن، **﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾**: بردها، **﴿مُعَاجِزِينَ﴾**: يحسبون أنهم يعجزوننا، **﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ[2] قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾**: يوسع عليه تارة، **﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾**: تارة[3] أخرى، **﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾**: فى رضى الله، **﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ[4]﴾** يعوضه فى الدارين، أو فى أحدهما، **﴿وَهُوَ**

---

(١) فجمع التكسير عقلاؤه وغير عقلائه سواء فى حكم التأنيث/١٢منه.

(٢) هذا فى مقابلة "وهم فى الغرفات آمنون"/١٢وجيز.

(٣) بحسب المصلحة، فهذا فى شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق فى شخصين كذا قيل/١٢وجيز.

(٤) والظاهر أن مساق قل إن ربى فى المؤمنين سيما مع قوله وما أنفقتم، فهذا مقام الوعظ والتزهيد بخلاف الأول وعلى هذا زاد هنا من عباده المناسب الإخلاف فى الآخرة كما قاله مجاهد ولا بعد أن يعوضه فى الدنيا إما بالمال أو بالقناعة، فهى كنز لا ينفد/١٢وجيز.

﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ[1]﴾ فإنه هو رازق بلا غرض وعوض، بل هو الرزاق وحده والغير وسط فى الإيصال، **﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾**: الكفار، **﴿جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ﴾**: توبيخًا للكفرة، **﴿أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ[2]﴾**، فإن كثيرًا من الكفار يدعون عبادة الملك، **﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾**: من أن نثبت لك شريكًا، **﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾**: أنت الذى نواليه، **﴿مِنْ دُونِهِمْ﴾**: لا موالاة بيننا وبينهم، فلا نرضى بمحبتهم وعبادهم، **﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾**: فإنهم مطيعون للشياطين فى الشرك، فيعبدونهم، **﴿أَكْثَرُهُمْ﴾**: أكثر الإنس، **﴿بِهِمْ﴾**: بالشياطين، **﴿مُؤْمِنُونَ[3] فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلا ضَرًّا﴾** إذ الأمر كله فى ذلك اليوم ظاهرًا وباطنًا بيد الله، **﴿وَنَقُولُ﴾**، عطف على "لا يملك" **﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِى كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ**

---

(١) ولما مر مرارًا أن ليس للملائكة شفاعتهم، ولكن الأنبياء لا ينكرون قرب بعض الملائكة فربما طرأ لبعض أذهان الجهلة أنهم متفقون معنا فى قربهم، ونحن نعبدهم، فكيف لا يشفعوننا، فأقنط المشركين ووبخهم فقال: "ويوم يحشرهم جميعًا" الآية/ ١٢.

(٢) فالخطاب للملائكة، والتقريع للكفرة، فهذا وارد على المثل السائر "إياك أعنى واسمعى يا جارة" كما قال الله تعالى "أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله"[المائدة:١١٦]، ونظيره "وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت"[التكوير:٨-٩] هؤلاء مبتدأ وجملة كانوا خبره، وتقدم مفعول يعبدون، فصار منفصلا أبلغ فى الخطاب مع رعاية الفواصل/١٢وجيز.

(٣) فإن قليلا من الإنس لا يصدقون الجن فأكثرهم أتباع الشياطين/١٢منه.

وَإِذَا[1] **﴿تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾**: القرآنية، **﴿بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَـذَا﴾** أي: محمد، **﴿إِلا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ﴾**: يمنعكم، **﴿عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَـذَا﴾** أي: القرآن، **﴿إِلا إِفْكٌ﴾** غير مطابق للواقع، **﴿مُفْتَرًى﴾**: على الله، **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾** أي: القرآن، **﴿إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ[2] مُبِينٌ﴾**، ينسبونه إلى الاختراع والكذب، ثم إلى السحر لما فيه من الإعجاز الدال على الصدق، **﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ﴾** أي: قريشًا، **﴿مِنْ كُتُبٍ[3] يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾**، وكانوا يقولون: لو جاءنا نذير، وأنزل علينا كتاب لكنا أهدى من غيرنا، قيل معناه ليس لهم كتاب ولا رسول قبلك حتى يقولوا نحن نتبع كتابنا ونبينا ولا نتبعك، فليس لهم عذر باطل أيضًا فى عدم اتباعك، **﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾**: من الأمم الماضية، **﴿وَمَا بَلَغُوا﴾**: هؤلاء، **﴿مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾**: من طول الأعمار وكثرة الأموال وقوة الإجرام، **﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾**، عطف على كذب عطف مقيد على مطلق أي: فعلوا التكذيب، فكذبوا رسلى كما يقول: أقدمت على الضرب فضربته، قيل: عطف على ما بلغوا والضمير لأهل مكة أي: ما بلغوا معاشرهم فكذبوا رسلى ونفى

---

(١) لما أخبر أنهم فى أشد عذاب شرع يبين استحقاقهم وأنهم وجدوا ما عملوا، فقال: "وإذا تتلى" الآية/١٢وجيز.

(٢) طعنوا أولا فى الثاني، ثم فى ما جاء به بأنه كذب مخترع، ثم بأنه سحر واضح وقوله "لما جاءهم" يشير إلى أنهم بادروه من غير تأمل إلى الإنكار/١٢وجيز.

(٣) يعنى لا وجه لتكذيبهم، ولا شبهة فى أيديهم، وإن كانت باطلة كشبهة أهل الكتاب: نحن أهل كتب وشرائع مستندون إلى رسل، فليس لقريش عهد بإنزال، ولا بعثة رسول، فليس هذا القرآن إلا أدل كتاب، وما أنت يا محمد إلا أول نذير، وثم توعدهم بقوله: "وكذب الذين" الآية/١٢وجيز.

رسول واحد نفى جميع الرسل كما تقول: ما بلغت معشار علم زيد، فتفضل عليه، ﴿**فكيف كان نكير**﴾ النكير: تغيير المنكر، أي: فحين كذب الذين من قبلهم رسلى جاءهم إنكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم فليحذر هؤلاء عن مثل ما وقع عليهم.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾

﴿**قل**[1] **إنما أعظكم**﴾: أرشدكم، ﴿**بواحدة**﴾: بخصلة واحدة، ﴿**أن تقوموا لله**﴾، المراد بالقيام لله الانتصاب فى الأمر والنهوض فيه بالهمة، والفكر خالصا له من غير هوى ولا عصبية عطف بيان أو بدل من واحدة أو خبر لمحذوف أي: هى أن تقوموا،

---

(١) ثم لما حذرهم التفت إليهم، ونصحهم فقال: "قل إنما أعظكم" الآية/١٢وجيز.

﴿مَثْنَى[1] وَفُرَادَى﴾: اثنين اثنين أو واحدًا واحدًا فإن الازدحام يشوش الفكر، ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾: فى أمر محمد، ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ[2]﴾، كلام مستأنف للتنبيه من الله على جهة النظر قيل: معناه تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم جنون، وقيل: ما استفهامية، أي: تتفكروا أى شيء به من آثار الجنون، ﴿إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ﴾: قدام، ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، عن مقاتل معناه: ثم تتفكروا فى خلق السموات والأرض حتى تعلموا وحدانيته، ثم ابتدأ وقال "ما بصاحبكم من جنة" ﴿قُلْ[3] مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾، أي: أى شيء سألتكم من أجر التبليغ وأدعى استحقاقه؟! ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي: فذلك الشيء ملككم، وأنا معترف بذلك كما تقول: إن أعطيتنى شيئًا فخذه، فالمراد نفى الطمع بالكلية أو ما موصولة، أي: الذى سألتكم فهو لنفعكم قال تعالى "قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى"[الشورى:٢٣] "قل وما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا"[الفرقان:٥٧] ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ

---

(١) فالاثنان يعرض كل محصول فكره على صاحبه وينظران فيه متصادفين على إنصاف، والمتفكر يفكر فى نفسه من غير أن يكابر نفسه ويعرض على عقله/١٢.

(٢) كأنهم لما سمعوا كلام منصف انجرَّ لهم أن يسألوا أى شيء هذا؟ النظر والتأمل العميق، فقيل لهم: لأن هذا الأمر الذى هو بصدده لا يتأتى إلا من شخصين رجل مجنون لا يبالى من الافتضاح، ولا يتأمل عواقب الأمور، ورجل صادق كامل العقل مبرهن مدعاه بأقوى الحجج، وقد علمتم أن صاحبكم ما به من جنة، بل علمتموه بالعقل الراجح، والرأى الثاقب، فكان مظنة لأن ترجحوا فيه جانب الصدق، وأن تظنوا به الخير/١٢منه.

(٣) لما انتفى منه ما خيلوه به بقى مكان أن يكون دعواه لغرض دنيوي، فنفاه وقال: "قل ما سألتكم من أجر" الآية/١٢وجيز.

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: فيعلم صدقي، ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾: يرمى به ويلقيه على من يشاء من عباده قال تعالى "يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده" ﴿عَلامُ الْغُيُوبِ﴾، صفة لربى تابع لمحله، أو خبر بعد خبر، أو خبر لمحذوف أو بدل من ضمير يقذف، ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾: القرآن والإسلام، ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ أي: الكفر، ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: هلك الكفر بالكلية، فإن من خاصة صفات الحى إما أن يبدئ فعلا أو يعيده، فإذا لم تكن له تلك الصفة لم تكن له الحياة[1]، وعن بعض السلف: إن الباطل إبليس أي: هو لا يبدئ أحدًا ولا يعيده، بل المبدئ والباعث هو الله، وقيل: لا يبدئ الباطل لأهله خيرًا ولا يعيده يعني: لا ينفعهم فى الدارين، ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾: وبال ضلالى عليها، لأنها هى السبب للضلال، ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾: فإن الخير كله من الله، ولولا توفيق الله لما حصل الاهتداء، فإن النفس والشيطان لا يأمران إلا بالشر، ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾: فيسمع قول ضال ومهتد، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا﴾: فى القيامة، أو عند البعث، أو عند[2] عذابهم فى الدنيا لرأيت أمرًا هائلا، فجواب لو مقدر، ﴿فَلا فَوْتَ﴾: لهم منا ولا نجاة، ﴿وَأُخِذُوا﴾، عطف على لا فوت على معنى إذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا، ﴿مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾: من الموقف إلى النار، أو من القبور، أو من ظهر الأرض إلى

---

(١) كما تقول: لا يأكل ولا يشرب، فهذا مثل فى الهلاك/١٢وجيز.

(٢) وقد ثبت فى الصحيح أنه يخسف بجيش فى البيداء من حديث حفصة وعائشة، وخارج الصحيح من حديث أم سلمة وصفية وأبى هريرة وابن مسعود، وليس فى شيء منها أن ذلك سبب نزول هذه الآية، ولكنه أخرج ابن جرير من حديث حذيفة بن اليمان قصة الخسف هذه مرفوعة وقال فى آخرها: فذلك قوله -عز وجل- فى سورة سبأ: "ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت" الآية/١٢.

بطنها قيل: هو كناية عن سهولة الأمر، أي: أخذناهم أخذًا يسيرًا علينا، ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾: بالله أو بمحمد أو بيوم القيامة عند البعث، أو عند العذاب، ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ﴾: من أين لهم تناول الإيمان؟ ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾، فإن التوبة والإيمان لا تكونان إلا فى الدنيا، وهم فى الآخرة، وهو تمثيل لطلبهم ما لا يكون فإن التناوش تناول سهل لشيء قريب، فإذا كان الشيء بعيدًا يستحيل الوصول[1] إليه، وعن ابن عباس - رضى الله عنهما- طلبوا الرجعة إلى الدنيا، ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾: يرمون بالظن بما لم يظهر لهم، ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾: وهو بعدهم عن علم ما يقولون كأنهم رموا إلى شيء بعيد فى ظلمة ثم يزعمون أنهم ضربوه يعني: وقد كفروا وظنوا[2] ظنونًا واعتقدوها، ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾: الإيمان أو من شهواتهم الدنيوية، ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾: بأشباههم، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من كفرة الأمم السالفة، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ[3] مُرِيبٍ[4]﴾: مشكل فيه مبالغة كما لا يخفى، والله أعلم.

---

(١) يعنى من أين لهم تناول الإيمان، والتوبة فى الآخرة؟! وما هما إلا فى الدنيا/١٢وجيز.

(٢) كقولهم: لا بعث ولا جنة ولا نار/١٢وجيز.

(٣) من أرابه إذا أوقعه فى الريب، أو من أراب الرجل: صار ذا ريب/١٢وجيز.

أخرج عبد بن حميد، وابن أبى حاتم عن قتادة فى قوله: "إنهم كانوا فى شك مريب" قال: إياكم والشك والريبة فإنه من مات على شك بعث عليه ومن مات على يقين بعث عليه/١٢در منثور.

(٤) هذا رد على من زعم أن الله لا يعذب على الشك/١٢فتح.

سورة فاطر مكية

وهى خمس وأربعون آية وخمس ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ﴾: مبدع، ﴿السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلا﴾: بينه وبين أنبيائه، قيل: بينه وبين خلقه بإيصال آثار صنعه إليهم، ﴿أُولِي﴾: ذوي، ﴿أَجْنِحَةٍ﴾: متعددة، ﴿مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾: يسرعون نحو ما أمرهم الله به، صفات

لأجنحة[1]، ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ﴾ أى: فى خلق الأجنحة، وغيرها كحسن الصوت والعقل، ﴿مَا يَشَاءُ﴾، فى الحديث: "رأى ليلة المعراج جبريل عليهما السلام وله ستمائة جناح بين كل حين كما بين المشرق والمغرب"[*]، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ﴾: ما يرسل ويطلق، ﴿لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾: كهداية ورزق ومطر، ﴿فَلا مُمْسِكَ لَهَا﴾: يمنعها، ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ﴾: يطلقه لما فسر الشرطية فى الأول بالرحمة لبيان رحمته وأبهم فى الثانى أنث الضمير فى الأول دون الثاني، ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: بعد إمساكه، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب، ﴿الْحَكِيمُ﴾: فى أفعاله، ﴿يَا أَيُّهَا[2] النَّاسُ اذْكُرُوا﴾: احفظوا واشكروا، ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ أنكر أن يكون لغيره فى النعم مدخل يستحق أن يشرك فى الشكر، وقراءة رفع غير بأن يكون صفة تابعًا للمحل، أو فاعل خالق، أو خبره، وخبر خالق محذوف على الأولين، ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾، كلام مبتدأ أو صفة بعد صفة، ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾: فهو الخالق الرازق وحده، ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ[3]﴾: فمن أى وجه تصرفون عن التوحيد؟ ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾: فليس ببدع، ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ﴾: عظام محترمون، ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾: فاصبر كما

---

(١) فى محل الجر يعنى: أجنحة بعضهم اثنان اثنان لكل منهم جناحان، وكذا فى ثلاث ورباع، ونحن نؤمن بما قال الله والعلم بالكيفية ليس علينا، والحمد لله على أن خلصنا فى مثل ذلك من التأويلات البديعة/١٢وجيز.

(*) أخرجاه فى الصحيحين.

(٢) ولما بين أن جميع الأمور منه سبحانه أمر الخلق بشكر إنعامه فقال: "يا أيها الناس اذكروا" الآية/١٢وجيز.

(٣) من أين تصرفون عن توحيده مع إقراركم بأنه الخالق الرازق؟/١٢جلالين.

صبروا، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ[1]﴾: فيجازى كلا بما يستحقه، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾: بالحشر وغيره، ﴿حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: فيذهلنكم التلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة، ﴿وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾: الشيطان، فيحثكم على المعاصى بإنكار الآخرة، وبوعد التوبة والمغفرة، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾: من قديم الزمان، ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾: ولا تغتروا بأمانيه، ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ﴾: أشياعه، ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾: لأن يشاركوه فى المترل والمترلة، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، بيان لحال موافقيه ومخالفيه.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِى مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجًاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسۡتَوِى ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٌ فُرَاتٌ

---

(١) ولما كان بعث رسول الله من أتم النعم، وأعمها وأكثر الناس أنكروه وما شكروه بين سببه تسلية لقلبه الأشرف فقال: "وإن يكذبوك" الآية/١٢ وجيز.

سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞﴾

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾: رأى الباطل حقًّا، **﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ﴾**: لا تهلكها **﴿عَلَيْهِمْ﴾**، متعلق بـلا تذهب، **﴿حَسَرَاتٍ[(١)]﴾**، مفعول له وجواب "أفمن زين" محذوف تقديره كمن وفق فرأى الحق حقًّا والباطل باطلا، ويدل عليه قوله: "فإن الله يضل" إلى آخره، أو تقديره ذهبت نفسك عليهم للحسرة، فيدل عليه قوله: فلا تذهب إلخ، **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾**: ليس بغافل عن صنيعهم، وهو الذى أراده فاصبر على مراد الله تعالى، **﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ[(٢)] الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ﴾**، صيغة المضارع حكاية للحال الماضية استحضارًا لتلك الصورة البديعة، ونعم ما قيل اختلاف الأفعال للدلالة على استمرار

---

(١) كأنه لما قيل لنبيه أفمن زين له سوء عمله كمن لم يزين له قال -صلى الله عليه وسلم: لا قال له فإذا كان كذلك فلا تهلك نفسك حسرة، فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فقدم وأخر اهتمامًا بشأن المقدم/١٢وجيز.

(٢) ولما قال "يا أيها الناس إن وعد الله حق"، وقال "لا تغرنكم الحياة الدنيا"، ولا الشيطان ذكر الآخرة وأتى بمثال دال عليه، فقال: "والله الذى أرسل الرياح" الآية/١٢وجيز.

الفعل، ﴿سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا﴾، التفت إلى ما هو أدخل فى الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع، ﴿بِهِ﴾: بالمطر، وهو مفهوم من الكلام أو بالسحاب، فإنه السبب أيضًا، ﴿الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ[1]﴾، فى الحديث[2] "يترل من تحت العرش مطر فيعم الأرض جميعًا، وينبت الأجساد من قبورها كما ينبت الحب فى الأرض"، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾: فليطلبها منه بطاعته، فإن كلها له قال تعالى "واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا"[مريم:٨١]، ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الله، ﴿يَصْعَدُ الْكَلِمُ[3] الطَّيِّبُ﴾: الذكر والدعاء والتلاوة، ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾: آداء الفرائض، ﴿يَرْفَعُهُ﴾ أى: يرفع العمل الصالح الكلم الطيب، ويجعله فى محل القبول ولولاه لم يقبل، أو يرفع الكلم الطيب العمل الصالح لا يقبل عمل بدون كلم التوحيد، أو العمل الصالح أى: الخالص الله

---

(١) ولما أثبت القدرة والوحدانية والحشر والنشر ما بقى لعابدى الصنم مستند عندهم إلا أنهم يتحرزون بها كما قال تعالى: "اتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزًا"[مريم:٨١] أراد تبيين ضلالهم فى ذلك أيضًا فقال "من كان يريد العزة" فى الدنيا، أو فى الدنيا والآخرة "فلله العزة جميعًا" لا يكون عزيز إلا من أعزه الله/١٢وجيز.

(٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن عبدالله بن مسعود/١٢ در منثور.

(٣) أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر والطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن مسعود قال: إذا حدثناكم بحديث -أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله- إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله وبحمده والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله، قبض عليهن ملك يضمهن تحت جناحه ثم يصعد بهن إلى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهن وجه الرحمن ثم قرأ "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه"/١٢در منثور للسيوطي.

يرفعه، ﴿وَالَّذِينَ[1] يَمْكُرُونَ﴾ هم المراءون والمنافقون يوهمون أنهم فى طاعة الله، وعن بعض نزل فيمن تشاور ومكر فى حبس رسول الله، وإخراجه، وقتله، ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ أى: المكرات والسيئات، أو مفعول به لتضمين يمكرون معنى يعملون، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾: يبطل، ويفسد ويظهر من يخسر عن قريب، ﴿وَاللَّهُ[2] خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾: بخلق آدم منه، ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: بخلق ذريته منها، ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾: ذكرانًا وإناثًا، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلا بِعِلْمِهِ﴾: إلا معلومة لله حال من أنثى فاعل تحمل، ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾: ما يمد فى عمره من مصيره إلى الكبر، ﴿وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾: لغيره بأن يعطى لأحد عمر ناقص من عمر معمر، أو الضمير للمنقوص وإن لم يذكر لدلالة مقابله عليه أو الضمير للمعمر على التسامح المشهور اعتماداً على فهم السامع نحو: لك عندى درهم، ونصفه قيل: معناه لا يطول ولا يقصر عمر إنسان إلا فى كتاب، فإنه مكتوب فى اللوح: إن فلانًا إذا حج -مثلا- فعمره ستون -مثلا- وإلا فأربعون، وإذا حج فقد عمر، وإلا فقد نقص من عمره الذى هو الغاية وهو ستون، ﴿إِلا فِي كِتَابٍ﴾: صحيفة كتب فى بطن أمه أو اللوح المحفوظ، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: الحفظ، أو الزيادة والنقصان ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾، هذا بيان قدرة أخرى عظيمة، ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾: يكسر

---

(١) ولما بين ما يحصل العزة بين ما يكسب الذلة فقال: "والذين يمكرون السيئات" الآية/١٢وجيز.

(٢) ولما ذكر دلائل الآفاق من السماوات وما يرسل منها من الملائكة والأرض، وما يرسل فيها من الرياح شرع فى دلائل الأنفس فقال: "والله خلقكم من تراب" الآية هذا ما فى الكبير وفى الوجيز،ولما بين التفاوت البين فى العمل أتبعه ما هم عليه من وحدة الأصل فقال: "والله خلقكم" الآية/١٢.

العطش، ﴿سَائِغٌ﴾: مريء، ﴿شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: يحرق بملوحته، ﴿وَمِنْ كُلٍّ﴾: من البحرين، ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: السمك، ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾: اللآلئ، ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾: الحلية من الأجاج لا من العذب، ولا يلزم من عطف تستخرجون على تأكلون أن يكون الاستخراج من كل قيل: البحران مثلان للمؤمن، والكافر، ثم إن قوله "ومن كل" إلخ إما استطراد أو تتميم لتفضيل المشبه به على المشبه، ونظيره قوله: "وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار"[البقرة:٧٤]، ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ﴾: فى كلٍّ، ﴿مَوَاخِرَ﴾: شواق للماء بجريها، ﴿لِتَبْتَغُوا﴾، متعلق بمواخر، ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: من فضل الله بالتجارة، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمه، ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: يزيد من هذا فى ذاك ومن ذاك فى هذا، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾: إلى يوم القيامة، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أى: ذلك الموصوف بتلك الصفات المذكورة الله، ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾: وحده، ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾: من ملك أو صنم، ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾: القشرة الرقيقة الملتفة على النواة، ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾: فإنهم جماد، ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾: على الفرض، ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾: لعجزهم عن الإنفاع، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾: يتبرءون منكم قائلين: ما كنتم إيانا تعبدون، ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾: لا يخبرك بالأمر مخبر مثل خبير عالم به، ولا عالم أعلم من الله وهو الذى أخبركم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ

كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿يَاأَيُّهَا[1] النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِى الْحَمِيدُ﴾، زيادة قيد الحميد ليعلم أنه جواد منعم فإن الغنى بدون الجود غير محمود، ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: فإنه غير محتاج إليكم، ﴿وَيَأْت بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ غير عاصين مطيعين، ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: بعسير، ﴿وَلَا تَزِرُ﴾: لا تحمل، ﴿وَازِرَةٌ﴾: نفس آثمة، ﴿وِزْرَ﴾: نفس، ﴿أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا﴾ أى: وإن تدع نفس أثقلتها أوزارها أحدًا من الآحاد إلى أن يحمل بعض ما عليها، ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ﴾: من وزره، ﴿شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾: المدعو، ﴿ذَا قُرْبَى﴾: من أب وأم وابن وأخ وغيرهم، ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ[2] الَّذِينَ

---

(١) ولما اختص تعالى بالملك، ونفى عن الشركاء النفع أنتج قوله: "يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله" الآية/١٢وجيز.

(٢) ولما سبق ما تضمن الوعيد وبعض أهوال القيامة كان ذلك إنذاراً فذكر أن الإنذار إنما يجدى من يخشى الله بالغيب، فقال: "إنما تنذر الذين يخشون ربهم" الآية/١٢وجيز.

﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾: غائبين عن الناس فى السر، أو غائبين عن عذابه، أو حال عن المفعول[1]، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ﴾: فهم المنتفعون بالإنذار، ﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾: عن دنس المعاصي، ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى﴾: يتطهر، ﴿لِنَفْسِهِ﴾: نفعها لها، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾: فيجزيه، ﴿وَمَا يَسْتَوِي[2] الأَعْمَى﴾: الكافر، ﴿وَالْبَصِيرُ[3]﴾: المؤمن، ﴿وَلا الظُّلُمَاتُ﴾: الباطل[4]، ﴿وَلا النُّورُ﴾: الحق[5]، ﴿وَلا الظِّلُّ﴾: الثواب والجنة، ﴿وَلا الْحَرُورُ﴾: العقاب والنار، والحرور: السموم، وتكرير لا على الشقين لمزيد التأكيد، ﴿وَمَا يَسْتَوِى الأَحْيَاءُ﴾: المؤمنون، ﴿وَلا الأَمْوَاتُ[6]﴾: الكفار، تمثيل آخر لهما،

---

(١) أى: يخشون عذابه غائبًا عنهم/١٢وجيز.

(٢) ولما بين افتقار الناس إلى الله الغني، وبين قدرته وأن كل أحد تحت عمله لا ينفعه قريبه، والنافع خشية الله وإقامة الصلاة، وختم بأن المصير إلى الله أعقبه بما دل على أن المنتفع بالآيات ليس إلا من هو بصير ذو حياة عند الله وما ذلك إلا المؤمنون، فقال: "وما يستوى الأعمى" الآية/١٢وجيز.

(٣) ولما كان التفاوت بين الجنسين مقطوعًا به لا بين الإفراد، فإنه قد يكون لفرد منه ذكاء يساوى البصير البليد أفراد، الأعمى والبصير/١٢وجيز.

(٤) وطرقه متعددة/١٢.

(٥) وطريقه واحد/١٢.

(٦) التفاوت بين الأحياء والأموات ثابت سواء قابلت الجنس بالجنس والفرد بالفرد، ولما ذكر المثلين الأعمى والبصير، وبين أن البصير ولو كان حاد النظر لا يبصر إلا فى ضوء ذكر ما هو الكافر فيه من ظلمات كفره، وما هو المؤمن فيه من نور إيمانه، ثم ذكر ما آل أمرهما إليه وهو الظل الذى فيه الراحة، والسموم الذى فيه التعب، وتكرير لا على الشقين لمزيد التأكيد ثم ذكر مثلا آخر هو فوق حال الأعمى والبصير، إذ الأعمى يشارك البصير فى إدراك ما، والكافر ليس كذلك ولذلك أتى بلا التأكيدية فى الأخير، وما أتى فى الأول فإن التفاوت بين الأخير أقوى وأعاد قوله: "وما يستوى" ليعلم أنه مثل آخر/١٢وجيز.

وقيل المراد العلماء، والجهال، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾: سماع قبول، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ أى: الكفار المصرين فإنهم كالأموات فى عدم الانتفاع بالموعظة، ﴿إِنْ أَنْتَ إِلا نَذِيرٌ﴾: فما عليك إلا الإنذار، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ[1] بِالْحَقِّ﴾ أى: محقًّا أو محقين، وقيل: إرسالا مصحوبًا بالحق، ﴿بَشِيرًا﴾: للمؤمنين، ﴿وَنَذِيرًا﴾: للكافرين، ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ﴾: أهل كل عصر، ﴿إِلا خَلا﴾: مضى، ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾: نبى ينذرهم من عقاب الله، ومتى بقيت آثار النذارة صدق أن تلك الأمة لم تخل عن نذير، ولهذا لما اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله سيد الكونين -عليهما الصلاة والسلام ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾: فلا تحزن لأنه ليس ببدع، ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾، من باب التنازع والعمل للثاني، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ﴾: الكتب، ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: الواضح المبين، العطف لتغاير الوصفين، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ﴾: أهلكت، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري، وتغييرى لهم بالعقوبة.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

(١) لما قال: "إن أنت إلا نذير" بين أنه ليس نذير من تلقاء نفسه إنما هو نذير بإذن الله وإرساله فقال: "إنا أرسلناك" الآية/١٢ وجيز.

وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ[1] أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾: هيآتها كالصفرة والخضرة، أو أجناسها كالرمان والتفاح، **﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾** أى: ذو جدد أى خطط، وطرائق جملة من مبتدأ وخبر، **﴿بِيضٌ﴾**: كالعروق، **﴿وَحُمْرٌ﴾** يعنى: بعضها أبيض، وبعضها أحمر، **﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾**: أجناسها بالشدة والضعف، **﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾** يقال: أسود غربيب أى: شديد السواد عطف على بيض أصله سود غرابيب حذف الموصوف ثم فسر به، وعن عكرمة: هى الجبال الطوال السود،

(١) ولما قرر وحدانيته بأدلة وأمثال أتبعها بحجج سماوية وأرضية فقال: "ألم تر أن الله أنزل" الآية/١٢ وجيز.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾ أى: الأمر كذلك كما بين ولخص، أو مختلف ألوانه اختلافًا كذلك أى: كاختلاف الثمار والجبال. ﴿إِنَّمَا يَخْشَى[1] اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، لما قال ألم تعلم إنزال المطر وآثاره، واختلاف هيئات الأجناس الذى هو من آثار صنع الله، أتبع ذلك كذلك "إنما يخشى الله" إلخ، كأنه قال الأمر كما ذكر لكن إنما ينجع الخطاب ويؤثر فيمن يخشى الله بالغيب، فوضع موضعه إنما يخشى الله من عباده العلماء تعريضًا لجهل الكفرة، ومن يدعى العلم و لم يخش الله وتنويها برفع مترلة العلماء العاملين ويلزم من الجمع المحلى باللام المفيد للعموم أن من لم يخش لم يكن عالمًا قال مسروق: كفى بخشية الله علمًا، وكفى بالاغترار بالله جهلا، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: فيتمكن من الانتقام، ﴿غَفُورٌ﴾: للعصاة فحقه أن يخشى ويرجى، ﴿إِنَّ[2] الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾: يداومون قراءته أو متابعته، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً﴾: فى جميع أحوالهم، ﴿يَرْجُونَ[3] تِجَارَةً﴾: طلب ثواب طاعة وهو خبر إن، ﴿لَن تَبُورَ﴾: لن تهلك بالخسران، ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾:، علة للتلاوة والإقامة والإنفاق، أو متعلق بلن تبور، ﴿أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾: على الأجر مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾: لفرطاتهم،

(١) قوله تعالى: "إنما يخشى الله" الآية، أخرج ابن أبى شيبة، وأحمد فى الزهد عن العباس العمى، قال: بلغنى أن داود عليه الصلاة والسلام قال: سبحانك تعاليت فوق عرشك، وجعلت خشيتك على من فى السماوات والأرض فأقرب خلقك إليك أشدهم لك خشية، وما علم من لم يخشك، أو ما حكمته من لم يطع أمرك/١٢تفسير در منثور للحافظ السيوطي.

(٢) لما وصف العلماء أعقبه ببعض أوصافهم فقال:" إن الذين يتلون كتاب الله" الآية/١٢وجيز.

(٣) فيه إشارة إلى الإخلاص أى: يقصدون وجه الله لا رياء وسمعة/١٢وجيز.

﴿شَكُورٌ﴾ : لطاعاقم، ﴿وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، من للتبيين يعنى القرآن، ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب السماوية، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾: عالم بالبواطن والظواهر، ولهذا اجتباك وأنزل عليك هذا الكتاب، ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾: حكمنا بتوريثه منك أو عبر بالماضى عن المضارع لتحققه، ﴿الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾: آلك وأصحابك ومن بعدهم من أمتك، ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾: لتقصيرهم فى العمل به، وهم يحبسون فى طول المحشر حتى يصيبهم الهم الطويل، ثم[1] يدخلون الجنة، وفى الحديث[2] "هم الذين يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن" ويدل على ما فسرنا الأحاديث الكثيرة، ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾: لأنهم يعملون به فى أغلب أحوالهم، وهم يحاسبون حسابًا يسيرًا، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾: بالطاعات هم الأولياء والأبرار، ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بأمره، وإرادته وهم يدخلون الجنة من غير حساب، أخر السابقين لقلتهم، وللترقى من الأدنى، وعن عائشة حين سأل[3] عقبة عن تلك الآيات "يا بنى كلهم فى الجنة أمّا السابق فمن مضى على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وشهد له بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه، وأما الظالم فمثلى ومثلكم"، وهذا منها -رضى الله عنها- من باب التواضع، وهضم النفس

---

(١) كذا رواه الإمام أحمد، وابن أبي حاتم، وابن جرير/١٢وجيز.

(٢) رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه والبيهقى عن أبي الدرداء مرفوعًا[رواه أحمد بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح، وهى هذه إن كان على بن عبدالله الأزدى سمع من أبي الدرداء فإنه تابعى، كما فى المجمع (٧/٩٥)] قال البيهقى: إذا كثرت الروايات فى حديث ظهر أن للحديث أصلا/١٢در منثور ملخصًا.

(٣) رواه أبو داود/١٢وجيز.

وعن بعض الظالم لنفسه كافر أو منافق فحينئذ ضمير منهم للعباد لا للذين اصطفينا والأول أصح، ﴿ذَلِكَ﴾: التوريث، وقيل السبق، ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾: العظيم، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾، مبتدأ، ﴿يَدْخُلُونَهَا[1]﴾، والضمير للمصطفين، وفى الشواذ جنات بالنصب على شريطة التفسير، ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾، خبر بعد خبر، أو حال مقدرة من حلية المرأة إذا جعلت لها حليًا، ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ جمع سوار، ومن للتبعيض، ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾، بيان لأساور، ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالنصب عطف على محل من أساور، ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾: هموم الدارين، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾: للذنوب، ﴿شَكُورٌ﴾: للطاعة، ﴿الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾: الإقامة، ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: إذ لا يجب عليه شيء، ﴿لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾: تعب، ﴿وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: كلال، ﴿وَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، مقابل للذين اصطفينا[2]، ﴿لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ﴾: بموت فيها، ﴿فَيَمُوتُوا﴾، جواب النفى منصوب بإضمار أن، ﴿وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الجزاء، ﴿نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾: مبالغ

---

(١) وضمير يدخلونها عائد إلى الأصناف الثلاثة، وهو قول عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- وقال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له"[ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٣٢٩٩)] وقال صاحب البحر: إنّ هذا قول ابن مسعود -رضى الله عنه- وعثمان بن عفان -رضى الله عنه- وأبى الدرداء، وعقبة بن عامر وأبى سعيد، وعائشة، ومحمد بن الحنفية وجعفر الصادق، وكعب الأحبار -رضى الله عنهم/١٢وجيز، وفى الكمالين يدخلونها أى: الثلاثة أى: الظالم والمقتصد والسابق، روى أحمد والترمذى عن أبى سعيد مرفوعًا فى هذه الآية هؤلاء كلها فى الجنة[صحيح، وانظر صحيح سنن أبى داود (٢٥٧٧)]/١٢.

(٢) دال على أن الأصناف فى الجنة، والحمد لله أضعاف ما حمده الحامدون/١٢وجيز.

فى الكفر أو الكفران، ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ﴾ من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة، ﴿فِيهَا﴾: قائلين: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ أى: عملا صالحًا، ﴿غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾، بدل أو صفة وفائدته التحسر، والاعتراف بالذنب، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ﴾، جواب من الله لهم، ﴿مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾، ما موصولة، ومن فاعل يتذكر والأصح الذى يدل عليه الأحاديث[1] أنه ستون[2] سنة وعن زين العابدين: إنه سبع عشر سنة، وعن كثير: إنه أربعون، ﴿وَجَاءكُمُ﴾، عطف على معنى أو لم نعمركم كأنه قال عمرناكم وجاءكم، ﴿النَّذِيرُ﴾: الرسول، أو الشيب[3]، ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا

---

(١) المروية فى البخاري، والنسائي، والطبراني، وغيرها/١٢وجيز.

(٢) أخرج ابن أبى حاتم والطبرانى والبيهقى عن ابن عباس أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: "إذا كان يوم القيامة قيل أين أبناء الستين، وهو العمر الذى قال الله تعالى: "أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر"، وفى إسناده إبراهيم بن الفضل المخزومي، وفيه مقال[ضعيف جدًّا، وانظر ضعيف الجامع]، وأخرج أحمد والبخارى والنسائى وغيرهم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "أعذر الله إلى امرئ أخر عمره حتى بلغ ستين سنة"/١٢فتح.

(٣) وقيل: موت الأقارب/١٢وجيز.

خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: فلا يخفى عليه أحوالهم، **﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾**، تعليل له أي: إذا علم مضمرات الصدور فكيف يخفى عليه شيء آخر؟! **﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِى الأَرْضِ﴾** جمع خليفة أي: خلفاء قوم آخرين أورثكم أرضهم وملككم مقاليد التصرف، وسلطكم فيها، **﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾**: لا يضر غيره، **﴿وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلا مَقْتًا﴾**: أشد البغض، وهم يحسبون أن آلهتهم شفعاءهم، **﴿وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلا خَسَارًا﴾**: وهم

يحسبون أهم على شيء إلا أهم هم الخاسرون، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ[١] شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي﴾ بدل من أرأيتم أو تأكيد أرأيتم لأنه بمعنى أخبروني عن شركائكم، ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ﴾: هل استبدوا بخلق شيء حتى استحقوا العبادة؟! ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾: شركة مع الله فى خلقها، ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ﴾ أى: الأصنام، أو المشركين، ﴿كِتَابًا﴾: بأهم شركائي، ﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾: حجة واضحة، ﴿مِنْهُ﴾: من ذاك[٢] الكتب، والظاهر أنه للترقى فإن الاستبداد بخلق جزء من الأرض أقل دلالة من أن يكونوا شركاء فى خلق السماوات، ثم إيتاء كتاب من الله أدل وأدل، وأم منقطعة، ﴿بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم﴾، بدل من "الظالمون"، ﴿بَعْضًا إِلا غُرُورًا﴾، فإن الأخلاف والأتباع اعتمدوا على قول الرؤساء والأسلاف بأهم شفعاء عند الله، ﴿إِنَّ[٣] اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا[٤]﴾ أى: كراهة الزوال، أو يمنعها من الزوال، أو يمنعها من الزوال فإن الإمساك منع، ﴿وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِن بَعْدِهِ﴾، الجملة المنفية ساد مسد الجوابين، و"من" الأولى زائدة والثانية ابتدائية، ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾: لا يعاجل بالعقوبة مع تلك القدرة التامة،

---

(١) بمعنى أخبروني، يطلب مفعولين أحدهما منصوب هو شركاءكم والآخر مشتمل على الاستفهام "ماذا خلقوا" نحو: أرأيت زيدا ما صنع؟!/١٢وجيز

(٢) فعبادهم للأصنام لا عقلية ولا نقلية، لأنه لا عقل لمن يعبد ما لا يخلق جزءًا من الأرض ولا له شرك فى السماء، ولا نقل؛ لأنه لم يؤت إليهم كتاب فيه أمر بعبادة هؤلاء/١٢وجيز.

(٣) ولما بين فساد أمر الأصنام عقب بذكر عظمته وقدرته ليتأكد حقارة آلهتهم، فقال: "إن الله يمسك السموات" الآية/١٢وجيز.

(٤) تنتقلا من أماكنهما فلا يبقى النظام الذى تراه/١٢وجيز.

﴿وَأَقْسَمُوا[1] بِاللَّهِ﴾: قبل مبعث محمد عليه السلام، ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾، مفعول مطلق أى قسمًا غليظًا، ﴿لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: نبي، ﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى[2] الْأُمَمِ﴾: أى من الأمة التى هى إحدى الأمم أى: أفضلهم وأهداهم تقول: فلان واحد القوم وأوحدى العصر، ولهذا قال الضحاك: معناه من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل أو من اليهود والنصارى وغيرهم، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ﴾ أى: مجيئه، ﴿إِلا نُفُورًا﴾: عن الحق، ﴿اسْتِكْبَارًا﴾، بدل من نفورًا أو مفعول له وقيل استكبروا استكبارًا، ﴿فِى الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾، من إضافة الموصوف إلى الصفة بدليل قوله: ﴿وَلا يَحِيقُ﴾: يحيط، ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ[3] إِلا بِأَهْلِهِ﴾: بالماكر، ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾: ينتظرون، ﴿إِلا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ﴾: سنة الله فيهم بتعذيب المكذبين جعل استقبالهم لذلك انتظارًا له منهم، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا[4] وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلا﴾: فيصل العذاب البتة، ويصل إليهم لا إلى غيرهم، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: فإنه يشاهد آثار العذاب من آثارهم، ﴿وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ﴾: ليسبقه، ويفوت عنه، ﴿مِنْ شَيْءٍ فِى السَّمَوَاتِ وَلا فِى الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا﴾: ظهر الأرض، ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾: بشؤم معاصيهم، وقيل:

---

(١) ولما بين إنكارهم للتوحيد بين تكذيبهم للرسل فقال: "وأقسموا بالله" الآية/١٢وجيز.

(٢) حكاية لمعنى كلامهم، حيث لم يقل لئن جاءنا نذير لنكونن كانوا يلعنون اليهود والنصارى، حيث كذبوا رسلهم وقالوا: لئن أتانا رسول الله لنكونن أهدى من إحدى الأمم/١٢وجيز.

(٣) يعنى: المكر لا يحيق فى العاقبة بالتدمير إلا بالماكر، وإن كان قد ينفذ ظاهرًا/١٢.

(٤) تغيير العذاب إلى غيره فيصل العذاب إليه البتة/١٢وجيز.

المراد من الدابة الإنس وحده، ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: يوم القيامة أو إلى أجلهم المقدر المعين، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾: فيجازيهم على ما علم من عملهم.

اللهم عاملنا معاملة فضلك لا عدلك،

والحمد لله حق حمده.

سُورَةُ[1] يس مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ آيَةً وَخَمْسُ رُكُوعَاتٍ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾

﴿يس﴾ أى: يا إنسان، أو هو[1] من أسماء الله ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾: ذى الحكمة، وهو قسم ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: إلى جميع الثقلين ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: دين قويم

---

(١) أخرج الدارمى وأبو يعلى والطبرانى والبيهقى وغيرهم عن أبى هريرة عن النبى -صلى الله عليه وسلم-: (من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له فى تلك الليلة) قال ابن كثير: إسناده جيد[ذكره الهيثمى فى "المجمع" (٩٧/٧) وقال: "رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط، وفيه أغلب بن تميم وهو ضعيف، وأخرجه أيضا ابن ماجه عن أبى هريرة مرفوعًا بلفظ: "من قرأ (يس) كل ليلة غفر له" وهو ضعيف أيضا]/ ١٢فتح.

وشرع لا عوج له خبر بعد خبر، أو حال ﴿تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ أى: هو منزل، وقراءة النصب بتأويل نزل تنزيلا، أو أعنى ﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلق بتنزيل ﴿قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ أى: قومًا غير منذر آباؤهم الأولون، قيل: ما مصدرية، فيكون مفعولاً مطلقًا أو موصولة، فيكون مفعولا ثانيًا أى: لتنذرهم الذى أُنذر آباؤهم الأقدمون ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾: كلمة العذاب ﴿عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً﴾ يعنى:[١] فى أعناقهم لا أيديهم، فإن الغل لا يكون إلا فى العنق دون الأيدى ﴿فَهِيَ﴾ أى: الأغلال ﴿إِلَى الأَذْقَانِ﴾ أى: واصلة إليها ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ المقمح: الذى يرفع رأسه ويغض بصره ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾: غطينا على أبصارهم غشاوة ﴿فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ مثل تصميمهم على كفرهم، وأنه لا سبيل إلى تجاوزهم عنه ؛ بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين فى أنهم لا يلتفتون إلى الحق، ولا يعطفون أعناقهم نحوه، وكالحاصلين بين السدين لا يبصرون قدامهم ولا خلفهم فى أنهم متعامون عن النظر فى آيات الله، غير متأملين فى مبدئهم ومعادهم. عن ابن عباس -رضى الله عنهما- إن الأول مثل بخلهم عن الإنفاق فى سبيل الله، قال تعالى: " وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ"[الإسراء:٢٩] وعن محيى السنة وغيره إنها فى أبى جهل حين أخذ حجرًا ؛ ليدمغ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلما رفعه لصقت يده إلى عنقه، ولزق الحجر بيده حتى عاد إلى قومه، فقام آخر بأنى أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو عليه السلام يصلي، فأعمى الله بصر الكافر، يسمع صوته ولا يراه(*) ﴿وَسَوَاء عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ سبق فى أول سورة البقرة ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ أى: إنذارًا نافعًا يترتب عليه البغية ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾: القرآن

---

(١) والأولى أن يقال الله أعلم بمراده به/١٢ فتح.

(*) أخرجه البيهقى فى "الدلائل" بسند فيه السدى الصغير والكلبى وهما متروكان.

بالتأمل والعمل ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ﴾: غائبًا عنه الرحمن فلا يراه، أو غائبًا عن عذاب الرحمن ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ[(١)]﴾: حسن ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾: عند البعث ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾: من أعمالهم الصالحة والطالحة التى باشروها بأنفسهم ﴿وَآثَارَهُمْ﴾: ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة، فعمل بها أحد اقتداء بهم، فيجزون عليها أيضًا، وقريب منه ما قال بعض السلف المراد: ما أرّثوا من الهدى والضلال، أو المراد آثار خطاهم إلى الطاعة والمعصية، وفى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد، فأرادوا أن يتحولوا إلى قرية فنزلت "سنكتب ما قدموا وآثارهم" فثبتوا فى منازلهم[(*)] وهذا المعنى رواه غير الطبرانى[(**)]، وفيه إشكال لأنهم صرحوا بأن السورة بكمالها مكية ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾: اللوح المحفوظ.

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ

---

(١) ولما قال: "إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ" أراد بيان الحشر والجزاء المورثة للخشية فقال: "إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى" الآية/ ١٢ وجيز.

(*) صحيح، أخرجه أحمد فى الزهد وابن ماجه، فالعزو إليها أولى.

(**) كالترمذى وانظر صحيح سننه (٢٥٧٨).

أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَالِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَاضْرِبْ[(١)]**﴾**: مثّلْ **﴿لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾** أى: مثلها بيان أو بدل من مثلاً، أو هما مفعولا اضرب، لما فيه من معنى الجعل، وقدم المفعول الثانى **﴿إِذْ جَاءهَا﴾** بدل اشتمال من أصحاب **﴿الْمُرْسَلُونَ﴾**: رسل الله أو رسل عيسى بأمر الله **﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾**: وادعيا الرسالة **﴿فَكَذَّبُوهُمَا**[(٢)] **فَعَزَّزْنَا﴾**: قويناهما **﴿بِثَالِثٍ﴾** برسول ثالث **﴿فَقَالُوا﴾** أى: الرسل الثلاثة **﴿إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾**: من ربكم، أو من رسول ربكم

---

(١) ولما دل تعالى على ما له من القدرة الكاملة بالأفعال الهائلة من الإماتة والإحياء، وكأن الأمثال بالمشاهدات ألصق شيء بالبال وأقطع للجدال، ضرب مثلا جامعًا للأصول الثلاثة التوحيد والرسالة والبعث فقال: "واضرب لهم مثلاً" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) مع أنهما أظهرا المعجزة من إبراء المريض وغيره /١٢ وجيز.

﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ[١] مِّثْلُنَا﴾ وإنما الرسول ملك، وهذا شبهة أكثر الكفرة أن الرسول لابد أن يكون ملكًا ﴿وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ﴾ أى: وحيًا ورسالة ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ﴾: فى ادعاء الرسالة ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ[٢]﴾ استشهدوا بما هو يجرى مجرى القسم وهو علم الله ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾: التبليغ الظاهر المبرهن بالمعجزات ﴿قَالُوا[٣] إِنَّا تَطَيَّرْنَا﴾: تشاءمنا ﴿بِكُمْ﴾ فإنه لم يدخل مثلكم على قرية إلا وعذب أهلها ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا﴾: عن مقالتكم ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾: بالحجارة أو بالشتم ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُوا طَائِرُكُمْ﴾: شؤمكم ﴿مَعَكُمْ﴾ فإن قبائحكم التى لا تفارقكم سبب الشؤم ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ جوابه محذوف، أى: أئن وُعِظتم تطيرتم بالواعظ ووعدتموه بالتعذيب؟! ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: قوم عادتكم[٤] الإسراف فى الضلال، ولذلك تتطيرون بواعظ من الله ﴿وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ[٥] يَسْعَى﴾: يسرع شفقة على الرسل اسمه حبيب يعمل الحبال أو كان

---

(١) وهذا القول منهم دليل على أن هؤلاء ادعوا أنهم رسل الله إليهم لا أنهم رسل عيسى إليهم/١٢ وجيز.

(٢) "مِنْ رَبِّكُمْ" صرح بذلك ابن عباس وكعب/ ١٢ وجيز.

(٣) قيل: أحبس عنهم المطر وأسرع فيمن أساء الأدب معهم الجذام ولهذا قالوا:" إنا تطيرنا بكم"/١٢ وجيز.

(٤) إضراب عن مجموع الكلام كأن الرسل قالوا إنا قد جعلنا الله أسبابًا للسعادة، وأنتم لسوء صنيعكم محرومون عنها، ثم أضربوا عنه إلى ما فعلوا من التعكيس حيث جعلوا الرسل أسبابًا للشقاوة /١٢ وجيز.

(٥) وقد نقل أنه كان مجذومًا يعبد الأصنام مدة متطاولة يسأل عن آلهة تكشف ضره، فلما دعاه الرسل إلى عبادة الله وحده قال: هل من آية؟ قالوا: ندع القادر يفرج عنك ما بك، قال: إن هذا لعجب لى سنون متطاولة أدعو آلهة وما استطاعوا، وربكم فى غداة =

نجارًا أو قصارًا، ويتعبد فى غارٍ بقرب بلدهم، وكان كثير الصدقة سقيمًا، لما سمع همهم بقتل رسلهم جاء لنصح قومه ونصرة رسل الله **﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾**: من لا غرض له **﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾** فقيل له: أنت تصدق هؤلاء وتذم ديننا فقال: **﴿وَمَا لِى لاَ أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**: بعد الموت، فيجازيكم بأعمالكم، فاعبدوا أنتم أيضًا إياه، ووحدوه وصدقوا رسله **﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ﴾**: من دون الله **﴿آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّى شَفَاعَتُهُمْ**[(١)] **شَيْئًا﴾**: لا تمنع شفاعتهم عنى شيئًا من العذاب **﴿وَلاَ يُنقِذُونِ﴾**: ولم يقدروا على إنقاذى **﴿إِنِّى إِذًا لَّفِى ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾**: إن أعدل عن عبادة قادر نافع ضار إلى عاجز **﴿إِنِّى آمَنتُ بِرَبِّكُمْ﴾**: الذى كفرتم به **﴿فَاسْمَعُونِ﴾** أى: قولى أو الخطاب للرسل، ومعناه: اشهدوا لى بذلك عند ربكم، فوطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره، أو رجموه حتى قتلوه، فلما قتلوه **﴿قِيلَ﴾** أى: قال الله له: **﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾**: بشره وأذن له فى الدخول، فلما رأى عناية الله **﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّي﴾** ما مصدرية أو موصولة، والباء صلة يعلمون، وقيل الباء صلة غفر وما استفهامية أى: يعلمون أنه غفر لى بأى شيء أراد الإيمان بالله، والمصابرة بإعزاز دينه **﴿وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾**: تمنى علمهم بحاله ؛ ليعلموا أنه على الحق فيردعوا عن الكفر، أراد نصح قومه فى حياته ومماته **﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ﴾**: قوم الحبيب **﴿مِن بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِّنَ**

= واحدة قالوا: نعم ربنا على ما يشاء قدير، ودعوا فكشف الله ما به كأن لم يكن به بأسًا، فأقبل على كسب والأصح أنه نجار ؛ فنصف ما يحصل منه يصرفه لعياله، والنصف الآخر للفقراء، فلما هم أهل قريته بقتل الرسل أسرع وقال: "يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ" الآية/١٢ وجيز.

(١) كأنهم مثل قريش يعتقدون أنهم شفعاء لهم عند الله /١٢ وجيز.

﴿السَّمَاءِ﴾: لإهلاكهم ونصرة رسلنا، ولم نحتج فى إهلاكهم إلى جند، بل الأمر أيسر ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ الجند من السماء فى إهلاك الأمم المكذبة، فإنزال الجند من السماء لنصرة نبيه المصطفى عليه أكمل الصلوات وأفضل التسليمات من خاصته لشرفه، أو معناه، وما صح فى حكمتنا إنزال جند عليهم، لأنا قدرنا على إهلاكهم بأهون وجهٍ، وعن[١] بعض معناه: وما أنزلنا على قومه من بعده برسل أخرى برسالة من السماء إليهم ﴿إِن كَانَتْ﴾ أى: العقوبة ﴿إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: من جبريل[٢] بعثه الله فأخذ بعضادتى باب بلدهم، فصاح ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾: ميتون كالرماد لم يبق فى البلدة روح يتردد فى جسد، واعلم أن بعض السلف وأكثر المتأخرين على أنهم رسل عيسى، وأسماءهم يحيى، ويونس، وشمعون، والقرية أنطاكية، وذكروا أن ملك القرية وأكثر أهلها آمنوا بعد تقويتهما بثالث وظهور معجزاتهم، ومن بقى على الكفر أهلكوا، وكلام بعض السلف دال على أنهم رسل الله وأسماؤهم صادق، وصدوق، وشكوم، وهو ظاهر القرآن انظر إلى قوله "مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا[٣]" وأيضًا ذكر المؤرخون أن أول مدينة آمنت برسل عيسى هو أنطاكية[٤]، وفى القرآن أن هذه القرية أهلكوا لكفرهم، وأيضًا صرح كثير من السلف فى قول الله "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا

---

(١) هو قتادة ومجاهد /١٢ منه.

(٢) هكذا نقل عن جميع المفسرين/ ١٣ منه.

(٣) فإن هذه شبهة الكفرة مع رسل الله فإنهم يزعمون أنه لابد أن يكون الرسول ملكًا ولا يزعمون ذلك فى شأن رسل الرسل فلا تغفل/١٢منه.

(٤) ولهذا أنطاكية عند النصارى من أحد المدائن الأربع اللاتى تعظمها، وهى القدس لأنها بلد المسيح وأنطاكية لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها، وإسكندرية، وورومية، وأن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا فى الملة النصرانية ولا قبلها والعلم عند الله سبحانه/ ١٢ وجيز.

أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى"[القصص:٤٣] أن الله ما أهلك من الأمم عن آخرهم بالعذاب بعد إنزال التوراة، بل أمر المؤمنين بقتال المشركين، فكيف يكون هلاك قرية رسل عيسى والله أعلم ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ[1]﴾ نداء للحسرة، كأنه قيل تَعَالي فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضري، والظرف إما لغو أو صفة ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءون أَلَمْ يَرَوْا﴾: يعلموا ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنْ الْقُرُونِ﴾ علق ألم يروا عن العمل لفظًا فيما بعده ؛ لأن كم لا يكون معمولاً لما قبله ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ[2]﴾ بدل الكل من جملة كم أهلكنا على المعنى، فإن عدم الرجوع والإهلاك واحد ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ إن نافية ولما المثقلة بمعنى إلا، والظرف لجميع بمعنى مجموع أو لمحضرون أى: ما كلهم إلا مجموعون لدينا يوم الحشر محضرون.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ

---

(١) والمراد من العباد الجنس إذ شؤم فعل البعض واصل إلى الجميع /١٢ وجيز.

(٢) قال صاحب البحر: الذى يقتضيه صناعة العربية أن تقديره قضينا أو حكمنا أنهم لا يرجعون، وبعض القراءات: إنهم بكسر الهمزة دل على ما ذكرنا لأنها مقطوعة عما قبلها، ولا يخفى بعد أنها بدل، أى بدل من الثلاثة/ ١٢ وجيز.

وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿**وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ**﴾: اليابسة التي لا نبات فيها ﴿**أَحْيَيْنَاهَا**﴾ بالمطر استئناف لبيان كونها آية أو آية لهم مبتدأ وخبر وأحييناها خبر الأرض، والجملة تفسير الآية ولا يبعد أن يكون أحييناها، لا بتقدير قد ﴿**وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا**﴾ أي: جنسه ﴿**فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ**﴾: من ثمر المذكور، قيل الضمير لله، فإن ثمر الله بخلقه ﴿**وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ**﴾ أي: الثمر لم تعمله أيدي الناس، بل خلق الله، ولهذا قال:﴿**أَفَلَا يَشْكُرُونَ**﴾ وعن بعض أن ما موصولة عطف على ثمره، والمراد ما يتخذ منه كالدبس ﴿**سُبْحَانَ**[1] **الَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ**﴾: الأنواع ﴿**كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾: الذكر والأنثى ﴿**وَمِمَّا**

---

(١) ولما أثبت تفرده بالإيجاد والإنعام ناسب أن يعقبه تتريهه فقال: "سبحان الذي" الآية/١٢ وجيز.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: من مخلوقات شتى لا يعرفون، فكأنه قال: الأزواج قسمان معلوم[1] وغير معلوم ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ﴾: نزيل ﴿مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾: داخلون فى الظلام ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ اسم مكان وفسر النبي[2] المترل عليه القرآن أن مستقرها تحت العرش تذهب وتسجد هناك، وإذا كان العرش كرة محيطة فتحتيتها باعتبار مكان خاص من العرش الله ورسوله أعلم به، وظاهر بعض الأحاديث دال على أنه قبة ذات قوائم تحمله الملائكة فوق هذا الجانب من الأرض، فحينئذ يكون وقت الظهيرة أقرب ما يكون إلى العرش، وفى نصف الليل أبعد فحينئذ تسجد وتستأذن فى الطلوع، وعن بعض أنه اسم زمان أى الوقت الذى تستقر فيه، وتنقطع جريها وهو يوم القيامة ﴿ذَلِكَ﴾ الجرى الخاص ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ﴾ نصب بشريطة التفسير ﴿قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ هى ثمانية وعشرون يترل كل ليلة فى واحد، فإذا كان فى آخر منازله

---

(١) فمن بيانية والاستيعاب إنما هو باعتبار المعلومية وغير المعلومية واكتفى فى بيان قسم المعلوم بذكر بعض أفراده/١٢ وجيز.

(٢) كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما بروايات متعددة أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: (مستقرها تحت العرش تذهب وتسجد هناك وتستأذن فى الطلوع فيقال لها: اطلعى من حيث طلعت، فإذا كان عند القيامة يقال لها: اطلعى من حيث غربت فذلك حين لا تنفع نفس إيمانها) هذا هو التفسير ويا عجبًا لمن عدل، وهو يدعى الإيمان، وأما كيفية ذهابها تحت العرش مع أن العرش كرة محيطة أو قبة ذات قوائم تحملها الملائكة فوق هذا الجانب من الأرض كما هو ظاهر بعض الأحاديث فعلمه عند الله ورسوله نحن نؤمن به ونكل العلم إليهما كما فى أكثر أمور الآخرة /١٢ وجيز.

وذكر فى المنهية أقوالاً ثم قال: وهذه الأقوال كلها كأنه لمن لم يطلع على تفسير رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذى فى الصحيحين وغيرهما وإلا فكيف العدول عنه، ويا عجبًا أن القاضى مع مطالعته لتفسير المعالم ما تعرض لهذا الوجه بوجه والله هو الموفق.

دق واستقوس ﴿حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ﴾: كالعذق وهو العود المعوج الذى عليه الثمر ﴿الْقَدِيمِ﴾: العتيق اليابس ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا﴾ يصح لها، ويَتَسَهَّلُ عليها ﴿أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾: فتجتمع معه فى وقت واحد وتداخله فى سلطانه، فتطمس نوره ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ أى: ولا يطلع القمر بالنهار، وله ضوء يطمس نور الشمس فسلطانها بالنهار وسلطانه بالليل لا يدخل أحدهما فى سلطان الآخر قبل القيامة، فعلى هذا المراد من الليل والنهار آيتاهما وهما النيران، أو المراد لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار. أيضًا يتعاقبان بحساب معلوم إلى يوم القيامة، أو المراد أنها لا تجتمع معه فى فلك واحد، ولا يتصل ليل بليلٍ لا يكون بينهما نهار ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ[1]﴾ أى: وكلهم، والضمير لهما ولسائر النجوم، فإن ذكرهما مشعر بها أو لهما وهما لاختلاف مطالعهما كأنهما شموس وأقمار، ولإطلاق السباحة التى هى للعقلاء جُمعا بالواو والنون ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ المراد سفينة نوح، فإنها مشحونة مملوءة من الأمتعة والحيوانات، والمراد ذرياتهم التى فى أصلاب آبائهم، أى: حملنا فيها آباءهم الأقدمين، وفى أصلابهم ذرياتهم، وتخصيص الذرية ؛ لأنه أبلغ فى الامتنان، وأدخل فى التعجب مع الإيجاز، وقيل: حملنا صبيانهم أو

---

(١) وليست السباحة من خواص ذوى العقول، وهما لاختلاف مطالعهما كأنهما شموس وأقمار فلهذا قال: كل ويسبحون، وظاهر القرآن أن لنفسهما سيرًا وسباحة، والعلم عند الله /١٢ وجيز. وفى الفتح قال العماد ابن كثير فى البداية والنهاية: وحكى ابن حزم وابن الجوزى وغير واحد الإجماع على أن السماوات كرية مستديرة واستدل عليه بهذه الآية. قال الحسن: يدورون، وقال ابن عباس: فى فلكة مثل فلكة المغزل. قالوا: ويدل على ذلك أن الشمس تغرب كل ليلة من المغرب، ثم تطلع فى آخرها من المشرق قال ابن حجر: حكى الإجماع على أن السماوات مستديرة جمع، وأقاموا عليه الأدلة وخالف فى ذلك فرق يسيرة من أهل الجدل/١٢فتح.

أولادهم الذين يبعثونهم إلى التجارة، فالمراد السفن مطلقًا ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾: من السفن التي بعد سفينة نوح، أو المراد الإبل فإنها سفينة برٍّ ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ﴾: مغيث ﴿لَهُمْ وَلا هُمْ يُنقَذُونَ﴾: ينجون من الغرق ﴿إِلاَّ رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ أي: لا ينجو لجهةٍ إلا لرحمة منا، ولتمتيع بالحياة إلى أجل مقدر ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ أي من الوقائع التي مضت ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ[1]﴾ من أمر الساعة، أو المراد ما تقدم من الذنوب وما تأخر، أي: من مثلها ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: لتكونوا على رجاء رحمة، وجواب إذا مقدر، وهو مثل أعرضوا عنه، ويدل عليه ما بعده ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ﴾ أي: أمروا بالإنفاق على فقراء الصحابة ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ[2] اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾: فمن لم يرزق الله

---

(١) وعن ابن عباس ما بين أيديكم الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم الدنيا فلا تغتروا بها/١٢ وجيز.

(٢) لما أسلم أقارب صناديد قريش، وهم فقراء قطع صناديدهم عنهم ما كانوا يواسونهم، فندبهم المؤمنون إلى صلة أقاربهم فأجابوا أنطعم، وأكثر السلف على أن قولهم هذا استهزاء فإنهم يسمعون المؤمنين يعلقون الأفعال بمشيئة الله خرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولون، وهذا كما تقول لأحد أعطه دينارًا فيجيب لا أعطيه فلسًا، فإنهم أمروا بالإنفاق فأجابوا بأنا لا نطعمهم /١٢ وجيز.

وفى الفتح كأنهم حاولوا بهذا القول الإلزام للمسلمين، وقالوا: نحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله، وهذا غلط منهم ومكابرة ومجادلة بالباطل فإن الله سبحانه أغنى بعض خلقه وأفقر بعضًا ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لا بخلاً وأعطى الدنيا للغنى لا استحقاقًا وأمر الغنى أن يطعم الفقير، وابتلاه به فيما فرض له من ماله من الصدقة، ولا اعتراض لأحد فى مشيئة الله وحكمته فى خلقه، والمؤمن يوافق أمر الله وقولهم: "من لو يشاء الله أطعمه" هو =

مع قدرته لا نعطيه ؛ لنوافق مشيئة الله **﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾** حيث اتبعتم محمدًا، وأمرتمونا بالإنفاق على من أراد الله فقره قيل: هذا قول الله للكفار **﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾**، يعنون البعث **﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ مَا يَنظُرُونَ﴾**: ما ينتظرون **﴿إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾** هى النفخة الأولى **﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾**: مشتغلون فى متاجرهم بخصوماتهم، لا يخطر ببالهم القيامة **﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلاَ إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾**: لمفاجأة القيامة فيموتون فى مكان يكونون فيه، ولا يتمكنون من الرجوع إلى بيوتهم.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ

= وإن كان كلامًا صحيحًا فى نفسه ولكنهم لما قصدوا به الإنكار لقدرة الله وإنكار جواز الأمر بالإنفاق مع قدرة الله كان احتجاجهم من هذه الحيثية باطلاً/١٢ فتح.

﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ۝ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ۝﴾

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: نفخة البعث **﴿فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ﴾**: القبور **﴿إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾**: يسرعون **﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾** تعال فهذا أوانك **﴿مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾** يرفع الله عنهم العذاب بين النفختين، فيحسبون أنهم كانوا نيامًا **﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾** من كلام المؤمنين أو الملائكة فى جوابهم كأنه قيل: بعثكم الرحمن الذى وعدكم البعث وأنبأكم به الرسل، أو من كلامهم ردًّا على أنفسهم وتحسرًا، وما إما مصدرية أى وعده وصدقهم، أو موصولة أى: الذى وعده الرحمن، وصدقه بمعنى صدق فيه المرسلون **﴿إِنْ كَانَتْ﴾** أى: الفعلة **﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾**: بمجرد تلك الصيحة، وليس الأمر فيها بعسير **﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾**: من الظلم **﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** هذا حكاية ما يقال لهم فى ذلك اليوم **﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ﴾**: يوم القيامة بعد دخول الجنة **﴿فِي شُغُلٍ﴾**: عظيم لا يحيط به الأفهام **﴿فَاكِهُونَ﴾**: متلذذون خبر بعد خبر، أو الأول ظرف للثانى **﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ﴾** من أشجار الجنة وقصورها **﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾** هى السرر فى الحجال **﴿مُتَّكِئُونَ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾**: جميع أنواعها **﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾** يدعون به لأنفسهم، فهو من الدعاء، أو يتمنون من قولهم: ادع على ما شئت، بمعنى: تمنه على **﴿سَلَامٌ﴾** أى: لهم سلام الله، أو بدل مما يدعون **﴿قَوْلًا مِن رَّبٍّ[1] رَّحِيمٍ﴾** يقال لهم

---

(١) روى ابن أبى حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (بينا أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رءوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم. فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة) فذلك قوله سلام قولاً من رب رحيم، قال: لينظر =

قولاً من جهته، أى: يسلّم الله عليهم بغير واسطة، تعظيمًا لهم، وهذا غاية مناهم **﴿وَامْتَازُوا[1] الْيَوْمَ﴾**: انفردوا عن المؤمنين **﴿أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾**: الكافرون عن الضحاك لكل كافر بيت من النار، يُردم بابه بالنار، يكون فيه أبدًا، لا يرى ولا يُرى **﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾** العهد: الوصية، أى: ألم أوصيكم بلسان أنبيائي، وهذا من جملة ما يقال لهم تقريعًا **﴿يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾** أن مفسرة أو مصدرية **﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي﴾** عطف على أن لا تعبدوا **﴿هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾**: بليغ فى استقامته، إشارة إلى عبادته **﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ﴾**: خلقًا **﴿كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾**: فتدركوا إضلاله وعداوته، يعنى أنه أمر واضح لمن له أدنى عقل فى الحديث[2] "إذا كان يوم القيامة أمر الله جهنم، فيخرج منها عنق ساطع مظلم، ثم يقول: "أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ" إلى قوله: **﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ اصْلَوْهَا﴾**: ادخلوها وذوقوا عذابها **﴿الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾**: بكفركم فى الدنيا **﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ**

= إليهم، وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب منهم ويبقى نوره وبركته عليهم وفى ديارهم) [ضعيف، وأخرجه ابن ماجه فالعزو إليه أولى، وانظر ضعيف الجامع (٢٣٦٢)]/١٢ منه ووجيز.

(١) اعلم أن قوله: "وَلاَ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" مجمل تفصيله قوله: "إن أصحاب الجنة" إلخ، وقوله: "وامتازوا اليوم" إلخ على طريقة قولهم: زيد يعاقب بالقيد والإرهاق وبشر يا فلان عمرًا بالعفو والإطلاق من أن المقصود عطف جملة قصة أصحاب النار على جملة قصة أصحاب الجنة وأوثر هاهنا الطلب زيادة للتهويل والتعنيف ألا ترى إلى قوله: "اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ"/١٢ منه ووجيز.

(٢) رواه ابن جرير عن أبي هريرة -رضى الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم/١٢ منه [أخرجه ابن كثير فى "التفسير" (٥٧٧/٤) وفى سنده ضعيف ومجهول].

﴿عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾: نمنعها عن التكلم عن السلف[1]، إنه يدعى الكافر والمنافق للحساب، فيعرض عليه عمله فيجحد، ويقول: أى ربّ وعزتك لقد كتب على الملك ما لم أعلمه فيقول له الملك عملت كذا فى يوم كذا؟ فيقول: لا وعزتك أى رب فحينئذ ختم على فيه، ويشهد[2] عليه جوارحه ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾: بإنطاق الله إياها ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: من المعاصى ﴿وَلَوْ نَشَاء لَطَمَسْنَا﴾ الطمس: تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة ﴿عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا﴾ أى: ابتدروا ﴿الصِّرَاطَ﴾ أى: الطريق الذى اعتادوا سلوكه نصبه بالمفعولية ؛ لتضمنه معنى ابتدروا، أو بترع الخافض يعنى إلى ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ أى لا يبصرون الطريق ﴿وَلَوْ نَشَاء لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ قردة وخنازير أو حجارة أو أزمنّاهم ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ[3]﴾ أى: مكانهم ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أى لا ذهابًا ولا رجوعًا، ولفواصل الآى قال: ولا يرجعون أو معناه، ولا يرجعون إلى ما كانوا عليه وحاصله أهم أحقاء بالطمس والمسخ، ونحن قادرون لكننا نمهلهم لحكمة ورحمة منا.

﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ

(١) رواه ابن جرير عن أبى موسى الأشعرى /١٢ منه.

(٢) فى الحديث (إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل اليسرى) رواه ابن أبى حاتم وابن جرير[أخرجه أحمد (٤/١٥١)، وقال الهيثمى فى "المجمع" (١٠/٣٥١): "رواه أحمد والطبرانى وإسنادهما جيد"] /١٢ منه.

(٣) المكانة والمكان كالمقامة والمقام واحد /١٢ منه.

فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٌ مُّحۡضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ نطل عمره **﴿نُنَكِّسْهُ﴾** نقلبه **﴿فِي الْخَلْقِ﴾**: فتنقص جوارحه بعد الزيادة، وتضعف بعد القوة **﴿أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾**: أن القادر على ذلك قادر على البعث، أو على الطمس والمسخ **﴿وَ مَا عَلَّمْنَاهُ[1] الشِّعْرَ﴾** ردٌّ لما قال قريش: إن محمدًا لشاعر **﴿وَمَا يَنبَغِي[2] لَهُ﴾**: الشعر، عن ابن عباس وغيره: ما ولد عبد المطلب ولدًا ذكرًا، ولا أنثى إلا يقول الشعر إلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأما نحو: (أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب)[*]

---

(١) ولما قالت قريش: إن محمدًا شاعر وما القرآن إلا شعر فما فيه من التوحيد والبعث والوعد والوعيد خيالات شعرية لا أصل له، بل من المحالات التى تلقى على الناس فى صورة حسنة نفاه تعالى فقال: "وما علمناه الشعر" الآية/١٢ وجيز.

(٢) فإن أكثر الشعر تحسين ما ليس بحسن، وتقبيح ما ليس بقبيح ومغالاة مفرطة، وما هو إلا موزون مقفى /١٢ وجيز.

(*) جزء من حديث أخرجاه فى الصحيحين، فى غزوة حنين.

فهو اتفاقى بحسب سليقته من غير قصد إليه ﴿إِنْ هُوَ﴾ أى: ليس الذى أتى بـه ﴿إِلاَّ ذِكْرٌ﴾: عظة من الله ﴿وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾: واضح الدلالة على أنه من الله ﴿لِيُنذِرَ[1]﴾: الرسول ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾: حى القلب والبصيرة فإنه المنتفع به ﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ﴾: كلمة العذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: المصرين على الكفر ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾: مما عملناه نحن بلا شريك، وإسناد العمل إلى الأيدى استعارة تفيد المبالغة فى التفرد بالإيجاد ﴿أَنْعَامًا﴾ مفعول خلقنا ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ أى: خلقناها لهم، وملكناها إياهم فهم لها مالكون متصرفون مختصون بالانتفاع ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾: صيرناها منقادة ﴿لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾: مركوبهم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾: من الجلود والأصواف وغيرهما ﴿وَمَشَارِبُ﴾ من اللبن جمع مشرب اسم مكان، أو مصدر ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾: رب هذه النعم ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾: طمعًا فى أن يتقوا بهم، والأمر بالعكس لأنهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ﴾: لأصنامهم ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾: فى الدنيا يغضبون للآلهة ويحفظونها، أو فى الآخرة عند الحساب أى: الأصنام لعبادها جند محضرة عند الحساب ؛ ليكون أبلغ فى خزيهم ؛ لأنهم فى هذا اليوم أعداء ﴿فَلَا يَحْزُنكَ[2] قَوْلُهُمْ﴾: تكذيبهم وكفرهم ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: فنجازيهم ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أخس

---

(١) قراءة التاء وهى من السبعة دالة على أن الضمير فى قراءة الياء للرسول /١٢ منه.

(٢) الفاء فى "فلا يحزنك" متصل بقوله: "وما علمناه الشعر" إلخ. لما رد عليهم قولهم إنه شاعر أتى بقوله: "إنا خلقنا لهم" الآية، تسلية له صلى الله عليه وسلم يعنى لك التأسى بربك فإنه كيف أولاهم تلك النعم، وعلموا أنه تعالى المنفرد بها، ومع ذلك عاندوا وأشركوا به فإذا كان ذلك حالهم مع ربهم فلا تحزن ؛ لأنا نجازيهم على تكذيبهم إياك وإشراكهم بي/١٢ منه.

شيء وأمهنه ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾: بين الخصومة لا يتأمل فى بدء أمره، ولا يستحي، نزلت إلى آخر السورة حين جاء أبي بن خلف[1] أو عاص بن وائل[2] معه عظم رميم، وهو يذره فى الهواء، ويقول: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ فقال عليه السلام: (نعم يميتك الله ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار). ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً﴾: أمرًا عجيبًا ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾: ابتداء خلقنا إياه ﴿قَالَ﴾ بيان للمثل: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾: بالية اسم لما بلى من العظام غير صفة، قيل: هو كبغيًّا فى "وما كانت أمك بغيًّا"[مريم: ٢٠] فى أنها معدولة عن فاعلة فإسقاط الهاء ؛ لأنها معدولة عن باغية ﴿قُلْ يُحْيِيهَا[3] الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾: يعلم كيف يخلقه، لا يتعاظمه شيء ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا﴾ مع مضادة الماء النار، والمراد الزِّنار التي تورى بها الأعراب، وأكثرها من شجرى المرخ والعفار الخضراوين ﴿فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ فمن كان قادرًا على هذا، كيف لا يقدر على إعادة الغضاضة فيما كان غضًّا فيبس؟! قيل معناه: الذى بدأ خلق الشجر من ماء حتى صار خضرًا نضرًا، ثم أعاده إلى أن صار حطبًا يابسًا يوقد به النار، قادر كذلك على كل شيء ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾: مع عظم شأنهما ﴿بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾: فى الصغر فإن خلق الصغير أسهل عندكم أو مثلهم فى أصول الذات، والصفات وهو المعاد ﴿بَلَى﴾ جواب من الله، وفيه إشعار بأنه لا جواب سواه ﴿وَهُوَ

---

(١) رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم وغيرهما عن مجاهد وعكرمة وغيرهما[ضعيف لإرساله، وانظر الدر المنثور (٥٠٨/٥)] /١٢ در منثور.

(٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والإسماعيلى فى معجمه، والحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقى فى البعث والضياء فى المختارة عن ابن عباس[أخرجه الحاكم (٤٢٩/٢) وصححه، وأقره الذهبي] /١٢ در منثور.

(٣) قيل: فيه دليل على أن العظم ذو حياة يؤثر فيه الموت.

﴿الْخَلَّاقُ﴾: كثير المخلوقات **﴿الْعَلِيمُ﴾**: كثير المعلومات **﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾**: شأنه **﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾**: تَكَوَّن **﴿فَيَكُونُ﴾** فيحدث أى: لا يعسر عليه شيء، ولا يمنع دون إرادته، وقراءة نصب فيكون للعطف على يقول **﴿فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾** يعنى هو المالك المتصرف فيه **﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**: للجزاء.

والحمد لله أولاً وآخرًا.

سورة والصافات مكية

وهي مائة وإحدى وثمانون وقيل: اثنتان وثمانون آية وخمس ركوعات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧) لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠) فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٥) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (١٩) وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١)﴾

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ أقسم سبحانه بطوائف الملائكة(١) الصافات ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾: الملائكة الذين يزجرون السحاب سوقًا ، أو الآيات القرآنية التي تنهى وتزجر عن القبيح

---

(١) الملائكة عليهم السلام ليسوا إناثًا ، فلابد من تأويل لفظ الصافات وما يتبعها فأوله بطوائف ، وقيل: بنفوسهم الصافات ، والمراد صفهم في الصلاة قال تعالى :"وإنا لنحن الصافون"[الصافات:١٦٥] أو في الهواء انتظارًا لأمر الله/ ١٢ منه.

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ أي : الملائكة الذين يترلون بكلام ، ويتلونه على أنبيائه، والعطف بالفاء ؛ للدلالة على ترتب الصافات في التفاصيل[1] قيل : أقسم بالذين يصفون في مقابلة العدو الذين يزجرون الخيل للجهاد ، ويتلون القرآن مع ذلك ، لا يشغلهم عنه تلك الشواغل ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾: جواب للقسم ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ خبر بعد خبر أو خبر لمحذوف ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾: مشارق الكواكب أو مشارق[2] الشمس في السنة ، واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالتها عليها ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ قراءة تنوين زينة مع جر الكواكب يؤيدان الإضافة للبيان ، والزينة اسم وقراءة نصب الكواكب يؤيدان الإضافة إلى المفعول ، والزينة مصدر أي : بأن زان الله الكواكب ، وحسنها[3] والكواكب ، وإن كان بعضها في غير سماء الدنيا لكن بأسرها زينة للسماء الدنيا زيناها للناظرين يروها كجواهر مشرقة على سطحها الأزرق ﴿وَحِفْظًا﴾ أي : وحفظناها حفظًا ، أو عطف على بزينة من حيث المعنى ، كأنه قيل : إنا خلقناها زينة وحفظًا ﴿مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾: خارج عن الطاعة إذا أراد استراق السمع أتاه شهاب ثاقب فأحرقه ﴿لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى﴾ التسمع : تطلب السماع ، ولتضمنه معنى الإصغاء عُدِّي بإلى ، والملأ الأعلى الملائكة ، وهو كلام منقطع لبيان حالهم ، أو صفة و"لا" محذور[4] معنى" ؛ لأن معناها : لا يمكنون من التسمع ، كما لا يخفى أو استئناف ،

---

(١) يعني أجريت هذه الصفات على الملائكة ، فعطف بالفاء ليفيد ترتبًا لها في الفضل ، فالفضل للصف ، ثم للزجر ، ثم للتلاوة/ ١٢ منه.

(٢) وهي ثلاثمائة وستون مشرقًا كل يوم لها مشرق/١٢ منه.

(٣) فإن الكواكب لو لم تكن مزينة في نفسها لم تزين السماء/ ١٢ـ١٢ـ ١٢ منه.

(٤) ولا محذور معنى فإنهم مع مبالغتهم في الطلب لايمكنهم ذلك ، لأنهم ممنوعون ، ومعنى لا يسمعون إليه لا يمكنون مصغين إليه سواء جعل صفة أو لم يجعل فلا يرد ما قاله الزمخشري: لا يجوز أن يكون صفة ؛ لأن الحفظ من شياطين لا يسمعون لا معنى له ، =

معناها : لا يمكنون من التسمع ، كما لا يخفى أو استئناف ، والسؤال عما يكون عند الحفظ[1] وكيفيته ، لا عن سببه ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾: يرمون ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾: من جوانب السماء حين صعدوا للاستراق ﴿دُحُورًا﴾: للدحور وهو الطرد أو مدحورين ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ مستمر في الآخرة ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ﴾: اختلس ﴿الْخَطْفَةَ﴾ استثناء من فاعل ، لا يسمعون بدل منه ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾: أي لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي يختلس ويأخذ كلام الملائكة بسرعة ، فيتبعه كوكب مضيء ، فيحرقه[2] وسيأتي تفصيل ذلك في سورة "قل أوحي" إن شاء الله ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾: استخبر مشركي مكة ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا﴾ أي : سلهم أخلقهم أصعب أم خلق الملائكة والسماء والأرض ، وما بينهما ، والمشارق والكواكب والشهب الثواقب؟ فإذا اعترفوا أنها أصعب فَلِمَ ينكرون البعث؟! والبعث أسهل ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾: لاصق لازق بعضه ببعض ، فمن أين لهم أن ينكروا إعادتهم وهم تراب ﴿بَلْ عَجِبْتَ[3]﴾: يا محمد من إنكارهم للبعث ، أو من قدرة الله على هذه

ولا استئناف ، فلأن سائلاً لو سأل لِمَ يحفظ منها؟ فأجيب بأنهم لا يسمعون لم يستقم /١٢ منه.

(١) لأن قوله: "وحفظا" مما يحرك الذهن له ، فقيل : لا يسمعون جوابًا عما يكون عنده ، ويقذفون بيانًا لكيفية الحفظ ، وهذا أحسن طباقًا لفظًا ومعنى فتأمل /١٢ منه.

(٢) ما يدل عليه النصوص الصريحة : أن المحرق كوكب لا الأنيار كما قاله الفلاسفة /١٢ منه.

(٣) أخرج أبو عبيد ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم وصححه الحاكم عن ابن مسعود - رضي الله عنه- أنه كان يقرأ "بل عجبتُ ويسخرون" بالرفع وأخرج أبو عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر ، وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق الأعمش عن شقيق بن سلمة عن شريح أنه كان يقرأ هذه الآية "بل عجبتَ ويسخرون" بالنصب ويقول : إن الله لا يعجب من الشيء ، إنما يعجب من لا يعلم . قال الأعمش : =

الخلائق العظيمة ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾: منك ومن تعجبك ، وقراءة عجبتُ[1] بضم التاء بمعنى

= فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي ، فقال : إن شريكًا كان معجبًا برأيه وعبد الله ابن مسعود رضي الله عنه : كان أعلم منه كان يقرؤها "بل عجبتُ" /١٢ در منثور.

(١) على قراءة الضم هو عجب من كفرهم مع وضوح الأدلة وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- للذي آثر هو وامرأته لضيفهما: (لقد عجب الله من صنيعكما البارحة) وفي لفظ في الصحيح (لقد ضحك الله الليلة)[جزء من حديث أخرجاه في الصحيحين] وقال: "إن الرب ليعجب من عبده إذا قال رب اغفرلي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنا"[صحيح، أخرجه أبو داود والترمذى، وانظر صحيح سنن أبى داود (٢٢٦٧)] وقال: (عجب ربك من شاب ليست له صبوة)[ضعيف، أخرجه أحمد والطبرانى، وانظر ضعيف الجامع(١٦٥٨)] وقال : (عجب ربك من راعي غنم على رأس جبل شظية يؤذن ويقيم فيقول الله : انظروا إلى عبدي)[صحيح، انظر الصحيحة ، والإرواء] أو كما قال. (كل هذا نقله شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام في بعض رسائله وذكر أن قول القائل التعجب استعظام للمتعجب منه . فيقال : نعم وقد يكون مقرونًا بجهل بسبب المستعجب منه ، وقد يكون لما خرج عن نظائره ، والله تعالى بكل شيء عليم ، فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما يعجب منه ، بل يتعجب منه لخروجه عن نظائره تعظيمًا له ، والله تعالى يعظم ما هو عظيم إما لعظمه أو لعظمته فإنه وصف بعض الخير بأنه عظيم ، وصف بعض الشر بأنه عظيم ، فقال تعالى : "رب العرش العظيم"[التوبة:١٢٩] وقال : "ولقد أتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم" (الحجر:٨٧) وقال : "ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم وأشد تثبيتًا وإذا لآتيناهم من لدنا أجرًا عظيمًا" (النساء:٦٦) وقال : "لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم" (النور:١٦) وقال :" إن الشرك لظلم عظيم" (لقمان:١٣) وقول القائل : إن هذه انفعالات نفسانية ، فيقال : كل ما سوى الله مخلوق منفعل، ونحن وذواتنا منفعلة، فكونها انفعالات فينا لغيرنا نعجز عن دفعها، لا يوجب أن =

عجبت[1] من إنكارهم البعث ، أو بلغ كمال قدرتي أني تعجبت منه ، والعجب من الله تعظم تلك الحالة ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا بشيء ﴿لاَ يَذْكُرُونَ﴾ لا يتعظون به ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ كانشقاق القمر ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يبالغون في السخرية ﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا﴾ أي: ليس ما نراه[2] ﴿إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ تكرار الهمزة للتأكيد في نفي البعث ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ عطف على محل إن واسمها ، أو على ضمير لمبعوثون ، وجاز للفصل بالهمزة ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ تبعثون اكتفى به في الجواب؛ لظهوره مع ما يدل عليه من المعجزات والدلائل ﴿وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ صاغرون أذلاء ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ أي : إذا كان ذلك فإذا[*] هي أي : البعثة صيحة واحدة ، وهي النفخة الثانية ، فالفاء جواب الشرط مقدر ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ أحياء يبصرون ، وينتظرون أمر الله ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ احضر فهذا أوانك ﴿هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ يوم الجزاء ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ بين الحق والباطل ﴿الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: وهذا من كلام الملائكة ، والمؤمنين تقريعًا لهم وتوبيخًا.

﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا

= يكون الله منفعلاً لها عاجزًا عن دفعها فإن كل ما يجري في الوجود ، فإنه بمشيئته وقدرته لا يكون إلا ما يشاء ، ولا يشاء إلا ما يكون له الملك وله الحمد/١٢ منه.

(١) وفي الوجيز والعجب روعة يعتري الإنسان عند استعظام الشيء والله تعالى منزه عن الروعة ، فيحمل على الاستعظام من غير روعة، انتهى ، وكذا في المنهية /١٢.

(٢) فيه إشارة إلى ما يرونه من مثل انشقاق القمر الذي أطلق عليه الآية ولهذا لم يقل إن هذه/١٢ منه.

(*) فى النسخة ن: فإنما.

تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ
مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ
عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ
يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ
كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ
ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ
لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ
ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى
جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾
بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ
قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ
ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم
مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾
وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا
ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا
فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً
لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ

ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ هذا من أمر الله للملائكة ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾: أشباههم يعني احشروا عابدي الصنم بعضهم مع بعض ، وعابدي الكواكب كذلك ، وعن عمر صاحب كل ذي ذنب مع صاحب ذلك الذنب أو قرناءهم من الشياطين أو نساءهم المشركات ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: من الأصنام ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾: عرفوهم طريقها ليسلكوها ﴿وَقِفُوهُمْ﴾: في الموقف ﴿إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾: عن عقائدهم وأعمالهم ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾: لا ينصر بعضكم بعضًا ، وهذا للتوبيخ ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾: منقادون لعجزهم ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ﴾: يسأل بعضهم بعضًا على طريق اللوم ﴿قَالُوا﴾: الأتباع للرؤساء ، أو الكفار للشياطين ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾: عن قبل الخير فزينتم الباطل فحسبناه حقًّا ، فإن من أتاه الشيطان من جانب اليمين ، أتاه من قبل الدين ، فلبس عليه الحق ، أو عن القوة ، والقهر فألجأتمونا على الضلال . قيل : اليمين الحلف ، فإن رؤساءهم يحلفون أنهم على الحق ﴿قَالُوا﴾ أي : الرؤساء ، أو الشياطين في جوابهم ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: الكفر من قبل أنفسكم ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾: تسلط ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾: ضالين ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾: جميعنا ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾: كلمة العذاب ﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾: العذاب ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ أي : أحببنا أن تكونوا مثلنا ، فلا تلومونا ، فقوله : إنا مستأنفة للتعليل ﴿فَإِنَّهُمْ﴾: كلهم ﴿يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ

مُشْتَرِكُونَ إِنَّا كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الفعل ﴿نَفعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾: بالمشركين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: في الدنيا ﴿لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن أن يقولوها ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ أرادوا به أصدق الخلائق وأعقلهم عليه أكمل الصلاة ، وأفضل السلام ﴿بَلْ جَاء بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني: أتى بما أتى به الأنبياء ذوو المعجزات ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: مثله ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ عن كدر الكفر ، والنفاق استثناء متصل إن كان الخطاب في أنكم ، وفي ما تجزون لجميع المكلفين[1] ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾: خصائصه من طيب الطعم والرائحة وحسن المنظر أو وقته ، قال تعالى : "ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا"[مريم:٦٢] ﴿فَوَاكِهُ﴾ بدل الكل أو خبر محذوف ، ورزق أهل الجنة ليس إلا للتلذذ[2] ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾: بخلاف الكفرة ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ظرف أو حال ، أو خبر بعد خبر ﴿عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾: ناظرين بعضهم بعضًا ، وعلى سرر ظرف مقدم ، أو حال أو خبر ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ﴾ تسمى الخمر نفسها كأسًا ﴿مِن مَّعِينٍ﴾: من نهر جارٍ على وجه الأرض كما يجري الماء ﴿بَيْضَاء﴾: لا كدرة فيها ﴿لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ كأن الخمر نفس اللذة وعينها أو تأنيث لذّ بمعنى لذيذ ، وهما صفتان للكأس ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ غائلة ، وفساد من قولنج ونحوه كخمر الدنيا ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ[3]﴾: يسكرون هو من عطف الخاص على العلم ،

---

(١) نحو "والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا" (العصر:١،٢،٣)وإن كان الخطاب للكفار فالاستثناء منقطع أي : لكن المخلصون لا يذوقون/١٢ منه ووجيز.

(٢) وليس للتغذي /١٢ منه.

(٣) قال في النهر: ذكر أولا الرزق ، وهو ما تتلذذ به الأجسام ، وثانيًا الإكرام وهو ما تتلذذ به النفوس ، ثم ذكر المحل الذي هم فيه ، وهو جنات النعيم ثم أشرف المحل وهو السرر،

=

يعني لا فيها فساد أصلاً سيما أعظم المفاسد ، وهو زوال العقل **﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾**: نساء عفيفات قصرن أبصارهن على أزواجهن ، لا ينظرن إلى غيرهم **﴿عِينٌ﴾**: حسان الأعين جمع عيناء **﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾** شُبهن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه . قيل : أحسن ألوان البدن بياض مخلوط بأدنى صفرة ، أو المراد القشر الذي بين قشرة العليا ولباب البيضة . نقله ابن جرير[1] عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- **﴿فَأَقْبَلَ[2] بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ﴾** عطف على يطاف عليهم أي : يشربون فيتحادثون على الشراب بأحوال مرت هم في الدنيا **﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾**: في أثناء المكالمة **﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾**: جليس كافر **﴿يَقُولُ﴾**: الجليس تعجبًا أو توبيخًا **﴿أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾**: بالبعث عن بعض[3] المراد منهما الرجلان اللذان في سورة[4]

= ثم لذة التآنس بأن بعضهم مقابل بعضًا وهو أتم السرور وآنسه ، ثم المشروب وأنهم لا يتناولون ذلك بأنفسهم ، بل يطاف عليهم بالكئوس ، ثم وصف ما يطاف عليهم به من الطيب وانتفاء المفاسد ، ثم ذكر تمام النعمة الجسمانية ، وختم بها كما بدأ باللذة الجسمانية من الرزق ، وهي أبلغ الملاذ وهي التآنس بالنساء ، فقال : "وعندهم قاصرات الطرف" الآية/١٢ فتح.

(١) عن أم سلمة أنها قالت : قلت : يا رسول الله! أخبرني عن قول الله كأنهن بيض مكنون. قال : (رقتهن كرقة الجلدة التي رأيتها في داخل البيضة التي تلي القشرة) [جزء من حديث طويل ذكره الهيثمى فى "المجمع" (١٠/٤١٧-٤١٨) وقال: رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط بنحوه، وفى إسنادهما سليمان بن أبى كريمة وهو ضعيف] . وهذا قول سعيد بن جبير وعطاء وغيرهما ، واختاره ابن جرير / ١٢ منه ووجيز.

(٢) جيء بالفعل ماضيًا لجعل المتحقق كالواقع /١٢ منه.

(٣) هكذا نقله محيي السنة رضي الله عنه /١٢ منه.

(٤) أحدهما كافر واسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا/ ١٢ فتح.

الكهف "واضرب لهم مثلاً رجلين"(الكهف:٣٢) ، **﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾**: مجزيون **﴿قَالَ﴾** الله لهم أو ذلك القائل **﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾**: إلى النار لأريكم ذلك القرين **﴿فَاطَّلَعَ﴾**: هذا القائل **﴿فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾** وسطها ، ولاستواء الجوانب سمي وسط الشيء سواء ، وعن كعب الأحبار : إن في الجنة كوى[1] إذا أراد أحد أن ينظر إلى عدوه في النار ، اطلع عليها ، فازداد شكرًا **﴿قَالَ﴾**: القائل لقرينه **﴿تَاللَّهِ إِنْ﴾** أي إنه **﴿كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾**: لتهلكني بالإغواء **﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾**: بالهداية **﴿لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾**: معك في النار **﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾** أي: نحن مخلدون منعمون ، فما نحن بالذين شأنهم[2] الموت فالهمزة للتقرير ، والفاء عطف على محذوف مقول آخر للمؤمن على سبيل الابتهاج[3] **﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى﴾**: التي كانت في الدنيا ، منصوب بمفعول مطلق من اسم الفاعل **﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾**: كالكفار عن ابن عباس لما قال الله لأهل الجنة **﴿كلوا واشربوا هنيئًا﴾** أي: بلا موت فعندها قالوا : "أفما نحن بميتين" إلخ قال الله تعالى : لا. قالوا **﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** وأما قوله: **﴿لِمِثْلِ هَذَا﴾**: النعيم المقيم **﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾** فهو إما من كلام الله وعليه الأكثرون، أو من كلام أهل الجنة تحدثًا بنعمة الله وتبجحًا، ثم قال لهم: **﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا﴾** منصوب على التمييز أو الحال ، وفيه دلالة على أن لهم غير ذلك من نعم[4] الله

---

(١) جمع كوة /١٢.

(٢) يعني حال المؤمن أن لا يذوق مرارة الموت إلا مرة واحدة بخلاف حال الكافر فإنه يتمنى الموت في كل لمحة ، قيل لبعض الحكماء : ما شر من الموت؟ قال : الذي يتمنى فيه الموت /١٢ وجيز.

(٣) فإن تذكر الخلود في الجنة لذة دونها كل لذة /١٢.

(٤) فإن النزل ما حضر للضيف من الطعام حتى يتهيأ له الضيافة. /١٢ منه.

﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ هي نزل أهل النار **﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾**: ابتلاء في الدنيا، فإنهم كذبوا الرسل ، وقالوا: كيف يكون في النار شجرة؟! قال تعالى : "وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن"(الإسراء:٦٠) **﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾**: منبتها قعرها، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها كما أن شجرة طوبى ما من دار في الجنة إلا وفيه منها غصن**﴿طَلْعُهَا[1]﴾**: ثمرها **﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾** في تناهي قبح منظره ، وهو تشبيه تخييلي ، فإن المركوز في طباع الناس أن أحسن الصور صورة الملك ، وأقبحها صورة الشيطان قيل : العرب تسمي الحية القبيحة المنظر شيطانًا ، وقيل هي شجرة قبيحة مرة منتنة ، تسميها العرب رءوس الشياطين **﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾**: من طلعها **﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾**: لغلبة الجوع أو يكرهون على تناولها ، فهم يتزقمون ، وفي الحديث[2] (لو أن قطرة من الزقوم قطرت على بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم) **﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾**: على الزقوم بعد ما شبعوا منها ، وغلبهم العطش **﴿لَشَوْبًا[3] مِّنْ حَمِيمٍ﴾**: لشرابًا من ماء مغلي أو مشوبًا ممزوجًا من حميم يمزج لهم الحميم بما يسيل من فروج الزناة ، وعيون أهل النار **﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾** ذلك لأنهم يوردون الحميم لشربه ، وهو خارج من النار أو الحميم في طرف منها وجانب ، والمرجع بعد الشرب إلى أصلها **﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا﴾** أي : وجدوا **﴿آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾** تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد **﴿فَهُمْ**

---

(١) سمي الثمر طلعًا لطلوعه/١٢ منه.

(٢) نقله الترمذي والنسائي وابن ماجه [صحيح، وكذا أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم، وانظر صحيح الجامع (٥٢٥٠)]/١٢ منه.

(٣) الشوب الخلط سمي العسل شوبًا ، لأنه كان مزاجًا لغيره من الأشربة ، لما امتلأت بطونهم من الزقوم احترقت بطونهم فأخر سقيهم ؛ ليزدادوا عذابًا بالعطش ، ثم سقوا ما هو أحر وأكره /١٢ وجيز.

﴿عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾: يسرعون كأنهم في غاية مبادرتهم إلى طريق آبائهم مضطرون إلى الإسراع **﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾**: قبل أمتك **﴿أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ﴾** من الأمم الماضية **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾**: أنبياء أنذروهم بأس الله **﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾**: تأمل عاقبتهم ، فإن عاقبتهم هلاك وفظاعة **﴿إِلاَّ[1] عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾** كأنه قال تأمل فإن عاقبة جميعهم الهلاك إلا من[2] أخلص دينه لله وحده ، والمقصود خطاب الأمة وأخبار الأمم كانت مسطورة في كتب أهل الكتاب مشهورة منهم في العرب.

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا

(١) الأظهر أن الاستثناء منقطع ، ولما ذكر ضلال الأولين شرع في حكاية أولهم شهرة فقال:" ولقد نادانا نوح" الآية /١٢ وجيز.

(٢) على ما فسره الاستثناء متصل وجاز الانفصال /١٢ منه .

تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾: حين أيس من إيمان قومه . فقال : "أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ" [القمر: ١٠] **﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾** أي فأجبناه أحسن إجابة ، ووالله لنعم المجيبون نحن **﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾**: أذى قومه **﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾** مات من كان معه في السفينة ، سوى أولاده وأزواجهم ، وأولاده[1] ثلاثة: سام ، وهو أبو

(١) روى الترمذي وابن جرير ، وابن أبي حاتم أنه عليه الصلاة والسلام قال في قوله : ("وجعلنا ذريته هم الباقين" سام ، وحام ، ويافث[ضعيف أخرجه الترمذى (٣٢٨٣- أحوذى)]، ونقل الإمام أحمد أنه قال عليه الصلاة والسلام : (سام أبو العرب ، وحام أبو الحبش ، ويافث أبو الروم)[ضعيف، أخرجه أحمد والترمذى والحاكم، وانظر ضعيف الجامع(٣٢١٤)]/١٢ منه.

العرب ، وفارس والروم ، ويافث ، وهو أبو الترك وسقالبة ، ويأجوج ومأجوج ، وحام وهو أبو القبط والسودان والبربر ﴿وَتَرَكْنَا[1] عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾: من الأمم ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ﴾ مفعول تركنا ، وهو من كلام المحكي ، كقرأت سورة أنزلناها ، أي : يسلم جميع الأمم عليه تسليمًا ﴿فِي الْعَالَمِينَ﴾ متعلق بما تعلق على نوح به ، والغرض ثبوت هذا الدعاء في كل خلق كما تقول : السلام عليك في كل زمان ومكان ، وقيل: مفعول تركنا محذوف أي : الثناء الجميل ، والجملة بعده استئناف يدل عليه ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾: مثل هذه التكرمة ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: من أحسن في العبادة ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ علة للإحسان، ومنه علم أن الإيمان هو القصارى في المدح ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ كفار قومه ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ﴾: أهل دينه ، وهو من على منهاجه وسنته ﴿لَإِبْرَاهِيمَ[2]﴾ وبينهما هود ، وصالح وفي جامع الأصول أن بينهما ألفًا ومائة واثنتين وأربعين سنة ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ[3] سَلِيمٍ﴾ من الشك ، أو من العلائق ، ظرف للشيعة لما فيها من معنى المشايعة أي : ممن شايعه على طريقه حين جاء أو تقديره اذكر إذ جاء ﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل من الأول أو ظرف لسليم أو جاء ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾: أنكر عليهم عبادة الأصنام ﴿أَئِفْكًا

---

(١) أخرج ابن جرير عن مجاهد في قوله :"وتركنا عليه في الآخرين" قال : لسان صدق للأنبياء كلهم./١٢ در منثور.

(٢) وإبراهيم أبو العرب وكما جعل الله سلامه على نوح وثناءه عليه إلى يوم الدين كذلك جعل ثناءه على إبراهيم كما قال "وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم" وجعل معجزته ماء، وجعل معجزته نارًا / ١٢ وجيز.

(٣) قال ابن عباس –رضي الله عنه: بقلب سليم يعني شهادة أن لا إله إلا الله ، وعن محمد بن سيرين: يعلم أن الله حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور/١٢ منه.

آلِهَةً[1] دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ أي: تريدون آلهة دونه للإفك ، أو آفكين أو تريدون الإفك ، وآلهة بدل منه ففيه مبالغة لا تخفى ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: إذا لقيتموه ماذا يفعل بكم ، وقد عبدتم غيره ، أو حتى تركتم عبادته ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي[2] سَقِيمٌ﴾: خرج قومه إلى عيدهم ، وأرادوا خروجه معهم ، فقال : لا أخرج لأني سقيم ، أراد التورية أي سأسقم أو سقيم النفس من كفرهم ، ولما كان غالب أسقامهم الطاعون خافوا السراية، وخلوه ، وكان قومه نجامين أوهمهم استدلاله على مرضه بعلم النجوم ، أو المراد أنه تفكر فقال : إني سقيم ، والعرب تقول لمن تفكر نظره إلى النجوم كذا قال كثير من السلف ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾: هاربين إلى عيدهم خوفًا عن سراية الطاعون ﴿فَرَاغَ﴾: ذهب بخفية ﴿إِلَى آلِهَتِهِمْ﴾ بعد ما ذهبوا ﴿فَقَالَ﴾:

---

(١) قدم المفعول ، وهو آلهة للعناية والاهتمام ، وقدم المفعول له ؛ لأن الأهم عنده أن يواجههم بأنهم على إفك وباطل /١٢ منه.

(٢) في الحديث المخرج في الصحاح والسنن (لم يكذب إبراهيم غير ثلاث كذبات ؛ قوله : إني سقيم ، وقوله : بل فعله كبيرهم ، وقوله في سارة : هي أختي" /١٢ منه. أخرج ابن جرير عن السدي قال : قالوا ابنوا له بنيانًا فألقوه في الجحيم" قال : فحبسوه في بيت ، وجمعوا له حطبًا ، حتى إن كانت المرأة لتمرض ، فتقول : لئن عافاني الله لأجمعن حطبًا لإبراهيم ، فلما جمعوا له ، وأكثروا من الحطب حتى إذا كانت الطير لتمر بها فتحترق من شدة وهجها ، وشدها فعمدوا إليه فرفعوه على رأس البنيان ، فرفع إبراهيم رأسه إلى السماء فقالت السماء والأرض ، والجبال ، والملائكة : ربنا إبراهيم يحرق فيك ، فقال: أنا أعلم به. وإن دعاكم فأعينوه ، وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء : (اللهم أنت الواحد في السماء ، وأنا الواحد في الأرض ، ليس في الأرض أحد يعبدك غيري ، حسبي الله ونعم الوكيل) فناداه : "يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم" [الأنبياء:٦٩]./١٢ در منثور.

للأصنام سخرية ﴿أَلا تَأْكُلُونَ﴾: من الأطعمة التي حواليكم ، فإن قومه يضعون الأطعمة بين أيديهم ويرجعون ويأكلون للتبرك ﴿مَا لَكُمْ لا تَنطِقُونَ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾: تعديته بعلى للاستعلاء وأن الميل لمكروه ﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ مصدر لراغ عليهم ؛ لأنه بمعنى ضربهم أو لمحذوف أو حال بمعنى ضاربًا ضرّبهم باليد اليمنى ، لأنه أشد ، وقيل بالقسم الذي سبق منه ، وهو "تالله لأكيدن أصنامكم" ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ﴾ إلى إبراهيم بعد ما رجعوا ورأوا إهلاك آلهتهم ، وبحثوا عن كاسرها ، وظنوا أنه هو ﴿يَزِفُّونَ﴾: يسرعون ﴿قَالَ﴾: لهم إبراهيم ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي : وما تعملونه بقرينة ما تنحتون يعني : هل المخلوقات لخالق واحد يعبد أحدهما الآخر ، وكلمة ما عامة تتناول ما يعملونه من الأوضاع والحركات والمعاصي والطاعات وغيرها، والمراد بأفعال العباد المختلف فيها هو ما يقع بكسب العبد ، ويستند إليه مثل الصوم والصلاة والأكل ، والشرب ونحوهما مما يسمى الحاصل بالمصدر لا نفس الإيقاع الذي هو من الاعتبارات العقلية كما تقول : يفعلون الزكاة يقيمون الصلاة يعملون الصالحات والسيئات ، ولما غفل عن هذه النكتة كثير من الفضلاء بالغوا في نفي كون ما موصولة والإنصاف أن الآية محتملة لما قررنا ولأن يكون المراد ما تعملونه من الأصنام فلم يبعد الاستدلال مع الاحتمال والله أعلم﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾: في النار الشديدة بنوا له حائطًا من الحجر طوله ثلاثون وعرضه عشرون ، وأوقدوا فيه النار بملئه ، وطرحوه فيه ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا[1] ﴾: شرًّا ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ﴾: الأذلين بإبطال كيدهم وتفصيل القصة في سورة الأنبياء ﴿وَقَالَ﴾: بعد خروجه من النار ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾: إلى مرضاة ربي ﴿سَيَهْدِينِ﴾: إلى صلاح داري ، فهاجر إلى الشام ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي : بعض الصالحين يعني

---

(١) لما غلبهم بالحجة مالوا إلى الاستيلاء ، والشوكة كعادة الفراعنة/١٢.

الأولاد ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ فيه بشارة أنه ابن ينتهي في السن إلى أن يوصف بالحلم، وهو إسماعيل على الأصح نقلاً ودليلاً[1] فإن إسماعيل هو الذي وهب له إثر الهجرة ولأن البشارة بإسحاق بعد معطوفة على هذه البشارة ، وكيف لا وإسماعيل هو الذي كان بمكة والمناسك ، والذبح ما كانت إلا فيها[2] قال بعض العلماء : من

---

(١) وهذا قول ابن عمر ، والحسن البصري منقول عبد الله بن الإمام أحمد عن والده في كتاب الزهد ، وقال ابن أبي حاتم: هو المروي عن علي وأبي هريرة رضي الله عنه وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، والشعبي ، ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدي /١٢ وجيز.

(٢) وقال صلى الله عليه وسلم "أنا ابن الذبيحين" ، وقد صححه ابن الجوزي في الوفاء وبين معناه /١٢ منه ووجيز[لا أصل له بهذا اللفظ، انظر كشف الخفاء للعجلوني (١/٢٢٥-٢٢٦)، والسلسلة الضعيفة]، وذكر الرازي هذا الحديث وزاد فيه ، وقال له أعرابي: يا ابن الذبيحين ، فتبسم ، فسئل عن ذلك فقال : (إن عبد المطلب لما حفر بئر زمزم ، نذر لله لئن سهل الله له أمرها ليذبحن أحد ولده ، فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله ، وقالوا له: افد ابنك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل ، والذبيح الثاني إسماعيل[أخرجه الحاكم (٢/٥٥١) وسكت عنه، وتعقبه الذهبي بقوله: "إسناد واه"، وانظر الضعيفة (١/٥٠١-٥٠٢)] انتهى.

وفي الفتح قال ابن كثير في تفسيره : وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق وحكي ذلك عن طائفة من السلف حتى يقال عن بعض الصحابة ، وليس في ذلك كتاب ولا سنة ، وما أظن ذلك تلقى إلا عن إخبار أهل الكتاب وأخذ مسلمًا من غير حجة ، وكتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم ، وذكر أنه الذبيح ، وقال بعد ذلك: "وبشرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين" انتهى.

واحتج القائلون بأنه إسحاق بأن الله عز وجل قد أخبرهم عن إبراهيم حين فارق قومه ، وهاجر إلى الشام مع امرأته سارة ، وابن أخيه لوط . فقال :" إني ذاهب إلى ربي سيهدين" إنه دعا فقال: "رب هب لي من الصالحين" وقال تعالى : "فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب" (مريم:٤٩)ولأن الله قال : "وفديناه =

تحريفات اليهود أنه إسحاق ؛ لأنه أبوهم وإسماعيل أبو العرب ، ومن زعم من السلف أنه إسحاق ، وهو الذي سمع ذلك من كعب الأحبار حين يروي من الإسرائيليات ، وليس فيه حديث غير ضعيف ، والرواية عن علي ، وابن عباس رضي الله عنهما- مختلفة ﴿فَلَمَّا بَلَغَ﴾: الغلام ﴿مَعَهُ السَّعْيَ﴾ يعني سنًّا يسعى مع أبيه في أعماله ، أو في الطاعات يعني شب وأطاق ما يفعله أبوه من العمل ، ويتصرف معه ، ويعينه ، ومعه

= بذبح عظيم" فذكر أنه في الغلام الحليم الذي بشر به ، وإنما بشر بإسحاق ؛ لأنه قال : "وبشرناه بإسحاق" وقال هناك: "بغلام حليم" وذلك قبل أن يعرف هاجر ، وقبل أن يصير له إسماعيل ، وليس في القرآن أنه بشر بولد إلا إسحاق ، قال الزجاج : الله أعلم أيهما الذبيح ، وكل هذا يحتمل المناقشة والمسألة ليست من العقائد التي كلفنا بمعرفتها فلا نسئل عنها في القيامة ، فهي مما لا ينفع علمه ، ولا يضر جهله ، وقد رجح كل قول طائفة من المنصفين كابن جرير ، فإنه رجح أنه إسحاق ، وكابن كثير فإنه رجح أنه إسماعيل ، ولم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء ، وما روى عنه فهو إما موضوع أو ضعيف جدًّا ولم يبق إلا مجرد استنباطات من القرآن وهي محتملة ، لا تقوم بها حجة ، فالوقف هو الذي لا ينبغي مجاوزته ، وفيه السلامة انتهى ما ذكره صاحب الفتح ملخصًا[وهناك ما يؤيد أن الذبيح إسماعيل، وهو أن الله قد بشر أم إسحاق به، وبابنه يعقوب، فقال تعالى عن الملائكة أنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشرى: "لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب" فمحال أن يبشرها بأنه يكون له ولد، ثم يأمر بذبحه].

ونقل العلامة ابن القيم في إغاثة اللهفان عن شيخه شيخ الإسلام أنه قال في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ومن زيادات أهل الكتاب في التوراة أن الله سبحانه قال لإبراهيم : اذبح ابنك بكرك ، ووحيدك إسحاق قال ، والزيادة باطلة من وجوه عشرة؛ الأول : أن بكره ووحيده إسماعيل باتفاق الملل الثلاث إلى آخر ما بين الوجوه العشرة. ورجح فيها كون الذبيح إسماعيل ترجيحًا لا مرد له ، فمن شاء الاطلاع ، فليرجع إلى خاتمة كتاب الإغاثة /١٢.

ظرف للسعي المقدر عند من لم يجوز تقديم الظرف أيضًا على المصدر ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ ورؤيا الأنبياء وحي ، ولما تكرر رؤياه ثلاث ليال قال : أرى بلفظ المضارع ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾: من المصلحة هو من الرأي ، لا يطلب إلا مفعولاً واحدًا هو ماذا، اختبر صبره من صغره على طاعة الله فشاوره ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ أي : ما تؤمر به ، يعني : ليس هذا من مقام المشاورة ، فإن الواجب إمضاء أمر ربك ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾: على حكم الله ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾: انقاد لأمر الله ، وعن بعض المفسرين : تشهد أو ذكرا اسم الله ؛ إبراهيم على الذبح وإسماعيل شهادة الموت ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾: أكبَّهُ على وجهه ؛ ليذبحه من قفاه ، لئلا يرى وجهه عند الذبح فيكون أهون عليه ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ أن مفسرة ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾: بجزم عزمك[1] وجواب لما محذوف أي : لما أسلما وكذا وكذا كان ما كان من وفور الشكر والسرور لهما والثناء الحسن ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: ليس من تتمة النداء ، بل تم الكلام ثم قال : هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره ، ونجعل لهم من أمرهم فرجًا ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ﴾: الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ﴾ الذبح اسم ما يذبح ﴿عَظِيمٍ[2]﴾ يعني: عظيم القدر ، أو عظيم الجثة ، والأصح أنه كبش أملح أقرن ، وعن كثير من السلف

---

(١) قال طائفة منهم السدي : ضرب الله على عنقه صفحة نحاس ، فجعل إبراهيم يحز ، ولا يقطع شيئًا ، وهذا كله جائز في القدرة الإلهية ، لكنه يفتقر إلى نقل صحيح ، فإنه أمر لا يدرك بالنظر ، وإنما طريقه الخبر ، ولو كان قد جرى ذلك لبينه الله تعظيمًا لرتبة إسماعيل وإبراهيم ، وكان أولى بالبيان من الفداء/١٢ فتح.

(٢) وعن ابن عباس وغيره عظمه لأنه من كباش الجنة. قال محيي السنة : كان رأس الكبش معلقًا في الكعبة إلى زمان عبد الله بن الزبير والحجاج ، واحترق البيت في زمنهما ، وقال الشعبي : رأيت قرنيه معلقين في الكعبة /١٢ وجيز.

أنه كبش قربه ابن آدم فتقبل منه ، وكان في الجنة فأتى به جبريل ، والمنقول[1] أن قريشًا توارثوا قرني الكبش الذي فدي به أبوهم خلفًا عن سلف ، وجيلاً عن جيل ، وكان في الكعبة إلى أن بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم **﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾** قد مر تفسيره في هذه السورة **﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ﴾** أي: بوجوده **﴿نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾** حالان مقدرتان أي : بشرناه به مقدرًا نبوته ، وكونه من الصالحين وعند من يقول : الذبيح إسحاق ، فالبشارة الثانية بوجوده مقيدًا بنبوته ، والمقصود الأصلي في هذه المرة البشارة بالنبوة ، وأما الصلاح بعد النبوة ، فلتعظيم شأن الصلاح ، وأنه الغاية والمقصود الأصلي **﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾**: على إبراهيم في أولاده **﴿وَعَلَى إِسْحَقَ﴾** فإن كثيرًا من الأنبياء من نسله **﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾**: إلى نفسه بالإيمان والطاعة **﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾**: بالكفر **﴿مُبِينٌ﴾**: ظاهر ظلمه.

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْأَخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ

---

(١) نقله الإمام أحمد عن النبي –صلى الله عليه وسلم–[أخرجه أحمد (٦٨/٤) وفي إسناده ضعف] /١٢ منه.

لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطٗا لَّمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذۡ نَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾: أنعمنا بالنبوة وغيرها عليهما **﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾**: تغلُّب فرعون **﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾** أي: هما والقوم **﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾**: على القبط **﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ﴾**: التوراة **﴿الْمُسْتَبِينَ﴾**: البليغ في بيانه **﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾** سبق في هذه السورة تفسيره **﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ[1] لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾** عن

---

(١) هو نبي من أنبياء بني إسرائيل من أسباط هارون بن عمران ، وأما إنه إدريس ، فلعله لا يصح ؛ لأن إدريس قبل نوح ، وفي سورة الأنعام إن إلياس من ذرية إبراهيم ، أو من ذرية نوح على اختلاف في مرجع الضمير /١٢ وجيز ، وأما الحديث الذي أخرجه الحاكم ، والبيهقي ، وضعفه في ملاقاة أنس مع إلياس وإخباره النبي -صلى الله عليه وسلم- بإلياس ، ثم إتيان النبي صلى الله عليه وسلم إلى إلياس ومعانقتهما وتحدثهما ، ونزول المائدة من السماء ، وأكلهما منه ، ثم صلاتهما ، ثم معاودتهما ومرور إلياس على السحاب نحو السماء ، فقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ، وقال الذهبي : بل موضوع قبح الله من وضعه ، وقال: ما كنت أحسب ، ولا أجوز أن الجهل بلغ بالحاكم إلى أن يصحح هذا/ در منثور ملخصًا.

=

بعض[1]: هو إدريس ، وعن بعض[2]: هو نبي من أنبياء بني إسرائيل من أسباط هارون بن عمران ﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرف لمن المرسلين ﴿لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ﴾: عذاب الله ﴿أَتَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿بَعْلاً﴾: ربًّا ، والبعل الرب ، قاله ابن عباس ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي بلغة اليمن، أو هو اسم لصنم كان لأهل "بك" من الشام، وهو المسمى حينئذٍ ببعلبك، وقيل: امرأة اسمها بعل يعبدونها ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾: تتركون عبادته ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ وقراءة النصب بالبدل ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾: في العذاب ﴿إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ استثناء من فاعل كذبوه، لا من ضمير[3] محضرون ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ لغة في إلياس، كميكال، وميكائيل، وقيل: جمع منسوب إليه بحذف ياء النسبة كأعجمين، والأشعرين، وقراءة آل ياسين، قيل : ياسين هو أبو إلياس، فآل إلياس، وقيل ياس هو الاسم، والياء، والنون زائدة في لغة السريانية ، فعلى هذا الآل مقحم ، كآل موسى ، وهارون ، والمراد من ياسين إلياس ، وقيل : آل محمد وهو بعيد جدًّا ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ أي: وقعت في الباقين في العذاب ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾ قد مرَّ تفسيره ﴿وَإِنَّكُمْ﴾: يا أهل مكة ﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم﴾: على منازلهم في طريقكم إلى الشام ﴿مُصْبِحِينَ﴾: داخلين في الصباح ﴿وَبِاللَّيْلِ﴾ يعني نهارًا وليلاً ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾: أليس لكم عقل فتعتبرون بهم.

= قال الحسن البصري : قد هلكا يعني إلياس وخضر ، ولا نقول كما يقول الناس أنهما حيان ، وهو الراجح نظرًا في الأدلة ، والله أعلم/١٢ فتح.

(١) هو قتادة ومحمد بن إسحاق ، وابن مسعود وضحاك/١٢ منه.

(٢) هو وهب بن منبه/١٢منه.

(٣) لفساد المعنى ؛ لأنه يلزم أن يكون المخلصين من المكذبين /١٢منه.

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿١٤٢﴾ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ
﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ﴿١٤٥﴾
وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴿١٤٦﴾ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾
فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١٤٨﴾ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمۡ
خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ
ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ
﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ﴿١٥٦﴾ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ
صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ
لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٠﴾
فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا
مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾
وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ
ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا
ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ
عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٤﴾ وَأَبۡصِرۡهُمۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٧٦﴾
فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٨﴾ وَأَبۡصِرۡ
فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى
ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ[١]﴾: هرب ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: المملـــوء ﴿فَسَاهَمَ﴾: فقارع أهل الفلك ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ صار من المغلوبين بالقرعـــة ، وذلك لأن البحر اشتد عليهم ، فقالوا : فينا من بشؤمه اشتد البحر فتساهموا على مـــن يقع عليه القرعة يلقى في البحر، فوقعت عليه ثلاث مرات ، فألقى عليه السلام نفسه في البحر ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾: ابتلعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: ما يجب أن يلام عليه ، أو مليـــم نفسه ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ[٢]﴾: لولا ما تقدم له من العمل في الرخـــاء ، أو من المصلين في بطن الحوت ، قد نقل أنه لما استقر في بطنه ، ظن أنه قد مات ، فحـــرك رجليه فإذا هو حيٌّ ، فقام وصلى ، وهو في بطنه ، أو من المسبحين بقوله : (لا إلـه إلا أنت سبحانك ، إني كنت من الظالمين)(*) ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُـــونَ﴾ بـــأن يطول عمر الحوت ، ويكون بطنه سجنًا له ﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾: طرحناه ﴿بِـــالْعَرَاءِ﴾: الأرض الخالية التي لا نبات فيها على جانب دجلة ، وقيل : بأرض اليمن ﴿وَهُـــوَ سَـــقِيمٌ﴾:

---

(١) عبر بأبق ؛ لأنه عبدًا لله هرب عن قومه من غير إذن ربه/١٢ وجيز.

(٢) نقل ابن أبي حاتم وغيره أنه لما قال يونس في بطن الحوت : (اللـــهم لا إلـــه إلا أنـــت سبحانك إني كنت من الظالمين.) قالت الملائكة : هذا صوت ضعيف مكروب من بلاد غريبة ، فقال الله : عبدي يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ، ودعوة مستجابة . قالوا : يا رب أو لا ترحم بما كان يصنع في الرخاء ، فتنجيه عن البلاء قال الله : بلـــى فأمر الحوت ، فطرحه بالعراء ، رواه ابن جرير أيضًا[ذكره بنحوه الهيثمى فى "المجمـــع" (٩٨/٧) وقال: "رواه البزار عن بعض أصحابه، و لم يسمه، وفيه ابن إســـحاق وهـــو مدلس،وبقية رجاله رجال الصحيح"] /١٢ منه ووجيز.

(*) أخرج أحمد والترمذى والنسائى والحاكم وغيرهم عن سعد مرفوعًا: "دعوة ذى النون إذ دعا بها وهو فى بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، لم يدع بهـا رجل مسلم فى شىء قط إلا استجاب الله له" وانظر صحيح الجامع (٣٣٨٣).

كفرخ ليس عليه ريش ، ومدة لبثه في بطنه ، ثلاثة ، أو سبعة ، أو أربعون ، أو يوم واحد **﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ﴾** أي : فوقه **﴿شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ[1]﴾**: شجرة الدباء ليتظلل بها ، وعن[2] بعض كل شجرة لا ساق لها ، فهو يقطين ، وعن بعض هو[3] كل شجرة تهلك من عامها **﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ﴾** هم قومه الذين هرب عنهم ، والمراد إرساله السابق ، أو إرسال ثانٍ إليهم أو إلى غيرهم **﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾**: بل يزيدون ، أو يزيدون على تقديركم ، وظنكم كمن يرى قومًا فيقول : هؤلاء مائة أو أكثر **﴿فَآمَنُوا﴾**: المرسل إليهم **﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾**: إلى وقت آجالهم **﴿فَاسْتَفْتِهِمْ[4]﴾** أي: سل أهل مكة ، وهو سؤال توبيخ عطف على قوله **﴿فاستفتهم أهم أشد خلقًا﴾** الذي وقع في أول السورة ساق الكلام موصولاً بعضه ببعض ، ثم أمره ثانيًا باستفتائهم **﴿أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ﴾** حيث قالوا : إن الملائكة بنات الله **﴿وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾** لزم من كفرهم هذا التجسيم ، فإن الولادة للأجسام ، وتفضيل أنفسهم على ربهم ، حيث جعلوا أرفع الجنسين لهم ، واستهانتهم بالملائكة **﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾**: خلقنا إياهم بحضرهم ، فإن الأنوثة مما تعلم بالمشاهدة **﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾**: بهتانهم **﴿لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ[5]﴾**: فإنه محال على الله سبحانه **﴿أَصْطَفَى**

---

(١) الأصح أنها الدباء لبرد الظل ونعومة اللمس وعظم الورق ، ولأن الذباب لا يجتمع في ظلها ، وفي قصة يونس هنا جمل محذوفة كما يعلم من سورة الأنبياء /١٢ وجيز.

(٢) هو قول سعيد بن جبير رضي الله عنه /١٢ منه.

(٣) قول ابن عباس رضي الله عنه /١٢ منه.

(٤) لما ذكر قصص الأنبياء ، وأن أممهم كانوا يسارعون إلى متابعة آبائهم في ضلالهم بالشرك وغيره فقلعهم ، وقطع بنيان أكثرهم ؛ لعدم متابعة رسلهم جاء بالفاء عن سؤال أهل مكة كما في قوله في أول السورة: "فاستفتهم أهم أشد خلقًا" الآية /١٢ وجيز.

(٥) فإنه سبحانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد/١٢ وجيز.

﴿الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ استفهام استبعاد ، وأما قراءة كسر الهمزة فعلى حذف همزة الاستفهام لدلالة أم بعدها عليها ، وقيل بدل من ولد الله ، أو بتقدير القول أي : لكاذبون في قولهم أصطفى **﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾** بمثل هذا **﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾** إنه سبحانه مقدس عن مثل ذلك **﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾**: حجة واضحة من السماء على ما تقولون **﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾**: الذي أنزل عليكم بهذا **﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ﴾**: بين الله **﴿وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾** قالوا الملائكة بنات الله . فقال أبو بكر رضي الله عنه : من أمهاتهن ؟! قالوا : سروات الجن أو زعموا عليهم لعائن الله أن الله سبحانه ، وإبليس أخوان ، أو المراد من الجنة[1] الملائكة سُمُّوا جنة ؛ لاجتنانهم عن الأبصار **﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾** أي: الجن يعلمون أن القائلين هذا ، أو أن الجنة لمحضرون في العذاب يعني : الكفار يسوّون الجن بالله ، والجن يعلمون كذبهم ، وعلى قول من فسر الجنة بالملائكة معناه : ولقد علمت الملائكة أن الكافرين القائلين بذلك لمحضرون في العذاب **﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾**: من الولد والنسب **﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ[2]﴾** منقطع من المحضرين أي : لكن المخلصون ناجون ، أو متصل من ضمير جعلوا أو يصفون إن فسر بما يعمهم **﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ[3] مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾** أي أنتم وأصنامكم ما أنتم بفاتنين على الأصنام يعني : لا تُغوون، ولا تضلون أنتم أحدًا إلا من هو في علم الله أنه يدخل الجحيم ،

---

(١) الأول قول مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد ، والثاني لابن عباس حكاه ابن جرير ، والثالث لحسن وغيره هكذا نقله ابن كثير في تفسيره/١٢ منه.

(٢) فإنهم يصفون بصفاته العلى /١٢ وجيز.

(٣) لما ذكر الدلائل على فساد مذهب الكفار أتبعه بما نبه به على أن هؤلاء الكفار لا يقدرون على حمل أحد على الضلال إلا إذا كان قد سبق حكم الله في حقه بالعذاب ، والوقوع في النار فقال : "فإنكم وما تعبدون" الآية /١٢ كبير.

قيل: ضمير عليه لله ، والخطاب في أنتم لهم ، ولآلهتهم على تغليب المخاطب ، أي : ما أنتم على الله بمفسدين الناس بالإغواء إلا من سبق في علمه شقاوته ، وقيل وما تعبدون سادّ مسد الخبر ككل رجل وضَيْعَتَهُ ، أي : إنكم وآلهتكم قرناء ، ثم ابتدأ فقال : "ما أنتم عليه" إلخ ﴿وَمَا مِنَّا﴾: أحد ﴿إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾: في السماوات يعبد الله فيه لا يتجاوزه ، أو في القربة ، والمعرفة ، وهذا حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية ردًّا على عبدهم ، وقيل من قوله : سبحان الله من كلام الملائكة كأنه قال : ولقد علمت الملائكة أن القائلين بذلك معذبون قائلين سبحان الله عما يصفون ، لكن عباد الله المخلصين برآء مما يصفونه ، ثم التفتوا إلى الكفرة ، وجاءوا بالفاء الجزائية أي : إذا صح أنكم مفترون ، والله متره فاعلموا أنكم وآلهتكم لا تقدرون على أن تفتنوا على الله عباده إلا أشقياء مثلكم ، ثم رجعوا من الاحتجاج وأظهروا[1] العبودية واعترفوا بها ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾: في طاعة[2] الله ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾: الله عما لا يليق به، أو المصلون ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ أي: وإن الشأن كان المشركون ليقولون: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا﴾: كتابًا ﴿مِّنَ الأَوَّلِينَ﴾: من كتبهم ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾

---

(١) وعلى هذا المراد من الجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الأبصارصرح بذلك الحسن البصري ، وغيره كما قاله الشيخ ابن كثير في تفسيره/١٢ وجيز.

(٢) أو نصف أجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين ، أو منتظرين لأمر الله /١٢ وجيز ، أخرج الترمذي وحسنه وابن ماجه ، وابن مردويه عن أبي ذر قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– (إني أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون ، إن السماء أطت، وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله) [حسن، وكذا أخرجه أحمد والحاكم، وانظر صحيح الجامع (٢٤٤٩)] وأخرج محمد بن نصر وابن عساكر بمعناه ، وزاد ثم قرأ "وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون" /١٢ در منثور[وسنده حسن فى الشواهد، كما فى الصحيحة (١٠٥٩)].

لأخلصنا العبادة له ، ولم نخالفه كما خالفوا ﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ أي: بالذكر لما جاءهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ[1]﴾ عاقبة كفرهم ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾: وعدنا بالنصر ﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ وهذه الكلمة هي قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾: في الدارين ، أو في الآخرة، عن ابن عباس : إن لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة ﴿فَتَوَلَّ﴾: أعرض ﴿عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾: إلى وقت مؤجل ومدة يسيرة يأتيك نصرك ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾: حينئذ كيف يذلون ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ عزك ونصرك ، وسوف للوعد لا للتبعيد ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ روي أنه نزلت[2] حين قالوا عند نزول قوله فسوف يبصرون: متى يكون هذا؟ ﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ أي: العذاب ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾ بفنائهم ﴿فَسَاءَ﴾: بئس ﴿صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾: صباحهم ، واللام للجنس ، والمراد من الصباح اليوم أو الوقت الخاص فإن البلايا(*) يطرقن أسحارًا شبهه بجيش أنذر بعض نصاح القوم بهجومه قومه ، فلم يلتفتوا إليه ، وما دبروا تدبيرًا حتى أناخ بغتة بفنائهم ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ وعد إلى وعد ووعيد إلى وعيد ، قيل: الأول عذاب الدنيا ، والثاني عذاب الآخرة ، وفي إطلاق أبصر ويبصرون عن التقييد بالمفعول فائدة ، وهي أنه يبصر وأنهم يبصرون ما لا يحيط به الوصف من أنواع المسرة وأجناس المساءة ﴿سُبْحَانَ[3] رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ فإن العزة له تعالى يعز من يشاء ﴿عَمَّا

---

(١) ولما هدد الكفار بقوله: "فسوف يعلمون" أردفه بما يقوي قلب الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقال : "ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين" الآية/١٢ كبير.

(٢) رواه محيي السنة وغيره /١٢ وجيز.

(*) في النسخة ن الحوادث.

(٣) ولما تقرر لله من العظمة ما ذكر فكان الأمر أمره ثبت تنزهه عن كل نقص ، واتصافه بكل كمال ، فلذلك ذكر نتيجة ذلك الختم بمجامع التنزيه ، والتحميد فقال :"سبحان ربك رب العزة" الآية/١٢ وجيز.

يَصِفُونَ[(١)]﴾ أي: المشركون ﴿**وَسَلَامٌ**[(٢)] **عَلَى الْمُرْسَلِينَ**[(٣)]﴾ الذين سبقت الكلمة لهم لا عليهم ﴿**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾: على ما أنعم ، وهذا تعليم للمؤمنين عن علي -رضي الله عنه- : من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر ، فليكن في آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة إلى آخر السورة ، وقد رفع هذا المعنى إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بوجهين[(*)]، وروى الطبراني عنه عليه السلام أنه

---

(١) قال شيخ الإسلام أبو العباس في العقيدة الواسطية في ذكر عقيدة الفرقة الناجية: وهو الإيمان بالله، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره ، ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، بل يؤمنون بالله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ، ولا يكيفون ، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه ، لأنه سبحانه لا سمي له ، ولا كفو ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه سبحانه أعلم بنفسه ، وبغيره وأصدق قيلاً ، وأحسن حديثًا من خلقه ، ثم رسله صادقون مصدقون بخلاف الذين يقولون عليهم ما لا يعلمون ، ولهذا قال : "سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين" فسبح نفسه عما وصف به المخالفون للرسل ، وسلم على المرسلين ؛ لسلامة ما قالوه من النقص والعيب/١٢انتهى.

(٢) روى ابن جرير ، وابن أبي حاتم أنه عليه الصلاة والسلام قال : (إذا سلمتم عليَّ فسلموا على المرسلين). وزاد في رواية (فإنما أنا رسول من المرسلين)[ضعيف لإرساله]/١٢ منه.

(٣) الواصفين له بما يليق جلاله /١٢ وجيز.

(*) أخرجه ابن أبي حاتم عن الشعبي مرفوعًا مرسلا، كما في الدر المنثور (٥/٥٥٤).

قال: (من قال دبر كل صلاة سبحان ربك رب العزة...)إلخ ، ثلاث مرات فقد اكتال بالمكيال الأوفى من الأجر)(*).

والحمد لله على ما هدانا.

(*) ذكره الهيثمى فى "المجمع" (١٠/١٠٢-١٠٣) وقال: "رواه الطبرانى وفيه عبدالمنعم بن بشير وهو ضعيف جدًا.

سورة ص مكية

وهي ثمان وثمانون آية وخمس ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ۝٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝٩ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ۝١٠ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝١١ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٢ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ۝١٣ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤﴾

﴿ص وَالْقُرْآنِ﴾ إن كانت اسمًا للسورة فتقديره: هذه صاد، ومضمون هذه الجملة، هو المقسم عليه بناء على ما يتضمنه من الأنباء عن الإعجاز والاشتهار به كما تقول: هذا حاتم والله أو معناه صدق الله، أو صدق محمد -عليه السلام-، وعلى كل وجه جواب القسم مقدم، وقيل: قسم حذف حرفه، والواو للعطف، والجواب محذوف أى: إنه لمعجز حق **﴿ذِى الذِّكْرِ﴾** أى: ذى الشرف، والشهرة، أو ذى التذكير والعظة **﴿بَلِ**

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ﴾: استكبار عن الحق **﴿وَشِقَاقٍ﴾**: خلاف لله ورسوله، والتنوين فيهما للتعظيم، والإضراب عما يتضمنه الكلام من وجوب الإذعان، كأنه قيل هو معجز والله والكفار لا يقرون، بل يصرون على العناد **﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾** وعيد لهم على عدم الإذعان **﴿فَنَادَوْا﴾** استغاثة وتوبة عند حلول العذاب **﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾**: لا مشبهة بليس، أو للجنس زيدت عليها التاء للمبالغة، كما فى ثم وربٌ، وخُصَّتْ بلزوم الأحيان، وحذف أحد المعمولين، أى: ليس الحين حين فرار ونجاة وتأخر أو لا من[1] حين مناص لهم، قال البغوي: لات بمعنى ليس بلغة اليمن **﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾**: رسول بشر من أنفسهم **﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾** أى: فقالوا لكفرهم[2] **﴿هَذَا سَاحِرٌ﴾** لمعجزاته **﴿كَذَّابٌ﴾** لما ينسب إلى الله تعالى **﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾** نسب الألوهية التى للآلهة لإله واحد فيقول: لا إله إلا الله **﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ[3]﴾** بليغ فى التعجب، نزلت[4] حين اجتمعت سراة قريش عند أبى

---

(١) هذا على أن لا نفى جنسى /١٢ منه.

(٢) إشارة إلى أن وضع الظاهر مقام المضمر للإشعار بأن كفرهم جرهم إلى ذلك/١٢ منه.

(٣) قال الرازى: يعنى أسلافهم مع كثرتهم وقوة عقولهم كانوا مطبقين على الشرك. فقالوا: من العجيب أن يكون أولئك الأقوام على كثرتهم وقوة عقولهم كانوا جاهلين مبطلين، وهذا الإنسان الواحد يكون محقًا صادقًا إلى أن قال: فلعمرى لو كان التقليد حقًّا لكانت هذه الشبهة لازمة، وحيث كانت فاسدة علمنا أن القول بالتقليد باطل/١٢ منه.

(٤) ذكر السيوطى معنى هذه القصة مفصلاً فى الدر المنثور، وعزاه إلى ابن أبى شيبة، وأحمد وعبد بن حميد، والترمذى قال: وصححه، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والحاكم، قال: وصححه، وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل/١٢منه.[أخرجه الترمذى (٣٢٨٥-أحوذي) وقال:"حديث حسن صحيح"، وضعفه الشيخ الألباني.]

طالب قائلين: اقض بيننا وبين ابن أخيك بأن يرفض ذكر آلهتنا ونذره وإلهه، فأجاب - عليه من الله أشرف صلاةِ وألطف سلام- بعد ما جاء وأخبره عمه عنهم: (يا عم أفلا أدعوهم إلى كلمة واحدة يدين لهم بها العرب، ويملكون بها العجم) فقال -من بين القوم- أبو جهل: ما هى لنعطينكها وعشر أمثالها، فقال: (قولوا لا إله إلا الله) فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم، وذلك قوله تعالى: **﴿وَانطَلَقَ الْمَلأُ﴾**: الأشراف **﴿مِنْهُمْ﴾** من القوم عن محضر أبي طالب قائلين بعضهم لبعض: **﴿أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا﴾**: اثبتوا **﴿عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾**: على عبادتها وأن مفسرة ؛ لأن إطلاقهم يدل على القول فإن المنطلقين عن مجالس التقاول يتكلمون حال الانطلاق فى ذلك الأمر الذى كان فيه تقاولهم بحسب جرى العادة **﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾** أى: هذا الذى يدعوننا إليه لشيء يريده محمد ويتمناه لكن لا يصل إليه، أو لشيء من ريب الزمان بنا فلا مرد له **﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾**: الذى يقوله **﴿فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ﴾**: فى ملة قريش التى أدركنا عليها آباءنا أو ملة عيسى، فإن ملة عيسى عند قريش آخر الملل وهم مثلثة، وقيل: فى الملة حال من اسم الإشارة، كأنه قال: ما سمعنا أحدًا من أهل الملل، ولا الكهان يقول بالتوحيد كائنًا فى الملة المترقبة **﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾**: كذب اختلقه **﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾** وليس له علينا مزيد شرف، فكيف يختص بهذا الشرف؟! **﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾**: من القرآن فى أنه حق أو باطل، وأما قولهم إن هذا إلا اختلاق، وهذا ساحر كذاب، وأمثاله، فلا يتفوهون به إلا عنادًا[1] من غير اعتقاد فى صميم قلوبهم **﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾**: لم يذوقوا عذابي، فإذا ذاقوه زال عنهم الشك من العناد والحسد وحين

(١) لما كان هذا مخالفًا لقولهم: "إن هذا إلا اختلاق" لدلالته على جزمهم بأن التوحيد المشتمل عليه القرآن المؤسس عليه أكثر أحكامه كذب وافتراء، وأنه يستلزم الجزم بعدم حقيقة القرآن، فأجاب بأن الجزم حسد لا اعتقاد من صميم القلب ١٢/ منه.

العذاب لم يبق[1] عناد ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾: بل أعندهم خزائن رحمته حتى يعطوها من أرادوه، ويصرفوا عمن لم يريدوا، فيتخيروا للنبوة التى هى أعلى رحمة من أرادوا من صناديدهم؟! وإنما رحمته بيده يعطيها من يشاء ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾:إن كان لهم ذلك ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾: فليصعدوا فى الأسباب التى توصلهم إلى السماء من أبوابها وطرقها من سماء إلى سماء، وليأتوا منها بالوحى إلى من يستصوبون، وهذا تهكم بهم، وأى تهكم ﴿جُندٌ مَّا﴾ أى: هم جند ما من الكفار، وما مزيدة للتقليل ﴿هُنَالِكَ مَهْزُومٌ[2]﴾: مكسور ﴿مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾: هنالك ظرف لمهزوم الذى هو صفة جند، وهنالك إشارة إلى بدر، فإنه مصارعهم أو صفة أخرى لجند، وفيه تحقيرهم ﴿كَذَّبَتْ[3] قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾: ذو الملك الثابت، وعن الكلبى له أوتاد يعذب الناس عليها إذا غضب، وعن قتادة وعطاء له أوتاد وأرسان يلعب بها بين يديه ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ وهم قوم شعيب ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ مبتدأ وخبر أى: الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم بعضًا منهم هم هؤلاء الذين أخبر عنهم بأنه وجد منهم التكذيب ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ أى: ما كل واحد منهم مخبرًا عنه[4] بخبر إلا

---

(١) لأن الحسد إنما يكون فى حال رفاهية فحين العذاب يزيل الحسد، فيزيل الشك/١٢ منه.

(٢) والمشار إليه المكان الذى تعارضوا فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الكلمات السابقة، وهو مكة يوم الفتح/ ١٢ وجيز.

(٣) ولما حقرهم وصغرهم بين حال من هو أعظم وأجل منهم من الأحزاب المتقدمة، فقال:" كذبت قبلهم قرم نوح" الآية/١٢ وجيز.

(٤) فيه أن الاستثناء مفرغ من أعم العام /١٢ منه.

مخبرًا عنه بأنه كذب جميع الرسل ؛ لأن الرسل يصدق كل منهم الكل، فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل **﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾**:فوجب عقابي عليهم.

﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ (١٥) وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ (١٦) ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ (١٨) وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ (١٩) وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ (٢٠) ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ (٢١) إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ (٢٢) إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ۩ (٢٤) فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ (٢٥) يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ (٢٦) ﴾

﴿**وَمَا يَنظُرُ هَؤُلاءِ**﴾ أى: أهل مكة ﴿**إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً**﴾ هى نفخة الفزع ﴿**مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ**﴾: من رجوع[1] أى: نفخة واحدة لا تُثنّى ولا تردّد أو ما لها من توقف مقدار فواق، وهو ما بين الحلبتين[2] ﴿**وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا**[3]﴾: نصيبنا من العذاب الذى يعد من يدعى النبوة، أو كتابنا الذى فيه أعمالنا ننظر فيه، أو نصيبنا من الجنة التى بعدها ﴿**قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ**﴾ قالوا ذلك استهزاء، فإنهم غير مؤمنين بالجنة ولا بالنار ولا بيوم الحساب ﴿**اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ**﴾: من السخرية ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ**﴾ أى: اصبر واذكر قصته كيف لقى من توبيخ الله تعالى بسبب زلة يسيرة، فصن نفسك عن أن تزل فيما أمرتك من تحمل أذاهم، وقيل معناه: اصبر وعظم أمر معصية الله تعالى فى أعينهم بذكر قصة داود ﴿**ذَا الأَيْدِ**﴾: ذا القوة فى الطاعة ﴿**إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾: رجاع إلى الله تعالى فى أموره وشئونه ﴿**إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ**﴾ أى مسبحات معه ﴿**بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ**﴾ وقت الإشراق حين تشرق الشمس وهو وقت الضحى ﴿**وَالطَّيْرَ**﴾ عطف على الجبال ﴿**مَحْشُورَةً**﴾: مجتمعة محبوسة إليه من كل جانب ﴿**كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ**﴾: مطيع أو رجاع إلى التسبيح كلما رجع داود إلى التسبيح، فهذه الأشياء كانت ترجع إلى تسبيحها ﴿ **وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ**﴾: قويناه[4] بالهيبة وكثرة الجنود ﴿**وَآتَيْنَاهُ**

---

(١) من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة يعنى: إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان/ ١٢ منه.

(٢) أى بين حلبتى الحالب، ورضعتى الراضع /١٢ وجيز.

(٣) القط: القسط من الشيء /١٢ منه.

(٤) قيل: كان يبيت حول محرابه أربعون ألف حارس مسلح يحرسونه، وعن بعض أنه كان يحرسه فى كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفًا، لا تدور عليهم النوبة إلى مثلها فى ذلك العام/١٢ منه.

﴿الْحِكْمَةَ[١]﴾: الفهم والعقل والإصابة فى الأمور أو النبوة ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾: الفاصل من الخطاب بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ الخصم فى الأصل مصدر، فلذلك أطلق على غير واحد، والمراد من هذا الاستفهام التشويق[٢] إلى استماعه ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا[٣] الْمِحْرَابَ﴾: تصعدوا سور الغرفة ونزلوا إليه، وإذ ظرف للنبأ[٤] على حذف مضاف أى: قصة نبأ الخصم، أو متعلق بمحذوف أى: نبأ تحاكم الخصم، أو بالخصم لما فيه من معنى الفعل ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ﴾ بدل من إذ تسوروا، أو ظرف لتسوروا ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ إذ دخلوا بغير إذن فى غير وقت دخول الخصوم، فإن له يومًا معينًا للقضاء ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ﴾ أى: نحن خصمان، والتحاكم بين ملكين تصورا فى صورة خصمين من بنى آدم، والظاهر أن معهما غيرهما[٥] فمعناه: نحن فوجان متخاصمان[٦] ﴿بَغَى﴾: ظلم ﴿بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ وهذا

---

(١) الحكمة هى فى التحقيق: العلم بالأشياء والعمل بالأمور كما ينبغى /١٢ منه.

(٢) والدلالة على أنها من العجائب التى فيها يصل إلى كل واحد فهل وصل إليك؟ وإن لم يصل فاستمع/١٢ منه.

(٣) عن ابن عباس كان جزَّأ أيامه أربعة ؛ يومًا للعبادة، ويومًا للقضاء، ويومًا للاشتغال بخواص أمره، ويومًا يعظ بنى إسرائيل ويبكيهم، فجاء ملكان فى صورة رجلين فى غير يوم القضاء، فمنعهما الحرس، فتسورا عليه المسجد فلم يشعر إلا وهما بين يديه ففزع عنهم إذ نزلوا عليه من فوق فى يوم الاحتجاب، والحرس حوله فخاف أن يؤذوه/١٢ وجيز.

(٤) فى قوله: وهل أتاك نبأ/١٢ منه.

(٥) لقوله: إذ دخلوا، ومنهم، وقالوا/١٢ منه.

(٦) جعل رفيق الخصم ومصاحبه خصمًا أيضًا/١٢ منه.

تمثيل منهم، وتعريض بحال داود، وما صدر عنه، وتصوير للمسألة[1]، وفرض لها **﴿فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ﴾**: لا تجر فى الحكومة **﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾**: إلى وسطه وهو العدل **﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾**: فى الصداقة **﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾** هى الأنثى من الضأن كناية عن المرأة **﴿وَلِى نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾**: ملكنيها واجعلنى أكفلها **﴿وَعَزَّنِى فِى الْخِطَابِ﴾**: غلبنى: فى مخاطبته إياي، لأنه أقدر على النطق فقهرنى **﴿قَالَ﴾**: داود لما اعترف الخصم الآخر: **﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾** فى السؤال تضمين[2] كأنه قال: بإضافة نعجتك إلى نعاجه على وجه الطلب، وقصته أن عين داود وقعت على امرأة رجل فأعجبها، فسأله الترول عنها، فذنبه مجرد أنه التمس الترول عن امرأته[*]، وعن بعضهم ذنبه أن زوجها قتل فى بعض الغزوات، فلم يغتم داود اغتمامه بالشهداء، فتزوج[3] امرأته، وما يذكره القصاص ليس له أصل يعتمد عليه، بل منقول عن على -رضى الله عنه- أنه قال: من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين[**] **﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ**

---

(١) كما تقول: لى أربعون شاة، ولك أربعون، فخلطناها، فحال عليها الحول، كم يجب فيها، وليس لكما من الأربعين أربعة، ولا ربعه/١٢ منه.

(٢) لتعديته إلى مفعول آخر مالى يعنى فيه تضمين معنى الإضافة/١٢ منه.

(*) "موضوع" ورد معناه مرفوعا، وهذا لا يليق بحال النبوة لمكان العصمة، وانظر السلسلة الضعيفة . وقد نبه العلامة أبو شهبة على كذب هذه الروايات وبطلانها فى كتابه "الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير"، (ص٢٦٤-٢٦٨).

(٣) هكذا نقله محيى السنة عن ابن مسعود رضى الله عنه / ١٢منه.["باطل" أخرجه بنحوه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول مرفوعا، وانظر الضعيفة].

(**) وإن صحت نسبة هذا الكلام إلى على بن أبى طالب فمن وجهين: الأول، أنه افتراء وبهتان، والثانى: أنه فى حق نبي، ومن ذلك حكم عليه بأن يجلد مائة وستين جلدة.

﴿الْخُلَطَاءِ﴾: الشركاء **﴿لَيَبْغِي﴾** يظلم **﴿بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾** ما مزيدة للإبهام، وفيه تعجب[1] من قلتهم **﴿وَظَنَّ﴾** أى: علم **﴿دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾** ابتليناه ذكر أنه لما قضى بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه، فضحك فصعدا إلى السماء، فعلم أنه تمثيل بحاله **﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾**: من ذنبه **﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾** سمى السجود ركوعًا ؛ لأنه مبدأه، أو معناه خر للسجود حال كونه راكعًا أى: مصليًا **﴿وَأَنَابَ﴾** رجع إلى الله[2] تعالى بالتوبة، وذُكِرَ أنه استمر ساجدًا أربعين[*] يومًا **﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى﴾**: لقربة **﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾**: مرجع ومنقلب **﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾**: استخلفناك على الملك **﴿فِي الْأَرْضِ﴾** أو خليفة ممن قبلك من الأنبياء **﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾**: الذى هو حكم الله تعالى **﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾** هوى النفس فى قضائك **﴿فَيُضِلَّكَ﴾**: اتباع الهوى **﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾** طريقه المستقيم **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾**: بسبب نسيانهم يوم القيامة فلم يعملوا له، وقيل ظرف متعلق بلهم، ومفعول نسوا متروك.

---

(١) مستفاد من المقام وسوق الكلام، وفى تنكير قليل وإفراده موقع الجمع لكونه خبرهم، واقترانه بما الإبهامية من المبالغة فى القلة ما لا يخفى /١٢ منه.

(٢) فى البحر: ظاهر القرآن أنهم دخلوا عليه من غير المدخل فى غير وقت حكومته، ففزع منهم ظانًا أنهم يغتالونه فلما اتضح له أنهم جاءوا لحكومة عرف خطأ ظنه، فاستغفر من ذلك الظن، وخرّ ساجدًا والله غفر له ذلك الظن وعلم أن الحافظ هو الله لا الحراس، و لم يتقدم سوى قوله:"وظن داود أنما فتناه" وأما ابتلاؤه بغير ذلك فلا نؤمن بصحته، والله أعلم /١٢.

(*) وقال: "ذُكر أنه" بالبناء للمجهول من باب تضعيف الرواية.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا السماء وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً﴾: خلقًا[1] باطلاً، بل لأمر صحيح، وحكمة بالغة أو للباطل[2] والعبث الذى هو متابعة الهوى **﴿ذَلِكَ﴾** أى: خلقنا إياهن باطلاً **﴿ظَنُّ﴾** أى: مظنون **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾** أم فى الموضعين منقطعة، والهمزة لإنكار التسوية فإنها من

---

(١) فيكون صفة لمصدر محذوف /١٢ منه.

(٢) يعنى منصوب بأنه مفعول له بالتجوز به عن العبث/١٢ وجيز.

لوازم[1] خلقهما باطلاً ، والإنكار الثانى غير الأول باعتبار الوصف، أو باعتبار الذات، أى: بين المتقين من المؤمنين، والفجار منهم وفى الآية إرشاد إلى المعاد، فإنه ربما يكون المفسد والفاجر أحسن حالاً فى الدنيا فلابد من دارٍ أخرى ﴿**كِتَابٌ**[2] **أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ**﴾ يعنى: القرآن ﴿**مُبَارَكٌ**﴾: كثير النفع ﴿**لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾: يتفكروا فيها ﴿**وَلِيَتَذَكَّرَ**﴾: يتعظ به ﴿**أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ ذوو العقول السليمة الظاهر أن ضمير يدبروا لأولى الألباب على التنازع وإعمال الثانى ﴿**وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ**﴾: سليمان ﴿**إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾: رجاع إليه بالتوبة، وهو تعليل للمدح ﴿**إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ**﴾ ظرف لأواب، أو لنعم ﴿**بِالْعَشِيِّ**﴾: بعد الظهر ﴿**الصَّافِنَاتُ**﴾ الصافن من الخيل: القائم على ثلاثة قوائم، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر، وهذه صفة محمودة فى الخيل ﴿**الْجِيَادُ**﴾ جمع جواد وهو المسرع فى سيره ﴿**فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي**﴾ أى: آثرت حب الخيل بدلاً عن ذكر ربي، أو يكون عن متعلقًا بأحببت لتضمين معنى أَنَبْتُ، والخير: المال، وأراد به هاهنا الخيل ﴿**حَتَّى تَوَارَتْ**﴾ أى الشمس، ومرور ذكر العشى دال على الشمس ﴿**بِالْحِجَابِ**﴾ أى حتى غربت[3] ﴿**رُدُّوهَا**﴾ أى: الصافنات ﴿**عَلَى فَطَفِقَ**﴾: جعل يمسح السيف ﴿**مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ**﴾ أى: بسوقها وأعناقها، والسوق جمع ساق أى: يقطعهما ؛ لأنها شغلته عن ذكر الله تعالى يقال: مسح علاوته، إذا ضرب

---

(١) لأنه إذا لم يكن خلقهما باطلا يكون الحساب والثواب والجزاء والعقاب مقررًا فلا يستوى المؤمن والكافر والمتقى والفاجر /١٢ منه.

(٢) ولما نفى التسوية بينهما بين ما يصلح به، ويحصل لمتبعيه السعادة الأبدية وهو كتاب الله، فقال: "كتاب أنزلناه إليك" الآية/١٢ وجيز.

(٣) وفى البحر: الظاهر أن الضمير فى توارت عائد إلى الصافنات، أى: دخلت اصطبلها فهى الحجاب وقيل: حتى توارت فى المسابقة بما يحجبها عن النظر/١٢ وجيز.

عنقه ذكر أن له عشرين فرسًا، أو عشرين ألف فرس ذات أجنحة تعرض عليه للجهاد، فنسى صلاة العصر حتى غربت الشمس، كما وقع على نبينا عليهما الصلاة والسلام يوم الخندق ؛ فاغتم لذلك فطلبها فعقرها غضبًا لله تعالى، وكان ذلك مباحًا له، وقيل: ذبحها وتصدق بها، والذبح على ذلك الوجه مباح فى شريعته، فعوضه الله تعالى بما هو خير منه، وهو الريح التى تجرى بأمره، وعن بعضهم كوى سوقها، وأعناقها بكي الصدقة، وحبسها فى سبيل الله تعالى، وعن بعضهم يمسحها بيده لكشف[1] الغبار حبًّا لها، وهو قول ضعيف بعيد عن مقتضى المقام ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾: ابتلينا ﴿سُلَيْمَانَ﴾ بأن سلبنا الملك منه أربعين يومًا، وقيل أكثر ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ﴾: وسلطنا على ملكه ﴿جَسَدًا﴾: شيطانًا[2] ﴿ثُمَّ أَنَابَ[3]﴾ رجع إلى ملكه أو تاب، ثم اعلم أنه لم يصح حديث فى تفصيل تلك القصة، وما نقل عن السلف، فالظاهر أنه من الإسرائيليات التى

---

(١) روى عن ابن عباس -رضى الله عنهما-، والزهري، واختاره ابن جرير قال: إنه لم يكن ليعذب حيوانًا ويهلك مالاً من ماله بلا ذنب منها، ولا شك فى بعد هذا القول، والله أعلم/١٢ منه.

(٢) كذا قاله ابن عباس -رضى الله عنهما-، وجم غفير من السلف/١٢ منه.

(٣) رجع إلى الله، فأزلنا عن ملكه الشيطان، والمفسرون ذكروا أشياء فى ابتلائه لا يصح نقلها، وأقرب ما قيل فيه أن فتنته كونه لم يستثن فى قوله: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله تعالى، فطاف ولم تحمل إلا واحدة، فجاءت بشق رجل، وفى الحديث (والذى نفسى بيده، لو قال: إن شاء الله ؛ لجاهدوا فى سبيل الله فرسانًا أجمعون)[أخرجاه فى الصحيحين وهو الصحيح المتعين فى تفسير الفتنة] وأما قول كثير من السلف: فهو أنه سلط الله شيطانًا يخيل أنه سليمان، وجلس مقامه، وتصرف فى ملكه حتى مضى أيام ابتلاءه/ ١٢ وجيز.

لا نصدقها، ولا نكذبها(*)، والمنقول عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجنى لم يتسلط على نسائه، بل عصمهن منه تشريفًا له -عليه الصلاة والسلام-، وأما سبب ابتلائه، فقيل: لأنه أحب امرأة مات أبوها، وهى تجزع أشد جزع، فأمر سليمان عليه السلام الشياطين، فصوروا لها تمثال أبيها تسكينًا لها، فهى مع ذلك التمثال كعابدة صنم، فعوتب سليمان على ذلك، وسلط الله تعالى شيطانًا سرق منه خاتمه الذى فيه ملكه وسلطانه، وجلس مقامه يخيل أنه سليمان حتى مضى أيام ابتلائه(**)، وقيل فيه غير ذلك، والله تعالى أعلم **﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾**: ذنبى **﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي﴾** كان معجزة زمانه الملك، فسأل من الله تعالى معجزة خاصة، لا يكون له فيها شريك إلى يوم القيامة، والظاهر أنه سأل أعلى المراتب، ولذلك قال: **﴿لا ينبغي لأحد من بعدي﴾** أى: هب لى ملكًا أنا حقيق به وحدي، وما قال[1]

(*) بل نكذبها، لكونها لم تأت من وجه يعتبر، وقد قال أبو شهبة فى هذه القصة وأضرابها: نحن لا نشك فى أن هذه الخرافات من أكاذيب بنى إسرائيل وأباطيلهم. وقد سبق إلى التنبيه إلى ذلك الإمام القاضى عياض فى "الشفا": لا يصلح ما نقله الإخباريون من تشبه الشيطان به، وتسلطه على ملكه، وتصرفه فى أمته بالجور فى حكمه؛ لأن الشيطان لا يسلط على مثل هذا، وقد عصم الأنبياء من مثله" وكذلك الإمام الحافظ الناقد ابن كثير فى تفسيره. (الإسرائيليات والموضوعات ص٢٧٢).

(**) هذه أيضا من جملة القصص التى نبهنا على كذبها.

(١) قال النسفى فى المدارك: وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن فى بيت سليمان فمن أباطيل اليهود انتهى.

وقال الخازن: قال القاضى عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الإخباريون من تشبيه الشيطان به وتسليطه على ملكه، وتصرفه فى أمته بالجور فى حكمه، وإن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا انتهى.

=

لم تعط أحدًا غيري[1]، وعن بعض[2] السلف معناه: ملكًا لا تسلبنيه بعد ذلك وتعطيه غيرى كما سلبته مني، وأعطيته شيطانًا، والتفسير الأول هو الذى تدل عليه الأحاديث الصحيحة، فهو الصحيح ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾: وهو من جملة ما وهبنا له خاصة ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾: لينة لا تُزعزِعُ ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: أراد وقصد سليمان ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ عطف على الريح ﴿كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ﴾ بدل منه أشغل[3] بعضهم فى المحاريب، والتماثيل وجفانٍ كالجواب، وبعضهم فى استخراج اللآلئ من البحر ﴿وَآخَرِينَ﴾ عطف على كل، كأنه جعل الشياطين قسمين عَمَلة ومَردة ﴿مُقَرَّنِينَ﴾: قرن بعضهم مع بعض ﴿فِى الأَصْفَادِ﴾: فى السلاسل ﴿هَذَا﴾: التسليط ﴿عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾: فأعْطِ ما شئتَ لمن شئتَ ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾: أو احرم من شئتَ ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ من غير حرج عليك فى الإعطاء والإمساك فهو حال من فاعل الأمر، وقيل

= وذكر السيوطى حديث الخاتم فى الدر المنثور وقال: أخرجه النسائى وابن جرير، وابن أبي حاتم بسند قوى عن ابن عباس، وقال: أخرجه الفريابى والحكيم الترمذي، والحاكم وصححه عن ابن عباس -رضى الله عنهما. وفى الكمالين قال ابن كثير: إن هذا كله من الإسرائيليات التى لا نصدقها ولا نكذبها قال ابن حجر: كما نقله الخفاجى عنه: إن هذه القصة رواها النسائى وغيره بإسناد قوي، ثم إن تفسير الجسد بالشيطان رواه ابن عباس -رضى الله عنهما- ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، والله أعلم /١٢.

هذا جواب عما يتوهم فيه كما توهم الحجاج حين قيل له: إنك حسود قال: أحسد منى من قال: وهب لى ملكًا لا ينبغى لأحد من بعدي، وهذا من شيطنته التى لا يبعد أن يكفر بها /١٢ منه.

(١) حتى يكون فيه نوع حسد/١٢ منه.

(٢) هو عطاء بن أبى رباح وغيره/١٢ منه.

(٣) أى سليمان عليه السلام/١٢.

صلة للعطاء أى إنه عطاء غير متناهٍ، وعن عطاء معناه: امنن على من شئت من الشياطين بالإطلاق وأمسك فى وثاقك من شئت منهم، لا تَبِعَةَ عليك **﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى﴾**: لقربة ورتبة فى الآخرة **﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾** هو الجنة.

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَـٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَـٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَـٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ ﴾

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ عطف بيان لعبدنا ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ بدل من عبدنا ﴿أَنِّي﴾ أى: بأنى ﴿مَسَّنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ﴾: بتعب ﴿وَعَذَابٍ﴾: ألم، ابتلاه الله تعالى بجسده وماله وولده حتى لم يبق فيه مغرز إبرة سليمًا سوى قلبه، ولم يبق له من الدنيا شيء يستعين به غير أن زوجته تخدم الناس بالأجر، وتطعمه نحوًا من ثمانى عشرة سنة، ورفضه القريب والبعيد حتى آل به الحال أن ألقى على مزبلة من البلدة هذه المدة، فلما طال واشتد الحال، تضرع إلى ربه تعالى(*)، فقال: "مسنى الشيطان" إلخ، فهذه حكاية لكلامه، وأسند إلى الشيْطان ؛ لأنه سببه[1] ﴿ارْكُضْ﴾: اضرب ﴿بِرِجْلِكَ﴾: الأرض وهذا حكاية لما أجيب به ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾: أى فضربها فنبعت عين قيل له هذا مغتسل، أى: اغتسل، واشرب منه تزول منك داءك ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم

(*) لا يصح هذا قال أبو شهبة: والذى يجب أن نعتقده أنه ابتلى، ولكن بلاءه لم يصل إلى حد هذه الأكاذيب من أنه أصيب بالجذام وأن جسمه أصبح قرحة، وأنه ألقى على كناسة بنى إسرائيل يرعى فى جسده الدود، وتعبث به دواب بنى إسرائيل، أو أنه أصيب بمرض ينفر الجدري، وأيوب -عليه السلام- أكرم على الله من أن يلقى على مزبلة، وأن يصاب بمرض ينفر الناس من دعوته، ويقززهم منه، وأى فائدة تحصل من الرسالة وهو على هذه الحال المزرية التى لا يرضاها الله لأنبيائه ورسله؟ والأنبياء إنما يبعثون من أوساط قومهم، فأين كانت عشيرته فتواريه وتطعمه؟! بدل أن تخدم امرأته الناس، بل وتبيع ضفيرتها فى سبيل إطعامه!! بل أين كان أتباعه، والمؤمنون منه، فهل تخلوا عنه فى بلائه؟! وكيف والإيمان ينافى ذلك؟! (الإسرائيليات والموضوعات ص٢٨٠). وانظر فتح البارى لابن حجر (٤٨٥/٦) وقد أورد أصح ما ورد فى بلاء أيوب عليه السلام.

(١) فإنه إنما ابتلاه الله بما فعل بوسوسة الشيطان، كما قيل: إنه استغاثه مظلوم فلم يغثه، أو أكل شاة وجاره جائع إلى جنبه، أو أُعجب بكثرة ماله/١٢ كمالين.[لم يصح فى ذلك شيء.]

﴿مَّعَهُمْ رَحْمَةً﴾ أى: الرحمة **﴿مِّنَّا﴾**: عليه **﴿وَذِكْرَى﴾**: تذكرة **﴿لِأُوْلِى الْأَلْبَابِ﴾** ليصبروا، وينتظروا الفرج، وقد مرَّ فى سورة الأنبياء شرحه **﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾** حزمة صغيرة من الحشيش[1] **﴿فَاضْرِب بِّهِ﴾** أى: امرأتك **﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾** روى أنها قطعت ذُوَيْبَتَها[*]، وباعت بخبز، فأطعمته فلامها على ذلك، وحلف لئن شفاه الله تعالى ليضربنها مائة ضربة، وقيل بغير ذلك من الأسباب **﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ﴾**: أيوب **﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾**: مقبل بكليته على الله تعالى **﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ**

---

(١) كان حلف عليه السلام ليضربن امرأته مائة ضربة بسبب ذنب عنده جرى منها، وهى محسنة، فجعل الله له خلاصًا من يمينه بقوله:" وخذ" الآية /١٢ وجيز.

وفى الخازن: وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط، فشكر الله حسن صبرها معه، فأفتاه فى ضربها وسهل له الأمر، وأمره بأن يأخذ ضغثًا يشتمل على مائة عود صغار ؛ فيضربها ضربة واحدة ففعل ولم يحنث فى يمينه، وهل ذلك لأيوب خاصة أم لا، فيه قولان: أحدهما أنه عام، وبه قال ابن عباس، وعطاء بن أبى رباح. والثانى: أنه خاص بأيوب -عليه الصلاة والسلام-. قاله مجاهد، واختلف الفقهاء فى من حلف أن يضرب عبده مائة سوط فجمعها، وضربه بها ضربة واحدة، فقال مَالِكُ والليث بن سعد وأحمد: لا يبر. وقال أبو حنيفة، والشافعى: إذا ضربه ضربة واحدة فأصاب كل سوط على حدة فقد بر واحتجوا بعموم هذه الآية انتهى.

وفى الفتح: أخرج أحمد، والطبرانى عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف قال: حملت وليدة فى بنى ساعدة من زنا، فقيل لها: ممن حملك قالت: من فلان المقعد، فسئل المقعد. فقال: صدقت. فرفع ذلك إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. فقال: خذوا عثكولاً فيه مائة شمراخ، فاضربوه ضربة واحدة، وله طرق أخرى/١٢.[صحيح، وأخرجه أيضا ابن ماجه عن سعيد بن سعد بن عبادة مرفوعا، وانظر صحيح سنن ابن ماجه (٢٠٨٧)]

(*) فى النسخة (ن): ذوائبها.

﴿وَيَعْقُوبَ﴾ من قرأ عبدنا يكون وإسحاق، ويعقوب عطفًا على عبدنا **﴿أُوْلِي الأَيْدِي﴾**: ذوى القوة فى العبادة **﴿وَالأَبْصَارِ[1]﴾**: فى معرفة الله تعالى **﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم﴾**: جعلنهم خالصين لنا **﴿بِخَالِصَةٍ﴾** بسبب خصلة خالصة **﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾** أى: ليس فى قلوبهم همٌّ سوى الآخرة، لا يشوب همٍّ الدنيا، وهو بدل من خالصة على قصد التفسير والبيان، أو تقديره هى ذكرى الدار، وقراءة إضافة خالصة تكون بيانية، وأما إضافة ذكرى فإضافة المصدر إلى مفعوله، وقيل: باء خالصة صلة لأخلصناهم بمعنى: وفقناهم لاكتسابها **﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾** جمع خَيْرٍ[2] أو خيِّرٍ **﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ﴾** أى: كلهم **﴿مِّنْ الأَخْيَارِ﴾** وقد مر قصصهم فى سورة الأنبياء **﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾** أى: هذا الذى مر شرف لهم، أو هذا نوع من الذكر أى: من القرآن، ثم شرع فى نوع آخر من الكلام، وهو بيان ما أُعد لأمثالهم **﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾**: مرجع **﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾** عطف بيان **﴿مُّفَتَّحَةً﴾** حال من فاعل الظرف **﴿لَّهُمُ الأَبْوَابُ﴾** مرفوع بأنه معمول مفتحة، وحرف التعريف عوض عن الضمير، أو تقديره الأبواب منها **﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾** حال من ضمير لهم **﴿يَدْعُونَ﴾** إما حال أو استئناف **﴿فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾** من غير أزواجهن **﴿أَتْرَابٌ[3]﴾**: مساويات فى السن **﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾** أى:

---

(١) وللإنسان قوتان عالمية، وعاملية، وأشرف ما يصدر عن القوة العالمية معرفة الله تعالى، وأشرف ما يصدر عن القوة العاملية طاعته وعبادته، فعبر عن هاتين القوتين بالأيدى والأبصار/١٢.

(٢) كأموات فى جمع مَيْتٍ أو ميِّتٍ /١٢ وجيز.

(٣) فإن الألفة والتحابب بين الأقران أشد، قيل: هن أتراب لأزواجهن سنهم وسنهن واحد/١٢ وجيز.

لأجله، فإن الحساب سبب الوصول إلى الجزاء ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا﴾: الذى رزقناهم ﴿مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾: انقطاع ﴿هَذَا﴾ أى: هذا كما ذكر أو الأمر هذا ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان لشر مآب ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: أى حال كونهم يدخلونها ﴿فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: جهنم، شبه ما تحتهم من النار بمهاد يفترشه النائم ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾: انتهى حره ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ انتهى برده، أو هو عين تسيل من صديد أهل النار، وحميم خبر هذا وما بينهما اعتراض نحو: زيد -فافهم- رجل صالح، أو تقديره العذاب هذا، وفليذوقوه مترتب على تلك الجملة بمنزلة الجزاء لشرط محذوف، وحميم خبر محذوف أى: هو جهنم أو هذا منصوب بمضمر تفسيره ما بعده على طريقة ربك فكبر ﴿وَآخَرُ﴾ أى: عذاب آخر ﴿مِن شَكْلِهِ﴾ أى: من شكل ما ذكر من العذاب فى الشدة ﴿أَزْوَاجٌ﴾: أصناف يحتمل أن تكون صفة لآخر بتأويل كونه ضروبًا، وآخر إما عطف على حميم، أو تقديره: ولهم آخر ﴿هذَا فَوْجٌ﴾ كلام خزنة النار للقادة حين يدخل بعدهم الأتباع ﴿مُّقْتَحِمٌ﴾: داخل فى النار ﴿مَّعَكُمْ﴾ ظرف لمقتحم، أو حال، والمعية تفيد المقارنة فى الحكم لا فى الزمان، فقالت القادة: ﴿لاَ مَرْحَبًا بِهِمْ﴾: بالأتباع، والرحب السعة أى: ضاقت عليهم الأرض ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ لأنهم داخلوها، وقيل: هذا حكاية لكلام بعض الطاغين مع بعض ﴿قَالُوا﴾: الأتباع للقادة ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا[1] بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ أى: العذاب ﴿لَنَا﴾: بإغوائكم إيانا ﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ أى: المقر جهنم ﴿قَالُوا﴾: الأتباع ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾: مضاعفًا أى: ذا ضعف

---

(١) دعوا عليهم ؛ لأن الرئيس إذا رأى الخسيس قد قرن معه ساءه ذلك، والرحب والسعة أى ضاقت عليهم الأرض يعنى أن لا مرحبًا ابتداء كلام هو دعاء على التابعين من المتبوعين، وباء بهم كلام هيت لك، يعنى: هذا الدعاء لاحق بك، فهو بيان للمدعو عليه/١٢ وجيز.

﴿فِي النَّارِ وَقَالُوا﴾ أى: الطاغون ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم﴾: فى الدنيا ﴿مِّنَ الأَشْرَارِ﴾ وهم فقراء المسلمين ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ إما بكسر همزة اتخذنا، فصفة أخرى لـ(رجالاً) أو تقديره: أتخذناهم بحذف همزة الاستفهام، وإما بفتح همزته فيكون استفهامًا ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ﴾ وحاصله أن (أم) معادلة الهمزة أى: أى الأمرين واقع أئنا اتخذناهم سخريًا، وهم فى نفس الأمر معظمون أحقاء بالتعظيم، فلم يدخلوا النار أم هم أحقاء بما فعلنا بهم، ودخلوا النار، لكن زاغت أبصارنا عنهم فلا نراهم، أو قوله: "أم زاغت عنهم الأبصار" كناية عن تحقيرهم، أى: فعلنا بهم الاستسخار منهم، أم تحقيرهم فى الدنيا على معنى إنكار الأمرين على أنفسهم، ولذلك قال الحسن: كل ذلك قد فعلوا، أو الهمزة لإنكار سخريتهم، وأم بمعنى بل، ففيه تسلية لأنفسهم بما لم يكن يعنى هم فى النار، لكن نحن لا نراهم أو معناه: بل زاغت أبصارنا، وكلت أفهامنا حتى خفى عنا مكانهم، وإنهم على الحق المبين، أو معادلة لما لنا أن جعلنا اتخذناهم صفة أى: ما لنا لا نراهم فى النار كأنهم ليسوا فيها، بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: ما ذكرنا عنهم ﴿لَحَقٌّ﴾: واقع بلا مرية ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ أى: هو تخاصم، أو خبر بعد خبر.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ

ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾

﴿قُلْ﴾: للمشركين **﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾**: أنذركم عقاب الله تعالى **﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾**: الذى لا يقبل الشركة عطف على إنما أنا منذر **﴿الْقَهَّارُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ﴾**: الغالب **﴿الْغَفَّارُ﴾**: لمن أراد **﴿قُلْ هُوَ﴾** أى: القرآن، أو ما أنبأتكم به من رسالتى وتوحيد الله تعالى **﴿نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾** وعن بعض المراد من النبأ آدم **﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلأِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾**: مبيّنٌ لنبأ العظيم، أو حجة لنبوته، وإذ متعلق بعلم **﴿إِن يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾** أى: لم يوح إلى إلا لأنى منذر مبين، كما تقول: فوضت الأمر إليك، لأنك عالم مبين، فما بعد إلا منصوب بنزع الخافض، والجار والمجرور قائم مقام الفاعل أو معناه لم يوح إلى إلا أن أُنذر وأُبين و لم أؤمر إلا بالإنذار والتبليغ فعلى هذا ما بعد إلا قائم مقام الفاعل **﴿إِذْ قَالَ[1] رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾** بدل من إذ يختصمون مبيِّنٌ له، والمقاولة بين

(١) ولما كان قريش للحسد والكبر خالفوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذكر حال إبليس، حيث خالف أمر الله لحسده وكبره، وما آل إليه أمره من اللعنة الأبدية ؛ ليرذع من فيه شيء من ذلك، فقال:" إذ قال ربك" الآية /١٢ وجيز.

الملائكة وآدم وإبليس وهم الملأ الأعلى، ومقاولة[1] الله بلسان ملك فى شأن الاستخلاف مع الكل ومع إبليس فى شأن السجود **﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ[2] فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾**: عدلت خلقته **﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾**: فأحييته **﴿فَقَعُوا لَهُ﴾**: خرّوا له **﴿سَاجِدِينَ﴾**: تعظيمًا له وتكرمة **﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ﴾** أى: فى علم الله أو صار **﴿مِنْ الْكَافِرِينَ﴾**: بالاستكبار والاستنكار **﴿قَالَ﴾** الله تعالى: **﴿يا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ[3] بِيَدَيَّ﴾** أوجدته بنفسى من غير واسطة **﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾** أى المانع مجرد التكبر أو إنك أعلى وأعظم، فلا يستحق سجودك، وقيل: أستكبرت بنفسك، فأبيت السجود أم كنت من القوم المتكبرين فتكبرت؟ **﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾** أجاب باختيار الشق الثانى على التوجيه الأول **﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾**: لطيف **﴿وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ[4]﴾**: كثيف **﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾**: من الجنة أو السماء **﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾**: مطرود **﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي﴾**: أمهلنى **﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ**

---

(١) هذا جواب لما يقال يلزم أن يكون الرب تعالى من ملأ الأعلى ؛ لأن للمقاومة بينه سبحانه، وبين إبليس، فأجاب والمقاولة إلخ/ ١٢ منه.

(٢) فى آل عمران: "من تراب"[٣] وفى الحجر من صلصال من حمأ مسنون[٢٦، ٢٨، ٣٣]، التراب المادة البعيدة، ثم ما يليه، وهو الطين، ثم ما يليه وهو الحمأ المسنون، ثم المادة الآخرة وهو الصلصال /١٢ وجيز.

أجمع السلف على أن اليدين من صفات الذات أثبتهما السمع، وأبطلوا حمل اليدين بصيغة التثنية على القدرة /١٢ وجيز.

(٣) قال الرازى: وذكر مثل هذه الكلمة بعد تلك البيانات المتقدمة مما لا مزيد عليه فى التخويف والترهيب /١٢.

(٤) لا يستحق أن يكون أعظم مني، بل أنا حقيق بأن يعظمنى /١٢ منه.

إلى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك﴾: سلطانك ﴿لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾ وقد مر مرارًا الكلام على مثل هذه الآية فى سورة البقرة، والأعراف وغيرهما ﴿قال فالحق والحق أقول﴾ أى: ولا أقول إلا الحق[1] ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم﴾: من بنى آدم ﴿أجمعين﴾ الحق الأول قرئ بالنصب بحذف حرف القسم أى: فبالحق، وبالرفع أى: فالحق قسمى فهو مقسم به على الوجهين، وجوابه لأملأن وما بينهما اعتراض، أو تقديره على النصب، فأحق الحق، أو ألزم الحق، وعلى الرفع فالحق مني، أو أنا الحق ﴿قل ما أسألكم عليه﴾: على التبليغ ﴿من أجر﴾: جُعْلٍ ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ فى نظم القرآن، فإنه من عند الله تعالى لا من تلقاء نفسى حتى أتكلف فى نظمه ﴿إن هو إلا ذكر﴾: عظة من الله تعالى ﴿للعالمين ولتعلمن نبأه﴾: من حقية القرآن وصدقه ﴿بعد حين[2]﴾ عند الموت أو بعده، أو عند ظهور الإسلام.

(١) الحصر مستفاد من تقديم مفعول أقول /١٢ منه.

(٢) كان الحسن يقول: يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين/١٢وجيز.

سورة الزمر مكية

إلا قوله: "قل يا عبادى" الآية

وهى خمس أو اثنتان وسبعون آية وثمانى ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ

إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾

﴿تَنزِيلُ الكِتَابِ﴾، أى: هذا تنزيل الكتاب، ﴿مِنَ اللَّهِ﴾، ظرف للتنزيل، أو خبر ثان، أو حال، أوتنزيل الكتاب مبتدأ، ومن الله خبره، ﴿العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾ [1] ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ

---

(١) قوله تعالى: " تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم " قال شيخ الإسلام أبو العباس رحمه الله: ومن هى لابتداء الغاية، فإن كان المجرور بها عينًا يقوم بنفسه لم يكن صفة لله، كقوله: " وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعًا منه "(الجاثية:١٣)، وقوله فى المسيح: " روح منه "(النساء:١٧١)، وكذلك ما يقوم بالأعيان كقوله: " وما بكم من نعمة فمن الله "(النحل:٥٣) وأما إذا كان المجرور بها صفة، ولم يذكر لها محل كان صفة لله كقوله: " ولكن حق القول منى "(السجدة:١٣) وكذلك قد أخبر فى غير موضع من القرآن أنه نزل منه وأنه نزل به جبريل منه، قال تعالى: " أفغير الله أبتغى حكمًا وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً، والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق "(الأنعام:١١٤)، وقال تعالى: " قل نزله روح القدس من ربك بالحق "(النحل:١٠٢) وكذلك سائر آيات القرآن كقوله: " تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم "(الزمر:١، الجاثية:٢، الأحقاف:٢)، وقوله: " حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم "(غافر:٢،١)، وقوله: " حم تنزيل من الرحمن الرحيم "(فصلت:٢،١)، وقوله: " الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين "(السجدة:٢،١)، وقوله: " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك "(المائدة:٦٧)، فقد بين فى غير موضع أنه منــزل=

الكِتَابَ بِالْحَقِّ[(١)]﴾، أى: متلبسًا به، ﴿**فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ**﴾، من الشرك الجلى، والخفى، ﴿**أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ**﴾: هو الذى يختص بالطاعة الخالصة ويستحقها، ﴿**وَالَّذِينَ[(٢)] اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ**﴾: وهم الكفرة، ﴿**مَـــا**

= من الله، فمن قال إنه مترل من بعض المخلوقات كاللوح، والهواء فهو مفتر على الله، مكذب لكتاب الله متبع لغير سبيل المؤمنين، ألا ترى أن الله فرق بين ما نزله منه، وما نزله من بعض المخلوقات كالمطر بأنه قال: " أنزل من السماء ماء "(الأنعام:٩٩، الرعد:١٧، النحل:٦٥،١٠، الحج:٦٣، فاطر:٣٥، الزمر:٢١) فذكر المطر فى غير موضع وأخبر أنه نزله من السماء، والقرآن أخبر أنه مترل منه، وأخبر بتتريل مطلق فى مثل قوله: " وأنزلنا الحديد "(الحديد:٢٥) لأن الحديد يترل من رءوس الجبال لا يترل من السماء، وكذلك إنزال الحيوان فإن الذكر يترل الماء فى الإناث، فلم يقل فيه من السماء إلى آخر ما فصل وبين/١٢.

(١) قيل: بسبب إثبات الحق وإظهاره / ١٢.

(٢) قال الحافظ عماد الدين بن كثير -رحمه الله- فى تفسيره عند قوله تعالى: " والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى " أى: إنما يحملهم على عبادقم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين فى زعمهم، فعبدوا تلك الصور تتريلاً لذلك مترلة عبادة الملائكة، ليشفعوا لهم عند الله تعالى، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به، قال قتادة والسدى: " إلا ليقربونا إلى الله زلفى " أى: ليشفعوا لنا ويقربونا عنده مترله ولهذا كانوا يقولون فى تلبيتهم إذا حجوا فى جاهليتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك، وهذه الشبهة هى التى اعتمدها المشركون فى قديم الدهر، وحديثه، وجاءهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهى عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه، ولا رضى به، بل أبغضه، ونـــهى عنه كما قال تعالى: " ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله=

نَعْبُدُهُمْ[1]﴾، أى: قائلون مانعبد أولياء، وهم غير الله تعالى، كالملائكة، والأصنام، ﴿**إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾، اسم أقيم مقام المصدر، أى: تقريبًا، ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ**[2]﴾، أى: بين الذين اتخذوا، وبين مقابليهم، وهم الموحدون، وهو استئناف، ﴿**فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾: من أمر الدين، وجاز أن يكون خبر "والذين" "إن الله يحكم بينهم"، وقوله: " مانعبدهم " بتقدير: قائلين، حال من فاعل اتخذوا، ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِى مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** ﴾: لا يرشد إلى الهداية من قصد الافتراء على الله

= واجتنبوا الطاغوت "(النحل:٣٦)، وقال: " وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون "(الأنبياء:٢٥) وأخبر أن الملائكة التى فى السماوات كلهم عبيد، خاضعون لله، لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنهم، " فلا تضربوا لله الأمثال "(النحل:٧٤) تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا انتهى كلامه / ١٢.

(١) قد جزم الرازى بأن الضمير فى "ما نعبدهم"، عائد إلى العقلاء، الذين عُبِدُوا من دون الله، كالمسيح وعزير والملائكة، واستبعد عوده إلى الأصنام، ثم قال: ويمكن أن يقال: إن العاقل لا يعبد الصنم من حيث أنه خشب أو حجر، وإنما يعبدونه لاعتقادهم أنها تماثيل الكواكب، أو تماثيل الأرواح السماوية، أو تماثيل الأنبياء والصالحين الذين مضوا، ويكون مقصودهم من عبادتها توجيه تلك العبادات إلى تلك الأشياء التى جعلوا هذه التماثيل صورًا لها، وحاصل الكلام لعباد الأصنام أن قالوا: إن الإله الأعظم أجل من أن يعبده البشر، لكن اللائق بالبشر أن يشتغل بعبادة الأكابر من عباد الله مثل الكواكب، ومثل الأرواح السماوية، ثم إنها تشتغل بعبادة الله الأكبر، فهذا هو المراد من قولهم "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى"/١٢.

(٢) قيل: ضمير بينهم لهم، ولأوليائهم، فإنهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم/١٢ منه ووجيز.

تعالى، وقلبه كافر بآياته، ﴿لَوْ[1] أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾، كما زعم المشركون، ﴿لَّاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، أى: لو أراد لاختار الأفضل لا الأنقص، وهو الإناث، لكن لم يرد، فلا ولد له من الذكر والأنثى، أو معناه: لو أراد أن يتخذ ولدًا لاتخذ من المخلوقات الأفضل منها، كالبنين لا البنات كما زعمتم، لكن اللازم محال لاستحالة كون المخلوق من جنس الخالق لتنافى الوجوب، والإمكان بالذات، فكذا الملزوم وهو إرادة الاتخاذ فضلاً عن الاتخاذ، ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾: فإنه هو الواحد الفرد، الذى دانت له الأشياء فلا يماثله ولا يناسبه أحد، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ التكوير: اللف، وإذا غشى كل منهما مكان الآخر، فكأنما لف عليه كلف اللباس على اللابس، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: مدة معينة عند الله تعالى، ﴿أَلاَ هُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب، ﴿الْغَفَّارُ﴾، فلا يعاجل بالعقوبة على من نسب إليه ما لا يليق به، ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: آدم، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: حواء عن الضلع الأسفل، وثم للتراخى الرتبى، فإن خلق حواء مقدم فى الوجود على تشعيب الذرية من نفس[2] آدم، ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾: وقضى لكم فإن قضاياه توصف بالنزول من السماء، ﴿مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾، كما هو مسطور فى سورة الأنعام، ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾: حيوانًا من بعد عظام من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف، ﴿فِى ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ﴾: ظلمة البطن، والرحم، والمشيمة، ﴿ذَلِكُمُ﴾، مبتدأ، ﴿اللَّهُ﴾، خبره، ﴿رَبُّكُمْ﴾، بدل، ﴿لَهُ الْمُلْكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ

(١) ولما كان من الكذب العظيم دعواهم أن الملائكة بنات الله وعبدوها عقبه بقوله: " لو أراد الله " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) وأما إخراج نفس من ضلع شخص، فأمر عجيب غير معهود فهو أدخل فى الآية/١٢ وجيز.

هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ: يُعدَل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره، **﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِى عَنكُمْ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ﴾**، مع أنه كان بإرادته فلا يجرى فى ملكه إلا ما[1] يشاء، ويقابل الرضاء بالسخط، والإرادة بالكراهة، أو المراد من العباد المخلصون كما فى قوله: " إن عبادى ليس لك عليهم سلطان "(الإسراء:٦٥) وحينئذ معنى الرضاء الإرادة، **﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ﴾**: يرضى الشكر، **﴿لَكُمْ[2]﴾**، فإنه سبب فوزكم، **﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾**: لا تحمل نفس وازرة، **﴿وِزْرَ أُخْرَى﴾**، أى: وزر نفس أخرى، **﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**: بالمجازاة، **﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾**: فلا يخفى عليه شيء، **﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا﴾**: راجعًا، **﴿إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ﴾**: أعطاه وأملكه، **﴿نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِى مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ﴾**: نسى الضر الذى كان يدعو الله إلى كشفه، أو ما بمعنى من، وفى يدعو

---

(١) ومن تأمل وجد فى الرضا معنى ليس فى الإرادة، وهو شبه استحسان واستحماد وابتهاج يعبر عنه بترك الاعتراض، ولا يتعلق إرادة الله بشيء إلا وهو مفعول بخلاف الرضاء، ومتعلق الرضاء لا يكون إلا معنى من المعانى فيعدى إليه بنفسه محلى باللام نحو: رضى الله لكم الشكر، وقد يعدى إليه بالباء، وهو المتعلق تمييزًا نحو: رضيت بالله ربًا، وقد يطوى ذكر المتعلق قصدًا إلى العموم، ويذكر المحلى يعن نحو: رضى الله عنهم ورضوا عنه، ولا يخلو شيء من الاستعمالات عما ذكرنا من زيادة المعنى فلا تغفل/١٢ منه ووجيز.

(٢) فإنه سبب فوزكم، فقد جعل شرطًا وجزاء فوقوع الشكر شرطه، وحصول الرضاء جزاء، فلزم تقديم الشكر على إرادته إن اتحد الرضاء، والإرادة، ولأن إرادة الله مقدم على وجود الشكر منهم، لكن من كان على الضلال على قلبه رين، وعلى عينه غين، فليتفوه بما لا يرضى به إلا غبى زنديق، فنعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع/١٢ وجيز.

تضمين معنى التطوع، أى: نسى الكاشف بضر المضطرين الذى كان يتضرع إليه، ﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل النعمة، ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾، اللام لام العاقبة، أى: ليفيد وينتج الإضلال والضلال، ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾، أمر تهديد، ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾، استئناف على سبيل التعليل، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾: قائم بالطاعات، ﴿آنَاءَ﴾: ساعات ﴿اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾، حالان من ضمير قانت، ﴿يَحْذَرُ الآخِرَةَ﴾، جملة حالية، ﴿وَيَرْجُو رَحْمَةَ[1] رَبِّهِ﴾، أم متصلة تقديره أهذا الذى نسى خير أم من هو قانت؟! أو منقطعة، أى: بل أمن هو قانت كغيره، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾، وهم القانتون، وفى هذه أدلة واضحة على أن غير العامل كأنه ليس بعالم، ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾، وقيل هذا على سبيل التشبيه، أى: كما لا يستوى العالمون والجاهلون، كذلك لا يستوى القانتون والعاصون، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾: يتعظ بوعظ الله تعالى، ﴿أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾.

﴿قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ

(١) أخرج الترمذى والنسائى وابن ماجه عن أنس قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل وهو فى الموت فقال: "كيف تجدك"؟ قال: أرجو الله وأخاف ذنوبى، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذى يرجوا وأمنه الذى يخاف"[حسن، وانظر صحيح سنن الترمذى]/١٢ فتح.

دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾، عن معاصيه، **﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾**: بالطاعة، **﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾**، ظرف لأحسنوا، **﴿حَسَنَةٌ﴾**، فى الآخرة[١]، وهى الجنة، **﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾**، فهاجروا إلى أرض ما دعيتم فيها إلى المعصية، **﴿إِنَّمَا[٢] يُوَفَّى الصَّابِرُونَ﴾**: على بلاء الله تعالى، ومفارقة المستلذات الداعية إلى المعاصى، **﴿أَجْرَهُم**

---

(١) فى الآخرة، لما أحسنوا فى الدنيا ففى الآخرة لهم من جنس عملهم / ١٢ وجيز.

(٢) ولما بين ما للمحسنين، وكان لابد فى ذلك من الصبر على فعل الطاعات، والكف عن الشهوات، أشار إلى فضيلة الصبر، وعظيم مقداره، فقال: " إنما يوفى الصابرون " الآية / ١٢ فتح.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، لا يوزن لهم، ولا يكال إنما يغرف لهم غرفًا، قيل: نزلت فى جعفر بن أبى طالب، وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم، وصبروا حين اشتد بهم البلاء، ﴿قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾، أى: بأن أعبد، ﴿مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾، من هذه الأمة، واللام زائدة، كما تقول: أمرت لأن أفعل، وقيل: معناه أمرت بذلك لأجل أن أكون مقدم المسلمين فى الدارين ﴿قُلْ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾، مع أنى نبى مقرب، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾: لعظمة ما فيه، نزلت حين دعى إلى دين آبائه، ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِى فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾، أمر توبيخ، ﴿قُلْ إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾، مع أنها رأس مالهم، ﴿وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: الذين هم فى الجنة لهم من حور وغلمان، وغيرهما فإن لكل مترلاً وأهلاً فى الجنة، فمن عمل بالمعاصى دخل النار، وصار المترل والأهل لغيره أو خسروا أهليهم الذين لهم فى الدنيا، لأنهم إن كانوا من أهل النار، فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم، وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابًا أبديًا، ﴿أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ الْمُبِينُ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾: أطباق من النار هى ظلل الآخرين، ﴿ذَلِكَ﴾: العذاب، ﴿يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾، ولا تتعرضوا لمعصيتى، ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾: الأوثان، نزلت فى زيد بن عمرو بن نفيل وأبى ذر وسلمان الفارسى رضى الله تعالى عنهم، ﴿أَن يَعْبُدُوهَا﴾، بدل اشتمال، ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾: إلى عبادته، ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾، فى الدنيا والآخرة، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾، أى: القرآن وغيره، ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ[1]﴾، أى: القرآن، أو المراد من يسمع حديثًا فيه محاسن

---

(١) قال بعض السلف: معناه: الذين يستمعون أوامر الله، فيتبعون أحسنها فإن فى القرآن الانتصار من الظالم، والعفو أحسن / ١٢ منه.

ومساوئ، فيحدث بأحسن ما سمع، ويكف عما سواه، أو يستمعون القول من العزائم، والرخص فيتبعون العزائم، وضع الظاهر موضع المضمر، فإن الظاهر أن يقال: فبشرهم لأن يصفهم بهذه الصفة أيضًا، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾: العقول السليمة، ﴿أَفَمَنْ[1] حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ[2] فِي النَّارِ﴾، الفاء عطف على محذوف تقديره: أأنت مالك أمرهم؟ فمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه، والهمزة فى الجزاء كررت لتوكيد معنى الإنكار، أى: لست بقادر على إنقاذ من أراد الله تعالى شقاوته،﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾: محكمة عالية، كالأسافل بخلاف الدنيا فإن أسافلها أحكم من أعاليها[3]، ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾، أى: الغرف، ﴿الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ﴾، مصدر مؤكد لنفسه، ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾، أى: الوعد، ﴿أَلَمْ[4] تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ﴾: نظمه، ﴿يَنَابِيعَ﴾: عيونًا، ومجارى، نصب على الظرف، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، صفة ينابيع، ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ﴾: بالماء، ﴿زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ[5]﴾: أصفر،

---

(١) ولما كان فى ضمن البشارة، بشارتهم بالنوع الخاص، وإشارة إلى نقيضهم بالخسران والشقاوة، وكان -صلى الله عليه وسلم- مجبولاً على عظيم الرحمة، ومزيد الشفقة يتأسف على من أعرض عن الله، عقبه بقوله: " أفمن حق عليه كلمة العذاب " الآية/١٢ وجيز.

(٢) وضع الظاهر، وهو من فى النار موضع المضمر، ليدل على أن عذاب الله هو النار، وسعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إنقاذهم منها/١٢ منه ووجيز.

(٣) ولو لم يكن معنى مبنية إلا البناء الخاص لكان غير مفيد/١٢.

(٤) ولما أخبر بقدرته على البعث، دل عليها بما يتكرر مشاهدته من مثلها فقال: " ألم تر أن الله " الآية / ١٢ وجيز.

(٥) فى الصحاح اللون: الهيئة، كالسواد، والحمرة، واللون: النوع / ١٢ منه.

وأحمر وأخضر، أو أنواعه من بر وشعير وحمص، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾: يتم جفافه، ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾: خشبة مسودة، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾: لعظة، ﴿لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾، فيعرف أنه مثل الحياة الدنيا، ويستدل به على كمال حكمته وقدرته.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾: وسّعه لقبول الحق، ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾: يهتدى به إلى الحق، وخبره محذوف، أى: كمن أقسى الله قلبه، ويدل عليه قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾، أى: غلظ وجفا عن قبول ذكره،

كما تقول: أتخمت من طعام، وعن طعام أكلت، ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ[1] الحَدِيثِ﴾، أى: القرآن، ﴿كِتَابًا﴾، بدل أو حال، ﴿مُتَشَابِهًا﴾: يشبه بعضه بعضًا فى الفصاحة، أو صحة المعنى من غير مخالفة، ﴿مَثَانِيَ﴾، جمع مثنى مفعل، من التثنية بمعنى الإعادة، والتكرير، فإن قصصه وأحكامه ومواعظه ووعده ووعيده مكرر معاد صفة لكتابًا، وهو فى الحقيقة صفة ما يتضمنه الكتاب من السور، والآيات، وعن بعضهم: إن سياق الكلام إذا كان فى معنى واحد يناسب بعضه بعضًا فهو

---

(١) أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة فى قوله: " تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم " قال: هذا نعت أولياء الله، نعتهم الله، قال: تقشعر جلودهم، وتبكى أعينهم، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما هذا فى أهل البدع، وإنما هو من الشيطان، وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر وابن مردويه وابن عساكر عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال: قلت لجدتى أسماء: كيف كان يصنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرءوا القرآن ؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله، تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم، قلت: فإن ناساً هاهنا إذا سمعوا ذلك تأخذهم عليه غشية، قالت: أعوذ بالله من الشيطان، وأخرج الزبير بن بكار فى الموفقيات، عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: جئت أبى فقلت: وجدت قومًا ما رأيت خيرًا منهم قط يذكرون الله فيرعد أحدهم حتى تغشى عليه من خشية الله، فقال: لا تقعد معهم، ثم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن، ورأيت أبا بكر، وعمر يتلون القرآن، فلا يصيبهم هذا من خشية الله، أفتراهم أخشى لله من أبى بكر وعمر، وأخرج ابن أبى شيبة عن قيس بن جنت قال: الصاعقة من الشيطان، وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى شيبة، وابن المنذر عن إبراهيم فى الرجل يرى الضوء قال: من الشيطان لو كان خيرًا لأوثر به أهل بدر/١٢ در منثور.[انظر الدر المنثور (٥/٦١٠،٦١١).]

المتشابه، وإن كان يذكر الشيء وضده كذكر المؤمنين، ثم الكافرين، والجنة، ثم النار، كقوله تعالى: " إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم "(الانفطار:١٣، ١٤) فهو من المثانى، ﴿تَقْشَعِرُّ﴾: تضطرب وتشمئز، ﴿مِنْهُ﴾: من القرآن، لأجل خشية الله، ﴿جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾، وفى الحديث: "إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالي، تحاتت منه ذنوبه كما يتحات عن الشجر اليابسة ورقها"(*) ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾، لما يرجون من رحمته، ولطفه، فهم بين الخوف والرجاء[1]، ولتضمين معنى السكون عداه بإلى، ﴿ذَلِكَ﴾، أى: الكتاب، أوالخوف والرجاء، ﴿هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ أَفَمَن يَتَّقِي[2] بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: شدته، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، ظرف ليتقى، وخبره محذوف، أى: كمن يأتى آمنًا يوم القيامة، والإنسان إذا لقى مخوفًا استقبله بيده، ويقى بها وجهه الذى هو أعز أعضائه، والكافر المغلول لا يتهيَّأ له أن يتقى النار إلا بوجهه، ﴿وَقِيلَ﴾، حال بتقدير قد، ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾، أى: لهم، ﴿ذُوقُوا﴾: وبال، ﴿مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: القرون الماضية، ﴿فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ[3] لَا يَشْعُرُونَ﴾: من الجهة التى هم آمنون منها، أى: على حين غفلة، ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ﴾: الذل، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾: المعد لهم، ﴿أَكْبَرُ﴾، من عذاب الدنيا، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، لو كانوا من أهل العلم لعلموا ذلك، ﴿وَلَقَدْ

(*) ذكره الهيثمى فى "المجمع"، (١٠/٣١٠) وقال: "رواه البزار وفيه أم كلثوم بنت العباس ولم أعرفها، وبقيه رجاله ثقات".

(١) لم يكونوا يتصارخون، ولا يرقصون / ١٢ وجيز.

(٢) ولما صرح بذكر من شرح صدره مضمنًا ذكر قاسى القلب، كما بينا، عكس الأمر فى مقابله للتعادل، فقال: " أفمن يتقى " الآية / ١٢ وجيز.

(٣) فليحذر أمتك ممن يكذب أن تصيروا كالأمم المكذبة / ١٢ وجيز.

﴿ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾، محتاج إليـــه فى الديـــن، ﴿لَّعَلَّـــهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآنًا﴾، حال موطئة من هذا، ثم وصفه بما هو المقصود بالحالية، ﴿عَرَبِيًّـــا غَيْرَ[1] ذِى عِوَجٍ﴾: اختلال بوجه من الوجوه، ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ[2]﴾، علة أخــــرى مترتبة على الأولى، ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً﴾، للمشرك والمخلص، ﴿رَّجُلاً﴾، بدل مــــن

---

(١) أخرج البيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن عباس وابن مردويه والآجرى فى الشـــريعة عنه فى قوله تعالى: " قرآنًا عربيًا غير ذى عوج "، قال: غير مخلوق [ذكره السيوطى فى اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٦/١)]، وأخرج الديلمى عن أنس مرفوعًا فى قوله: " قرآنًا عربيًا غير ذى عوج " قال: غير مخلوق [لا يصح، انظر كشف الخفاء للعجلونى (١١٠/٢)]، وأخرج ابن شاهين عن أبى الدرداء مرفوعًا، قال: القرآن كلام الله غير مخلوق وأخرج البيهقى عن أنس أنه قال: القرآن كلام الله، وليس كـــلام الله بمخلوق، وأخرج البيهقى عن عكرمة قال: "صلّى ابن عباس على جنـــازة، فلمـــا وضع الميت فى قبره، قال له رجل: اللهم رب القرآن اغفر له، فقال له ابن عباس: مه لا تقل مثل هذا، منه بدأ وإليه يعود، وفى لفظ فقال ابن عباس: ثكلتك أمك، إن القـــرآن منه إن القرآن منه إن القرآن منه، وأخرج البيهقى عن عمر بن الخطاب قال: القـــرآن كلام الله، وأخرج البيهقى عن سفيان بن عيينة قال: أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وأخرج البيـــهقى عـــن جعفر بن محمد عن أبيه قال: سئل على بن الحسين عن القرآن؟ فقال: ليس بخالق، ولا مخلوق، وهو كلام الخالق، وأخرج البيهقى عن قيس بن الربيع قال: سألت جعفر بـــن محمد عن القرآن؟ فقال: كلام الله، قلت: مخلوق ؟ قال: لا، فقلت: فما تقول فيمـــن زعم أنه مخلوق ؟، قال: يقتل ولا يستتاب / ١٢ در منثور.

(٢) ولما ذكر أنه ضرب فى القرآن من كل مثل، شرع يضرب مثلاً لعابد الآلهة ومن يعبـــد الله وحده، فقال: " ضرب الله مثلاً " الآية / ١٢ وجيز.

مثلاً، ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ﴾، مبتدأ و خبر، ﴿مُتَشَاكِسُونَ﴾: متنازعون، صفة لشركاء، والجملة صفة رجلا، أى: مثل المشرك كعبد يتشارك فيه جمع، يختلف كل منهم فى أنه عبد له، فيتداولونه فى مهامهم، فهو متحير لا يدرى أيهم يرضى، وعلى أيهم يعتمد إذا سنح سانح، ﴿وَرَجُلاً سَلَمًا﴾: ذا خلوص، ﴿لِّرَجُلٍ﴾: واحد، يعرف أن له سيدًا واحدًا يخدمه خالصة، ويتكل عليه فى حاله وماله، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾، هذان الرجلان، ﴿مَثَلاً﴾، تمييز، أى: صفة وحالا، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: لا حمد لغيره، فإنه هو المنعم وحده، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ[1] لاَ يَعْلَمُونَ﴾، فيشركون به غيره، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾، أى: أنتم فى عداد الموتى، فإن ما هو كائن، فكأنه قد كان، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾، فيه تغليب المخاطب، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾، أى: إنك وإياهم تختصمون، فتحتج أنت عليهم بما لا شبهة فيه، ويعتذرون بما لا طائل تحته، وأكثر السلف حمل ذلك على اختصام الجميع حتى الروح والجسد.

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن

---

(١) إضراب عن ضرب المثل، وظهور الحالين، كأنه قال: لا ينفعهم المثل، بل أكثرهم كالبهائم، ولما ذكر أن أكثرهم جهلاء لا يتأملون فى المثل ولا يعتبرون بالوعظ، فاقتضى الحال أن تتوجه النفوس إلى المآل، وما آل الحال إليه، فقال: " إنك ميت"/١٢ وجيز.

يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾

﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ**﴾: بإضافة الولد، والشريك إليه، ﴿**وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ**﴾: بما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿**إِذْ جَاءَهُ**﴾، من غير تفكر، ﴿**أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى**﴾: منزلاً، ﴿**لِّلْكَافِرِينَ**﴾، واللام يحتمل العهد والجنس، ﴿**وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ**[1] **وَصَدَّقَ بِهِ**﴾، أى: الفريق الذى جاء به إلخ، فيدخل فيه الرسول وأتباعه، ويكون المعطوف والمعطوف عليه صلة واحدة على التوزيع، فينصرف المعطوف عليه إلى الرسول، والمعطوف إلى الصحابة، أو إلى المؤمنين أجمعين، أو المراد من الذى جاء بالصدق، وصدق به الرسل عليهم السلام، ﴿**أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا**﴾: يسترها عليهم بالمغفرة، يُعْلم من تخصيص الأسوأ أن غير الأسوأ أولى

(١) أثبت الله الوحدة فى الألوهية ونفى الولد، وصدق به صدق بما جاء به رسول فيدخل فيه الرسول وأتباعه، كذا قال عظماء السلف / ١٢ وجيز.

بالتكفير، وقيل: بمعنى السيئ، ﴿وَيَجْزِيَهُمْ﴾: يعطيهم، ﴿أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾، فيعد لهم محاسن أعمالهم، بأحسنها فى زيادة الأجر وعظمه، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾، لما خوفت قريش رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نزلت، وفى بعض القراءات "عباده"، فالأولى أن يراد من عبده الجنس، ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾، أى: قريش، ﴿بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾: بأصنامهم أى: من دون الله، يقولون: إنك لتعيبها وستصيبك بسوء، ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ﴾، فيخوف حبيب الله بحجر لا يضر ولا ينفع، ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾: غالب منيع، ﴿ذِى انتِقَامٍ ﴾، من أعدائه، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، لا سبيل لإنكارهم تفرد خالقيته، ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ عني، وهذا بيان أنها لا تنفع ولا تضر فلا خوف منها، ﴿قُلْ حَسْبِىَ اللَّهُ﴾: كافى فى إصابة النفع ودفع البلاء، إذ قامت الحجة على تفرده فيهما، ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ[1] قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾: على طريقتكم، اسم للمكان استعير للحال، ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾، أى: على منهجى، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ[2]﴾، معمول تعلمون، ﴿يُخْزِيهِ﴾، صفة عذاب، أى: فى الدنيا كما أخزاهم يوم بدر، ﴿وَيَحِلُّ﴾، عطف على يأتيه، ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾: دائم فى الآخرة، ﴿إِنَّا

---

(١) ولما كانوا مع هذه الحجج القاطعة، والأدلة القامعة، والبراهين الساطعة كالبهائم الهائمة، لا يرفعون رءوسهم إليها، فهم على حال لا يرجى منهم الهداية، والدراية، قال: " قل يا قوم اعملوا " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) كالقتل والأسر والفرار / ١٢.

﴿أنزَلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ لِلنَّاسِ﴾: لأجل نفعهم، **﴿بِالْحَقِّ﴾**: متلبسًا به، **﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ﴾**: يعود نفعه إلى نفسه، **﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾**: ووبال الضلال راجع إليها، **﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾**: فتجبرهم على الهداية، إنما أنت نذير.

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَـٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ ﴾

﴿اللَّهُ[١] يَتَوَفَّى الأَنفُسَ﴾: يستوفيها[٢] ويقبضها، ﴿حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي﴾، أى: ويستوفى الأنفس التى، ﴿لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾، فتجتمع النفوس كلهن فى الملأ الأعلى كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذى رواه ابن مندة، وغيره وفى الصحيحين ما يدل[٣] على ذلك، ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾: فلا يردها إلى الجسد، ﴿وَيُرْسِلُ الأُخْرَى﴾، أى: النائمة إلى جسدها، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وهو وقت

---

(١) ولما ذكر أنه تعالى أنزل الكتاب على رسوله بالحق، نبه على آية من آياته الكبرى، الدالة على وحدانيته لا شركة لأحد فى ذلك بالاتفاق، فقال: " الله يتوفى الأنفس " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) والأصح: أن الروح والنفس واحد، والأولى أن يكون المراد من الأنفس الجملة كما قال تعالى: " وهو الذى يتوفاكم بالليل "(الأنعام:٦٠) أى يميتكم به / ١٢ وجيز.

(٣) وهو حديث (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليقل: باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه إن أمسكت نفسى فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين) رواه الشيخان، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبرانى فى الأوسط وأبو الشيخ فى العظمة،وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله: " الله يتوفى الأنفس " الآية، قال: تلتقى أرواح الأحياء، وأرواح الأموات فى المنام، فيتساءلون بينهم ما شاء الله، ثم يمسك الله أرواح الأموات، ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها إلى أجل مسمى، لا يغلط بشيء منها، لذلك قوله: " إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون " نقله السيوطى فى الدر المنثور، وفى الفتح، والأظهر أن الروح والنفس شيء واحد، وهو الذى تدل عليه الآثار الصحاح، وقال الزجاج: لكل إنسان نفسان: نفس التمييز، وهو الذى تفارقه إذا نام، والأخرى نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس، والنائم يتنفس، قال القشيرى: فى هذا بعد إذ المفهوم من الآية أن النفس المقبوضة فى الحالين شيء واحد، ولهذا قال: " فيمسك التى قضى عليها الموت " الآية / ١٢.

الموت، ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ﴾، أى: التوفى والإمساك والإرسال، ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتفَكَّرُونَ﴾، فى عجائب قدرته، ﴿أَمِ[1] اتَّخَذُوا﴾: بل اتخذ قريش، ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾: من دون إذنه، ﴿شُفَعَاءَ﴾: عند الله تعالى بزعمهم الفاسد، ﴿قُلْ أَوَ لَوْ كَانُوا لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾، أى: قل أيشفعون؟! ولو كانوا إلخ فالواو للحال، والعامل يشفعون المقدر بعد الهمزة، ﴿وَلاَ يَعْقِلُونَ﴾: فإنهن جمادات لا تقدر، ولا تعلم، ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾: هو مالكها، لا يستطيع أحد أن يشفع إلا بإذنه، ولا تنفع إلا لمن أذن له، ﴿لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، فيحكم بالعدل، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾، أى: قيل: لا إله إلا الله، ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾: انقبضت ونفرت، ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾، أى: الأوثان، ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾، سواء ذكر الله تعالى معهم أو لم يذكر، وعن مجاهد ومقاتل، وذلك حين قرأ النبى صلى الله عليه وسلم سورة النجم فألقى الشيطان فى أمنيته: تلك الغرانيق العلى، ففرح الكفار[*] كما مر ذكره فى سورة الحج، واعلم أن من قال العامل فى إذا الشرطية مضمون الجواب فلابد أن يقول: العامل فى إذا الثانية الشرطية، وإذا المفاجأة معنى المفاجأة المتضمنة هى إياه، إذ لا يعمل الفعل الذى بعده فيما قبله، أى: فاجأوا فى وقت الذكر، وقت الاستبشار، ﴿قُلِ[2] اللَّهُمَّ فَاطِرَ[3] السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ

---

(١) ولما دلت الآية، على أنه تعالى هو المتصرف فى الأمور وحده، فكأنه قال: أذعنوا ذلك وأقروا به أم اتخذوا، أى: بل اتخذ قريش / ١٢ وجيز.

(*) قصة الغرانيق لا تصح، وقد جاءت من طرق واهية، وراجع فتح البارى (٢٩٣/٨)، وللشيخ الألبانى رحمه الله رسالة فى هذه القصة اسمها: نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق.

(٢) يعنى: لما تحيرت فى عنادهم، آيسًا من انقيادهم، فالجأ إلى الله القادر العالم / ١٢ وجيز.

(٣) وعن الربيع بن خيثم، وكان قليل الكلام، أنه أخبر بقتل الحسين رضى الله عنه، وقالوا: الآن يتكلم، فما زاد أن قال: آه وقد فعلوا، وقرأ هذه الآية، وعن عائشة -رضى الله عنها- قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللهم رب جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم"، رواه مسلم/١٢ فتح.

﴿وَالشَّهَادَةِ﴾، أى: التجيء إلى الله تعالى لما تحيرت فى كفرهم، **﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾**: وهم المشركون، **﴿مَا فِي الأَرْضِ﴾**، اسم أن، **﴿جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ﴾**، أى: بمجموع ما فى الأرض، والمثل، **﴿مِن سُوءِ العَذَابِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَبَدَا﴾**: ظهر، **﴿لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾**: ما لم يخطر ببالهم من الوبال والنكال، **﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾**، أراد بالسيئات أنواع العذاب، كأنه قيل: سيئات سيئاتهم، نحو: جزاء سيئة سيئة، أو معناه ظهر لهم سيئات أعمالهم التى كانت خافية عليهم، حين تعرض صحائفهم، كما قال الله تعالى: "أحصاه الله ونسوه "(المجادلة:٦)، **﴿وَحَاقَ﴾**: أحاط، **﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾**، أى: جزاؤه، **﴿فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ﴾**، أى: جنسه باعتبار الغالب، **﴿ضُرٌّ دَعَانَا﴾**، عطف على قوله: "وإذا ذكر الله وحده" بالفاء ليدل على التسبب، والدلالة على تعكيس الكافر الأمر، وجعله ما هو أبعد الأشياء عن الالتجاء وسيلة إليه، كأنه قال: هم مشمئزون عند ذكر الله تعالى وحده، ومستبشرون بذكر آلهتهم، فإذا مس أحدهم مصيبة دعا من اشمئز من ذكره، وترك من استبشر به، وما بين المعطوفين أعنى، قوله: " قل اللهم " إلى قوله تعالى: " يستهزءون " اعتراض مؤكد لإنكار ذلك عليهم، **﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾**: أعطيناه، **﴿نِعْمَةً مِّنَّا﴾**: تفضلاً، **﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ﴾**، أى: شيئًا من النعمة، **﴿عَلَى عِلْمٍ﴾**، أى: على علم منى بأنى سأعطاه لاستحقاقى، أوعلى علم من الله تعالى باستحقاقى، ولولا أنى عند الله حقيق ما خولنى هذا، فهو حال من أحد معمولى أوتيته، أو خبر، إن جعلت ما موصولة لا كافة، أو معناه أوتيته على خير وفضل عندى، كقولك: أنعمت عليك على كمالك، أى: هو السبب، **﴿بَلْ هِيَ﴾**[1] **﴿فِتْنَةٌ﴾**: اختبار، أيشكر، أم يكفر؟ **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾**، أنها امتحان، **﴿قَدْ قَالَهَا﴾**، أى: هذه المقالة، وهى " إنما أوتيته على علم "، **﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾**: الأمم السالفة، كقارون، قال: " إنما أوتيته على علم عندى "(القصص:٧٨)، **﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُم﴾**:

(١) أنث الضمير بعد ما ذكَّره، لتأنيث خبره / ١٢.

عن عذاب الله تعالى، ﴿مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، أى: من أموال الدنيا، أو من أعمالهم وعقائدهم، ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ﴾، أى: وبال، ﴿مَا كَسَبُوا﴾، أو جزاء سيئات ما كسبوا، ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ﴾، مشركى قريش، ومن للبيان، ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾: بفائتين، ﴿أَوَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: ويقتر على من يشاء، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، بأن الكل من الله تعالى.

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

﴿قُلْ[1] يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾: بارتكاب المعاصى، أى معصية كانت، ﴿لاَ تَقْنَطُوا﴾: لا تيأسوا، ﴿مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾،

---

(١) ولما شدد على الكفار، وبين ما أعد لهم من العذاب، وأنهم لو كان لأحدهم ملأ الأرض، ومثله معه لافتدوا به، أخذ يبين من إحسانه الكامل، والعناية، وأنهم إن رجعوا=

يعنى: ليس ذنب لا يمكن أن تتعلق به مغفرة الله تعالى، لكن جرت عادة الله تعالى أنه لا يغفر الشرك من غير توبة، أما سائر المعاصى فيغفر مع التوبة[1] بتًا وبدونها إن أراد، وما نقل من أسباب نزول تلك الآية لا يدل على خلاف مافسرناها به مع أن العبرة

= وتابوا، رجع عليهم بالعناية والقبول، لئلا يقنطوا من رحمته، فقال: " قل يا عبادى الذين أسرفوا " الآية / ١٢ وجيز.

(١) وفى الفتح: أما ما يزعمه جماعة من المفسرين، من تقييد هذه الآية بالتوبة جمعا بين هذه الآية، وبين "يغفر ما دون ذلك لمن يشاء"(النساء: ٤٨ ،١١٦) فهو جمع بين الضب والنون، وبين الملاح والحادى، وعلى نفسها براقش تجنى، ولو كانت هذه البشارة العظيمة مقيدة بالتوبة، لم يكن لها كثير موقع، فإن التوبة من الشرك أيضًا مقبولة، فلو كانت التوبة قيد فى المغفرة، لم يكن للتنصيص على الشرك فائدة، وقد قال تعالى: " إن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم "(الرعد:٦) قال الواحدى: المفسرون كلهم قالوا: إن هذه الآية فى قوم خافوا، إن أسلموا لا يغفر لهم ما جنوا من الذنوب العظام كالشرك، وقتل النفس، ومعاداة النبى -صلى الله عليه وسلم- قلت: هب أنها فى هؤلاء القوم فكان ماذا، فإن الاعتبار للعموم لا لخصوص السبب، كما هو متفق عليه بين أهل العلم، ولو كانت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية مقيدة بأسبابها، غير متجاوزة لها لارتفعت أكثر التكاليف عن الأمة، إن لم ترفع كلها، واللازم باطل بالإجماع فالملزوم مثله، وفى الصحيحين وغيرهما، من أحاديث الباب ما لو عرفه المطلع عليه حق معرفته، علم صحة ما ذكرناه، وعرف حقية ما حررناه، قاله الشوكاني، وأيضًا قال: يمكن أن يقال: إن إخباره لنا بأنه يغفر الذنوب جميعًا، يدل على أنه يشاء غفرانها جميعًا، وذلك يستلزم أنه يشاء المغفرة بكل المذنبين من المسلمين، فلم يبق بين الآيتين تعارض من هذه الحيثية /١٢.

فى شرح السنة، بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى قاتل حمزة، يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه يا محمد كيف تدعونى، وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنا، "يلق أثامًا يضاعف له العذاب يوم القيامة، ويخلد فيه مهانًا" وأنا صنعت ذلك، فهل تجد لى من رخصة؟ فأنزل الله تعالى: " إلا من تاب وآمن وعمل صالحًا "(مريم:٦٠، الفرقان:٧٠)، فقال الوحشى: هذا شرط شديد، فهل غير ذلك؟ فأنزل الله: " إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء "(النساء ٤٨ ،١١٦)، فقال وحشى:هذا أرى بعد فى مشيئته فلا أدرى أيغفر لى أم لا هل غير هذا؟ فأنزل الله: " قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم "، الآية، قال وحشى: هذا نعم، فأسلم، فقال الناس: يا رسول الله إنا أصبنا ما أصاب وحشى، فقال: هى للمسلمين عامة/١٢ وجيز، وقال السيوطى: أخرجه الطبرانى وابن مردويه والبيهقي، بسند لين / ١٢. [وذكـــره =

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كيف وقد وردت بيانًا لسعة رحمته تعالى، مع تعليل النهى عن القنوط بأنه يغفر الذنوب بصيغة الجمع مع التأكيد، نزلت فى أناس من المشركين حين قالوا: إن ما تدعونا إليه يا محمد لحسن، لوتخبرنا أن لما عملنا كفارة، أو نزلت فى وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه، أو فى جماعة من المرتدين، وعن بعض السلف: إن الله تعالى لما سلط إبليس على آدم عليه السلام، شكى آدم ربه فقال الله تعالى: " لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء، فقال: يا رب زدنى، فقال: الحسنة بعشر، والسيئة بمثلها، أو أمحوها، قال: زدنى، قال: باب التوبة مفتوح ما كان الروح فى الجسد، قال: يا رب زدنى، فقال: " يا عبادى الذين أسرفوا " الآية، ﴿إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا[1]﴾: ارجعوا، ﴿إِلَى رَبِّكُمْ﴾، تحريض بالتوبة فإنها جاعلة للمعاصى كالعدم، موثوق معها بالنجاة، ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾: أطيعوا، ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾، الآية نزلت فى شأن الكفار، ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾، أى: القرآن فإنه أحسن من جميع الكتب السماوية، قيل: الأحسن العزائم دون الرخص، أى: اتبعوا ما هو أنجى، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً﴾، حال أو مصدر، ﴿وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾، بمجيئه فتداركون، أو فيكون أشد، ﴿أَن تَقُولَ﴾، أى: أنذركم، وآمركم، وأرشدكم باتباع الأحسن، كراهة أن تقول، ﴿نَفْسٌ﴾، أى: بعض النفوس، وهى النفس الكافرة، أو تقول هى عام لأنها فى سياق النفى معنى لأن، معناه لئلا تقول نفس، ﴿يَا حَسْرَتَى﴾، أى: أقبلى

= الهيثمى فى "المجمع"، (٧/ ١٠٠، ١٠١) وقال: "رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه أبين بن سفين ضعفه الذهبي".]

(١) ولما كانت فى الآية فسحة عظيمة، ولهذا قيل: هى أرجى آية فى القرآن، إذ أعاد الاسم الأعظم، وأكد الجملة بأن، ثم وصف نفسه بصيغتى المبالغة، وأكد بما هو مقتض للحصر، أتبعها بأن الإنابة مطلوبة مأمور بها، وتوعد من لم ينب، حتى لا يبقى المرء كالمهمل من الطاعة، والمتكل على الغفران من دون إنابة، فقال: " وأنيبوا إلى ربكم " الآية/١٢ وحيز.

فهذا أوانك، ﴿عَلَى مَا فَرَّطتُ﴾: قصرت، ﴿فِى جَنبِ اللَّهِ﴾: جانبه، أى: حقه، أى: طاعته، وقيل فى قربه، ﴿وَإِن كُنتُ﴾، إن هى المخففة، والواو للحال، ﴿لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾:، المستهزئين بدينه، ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾: علمنى الخير، وأرشدنى، ﴿لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾: رجعة إلى الدنيا، ولو للتمنى، ﴿فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، فى العقائد، والأعمال، وأو للدلالة على أنه لا يخلو من هذه الأقوال، ولا يبعد أن يقال: أن تقول بدل اشتمال من أن يأتيكم العذاب، أى: من قبل أن تقول نفس إلخ، وقد رأيته منقولاً عن بعض أئمة النحاة، ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، رد لما تضمنه قوله: " لو أن الله هدانى "، من معنى النفي، وفصل بين الجواب وهو يلي، وبين ما هو جواب له وهو لو أن الله هداني، لئلا ينتثر النظم الحاصل بالجمع بين القرائن الثلاث بتخلل شيء بينها، ولئلا يقدم فى الكلام ما هو مؤخر[1] فى الوجود، فإن تمنى الرجعة آخر الأمر، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾، كإضافة الولد والشريك إليه تعالى، ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾، جملة[2] تفسيرية إيضاحًا للمقصود مما وقعت الرؤية عليه، ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: مقام، ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾، عن طاعة الله تعالى، ﴿وَيُنَجِّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾، أى: بسبب فلاحهم وسعادتهم، أو متلبسين بفلاحهم، ﴿لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، يوم القيامة عند الفزع الأكبر، جملة مستأنفة على الوجه الأول، ومبينة للفلاح على الثانى، ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: أى: كل ما هو موجود فى زمان، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، فهو

---

(١) فإنه صدر عنهم أولاً: يا حسرتا، ثم لو أن الله هدانى ثانيًا، ثم أن لى كرة آخر الأمر/ ١٢ وجيز.

(٢) وفى الوجيز جملة حالية، وترى من رؤية البصر، والجملة الاسمية المشتملة على ضمير ذى الحال ليس بشاذ على الأصح / ١٢ وجيز.

المتصرف فيه، ﴿لَهُ مَقَالِيدُ[1]﴾: مفاتيح، وأصل الكلمة فارسية[2]، أى: أو خزائن، ﴿السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، يعنى: أزِمَّة جميع الأمور بيده، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: وجحدوا وحدته وتفرد تصرفه، ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾.

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ أَيُّهَا الجَاهِلُونَ ﴾، نصب غير بأعبد، وتعلق أعبد بتأمرونى على وجه المفعولية، أى أن أعبد، فحذف أن ورفع المضارع، لكن هذا عند من يجوز تقديم معمول ما بعد أن، عند حذف سيما، إذا زال أثره الذى هو النصب، وأما عند من لم يجوز التقديم أو لم يجوز حذف، أن، بحيث لا يبقى أثره، فنصبه إما بما يتضمنه مجموع تأمرونى أن أعبد من معنى الفعل، أى: أفغير الله تعبدوننى، وتجعلوننى عابدًا بمعنى تقولون لى: اعبد، وإما بأعبد، لكن "تأمروني" اعتراض بين المعمول، والعامل غير متعلق بأعبد ليحتاج إلى تقدير إن نزلت حين قالوا: استلم بعض آلهتنا فنعبد إلهك، ﴿وَلَقَدْ أُوحِى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾: من الرسل، ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾، إفراد الخطاب باعتبار كل واحد، أى: أوحى إليك وإلى كل واحد منهم،

---

(١) جمع إقليد معرب إكليد على الشذوذ كذاكير/ ١٢ كمالين.

(٢) كما أخرج الفريابى، وابن جرير عن مجاهد / ١٢ در منثور.

لئن أشركت، ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ المراد: خسران الآخرة بشرط الموت على الردة، أى: لئن أشركت، وبقيت على الشرك، أو المراد: خسران حبوط العمل، وهو حاصل بكل حال، أو الحكم مختص بالأنبياء، فإن شركهم لا شك أقبح، وهذا خطاب مع الأنبياء، والمراد منه غيرهم، أوكلام على سبيل الفرض، وفائدته تهييج الرسل وإقناط الكفرة، وأدب للأنبياء، وتهديد للأمة، ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾، يعنى: لا تعبد ما أمروك، بل اعبده وحده، فهو ردٌّ لما أمروه به، ونصبه بفعل يفسره ما بعده عند من لم يجوز تقديم ما فى حيز الفاء، ﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾، لإنعامه عليك، ﴿وَمَا قَدَرُوا[1] اللَّهَ﴾، أى: عظمته فى أنفسهم، ﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾: حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكًا، ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾، هذا إخبار عن عظمته، وسهولة

---

(١) قوله تعالى: " وما قدروا الله " الآية، أخرج سعيد بن منصور، وأحمد، وعبد الرحمن بن حميد، والبخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن جرير، وابن المنذر، والدارقطنى فى الصفات، وابن مردويه والبيهقى فى الأسماء والصفات، عن ابن مسعود قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يحمل السماوات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع فيقول: أنا الملك، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم " وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة "، ووقع هذا الحديث فى صحيح البخاري.
وأخرج أحمد والترمذى وصححه، وابن جرير، وابن مردويه، والبيهقى عن ابن عباس، قال: مر يهودى برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو جالس قال: كيف تقول يا أبا
وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: ما فى السماوات السبع والأرضين السبع فى يد الله عز وجل إلا كخردلة فى يد أحدكم، وأخرج أبو الشيخ فى العظمة، عن أبى ذر قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدرى ما الكرسى ؟، فقلت: لا، قال: ما السماوات والأرض، وما فيهن فى الكرسي، إلا كحلقة ألقاها ملق فى أرض فلاة، وما الكرسى فى العرش إلا كحلقة ألقاها ملق فى أرض فلاة، وما العرش فى الماء إلا كحلقة ألقاها ملق فى أرض فلاة، وما الماء فى الريح إلا كحلقة ألقاها ملق فى أرض فلاة، وما جميع ذلك فى قبضة الله عز وجل إلا كالحبة، أو أصغر من الحبة فى كف أحدكم، وذلك قوله " والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة " / ١٢ در منثور مع اختصار.

الأفعال العظام فى جنب قدرته، والقبضة المرة من القبض، مصدر بمعنى المقبوضة، أو تقديره: ذات قبضته، وجميعًا حال من المستتر فى قبضته إذا قلنا: إنها بمعنى مقبوضته، أو من العامل المحذوف على طريق الحال المؤكدة، أى: والأرض أعنيها، أو أثبتها مجموعة ذات قبضته، وهو تأكيد لشمول الإفراد، أى الأرضون السبع، أو لشمول الأجزاء، ونحن على طريقة السلف لا نأول اليد، والقبضة، والأصبع، ونؤمن بها، ونكل علمها إلى الله سبحانه وتعالى وهى أقرب من السلامة، وأبعد من الملامة، **﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ﴾**، من الطي، الذى هو ضد النشر، **﴿بِيَمِينِهِ﴾**، متعلق بمطويات، وفى الحديث[1] (يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوى السماء بيمينه، ثم يقول أنا الملك، أين ملوك الأرض؟)، **﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**، ما أبعد وأعلا من هذه قدرته، عما ينسب إليه من الشركاء، أو عن إشراكهم، **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾**: هى النفخة الثانية، إذ النفخة الأولى ريح باردة[2] من قبل الشام، فيموت كل من فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان، ويبقى شرار الناس يعبدون الأوثان فى رغد من العيش، ثم ينفخ فى الصور، **﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن[3] شَاءَ اللَّهُ﴾**

---

(١) كما فى صحيح مسلم [وهو فى البخارى أيضًا]/ ١٢ وجيز.

(٢) كما فى الأحاديث المعتمدة / ١٢ وجيز.[وهو فى البخارى أيضا]

(٣) أخرج أحمد، وعبد بن حميد، والبخارى، ومسلم، والترمذى، وابن ماجة، وابن جرير، وابن مردويه عن أبي هريرة قال: قال رجل من اليهود بسوق المدينة: والذى اصطفى موسى على البشر، فرفع رجل من الأنصار يده فلطمه، وقال: أتقول هذا وفينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: "قال الله: " ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون " فأكون أول من يرفع رأسه، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدرى أرفع رأسه قبلى أو كان ممن استثنى الله" / ١٢ در منثور.

وعن قتادة فى الآية قال: ما يبقى أحد إلا مات، وقد استثنى، والله أعلم بثنياه، نقله السيوطى فى الدر المنثور، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم /١٢.

المراد: بعض الملائكة المقربين فإنهم لا يصعقون عند هذه النفخة، بل يقبض الله تعالى أرواحهم بعدها، حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، فلا يبقى إلا الله تعالى، فيقول: لمن الملك اليوم ؟، ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه بنفسه، فيقول: لله الواحد القهار، وقد ورد فى حديث[1] أن المراد منهم الشهداء، فإنهم متقلدون أسيافهم حول عرشه، وقد مر فى سورة النمل، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ﴾: فى الصور، ﴿أُخْرَى﴾، مرفوع بأنه فاعل نفخ، كما يقال: جاءتنى أخرى، أو منصوب بمصدر أى: نفخة أخرى، ونفخ مسند إلى الجار والمجرور، ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾: قائمون من مهلكهم، ﴿يَنظُرُونَ﴾، إلى الجوانب كما كانوا قبل ذلك، أو ينتظرون أمر الله تعالى فيهم، ﴿وَأَشْرَقَتِ[2] الأَرْضُ﴾: أضاءت أرض القيامة، ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾، الذى خلقها من غير وساطة جرم، وذلك حين تجليه سبحانه للخلق لفصل القضاء، أو معناه أضاءت بما يقام فيهامن العدل، كقولك: أضاءت الدنيا بقسطك، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾: كتاب الأعمال للجزاء، واكتفى باسم الجنس، ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾، يشهدون على الأمم، أنهم بلغوهم رسالة الله تعالى، ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾، من الملائكة، الحفظة على أعمال العباد، أو الذين يشهدون للرسل بالتبليغ، وهم أمة محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾: بالعدل، ولكل من الظرفين صلاحية أن يقوم مقام الفاعل، ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾: فلا يزاد فى سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾، أى: جزآءه، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾، فلا يفوته شيء مما عملوا.

---

(١) قال الشيخ عماد الدين ابن كثير: رواة الحديث كلهم ثقات إلا واحد منهم فإنه غير معروف/١٢ منه.[والحديث أخرجه أبو يعلى والدارقطنى فى الأفراد وابن المنذر والحاكم كما فى الدر المنثور (٥/٦٣٠)]

(٢) أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة " وأشرقت الأرض بنور ربها " قال: فما يتضارون فى نوره إلا كما يتضارون فى اليوم الصحو الذى لا دخن فيه، "وجيء بالنبيين والشهداء"، قال: الذين استشهدوا / ١٢ منثور.

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

﴿وَسِيقَ الَّذينَ كفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ﴾، كما يفعل بالأسارى يساقون إلى حبس[1] وقتل، ﴿زُمَرًا﴾: أفواجًا، بعضها على إثر بعض، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾: السبعة التى كانت مغلقة قبل ذلك، ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾، توبيخًا وتنكيلاً، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾: من جنسكم، ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيات رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾، أى: وقتكم هذا، أو هو وقت دخولهم النار، ﴿قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ﴾: وجبت، ﴿كَلِمَةُ العَذَابِ﴾، فى قوله: "لأملأن جهنم من الجنة والناس"(هود:١١٩)، أو المراد حكم الله تعالى بشقاوتهم، ﴿عَلَى الكَافِرِينَ﴾، من وضع المظهر بدل المضمر، أى: علينا، ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالدِينَ﴾، حال مقدرة، ﴿فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾: جهنم، ﴿وَسِيقَ الَذينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾، أى: عن الكفر به، يشعر به مقابلته بالذين كفروا، وذلك الإسراع بهم إلى النعيم، والمراد سوق[2] مراكبهم، ﴿إِلَى الجَنَّة زُمَرًا﴾: فوجًا بعد فوج على تفاوت رتبتهم فى

---

(١) فإن السوق يقتضى الحث على السير بعنف / ١٢ وجيز.

(٢) كما ورد فى الأحاديث الصحيحة / ١٢ وجيز.

الشرف، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾: الثمانية، قيل: الواو للحال، أى: وقد فتحت، فهو يدل على أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم، بخلاف أبواب جهنم، ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾: طاب لكم المقام، أو طهرتم من خبث الخطايا، أو كنتم طيبين فى الدنيا، ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾، أى: مقدرين الخلود، وحذف جواب إذا، إشارة إلى أنه شيء لا يحيط به الوصف، كأنه قال: إذا جاءوها، وكذا وكذا سعدوا وفازوا وفرحوا، ﴿وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾: بالثواب، ﴿وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ﴾، أى: أرض الجنة، نتصرف فيها تصرف الوارث لميراثه، فإن ملكية الميراث أتم، ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾: نترل حيث نريد، وقد أغنى الله تعالى كلا منهم عن منازل غيرهم، ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ ﴾: الجنة، ﴿وَتَرَى المَلائِكَةَ حَافِّينَ﴾: محيطين، وهو حال؛ لأن ترى من رؤية البصر، ﴿مِنْ حَوْلِ العَرْشِ﴾، قيل: مزيدة، وقيل متعلق بترى، وقيل لابتداء الغاية، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، أى: متلبسين بحمده تسبيح تلذذ لا تعبد، ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾: بين الخلائق، ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالعدل، ﴿وَقِيلَ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ[1] العَالَمِينَ ﴾: على عدله، القائل الملائكة، أو المؤمنون وأما إذا كان القائل بالحمد حينئذ المؤمنين، والكافرين، ولهذا لم يسند إلى قائل، فحمد الكافر لمعاينة عدله، كما ترى ظالمًا استوفى عادلٌ منه حق جنايته، يأخذ فى مدح العادل التكرار من المؤمنين، فالحمد الأول: على صدق الوعد، وإيراث الجنة، والثانى: على القضاء بالحق.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) ومن هذه الآية جعلت الحمد لله رب العالمين، خاتمة المجالس فى العالم، والحمد لله رب العالمين / ١٢ وجيز.

فهرس المجلد الثالث

الأنبياء	٣
الحج	٤١
المؤمنون	٧٥
النور	١٠٤
الفرقان	١٤٤
الشعراء	١٧٠
النمل	٢٠٥
القصص	٢٣٥
العنكبوت	٢٦٩
الروم	٢٩٠
لقمان	٣٠٩
السجدة (الم. السجدة)	٣٢٥
الأحزاب	٣٣٥
سبأ	٣٧٣
فاطر	٣٩٧
يس	٤١٦
الصافات	٤٣٦
ص	٤٦٦
الزمر	٤٨٩